كتاب تفسير للقاضي بيضاوي

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين
خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتأمل وأنا الفقير إلى الله تعالى المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين
عفي عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى
باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا
وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انه
سحر تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا اياته
وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف لهم قناع الانغلاق عن ايات محكمات هن
ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض
الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت
ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات والمائها
ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفا نبراسه يعش ذميما ويصلى
سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة
توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم
واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا وبعد فان اعظم
العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية
وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا
من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية
والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن
كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف
الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من
افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزية الى الائمة

الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي
يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما
صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه
بانوار التنزيل واسرار التاويل فها انا الان اشرع وبحسن توفيقه سبحانه وتعالى اقول
وهو الموفق لكل خير والمعطي لكل مسؤول سورة فاتحة الكتاب وتسمى ام القران لانها مفتتحه ومبدؤه
فكانها اصله ومنشاؤه ولذلك سمي اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى
والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام
العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء
وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسالة
لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء
لقوله عليه السلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق
الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال
ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية
لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم هي اية
من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة رح فيه بشيء فظن
انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين
كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب
سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرا رسول الله عليه السلام
الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلهما اختلف في انها
اية براسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها
في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران العظيم حتى لم يكتب امين والباء متعلقة بمحذوف
تقديره بسم الله اقرا لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدا له
وذلك اولى من ان يضمر ابدا لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه
وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله تعالى بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم
وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة
كيف وقد جعل اله لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى
لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدا فيه بسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة
والمعنى متبركا باسم الله اقرا وهذا وما بعده الى اخر السورة مقول على السنة العباد ليعلموا
كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف
المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة

على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت
اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة
وصل لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء
واسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله
به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له
ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل
ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته
سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف
من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد
اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكن لم يشتهر بهذا المعنى
وقوله سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص
يجب تنزيه الالفاظ الكريمة الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في
قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ
ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو عينه
ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق
بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء
عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك
قيل يا الله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب
على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل
من اله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب
تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره
اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع
بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله
ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه وقيل اله كاعاء
واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا
احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له
قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يشهدها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف
ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه
لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه
وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لم يستعمل في غيره تعالى وصار كالعلم مثل الثريا
والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان

ذاته تعالى من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان
يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات
وفي الارض معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب
وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف
الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل
مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لحذفها
بضرورة الشعر الا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا
للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب
وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما
تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم
لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار
الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم
الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم
الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي
من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره
لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره سبحانه لان من
عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او يزيح رقة الجنسية او حب
المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها
والداعية الباعثة عليها والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع
الى غير ذلك من خلقه عز وجل لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم
واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الآي
والاظهر انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلانة او فعلى الحاقا
بالاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان
في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها
فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به
عن غيره **الحمد لله** الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء
على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما
اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني
والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل
على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال
عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران

نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله وأصله النصب وقد قرئ به وإنما عدل عنه إلى الرفع
ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة
لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد أن الحمد
ما هو أو للاستغراق إذ الحمد في الحقيقة كله له إذ ما من خير إلا وهو موليه بوسط أو بغير وسط
كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه إشعار بأنه تعالى حي قادر مريد عالم إذ الحمد لا يستحقه إلا
من كان هذا شأنه وقرئ الحمد لله بالكسر بإتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث
أنهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب في الأصل بمعنى التربية وهو
تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من
ربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق
على غيره تعالى إلا مقيدا كقوله تعالى ارجع إلى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب
غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والأعراض فإنها لإمكانها وافتقارها إلى مؤثر واجب
لذاته تدل على وجوده وإنما جمع ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون
كسائر أوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل
الاستتباع وقيل عني به الناس هاهنا فإن كل واحد منهم عالم من حيث إنه يشتمل على نظائر
ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما أبدعه في العالم ولذلك سوى
بين النظر فيهما وقال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح
أو النداء أو بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على أن الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث
حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره
مالك يوم الدين قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس شيئا والأمر يومئذ لله
وقرأ الباقون ملك وهو المختار لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من
التعظيم والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو
المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل
ومالكا بالنصب على المدح أو الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على أنه خبر مبتدأ محذوف
وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق
سوى العدوان دناهم كما دانوا وإضافة اسم الفاعل إلى الظرف إجراء له مجرى المفعول به
على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار ومعناه ملك الأمور يوم الدين على طريقة ونادى
أصحاب الجنة أو له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الإضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة
للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالإضافة
إما لتعظيمه أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمر فيه وإجراء هذه الأوصاف على الله تعالى من كونه ربا للعالمين
موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لأمورهم يوم الثواب والعقاب
للدلالة على أنه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فإن ترتب الحكم على الوصف

يشعر بعليته له وللإشعار من طريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لأن
يحمد فضلا عن أن يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الأول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الإيجاد
والتربية والثاني والثالث للدلالة على أنه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لإيجاب
بالذات أو وجوب عليه قضية لسوابق الأعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص
فإنه لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين إياك نعبد وإياك
نستعين ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات
وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك أي يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة
ليكون أدل على الاختصاص وكأن المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا وللترقي
من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود وبني أول الكلام على ما هو مبادي حال العارف
من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظم شأنه وباهر
سلطانه ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه عيانا
ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر ومن عادة العرب
التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب
إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى
والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت وقول امرئ القيس تطاول ليلك
بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد وذلك من نبإ
جاءني وخبرته عن أبي الأسود وإيا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء
حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الإعراب كالتاء في أنت
والكاف في أرأيتك وقال الخليل إيا مضاف إليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب إذا بلغ
الرجل الستين فإياه وإيا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وإيا عمدة فإنها
لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم إليها إيا لتستقل به وقيل الضمير هو
المجموع وقرئ إياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه
طريق معبد أي مذلل وثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل إلا في الخضوع
لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي إما ضرورية أو غيرها والضرورية ما لا يتأتى الفعل بدونه
كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح أن يوصف الرجل
بالاستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر
على المشي أو يقرب الفاعل إلى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب
المعونة في المهمات كلها أو في أداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه
من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أو له ولسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم
وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب إليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول
للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم

ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه
الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة
بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب
عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه
ولذلك فضل ما حكاه الله تعالى عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه الله تعالى
عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه تعالى هو المستعان لا غير
وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب
الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه
بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له
الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما
وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم
بيان للمعونة المطلوبة كانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية
دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهداية
وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى
واختار موسى قومه وهداية الله تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول
افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر
الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار
حيث قال وهديناه النجدين وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية
بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام
والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء عليهم السلام والاولياء واياه عنى بقوله اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة
ما منحوه من الهدى او الثبات عليه وحصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به
ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك
فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل
وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة ولذلك سمي
لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد
الزاي ليكون اقرب الى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل
وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو
كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل

من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو
المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكان من البين الذي
لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل
اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم
والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه
من نعمة الاسلام وهي الدين ونعم الله تعالى وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها فهي تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني
كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن
والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس
عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى
المستحسنة وحصول المال والجاه والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوأه في اعلى عليين مع
الملائكة المقربين ابد الآبدين والمراد من النعمة هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيل من القسم الاول فان
ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين
على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى
ان المنعم عليهم هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال
وذلك انما يصح باحد تأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى باللام
في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة
لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير
نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعمة بما يعم
القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله اريد به المنتهى والغاية على ما
مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى
النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز
انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن
الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب
عليهم اليهود لقوله تعالى منهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى
قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة
والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به
فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى
في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل
الذي هو استجب وعن ابن عباس سألت رسول الله عليه السلام عن معناه فقال افعل

بنى على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا
وقال امين قرا واسه مابينها بعدا وليس من القران وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام
علمني جبرائيل امين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي
رضي الله عنه امين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل
ابن حجر انه كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه
انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يومن معه لقوله عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين
فقولوا امين فان الملائكة تقولون امين وان الامام يقول امين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم
من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله قال لابي الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقران مثلها
قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس
انه قال بينا رسول الله عليه السلام جالس اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك
فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه
السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب
الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

وهي مدنية وسبع وثمانون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة البقرة واياتها مائتان

الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في
حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح
الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود انه عليه السلام قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة
والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى
الذي اصطلح عليه فان تخصيصه بالحرف عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت
مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت
الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد
موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا
فيهما بين ساكنين ولم تعامل معاملة اين وهولاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه
التي تركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو
عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن اخرهم مع تظاهرهم
وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز
فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب
فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه
الاديب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف
المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا براسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها

الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهو ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها
ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها
يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك التي يجمعها اقطك ومن البواقي
الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء والظاء والضاد نصفها
ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج
نصفها الاقل لقلتها ومن اللينين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت
بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها
الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احدى عشر على ما ذكره سيبويه واختاره
ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة
اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين
في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في بسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة
الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر
الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين
والزاء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف
والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة
التي لا يدغم فيما يقاربها وتدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاء والسين والفاء نصفها
ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل
والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر
ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم
تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة
من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية
ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا
الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف
واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي
الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة
اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ
على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلث عشر سورة تنبيها على
اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيين وخماسيين
تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم
تعد باجمعها في اول القران لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة
فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف والمؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور

وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم تتساقط
مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب
بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولو لم يكن القران بيانا وهدى لما امكن التحدي به وان كانت مفهمة
فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون
المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران نزل
على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان
يكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف اخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات
هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت لي قاف كما روي عن ابن
عباس انه قال الالف الاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه
ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل
والميم من محمد اي القران منزل من الله بلسان جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم او الى مدد اقوام
واجال بحساب الجمل كما قال ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم
الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله
عليه السلام فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ
فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة
وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة
والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله
تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية
بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء
عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة
للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي
ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمة معينة في لغتهم واما الشعر
فشاذ واما قول ابن عباس رضي الله عنه فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي
الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص
بهذه المعاني دون غيرها اذ لا تخصيص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث
لا دليل فيه لجواز انه عليه السلام تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه
يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما
واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم
جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول
اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام

من وضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر
عنها بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص
يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدا المخارج واللام من طرف
اللسان وهو اوسطها والميم من الشفة وهو اخرها جمع بينها ايماء الى ان ينبغي ان يكون اول كلامه
واوسطه واخره ذكر الله تعالى وقيل انها سر استاثره الله عز وجل بعلمه وقد روي عن الخلفاء
الاربعة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى
ورسوله عليه السلام ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان
جعلتها اسماء الله تعالى او القران العظيم او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على
الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر
او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة
لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليس الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا
ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف
كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها
منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان
جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب
كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث
لا تحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها
والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم اية وحم عسق ايتان والبواقي ليست بايات
وهذا توقيفي لا مجال للقياس فيه **ذلك الكتاب** ذلك اشارة الى الم
ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقضى
او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار كالمتباعد اشير اليه بما يشار الى البعيد
وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو
او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله في القران
بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر
سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني بمعنى مفعول كاللباس ثم اطلق
على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه
الكتيبة **لا ريب فيه** معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب
العاقل فيه بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب
فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه
لما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة
نجم من نجومه ويبذلوا غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال

مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور
والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيه الريبة
وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث
دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه
هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة
الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال الله تعالى انكم لعلى هدى او في ضلال مبين
ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به
والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم وكافر وبهذا الاعتبار قال
هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات والنظر
في المعجزات ومعرفة النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن
الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين الا خسارا ولا يقدح فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن
بيان يعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة
وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلث مراتب الاولى
التوقي عن العذاب المخلد بالتبرء عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى
والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف
بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة
ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى
اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين على الاوجه الثلثة واعلم ان الاية تحتمل
اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدا على انه اسم القران او السورة او مقدر بالمؤلف منها
وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف
الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة
ذلك وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفة ولا ريب
في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة
عمل ان لانها نقيضها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي
بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد
تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره
وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان
فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى للمتقين وان يكون ذلك مبتدا
والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده
خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة

ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من
جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بان الكتاب
المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب فيه ولا ريب فيه جملة ثالثة تشهد
على كماله لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدا جملة رابعة
تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل
للمدلول وبيانه انه نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا
عن معارضته ثم استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث
الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين
وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية
فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والوصف
بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية
المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين
على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية
والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو
اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال
النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا
الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة
عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب
واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم
التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه
مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان
في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق
من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق
من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين
حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من
دين محمد عليه السلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد
الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل
بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا
وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل
على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم
الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبهم

وعطف عليه العمل الصالح في مواضع للتخصيص وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم ولذلك لهم الامن مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين للارادة
في الاية والمعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو
كاف لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه والحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند
اكثر من الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به للمتمكن منه والغيب
مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن
من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس
ولا تقتضيه بداهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله
وهو المراد به في هذه الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته
حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم
لا كالمنافقين الذين واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا
معكم او عن المؤمن به لما روي عن ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من
الايمان بغيب ثم قرا هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا
كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة
وعلى الثالث للالة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان
يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها ماخوذ من قامت
السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب
لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كان كالنافق الذي يرغب فيه
واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور
ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها
عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود
والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه معنى التنبيه على ان الحقيق
بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع
والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر
في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من
صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها
لاشتمالها على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده
واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه
وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون

والرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص
الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام
لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى
اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام
لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله
لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق
والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له
بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك
من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول
عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفاق
الشيء وانفاده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت ما يوافقه في الفاء والعين دالا
على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان
او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها
وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف
عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله
تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز
لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واصحابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين
تحت اعم والمراد باولئك الذين امنوا عن الشرك والانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان
تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك
والذين امنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما
في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالايب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة
والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه
غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم
وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبرائيل وميكائيل بعد الملائكة
تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق
المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل
بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فيلقنه
على الرسول والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه

بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالاخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الاخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لم يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والاخرة تانيث الاخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى موسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى اخر الايات والا فاستيناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم

اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد وكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف نبه تعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الايات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سؤال عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما اسند اليه وهو سواء عليهم والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القران بلفظ الماضي

على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم
حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى
الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم
انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع
الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول
عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم
امنوا ويوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل
ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير
معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت
حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار
التخويف اريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب
واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم
كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين
بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده
وبتوسط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها
والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء
فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والاية
مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان
فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق
ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما
الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى
عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول
عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة
الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد
بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء
بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ اخره نظرا الى انه اخر فعل يفعله في احرازه والغشاوة
فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية
على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح
الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم

مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة لهم في الانفس والافاق كما تجتليها
اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماها على الاستعارة
ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤفة بها ضرب حجاب بينها وبين الانتفاع بها
ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تع ولا تطع من اغفلنا قلبه وبالاقساء
في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى
واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله
عليها بكفرهم وقوله تع ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الاية ناعية
عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل
الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه
بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها
الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدرة ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك
وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر
لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند الفعل اليه اسناد الفعل الى المسبب
الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى
الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم
وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون
حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن
بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الاية
السادس ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله
ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها
الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله
من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق
على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص
فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع
لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين
واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل لانه مصدر في اصله
والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك
العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية العضو
لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة
كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء

المكسورة تقلب المستعلية لما فيهما من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار
والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل
على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسها اليه والمعنى وختم على ابصارهم
بغشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح
مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه
والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء
العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك يسمى نقاخا وفراتا ثم اتسع واطلق على كل
الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه
من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير
نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف انه اذا
قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية الكريمة ان
على ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الايات ولهم من الالام
العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر
لما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بشرح حال الكتاب العظيم وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين
اخلصوا دينهم لله وواطات فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا
وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لانهم
موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم
بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان
وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله
ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ
من انس لانهم يستانسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما
سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس
ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة يراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه
فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة
زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها
ابعاضها فعلى هذا يكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله تعالى وباليوم الاخر
بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه
واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف فيما يقصدون
به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم

التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم
لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا
كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على
الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في
النفس المعبر عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا
يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة وما هم
بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في
التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم
من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان
على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والاية تدل
على من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لا ان من تفوه
بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني
فلا ينتهض حجة عليهم يخادعون الله والذين امنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه
من المكروه لتنزله عما هو فيه او عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره
وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب اخر واصله الاخفاء
ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين
وخداعهم مع الله تعالى ليس على ظاهره لانه لا تخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته
بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث
انه خليفته كما قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم
باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عند الله تعالى اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار
استدراجا لهم وامتثال الرسول عم والمؤمنين امر الله تعالى في اخفاء حالهم واجراء حكم
الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون
يخدعون لانه بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل
للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابل
معارض ومبار استصحب ذلك ويعضده قراءة من قرا يخدعون وكان غرضهم في ذلك
ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام
والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك
من الاغراض والمقاصد وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى
ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها

بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه
خافية وقرا الباقون وما يخادعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ يخدعون
من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب
انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب
لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللراي في قولهم
فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامره وتشير اليه فالمراد بالانفس ههنا
ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم وما يشعرون لا يحسون بذلك لتمادي
غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على
مؤف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص
ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة
والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة
الحقيقية الابدية والاية الكريمة تحتملهما فان قلوبهم كانت متالمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة
وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه يوما فيوما وزادهم الله غمهم
بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت موفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عم
ونحوها فزاد الله تعالى ذلك بالطبع وبازدياد التكليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد
الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا
لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين
وامداد الله تعالى لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة
على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم اي مولم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع
وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده
بما كانوا يكذبون قراها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو
قولهم امنا وقرا الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول في قلوبهم واذا خلوا الى
شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب
الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء
بخلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم
عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به واذا قيل
لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية
لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهلها ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله
حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده
وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن

بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما
في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع
والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض
المؤمنين قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح
مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما
تفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك
لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له
سوء عمله فراه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف
به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار
اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها
الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف
الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك
بلا يشعرون واذا قيل لهم امنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين
الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب
بقوله امنوا كما امن الناس في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة
مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون
بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني
المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان
ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس
والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول عليه السلام ومن معه او من امن من اهل جلدتهم
كابن سلام واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب
النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار
باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما امن السفهاء الهمزة فيه
للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم
وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا
فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم ان فسر الناس
بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة راي يقتضيهما نقصان العقل
والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان
الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من
المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وينفعه الايات والنذر وانما فصلت
الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف

على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق
وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم
وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار
وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن
ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء
عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله عليه السلام ثم اخذ بيد عمر رضي الله
عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم
اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول وختنه سيد بني هاشم ما خلا
رسول الله عليه السلام فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته
واستقبلته ومنه اللقية اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم
من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه
القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد
بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة
في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية
على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى
زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين
والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة
بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم
على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به
المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار
بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء
المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف
فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين
وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت
واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال
هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم
يجازيهم على استهزائهم جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة بالسيئة اما
لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم
فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض
منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم

بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح
لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك
قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل
على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم
لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايذانا
بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله
فيهم كما قال الله تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم
في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت
السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى
باللام كاملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء
الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم
بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم
رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم
طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان
اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه
لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي او كان
اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمدهم في اعمارهم كي ينتبهوا ويطيعوا فما زادوا الا
طغيانا وعمها فحذف اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار
موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم
والطغيان بالضم والكسر كاللقيان واللقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في
الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في
البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها
قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها
عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان
احد العوضين ناضا (نقدا) تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء
والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت
الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من
المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل
العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا
في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها
محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى

فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشترا في معاملتهم اتبعه ما يشاكله
تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري
والتجارة طلب الربح بالبيع والشرا والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا
واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه
من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود
منها سلامة راس المال والربح وهولا قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان
الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل
عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين
ايسين عن الربح فاقدين للاصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جا بحقيقة حالهم
عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم
الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله تعالى في كتبه
الامثال وفشت في كلام الانبيا والحكما والمثل في الاصل النظير يقال مثل ومثل
ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا
ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها
شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة وعد المتقون وقوله تعالى ولله
المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين
كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز
ذلك ولم يجز وضع القائم مقام القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو
وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجز منه فحقه ان لا يجمع كما لا
يجمع اخواته ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت
لزيادة المعنى ولذلك جا بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا
بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياوه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء
الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد
طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار
من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله اي النار
ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان
ما حوله اشيا واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرفية
او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله
بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم
يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به عن اعتراض سائل يقول
ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفات ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل

البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما
ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله
او لان الاطفا حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك
عدي الفعل بالبا دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال
ذهب السلطان بماله اذا اخذه وامسكه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك
عدل عن الضو الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل
ذهابه بما في الضو من الزيادة وبقا ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى
كيف قرر ذلك واكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي
عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يترايى
فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير
فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع
ينشنه والظلمة ماخوذ من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد النظر
وتمنع الروية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المومنين
والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة
العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل
المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من
الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما
تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هولا المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به
السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة
على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما امن ومن صح له احوال الارادة
فادعى احوال المحبة فاذهب الله تعالى عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم
من حيث انه يعود عليهم بحقن الدما وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين
في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره
باهلاكهم وافشا حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا
مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات
بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت قواهم كقوله صم اذا سمعوا
خيرا ذكرت به وان ذكرت بسو عندهم اذنوا اصم عن الشي الذي لا اريده
واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريق التمثيل لا الاستعارة اذ من
شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة
كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثمة
ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ويصعد

حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا وان طوى ذكره بحذف المبتدأ
لكنه في حكم المنطوق ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من
صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته
وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب
الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم
وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز
الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع
لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت
بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة
فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي
اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا
منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم
واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب
لقوله تعالى يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها
فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله ولا تطع منهم
آثما او كفورا فانه يفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك
قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء
في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب
وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب
وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة
على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة
منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة
الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه
ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر
وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره
ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل
وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب
والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من
الارتعاد والبرق ما يلمع من السماء من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل
ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو
وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول

عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق
بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما
ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع
موضع الانامل للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون
كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت
عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقيل على كل هائل مسموع او مشاهد يقال
صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو
ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك
وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهي في الاصل صفة لقصفة الرعد او للرعد
والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت
نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة
وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى
التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد
البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم
مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر
من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لوجود مانع وعسى
موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها
مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على ان المقصود بالقرب من غير
ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل
عليها بالحذف عن خبرها في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف
بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم
ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء
لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف
ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف
بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا
منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام يصف نفسه هما اظلما
حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد
ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما
صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت
وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم

بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بها فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد
تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته
ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند
انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه
على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها
واقع بقدرته تعالى وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له
والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول
الباري تعالى كما قال الله تعالى اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى
اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير
والله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد
وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن
في الموضعين بدليل العقل والقدرة هي التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة
الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء
فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به
غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته
او على مقدار ما تقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال
بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور الله تعالى
والظاهر ان التمثيلين من التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه
وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها
الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار
الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من انطفت ناره بعد ايقادها
في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف
من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها
بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل
ولا الحرور وقول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب
والحشف البالي بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين
واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال
والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب
باهلاكهم او بافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم
والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط

المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه كان نافعا
في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات
المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من
الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص
مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم
كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم
فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل
شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب
الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتبكت بها من شبه
المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها
من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم
عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه
عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم
لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء
البرق كلما اضاء لهم مشوا فيه وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة
او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى
والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة
ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس
اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف احوالهم
اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما
بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف
وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته
كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء
فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة
لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا
عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى
واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود
واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما
كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله
عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها

واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة
باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم
كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا
ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه
عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة
الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس
فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم
بالعبادة فان المامور به هو مشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها
فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة
والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما
ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه
والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها
على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل
ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من
الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم
متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان معطوف على الضمير المنصوب
في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين
الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني
بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال عن الضمير في اعبدوا ربكم راجين
ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله
نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري عن كل شيء سوى الله
تعالى وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون
ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او عن مفعول خلقكم والمعطوف عليه
على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع
اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على
ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقون كما قال تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق
الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه النظر في صنعه والاستدلال

بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده
عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجرة قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا
صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا لله اندادا وجعل من
الافعال العامة يجيء على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت
قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول
واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى
جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول اخرى ومعنى جعلها
فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها
متوسطة بين الصلابة واللطافة واللين حتى صارت مهيأة لان يقعدوا ويناموا عليها
كالفراش المبسوطة وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها
واتساع جرمها لا تابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم
والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء
مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف
على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته لكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا
في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها
على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد
من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء بلا اسباب ومواد كما
ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع
وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته ليس في ايجادها دفعة
ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك
فان المطر يبتدا من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر
او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا
ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له
اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر
كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك
انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة جماعة
الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرا من الثمرة على التوحيد
او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وعيون
وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا

ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله
اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان
جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله لعلي ابلغ
الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها
في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا فلا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت
على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه
لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والايات العظام
ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا
وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص
بالمخالف المماثل في الذات كما خص للمماثل المساوي في القدر وتسمية
ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انهم ساوته في ذاته وصفاته
ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة
شابهت حالهم من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع
عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا
اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل
اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى
جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول
تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى
تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة
المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء فعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد
الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم
ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة
الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا
بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه
في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من
الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب
عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر
وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني
والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما
افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس

وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية
الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد
مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر وحدانيته
وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وهو القران المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته
من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة
وتهالكهم على المعازة والمعارضة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله
كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما نرى عليه
اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القران جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة
واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا
يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القران المترجمة التي اقلها ثلث ايات وهي ان
جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القران مفرزة
محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة
التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور
كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والشرف
وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشيء
والحكمة في تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم
وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه
كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ
من القران حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده
وابتهج به الى غيرها من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله
والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة
للقران في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن
هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير
للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولسائر ايات
التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب
والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ
في التحدي من ان يقال لهم ليات بنحو ما اتى به هذا اخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه
لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه

قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم
والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر
النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل
للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون
ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا
اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف
ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى امر قال الله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين
الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت
وقاية الله لا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى ادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم
معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر ان ياتي بمثله الا الله او فادعوا
من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من
ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دونه اولياء
او الهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين
يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم
وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القران غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل
من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا
لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده
وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه
ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة
او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا
مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم
ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل
رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن
الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به واتقوا العذاب
المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره
ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان
العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان الذي للشك والحال
يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك
نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم

فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال
مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف
الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما
ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل
في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت
الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال
سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر
سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم
وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي
جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها
وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار
بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا
بما هو منشا جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون
زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونهما ويغترون بهما
وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة
الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم
لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت
فان صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت
لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله في سورة
التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه بالمدينة صح تعريف النار ووقوع
الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم
وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف
او حال باضمار قد من النار لا من الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا
للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين دليل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض
على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على
عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم
بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجؤوا الى جلاء الوطن وبذل
المهج والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانه لو عارضوه بشيء لامتنع
خفاؤه عادة سيما والطاعنون اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث
انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان
يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم

لان وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه السلام او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنأوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكر مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان والاصل ان الشي لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة لانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظلة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياه لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته

فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد هنا استغناء بها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة وصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جرياته وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي رزقنا لكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما رات فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غيره وتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وكما روي انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظة على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه

السبع في الصورة والثواب متشابهاً اعراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع
الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل
ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنس الغني والفقير وعلى
الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا
والاخرة كما قال ابن عباس رضي الله عنه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت
التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو
كاف في اطلاق التشابه هذا وان للاية محملا اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة
في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب
تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما
في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون
في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن
كالحيض والدرن ودنس الطبيعة وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام
والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن
وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب
القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء
وكسر الهاء بمعنى مطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان لها مطهرا
طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل
لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع
ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت
مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات
والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها
في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون
دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل
للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا
خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا
واستعماله حيث لا دوام له كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل
نفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم
على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام
ههنا عند الجمهور لما يشهد من الايات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء
متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل
خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل

اجزاؤها مثلا متفاوتة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الاخر
متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس
ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه
لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه
الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها
خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم
في الاخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل
على كمالهم في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الايات
السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط
فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر
والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه
وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان
المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب
المحاكات ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات
الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل
في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة
الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض
لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله تعالى حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب
الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها
اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر
الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل
ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من امن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به
فيه فقال تعالى ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي
ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين
الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار
النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن
افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا
وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم
ان يعذبه وان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع
فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة
المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين

لما يعرض لنفسه كرعى ببيت في اناء من الورود وانما عدل به من الترك لما فيه من التمثيل
والمبالغة ويحتمل الاية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل
اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على اخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل
باضمار من ومنصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة
ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا اي كتاب كان
او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان
القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيره
فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان
لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولان لتضمنه
معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل وجوها اخر ان تكون موصولة
حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة
كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه لما
رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب
بها المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار
ودينار ان والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب
على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعلت اسما ومعناه
ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى
انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوضة فضلا بما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه
مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضرب به مثلا في الدنيا ونظيره
في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب
له درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها
في القلة كنخبة النملة كقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه
حتى نخبة النملة فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف تفصيل يفصل ما اجمل
ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب
معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان
الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر
وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا وفي تقدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد
بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق
الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال
الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق اي محكم النسج واما الذين

كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل
قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل
الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين احدهما ان يكون ما
استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما
واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع
على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس
وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدا النزوع والاول
مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك
اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره
امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام
الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه
على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهو اعم من الاختيار
فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال
كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال
كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان
للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه
ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر
الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال
كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث
العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا
وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل به
الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون
من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد
قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله
بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها
والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها
مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس
الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه
بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل
والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته

كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل
على انه الذي اعدهم للاضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم
بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم
وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول
والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير
الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال
العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر فان اطلق
مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه
فتثبت ان العهد حبل في اثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه
وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر
الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين
ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد
المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده
وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم
اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا
حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره
وقيل عهود الله تعالى ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته وعهد
اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا
الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي
الاحكام والمراد به ما وثق الله تعالى به عهده من الايات والكتب وما وثقوه به من الالتزام
والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل ان يكون كل قطيعة لا يرضاها
الرب تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالات المؤمنين والتفرقة بين الانبياء
عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه
رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين عبده المقصودة
بالذات من كل فضل ووصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع
العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول
بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت
شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه
بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض
بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه

اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم
الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقائقها
والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب
بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار الحال التي
يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون
لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار
الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم
بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم
مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم
امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير
مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطف بالفاء لانه متصل بما عطف
عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم بالنشور
يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم
باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه
فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه
يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة
العذر سيما في الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا
قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه
سبحانه لما بين دليل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر
اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده
عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف
تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة
الحقيقية كما قال الله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع
ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها
لا كل واحدة واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح
ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفرة عنهم على معنى كيف
يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم
يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة
او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها
ومقدماتها وفيما يختص بالانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انه

لحالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل
الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال تعالى او من
كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى
اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته
يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون في جميع القرآن بفتح التاء
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مترتبة على الاولى فانها خلقهم
احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم
ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في الدنيا باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط
وفي دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها
لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه
عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها
ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد
وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد بالسماء
جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته
من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي
على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع
الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى اي استولى وملك
قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل
والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية
او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء لقوله تعالى ثم
كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض
بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء
وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم
اشد خلقا ام السماء مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر
فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء
ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقوله ربه
رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل أليس ان اصحاب الارصاد
اثبتوا تسعة افلاك قلت في ما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفي الزائد
مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه
تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل
والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب

والانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع
لا يتصور الا من عليم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان لما تفتتت
وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ
منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم
ان صحة الحشر مبتنية على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى
فلان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله تعالى وكنتم
امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل
على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة
فانه تعالى عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار تعالى الى وجه اثباتهما بانه
تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم
واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه
مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه عز وجل وكمال حكمته جلت
قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو
تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة
ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم صلوات الله عليه وسلامه واكرامه وتفضيله
على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة
ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك
يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا
للتعليل والمجازات ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة
لما ذكرنا واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث
اذا كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا او اذكر على
التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن العظيم كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الآية
الكريمة المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة
في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل
والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم
صلوات الله عليهم وسلامه وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله تعالى
او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم عليهم الصلوة والسلام بعد
اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها
اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل صلوات الله
وسلامه عليهم كانوا يرونهم عليهم الصلوة والسلام كذلك وقالت طائفة
من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء

انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم
شانهم الاستغراق فى معرفة الحق جل جلاله والتنزه عن الاشتغال بغيره عز وعلا
كما وصفهم فى محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة
المقربون وقسم يدبر الامر من السما الى الارض على ما سبق به القضا وجرى به القلم
الالهى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم صلوات الله وسلامه
عليهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته فى كتاب الطوالع
والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض عليهم
السلام وقيل ابليس ومن كان معه فى محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم فى
الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس فى جند من الملائكة فدمرهم
وفرقهم فى الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذى له مفعولان وهما فى الارض
خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال معتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى
خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والها فيه للمبالغة والمراد به
ادم عليه السلام لانه كان خليفة الله فى ارضه وكذلك كل نبى استخلفهم الله
فى عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره تعالى فيهم
لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه تعالى
وتلقى امره تعالى بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبيا صلوات الله عليهم لما فاقت قوتهم واشتعلت
قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة صلوات الله
عليهم ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه تعالى بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام فى الميقات
ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج ونظير ذلك فى الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول
الغذا من اللحم لما بينهما من التباعد جعل البارى تعالى بحكمته جلت قدرته بينهما
الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطى ذلك او خليفة من سكن الارض
قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ
اما للاستغنا بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر ابى القبيلة فى قولهم مضر وهاشم
او على تاويل من يخلف او خلفا يخلف وفائدة قوله عز من قائل هذا للملائكة تعليم
المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر تعالى بوجوده سكان ملكوته ولقبه
بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان
ان الحكمة تقتضى ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر
كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما تعجب من
ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة
اهل المعصية واستكشاف عما خفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد

والفضائح واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج فى صدره
وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن فى بنى ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من
ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره
يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلق من اللوح او استنباط
عما ركز فى عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر
والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال فى الدم
والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح فى الصب من اعلى والشن فى الصب
عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البنا للمفعول فيكون الراجع
الى من سوا جعل موصولا او موصوفا محذوفا اى يسفك الدما فيهم ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك
وانا الصديق القديم المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقا بذلك
والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين فى
الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها
مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدما وعقلية تدعوه
الى الطاعة والمعرفة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة فى استخلافه وهو باعتبار
تينك القوتين لا تقتضى الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة
العقلية فنحن نقيم بما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن
فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير
كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه
الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات
من القوة الى الفعل الذى هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله
قال انى اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس
من سبح فى الارض والما وقدس فيها اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر
لان مطهر الشى مبعده عن الاقذار وبحمدك فى موضع الحال اى متلبسين بحمدك
على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم
ونقدس لك نطهر نفوسنا من الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر
بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدما الذى هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس
عن الاثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم ادم الاسما كلها اما بخلق
علم ضرورى بها فيه او القا فى روعه ولم يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل
والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وادم اسم اعجمى
كازر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم

الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها و
حزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى الالفة
كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس
والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ
والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا
مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير
مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان
العلم بالالفاظ من حيث الدلالة يتوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من
اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات
والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها
واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه
للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه
لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان
العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء ولا سيما
ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره
لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن
او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف
والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات
وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار
فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم
احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو
وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالتهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار
منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري
الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور
واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي
عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف
لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر
كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري
علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير
الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال
موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك

اني كنت من الظالمين • انك انت العليم • الذي لا يخفى عليه خافية • الحكيم
المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف
كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما
لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده
والجملة خبر ان • قال يا آدم انبئهم باسمائهم • اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها
بكسر الهاء فيهما • فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون • استحضار لقوله تعالى اعلم ما لا تعلمون
لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات
والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض
بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل
ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة
وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من
المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه
الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة
بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه
لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ
بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي
سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم عليه السلام فيكون
من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم
وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم
وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم عليه السلام افضل من هؤلاء
الملائكة لانه اعلم والاعلم افضل لقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها • واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • لما انبأهم بالاسماء
وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه
وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف
السابق ان نصبته باضمار اذكر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها
على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال
الشاعر • ترى الاكم فيها سجدا للحوافر • وقال • فقلن له اسجد لليلى فاسجدا • يعني البعير اذا
طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له
بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه وكأنه تعالى

لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم
الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة
الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته
وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان
اليس اول من صلى لقبلتكم • واعرف الناس بالقرآن والسنن • او في قوله تعالى اقم الصلوة
لدلوك الشمس وأما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف
او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم كمالهم والكلام في ان المأمورين
بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق • فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر • امتنع عما
امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه و
يسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره
والاستكبار طلب ذلك بالتشبع • وكان من الكافرين • اي في علم الله او صار منهم
باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم عليه السلام اعتقادا بانه افضل منه والافضل
لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب
وحده والاية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان
ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امره ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك
قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا
ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس
ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا
بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن كانوا ايضا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى
بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مأمورون بالتذلل لاحد والتوسل به
علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين وكأنه
قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان
الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا
من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة
والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس
فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وجل الا ابليس
كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف صح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن
من نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق
الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار
كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنها بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة

والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى
جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف فهذا اشبه بالصواب واوفق
للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي
بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب
وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان
كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري رحمه الله • وقلنا
يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة • السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت
تأكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم
والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها
لم تخلق بعد قال انه بستان كان في ارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى
امتحانا لادم عليه السلام وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا
مصرا • وكلا منها رغدا • واسعا رافها صفة مصدر محذوف • حيث شئتما • اي مكان
من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين
اشجارها الفائتة للحصر • ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين • فيه مبالغات تعليق
النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه
وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى
العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة
ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي
او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف
على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث
والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه
وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي • فازلهما الشيطان عنها • اصدر زلتهما
عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري
او ازالهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى
غير ان زل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله تعالى هل ادلك على شجرة الخلد وملك
لا يبلى وقوله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك
او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل اخرج
منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة
ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم عليه السلام وحواء وقيل قام عند الباب
فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل فلم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى

وخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى • واخرجهما مما كانا فيه
اي من الكرامة والنعيم • وقلنا اهبطوا • خطاب لادم وحوا عليهما السلام لقوله تعالى
قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس
اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء • بعضكم
لبعض عدو • حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض
بتضليله • ولكم في الارض مستقر • موضع استقرار او استقرار • ومتاع • تمتع • الى
حين • يريد به وقت الموت او القيامة • فتلقى آدم من ربه كلمات • استقبلها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات
على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم
وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه
لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك
قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك
على غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت
اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين
السمع والبصر كالكلام والجراحة • فتاب عليه • رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما
رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه
والعزم ان لا يعود اليه واكتفى بذكر ادم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك
طوى ذكر النساء في اكثر القران والسنن • انه هو التواب • الرجاع عباده بالمغفرة
او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا
عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة • الرحيم
البالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو • قلنا اهبطوا
منها جميعا • كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار
بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى
نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها
كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له
عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء
الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه
قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك
جاؤوا جميعا • فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • الشرط
الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل
بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او بارسال فمن

تبعه منكم نجا وفاز وانما جي بحرف الشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب
عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل
واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من
ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن
على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ هدى على
لغة هذيل ولا خوف بالفتح • والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون • عطف على من تبع الى اخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا
باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور
والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع
وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي
لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه واصلها ايية او اوية كتمرة فابدلت عينها على غير قياس
او اوية او ايية كرمكة فاعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات
المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسك الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام
من وجوه الاول ان آدم عليه السلام كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص الثاني
انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين الثالث
انه تعالى اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربه فغوى الرابع انه لقنه
التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه الخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله تعالى
اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة
والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ
والمدعي مطالب بالبيان الثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه
وخسر حظه بترك الاولى له فاما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه
ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة فيه تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك
الاولى ووفاء لما قاله للملائكة قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم
نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة
لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة
كتناول السم على الجهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله تعالى فانهاكما وقاسمهما الايتان لانه
ليس فيهما ما يدل على انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه
انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه الرابع
انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة
الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما

كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي
حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تقطيعا لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على
ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة
وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى
هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد
النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق
والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة
ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها
على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما
كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله تعالى
عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلى الله عليه
وسلم وما انزل عليه فقال ● يا بني اسرائيل ● اي اولاد يعقوب عليه السلام والابن
من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر
واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ
اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء ● اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم ● بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود
بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان
نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم بها على آبائهم
من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد
وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب
من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها ● واوفوا بعهدي ● بالايمان والطاعة ● اوف
بعهدكم ● بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعل الاول مضاف
الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب
الدليل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض
فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال
واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى
الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في
اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء
الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب واوفوا بالاستقامة على
الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف
الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم

من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة ● واياي فارهبون ● فيما
تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك
نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام
معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز والآية
متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان
لا يخاف احدا الا الله عز وجل ● وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ● افراد للايمان بالامر به
والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم
من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد
والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل
واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعيا فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم
في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا
اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ● ولا تكونوا
اول كافر به ● بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به لانهم كانوا اهل النظر في معجزاته
والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير
اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل
كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة
على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب
او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول
افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي
او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ● ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ● ولا تستبدلوا
بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما
يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا
منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا
ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه ● واياي فاتقون ● بالايمان واتباع الحق و
الاعراض عن الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في
الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان التقوى بالاولى لما عم
العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدا السلوك وبالثانية لما خص اهل العلم امرهم
بالتقوى الذي هو منتهاه ● ولا تلبسوا الحق بالباطل ● عطف على ما قبله واللبس الخلط
وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه

وتكتبونه حتى لا يتميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله
او تذكرونه في تاويله • وتكتموا الحق • جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان
وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه
او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده
انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه
اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق • وانتم تعلمون • عالمين
بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر • واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة •
يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام
بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع
اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى
الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل • واركعوا مع الراكعين • اي
في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر
النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع
والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان
تركع يوما والدهر قد رفعه • اتامرون الناس بالبر • تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر
التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة
الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب • وتنسون انفسكم •
وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضه انها نزلت في احبار المدينة كانوا
يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة
ولا يتصدقون • وانتم تتلون الكتاب • تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية
وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل • افلا تعقلون • قبح صنيعكم فيصدكم
عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك
الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك
والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل
الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها
حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ
فان اخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر • واستعينوا بالصبر و
الصلوة • متصل بما قبله كانهم لما امروا بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة
والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا
على الله تعالى او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس
والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية

من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة
واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق
وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب
وجبر المصائب روي انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد
بها الدعاء • وانها • اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير لعظم شانها
واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها • لكبيرة • لثقيلة شاقة كقوله
كبر على المشركين ما تدعوهم اليه • الا على الخاشعين • اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه
الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح
والخضوع بالقلب • الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون • اي
يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى
فيجازيهم ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان
اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر • فارسلته مستيقن الظن انه
مخالط ما بين الشراسيف جائف • وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة
بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال
عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة • يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم • كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد
تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها • واني فضلتكم • عطف على نعمتي • على العالمين •
اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده
قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا
مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف • واتقوا يوما •
اي ما فيه من الحساب والعذاب • لا تجزي نفس عن نفس شيئا • لا تقضي عنها شيئا
من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا
اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط
الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف
العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما
حذف من قولهم او مال اصابوا • ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل • اي
من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اراد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد
عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما
ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان
يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له
كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله

التسوية سمي به الفدية لانها تسوية بالمفدي • ولا هم ينصرون • يمنعون من عذاب
الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره
بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وقد تمسك المعتزلة
بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكباير واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث
الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم
ان اباءهم تشفع لهم • واذ نجيناكم من ال فرعون • تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل
آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب
لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن
الرجل اذا عتى وكان فرعون موسى مصعب ابن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد
وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة • يسومونكم
يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء • سوء العذاب
افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول
ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير
كل واحد منهما • يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم • بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف
وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له
الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا • وفي ذلكم بلاء •
محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما
كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى
الجملة ويراد به الامتحان الشايع بينهما • من ربكم • بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام
وتوفيقه لتخليصكم او بهما • عظيم • صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير
وشر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين
واذ فرقنا بكم البحر • فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه
او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا • وقرئ فرقنا على بناء التكثير
لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط • فانجيناكم واغرقنا آل فرعون • واراد به
فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن
كان يقول اللهم صل على ال محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه • وانتم تنظرون •
ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم وانفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم قذفها البحر
الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل
فخرج بهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك
البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق فلا نعلم

ففتح الله كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحم فيه
هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين وان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني
اسرائيل ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم
انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة
والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد عليه السلام مع ان ما تواتر من معجزاته امور
نظرية مثل القران والتحدي به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد عليه السلام
دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره • واذ وعدنا
موسى اربعين ليلة • لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية
وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير
ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى
المجي للميقات الى الطور • ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا • من بعده • اي من بعد موسى عليه السلام
او مضيه • وانتم ظالمون • باشراككم • ثم عفونا عنكم • حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا
اذا درس • من بعد ذلك • اي الاتخاذ • لعلكم تشكرون • لكي تشكروا عفوه
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان • يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق
بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى
او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه
وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر • لعلكم تهتدون • لكي تهتدوا
بتدبر الكتاب والتفكر في الايات • واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم
العجل فتوبوا الى بارئكم • فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريا من التفاوت ومميزا بعضكم
عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي
كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقوله برأ الله آدم من الطين
او فتوبوا • فاقتلوا انفسكم • تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب
نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضكم بعضا وقيل امر من لم يعبد
العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل
ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون
عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى
للسببية والثانية للتعقيب • ذلكم خير لكم عند بارئكم • من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة
الى الحيوة الابدية والبهجة السرمد • فتاب عليكم • متعلق بمحذوف ان جعلته كلام موسى عليه السلام
تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى
لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب
الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة

البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا
بالقتل وفك التركيب . انه هو التواب الرحيم . الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين
ويبالغ في الانعام عليهم . واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك . لاجل قولك او لن نقر لك
حتى نرى الله جهرة . عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت
للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة
بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين
اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقيل عشرة الاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي
اعطاك التورية وكلمك او انك نبي . فاخذتكم الصاعقة . لفرط العناد والتعنت وطلب
المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات و
الاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين
في الآخرة وللافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم
وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة . وانتم تنظرون
ما اصابكم بنفسه او اثره . ثم بعثناكم من بعد موتكم . بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه
قد يكون عن اغماء او نوم لقوله تعالى ثم بعثناهم . لعلكم تشكرون . نعمة البعث او ما كفرتموه
لما رأيتم بأس الله بالصاعقة . وظللنا عليكم الغمام . سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس
حين كانوا في التيه . وانزلنا عليكم المن والسلوى . الترنجبين والسماني وقيل كان ينزل
عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب فتحشر عليهم السماني وينزل بالليل عمود
نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى . كلوا من طيبات ما رزقناكم . على ارادة
القول . وما ظلمونا . فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن
كانوا انفسهم يظلمون . بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره . واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه . فكلوا منها حيث شئتم رغدا . واسعا
ونصبه على المصدر او الحال من الواو . وادخلوا الباب . اي باب القرية او القبة التي كانوا
يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام . سجدا . منطامنين
مخبتين او ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجهم من التيه . وقولوا حطة . اي مسئلتنا حطة
او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة
او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية
ونقيم فيها . نغفر لكم خطاياكم . بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بها على البناء
للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها
بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين
الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر . وسنزيد
المحسنين . ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن

صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا
فعله وانه يفعل لا محالة . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم . بدلوا بما امروا به
من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا . فانزلنا على الذين ظلموا
كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به
موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتهم الى ما يوجب هلاكهم . رجزا من السماء
بما كانوا يفسقون . بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس
وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون
الفا . واذ استسقى موسى لقومه . لما عطشوا في التيه . فقلنا اضرب بعصاك الحجر
اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه
ثلث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر
اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا
او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله عما رموه به من الادرة فاشار اليه
جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا
كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة فيها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل
فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله
اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان
ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان
تتقدان في الظلمة . فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا . متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد
انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله تعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها
وهما لغتان فيه . قد علم كل اناس . كل سبط . مشربهم . عينهم التي يشربون منها . كلوا
واشربوا . على تقدير القول . من رزق الله . يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء
العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به . ولا تعثوا في الارض مفسدين
لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده وان غلب في الفساد لانه قد يكون منه ما ليس بفساد
كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه
العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله تعالى وقلة
تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب
الحديد لم يمتنع ان يخلق حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره
ماء بقوة التبريد ونحو ذلك . واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد . يريد به ما
رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة
الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام
اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه . فادع لنا ربك سله

لنا بدعائك اياه . يخرج لنا . يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب
الاجابة . مما تنبت الارض . من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها . تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل
باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي توكل والفوم الحنطة ويقال
للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرى قثائها بالضم وهو لغة فيه . قال . اي الله او موسى عليه السلام
اتستبدلون الذي هو ادنى . اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان
فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة بعيد المحل وقرى ادنا
من الدناءة . بالذي هو خير . يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة
الى السعي . اهبطوا مصرا . انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه
اذا خرج وقرى بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم
وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويويده انه غير منون في مصحف ابن مسعود
وقيل مصرائيم فعرب . فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة . احيطت بهم احاطة
القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة
واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم
وباؤا بغضب من الله . رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا
بان يقتل به واصل البوء المساواة . ذلك . اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة
والبوء بالغضب . بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق . بسبب كفرهم
بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار
العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم والتي فيها نعت محمد صلى الله عليه
وسلم من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيبا وزكريا ويحيى عليهم السلام وغيرهم
بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى
وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . اي جرهم العصيان
والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي
الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر
الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي
واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت
الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير
قول رؤبة . فيها خطوط من سواد وبلق . كانه في الجلد توليع البهق . والذي حسن ذلك
ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى
الجمع . ان الذين آمنوا . بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عليه السلام المخلصين منهم
والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة . والذين هادوا . تهودوا يقال

هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من
عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام . والنصارى
جمع نصران كندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او
لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها . والصابئين .
قوم من النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة
وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج وقرا نافع وحده بالياء اما
لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق
الى الباطل . من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا . من كان منهم في دينه قبل ان نسخ
مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا
ودخل في الاسلام دخولا صادقا . فلهم اجرهم عند ربهم . الذي وعد لهم على ايمانهم
وعملهم . ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون
على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان
وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث
انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا
فلهم عذاب جهنم . واذ اخذنا ميثاقكم . باتباع موسى عليه السلام والعمل بالتورية
ورفعنا فوقكم الطور . حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية
فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم
حتى قبلوا . خذوا . على ارادة القول . ما آتيناكم . من الكتاب . بقوة . بجد وعزيمة . واذكروا
ما فيه . ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به . لعلكم تتقون .
لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف
اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا . ثم توليتم من بعد ذلك . اعرضتم عن الوفاء
بالميثاق بعد اخذه . فلولا فضل الله عليكم ورحمته . بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عليه السلام يدعوكم
الى الحق ويهديكم اليه . لكنتم من الخاسرين . المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال
في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو
امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف
لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف . ولقد علمتم
الذين اعتدوا منكم في السبت . اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود
عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها
ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى
تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها

يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار
والطرد فقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى
كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم
صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قَرِدة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها
اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها
لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين
او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حولها
او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر عنها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها
واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم
نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو
الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان
فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا
يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا
هزوا اي مكان هزؤ او اهله او مهزوءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله
واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة
واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه
ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي
لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه
مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة
ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر
للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين
ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد
وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة تدل على ان المراد بها معينة ويلزمه
تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة
ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت
بالنص والحق جوازهما ويؤيد الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي
بقرة ارادوا لاجزاتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم
عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير
فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مامورکم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود

حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة
الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى
تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها
من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع
تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه
علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر
وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها
على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه
ومتشابهة ومشتبهة ومشتبه وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل
وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة
الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة
والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها
بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة
البقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا
ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان
اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له
كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه
وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا
وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه
اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة
مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له
عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وشبت وكانت وحيدة بتلك
الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك
بثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات
مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها
لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت
تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم
فادارأتم فيها اختصمتم في شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح
قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل
والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه

لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس
والتذكير على تأويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها
وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف
وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الاية ويريكم آياته دلائله
على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء
الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحييه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب
واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب
ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه
ضحى بنجيبة بثلث مائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها
وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح
بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شرة الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت
معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عنها لا شية بها من قبائحها بحيث يصل
اثره الى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم
من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر
وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك
يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في
قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائد عليها او انها
مثلها او مثل اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده
قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد
القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها
بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه
الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان
منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب
هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على
انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما
تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما
بعده افتطمعون الخطاب لرسول عليه السلام والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم
او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام
الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم او تأويله فيفسرونه
بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام
بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا

وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم
يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان اخبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه
الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا
لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية
واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد عليه السلام او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا
للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام
على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه
وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول الله عليه السلام وقيل عند ربكم
في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعه افلا تعقلون اما تمام كلام اللائمين وتقديره افلا
تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى
افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين
او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها
اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه
ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها
او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان
في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون
اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية
عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل
وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم
وقد يطلق بازاء العلم على كل رأي واعتقاد غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد
والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان
فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له
وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به
ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما
استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما
يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر
الحاسة به واللمس كالطلب ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة
قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم

قالوا اند ة الدنيا سبعة الالف سنة وانما نعذب مكان الف سنة يوما قل أتخذتم عند الله
عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه
فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده
وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال أم تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة
الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون
على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه
اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها
وبين الخطيئة انها يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ
والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قولهم فبشرهم بعذاب اليم وأحاطت به خطيئته
اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح
في شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك
فسرها السلف بالكفر وتحقيقه ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك
فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه ويصير بطبعه مائلا الى
المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال
الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى ان كذبوا بايات الله وقرا نافع خطيئاته وقرئ
خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة
كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية
كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده
لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه من مسماه واذ اخذنا
ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد
وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة
لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف
ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا
عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب القسم ودل عليه المعنى كانه قال حلفناهم
لا تعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون
بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا وذي
القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل
ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه
حسنا للمبالغة وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد
ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم

على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله عليه السلام ومن قبلهم على
التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها
قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض من الوفاء والطاعة واصل
الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون
انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن
وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا
ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل
في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق
واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل انتم ايها
الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء
استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره على معنى
انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات
وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكي عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل
هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون
من الظهر وقرا نافع والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون
بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا
اسر احد الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون
لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرا
حمزة اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير
وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم
عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان
او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان
افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما
جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب
الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيامة يردون
الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله سبحانه
بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم
وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة

اشتروا الحيوة الدنيا على الآخرة • فلا يخفف عنهم العذاب • بنقص الجزية في الدنيا والعذاب
في الآخرة • ولا هم ينصرون • بدفعهما عنهم • ولقد آتينا موسى الكتاب • اي التورية • وقفينا
من بعده بالرسل • اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه
وقفاه به اذا اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب • وآتينا عيسى ابن مريم البينات • المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى
الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل
اذ لم يثبت فعيل • وايدناه • قويناه وقرئ آيدناه • بروح القدس • بالروح المقدسة كقولك حاتم
الجود ورجل صدق واراد به جبريل وقيل روح عيسى عليه السلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان
او لكرامته على الله تعالى ولذلك اضافه الى نفسه او لانه لم يضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث
او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم • بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح
هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا وتعجيبا
من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر • استكبرتم • عن الايمان واتباع
الرسل • ففريقا كذبتم • كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء للسببية او للتفصيل • وفريقا تقتلون •
كزكريا ويحيى عليهما السلام وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس
فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد عليه السلام لولا اني
اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة • وقالوا قلوبنا غلف • مغشاة باغطية خلقية لا يصل
اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف
والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها من غيره • بل
لعنهم الله بكفرهم • رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم
بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله تعالى خذلهم بكفرهم
كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء
عنك • فقليلا ما يؤمنون • فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم
ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم • ولما جاءهم كتاب من عند الله • يعني القرآن •
مصدق لما معهم • من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما
محذوف دل عليه لما الثانية • وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا • اي يستنصرون على
المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك
عن نفسه • فلما جاءهم ما عرفوا • من الحق • كفروا به • حسدا وخوفا على الرياسة • فلعنة الله على
الكافرين • اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون
للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم • بئسما اشتروا به انفسهم • ما نكرة بمعنى شيء

٣٨

مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا
انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا • ان يكفروا بما انزل الله • هو المخصوص بالذم • بغيا •
طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة ان يكفروا دون اشتروا للفصل • ان ينزل الله • لان ينزل
اي حسدوه على ان ينزل الله • من فضله • يعني الوحي • على من يشاء من عباده • على من اختاره
للرسالة • فباءوا بغضب على غضب • للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد
عيسى عليهما السلام او بعد قولهم عزير ابن الله • وللكافرين عذاب مهين • يراد به اذلالهم بخلاف
عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه • واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله • يعم الكتب المنزلة باسرها
قالوا نؤمن بما انزل علينا • اي بالتورية • ويكفرون بما وراءه • حال من الضمير في قالوا ووراء
في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول
فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد • وهو الحق • الضمير لما وراءه
والمراد به القرآن • مصدقا لما معهم • حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق
التورية فقد كفروا بها • قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين • اعتراض عليهم بقتل
الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم
وانهم راضون به عازمون عليه • ولقد جاءكم موسى بالبينات • يعني الآيات التسع المذكورة في قوله
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات • ثم اتخذتم العجل • اي الها • من بعده • بعد مجيء موسى عليه السلام
او ذهابه الى الطور • وانتم ظالمون • حال يعني اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآياته
او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا
والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليهما السلام لا لتكرير القصة وكذا
ما بعدها • واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا • اي قلنا لهم
خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة • قالوا سمعنا • قولك • وعصينا
امرك • واشربوا في قلوبهم العجل • تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما
يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله
تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا • بكفرهم • بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او
حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري • قل بئسما يأمركم به ايمانكم •
اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات
الثلث الزاما عليهم • ان كنتم مؤمنين • تقدح في دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان
كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه
لكن الايمان بها لا يامر به فاذا لستم بمؤمنين • قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة •
خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار • من دون الناس •
سائرهم او المسلمين واللام للعهد • فتمنوا الموت ان كنتم صادقين • لان من ايقن انه
من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه

لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه
وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له
لا يشاركه فيها غيره • ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم • من موجبات النار كالكفر بمحمد والقرآن
وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر
منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبره لانهم
لو تمنوه لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان
بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي عليه السلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه
وما بقي يهودي على وجه الارض • والله عليم بالظالمين • تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في
دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم • ولتجدنهم احرص الناس على حيوة • من وجد بعقله الجاري مجرى
علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حيوة لانه اراد فردا من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام
ومن الذين اشركوا • محمول على المعنى وكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم
بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانهم
لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المشركين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز
ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته يود
احدهم • على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو
على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف • لو يعمر الف سنة • حكاية لودادتهم ولو بمعنى
ليت وكان اصله لو اعمر اجري على الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن • وما هو
بمزحزحه من العذاب ان يعمر • الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من العذاب
تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات
وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد • والله
بصير بما يعملون • فيجازيهم • قل من كان عدوا لجبريل • نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول
الله عليه السلام عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل
على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان
ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه مدارس اليهود يوما
فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل
صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره
وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو
احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك
يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قراه حمزة والكسائي
وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراه ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراه عاصم وجبريل كقنديل قراه الباقون
واربع في الشواذ جبرائيل وجبرائل وجبرئل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله

فانه نزله • البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه
وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره • على قلبك • فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه
على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال ما تكلمت به • باذن الله • بامره او تيسيره حال من فاعل
نزل • مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين • احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط
فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته
اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه
او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او هو عدو لي
وانا عدوه كما قال • من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين •
اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم
كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافراد الملكين بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على
ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم
فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا نافع
ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكاءل • ولقد
انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون • اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل
في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله عليه السلام
ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك • اوكلما عاهدوا عهدا • الهمزة للانكار والواو
للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا
الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا • نبذه فريق منهم • واصل النبذ الطرح لكنه
يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض • بل اكثرهم لا يؤمنون • رد لما يتوهم ان الفريق
هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء • ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق
لما معهم • كعيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام • نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله • يعني
التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل
المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسل كالقرآن • وراء ظهورهم • مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض
عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه • كانهم لا يعلمون • انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين
ولكن يتجاهلون عنادا او اعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية
وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة
جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة
لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين
بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون • واتبعوا ما تتلو الشياطين • عطف على نبذ اي نبذوا كتاب
الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما • على ملك سليمان •

أي عهده. وتتلو حكاية حال ماضية. قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب ويلقونها إلى الكهنة فهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل إن الجن يعلم الغيب وإن ملك سليمان تم بهذا العلم وإنه تسخر به الإنس والجن والريح له. وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك، وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر وأن من كان نبيا كان معصوما عنه. ولكن الشياطين كفروا باستعماله. يعلمون الناس السحر إغواء وإضلالا، والجملة حال من الضمير. والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشياطين مما لا يستقل به الإنسان، وذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس، فإن التناسب شرط في التضام والتعاون، وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي. وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم، وتسميته سحرا على التجوز أو لما فيه من الدقة لأنه في الأصل لما خفي سببه. وما أنزل على الملكين عطف على السحر، والمراد بهما واحد، والعطف لتغاير الاعتبار، أو المراد به نوع أقوى منه، أو على ما تتلو. وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة. وما روي أنهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود، ولعله من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر. وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما، ويؤيده قراءة الملكين بالكسر. وقيل ما أنزل نفي معطوف على ما كفر، تكذيب لليهود في هذه القصة. ببابل ظرف أو حال من الملكين أو الضمير في أنزل، والمشهور أنه بلد من سواد الكوفة. هاروت وماروت عطف بيان للملكين، ومنع صرفهما للعلمية والعجمة، ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا. ومن جعل ما نافية أبدلهما من الشياطين بدل البعض، وما بينهما اعتراض. وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت. وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر. فالمعنى على الأول ما يعلمان أحدا حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله تعالى، فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر، ومن توقى عن العمل به أو اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الإيمان، فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به. وفيه دليل على أن تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور، وإنما المنع من اتباعه والعمل به. وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا إنا مفتونان فلا تكن مثلنا. فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من أحد. ما يفرقون به بين المرء وزوجه أي من السحر ما يكون سبب تفريقهما. وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله لأنه وغيره من الأسباب غير مؤثرة بالذات بل بأمره تعالى وجعله. وقرئ بضاري على الإضافة إلى أحد، وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف. ويتعلمون ما يضرهم لأنهم يقصدون به العمل، أو لأن العلم يجر إلى العمل غالبا. ولا ينفعهم إذ مجرد العلم به غير مقصود، ولا نافع في الدارين، وفيه أن التحرز عنه أولى. ولقد علموا أي اليهود لمن اشتراه أي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله، والظاهر أن اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل. ما له في الآخرة من خلاق نصيب. ولبئس ما شروا به أنفسهم يحتمل المعنيين على ما مر. لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه أو يعلمون قبحه على التحقيق أو حقيقة ما يتبعه من العذاب. والمثبت لهم أولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي أو العلم الإجمالي بقبح الفعل أو ترتب العقاب عليه من غير تحقيق. وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم، فإن من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم.

ولو أنهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر. لمثوبة من عند الله خير جواب لو، وأصله لأثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به أنفسهم، فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها، وحذف المفضل عليه إجلالا للمفضل من أن ينسب إليه، وتنكير المثوبة لأن المعنى لشيء من الثواب خير. وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ. وقرئ لمثوبة كمشورة، وإنما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لأن المحسن يثوب إليه. لو كانوا يعلمون أن ثواب الله خير، وجهلهم لترك التدبر أو العمل بالعلم. يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا. الرعي حفظ الغير لمصلحته، وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا أي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه، وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته إلى الرعن أو سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا، فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر إلينا أو انتظرنا، من نظره إذا انتظره. وقرئ أنظرنا من الإنظار أي أمهلنا لنحفظ. وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير، وراعنا بالتنوين أي قولا ذا رعن نسبة إلى الرعن وهو الهوج، لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب. واسمعوا وأحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا إلى طلب المراعاة، أو واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود، أو واسمعوا ما أمرتم به بجد حتى لا تعودوا إلى ما نهيتم عنه. وللكافرين عذاب أليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه. ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون أنهم يودون لهم الخير، والود محبة الشيء مع تمنيه، ولذلك يستعمل في كل منهما، ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب. أن ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود، ومن الأولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء. وفسر الخير بالوحي، والمعنى أنهم يحسدونكم به وما يحبون أن ينزل عليكم شيء منه، وبالعلم وبالنصرة، ولعل المراد به ما يعم ذلك. والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره، لا يجب عليه شيء وليس لأحد عليه حق. والله ذو الفضل العظيم إشعار بأن النبوة من الفضل، وأن حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته. ما ننسخ من آية أو ننسها نزلت لما قال المشركون أو اليهود ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه. والنسخ في اللغة إزالة الصورة عن الشيء وإثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنسخ للكتاب، ومنه التناسخ، ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الأثر ونسخت الكتاب. ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو الحكم المستفاد منها أو بهما جميعا، وإنساؤها إذهابها عن القلوب. وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية. وقرأ ابن عامر ما ننسخ من أنسخ أي نأمرك أو جبريل بنسخها أو نجدها منسوخة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ننسأها أي نؤخرها من النسء. وقرئ ننسها أي ننس أحدا إياها، وتنسها أي أنت، وتنسها على البناء للمفعول، وننسكها بإضمار المفعولين. نأت بخير منها أو مثلها أي بما هو خير للعباد في النفع والثواب أو مثلها في الثواب. وقرأ أبو عمرو بقلب الهمزة ألفا. ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والإتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه. والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الإنزال، إذ الأصل اختصاص إن وما يتضمنها بالأمور المحتملة، وذلك لأن الأحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة، وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كأسباب المعاش، فإن النافع في عصر قد يضر في عصر غيره.

غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به
بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف
بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث
فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلق بها المعنى القائم بالذات
القديم • الم تعلم • الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرد لانه
اعلمهم ومبدأ علمهم • ان الله له ملك السموات والارض • يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو
كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف • وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير • وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير
ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور • ام تريدون ان تسألوا
رسولكم كما سئل موسى من قبل • ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء
كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او
منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا
ان ينزل عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه
• ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل • من ترك الثقة بالايات البينة وشك فيها واقترح
غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط
السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد بتبديل الكفر بالايمان وقد قرئ يبدل من ابدل
• ود كثير من اهل الكتاب • يعني احبارهم • لو يردونكم • ان يردوكم فان لو ينوب عن ان في المعنى
دون اللفظ • من بعد ايمانكم كفارا • مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين • حسدا • علة ود
• من عند انفسهم • يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين
والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم • من بعد ما تبين لهم الحق •
بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية • فاعفوا واصفحوا • العفو ترك عقوبة المذنب والصفح
ترك تثريبه • حتى يأتي الله بأمره • الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة
واجلاء بني النضير وعن ابن عباس رضه انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق •
ان الله على كل شيء قدير • فيقدر على الانتقام منهم • واقيموا الصلوة واتوا الزكوة • عطف على فاعفوا
كانهم امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله بالعبادة والبر • وما تقدموا لانفسكم من خير
كصلوة وصدقة وقرئ وما يقدموا من خير • تجدوه عند الله • اي ثوابه • ان الله بما تعملون بصير
لا يضيع عنده عمل عامل وقرئ بالياء فيكون وعيدا • وقالوا • عطف على ود والضمير لاهل الكتاب
من اليهود والنصارى • لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى • لف بين قولي الفريقين
كما في قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ
وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى • تلك امانيهم • اشارة الى الاماني
المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة

21

غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية
افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة • قل هاتوا برهانكم • على اختصاصكم بدخول الجنة • ان كنتم صادقين
في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت • بلى • اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة • من
اسلم وجهه لله • اخلص له نفسه او قصده واصله العضو • وهو محسن • في عمله • فله اجره • الذي
وعد له على عمله • عند ربه • ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان
كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز
ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم • ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • في الاخرة
• وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء • اي امر يصح
ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا
وتقاولوا بذلك • وهم يتلون الكتاب • الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل
العلم والكتاب • كذلك • مثل ذلك • قال الذين لا يعلمون مثل قولهم • كعبدة الاصنام والمعطلة
وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس
بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم
ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل • فالله يحكم بينهم • بين الفريقين • يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار • ومن اظلم ممن
منع مساجد الله • عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم
لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل
المسجد الحرام عام الحديبية • ان يذكر فيها اسمه • ثاني مفعولي منع • وسعى في خرابها • بالهدم
والتعطيل • اولئك • اي المانعون • ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين • ما كان ينبغي لهم ان
يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلها الا خائفين من
المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا
للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه عن تمكينهم من الدخول في
المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي رحمه الله بين المسجد الحرام
وغيره • لهم في الدنيا خزي • قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية • ولهم في الاخرة عذاب عظيم
بكفرهم وظلمهم • ولله المشرق والمغرب • يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به
مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام والاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا
• فاينما تولوا • ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة • فثم وجه الله • اي جهته التي امر بها فان
امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه • ان الله واسع
باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده • عليم • بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها
وعن ابن عمر رضه انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا
الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك

وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما
قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه
على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن
ذلك وتبعيد فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها
وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا
او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق
ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح عليهما السلام كل له قانتون منقادون
لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له
ولدا لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي
العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه اي كل ما فيها ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له
مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من
ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك
يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع
او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع فهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع
اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين
الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح
واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله
فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما
يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل
حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى
حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك واعلم ان السبب
في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب
الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم
ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد
وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا
كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني
جحود بان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية
مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت
قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات
لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه

اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او طلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا
ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل عن اصحاب
الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب لا تسأل على انه نهي لرسول الله عليه السلام
عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر
على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عليه السلام عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون
ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى
اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم
آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأي
يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا
نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يريد مؤمني اهل الكتاب يتلونه
حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده
او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن
يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا
يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها
والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح و
ايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء
في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما
والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقديرين والكلمات قد تطلق على المعاني
فلذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله المسلمين
الى آخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى
آدم من ربه كلمات فتاب عليه وبالعشر التي هي من سنته عليه السلام وبمناسك الحج وبالكوكب
والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الايات التي
بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل البلد امنا ليرى
هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم الذي وفى
وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت
ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون
الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع
جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة
اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي

بعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت
راؤها الثانية ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى
الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة • قال لا ينال عهدي الظالمين • اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد
يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله تعالى وعهده والظالم لا يصلح لها وانما
ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة
وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته • واذ جعلنا البيت • اي الكعبة غلب عليها كالنجم
على الثريا • مثابة للناس • مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره
وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد • وامنا • وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما امنا ويتخطف
الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجي اليه
حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله • واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى • على ارادة القول او عطف
على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا والخطاب لامة محمد
صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه
حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ
بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل
المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين
مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى
فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس
مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها • وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل • امرناهما • ان طهرا • اي
بان طهرا بيتي ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس
وما لا يليق به او اخلصاه • للطائفين • حوله • والعاكفين • المقيمين عنده او المعتكفين
والركع السجود • اي المصلين جمع راكع وساجد • واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا • يريد البلد
او المكان • بلدا آمنا • ذا امن كقوله في عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم • وارزق
اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم • ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص • قال
ومن كفر • عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه
على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ متضمن
معنى الشرط • فامتعه قليلا • خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا
بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه • ثم اضطره الى عذاب النار •
اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف
وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع و
قرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد
وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس • وبئس المصير • المخصوص

بالذم محذوف وهو العذاب • واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت • حكاية حال ماضية
والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل
للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان
يراد بها ساقات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته
واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها • واسمعيل •
كان يناوله الحجر ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب
ربنا تقبل منا • اي يقولان ربنا وقرئ به والجملة حال منهما • انك انت السميع • لدعائنا • العليم
بنياتنا • ربنا واجعلنا مسلمين لك • مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم
وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان والثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد
انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع • ومن ذريتنا امة مسلمة لك • اي واجعل بعض
ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم
لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على
الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عليه السلام ويجوز
ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف
كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن • وارنا • من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز
مفعولين • مناسكنا • متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج
لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة
منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها • وتب علينا • استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما
قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما • انك انت التواب الرحيم • لمن تاب • ربنا وابعث فيهم •
في الامة المسلمة • رسولا منهم • ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلوات الله عليه وسلامه فهو المجاب به دعوتهما
كما قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي • يتلو عليهم آياتك • يقرأ عليهم
ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل التوحيد والنبوة • ويعلمهم الكتاب • القرآن • والحكمة • ما تكمل به
نفوسهم من المعارف والاحكام • ويزكيهم • عن الشرك والمعاصي • انك انت العزيز • الذي لا يقهر ولا يغلب
على ما يريد • الحكيم • المحكم له • ومن يرغب عن ملة ابرهيم • استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب
عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته • الا من سفه نفسه • الا من استمهنها واذلها
واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان
تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه
وقول جرير • ونأخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له سنام • او سفه في نفسه فنصب
بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي • ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين • حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا
له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل

والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه او تعليل له
او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم
وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى
المعرفة الداعية الى الاسلام روى انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام
فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة
واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي و
الضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ
ويعقوب عطف على ابرهيم اي اوصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم
يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من
ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان
وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنى عشر روبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويشسوخور
وزبولون ودونى ونفتوني وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف عليهم السلام ان الله اصطفى
لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون
ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا
ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم
لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل لهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روى ان
اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين
اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم
غائبين ام كنتم شاهدين وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي
وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه (بدل من اذ حضر) ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على
التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف
خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد
الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته
وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وكما قال في
العباس رضي الله عنه هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا
بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله آبائك
كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي توهم التعدد الناشي من تكرير المضاف لتعذر
العطف على المجرور والتأكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد
او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب عليهما السلام
وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم

لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم
كما قال عليه السلام لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا
تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب
لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت
النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اي بل نكون ملة ابرهيم
اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ بالرفع اي بل ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته
حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم
مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا
القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين
بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع
سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذرياتهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما
اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى
مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين
من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد
لوقوعه في سياق النفي عم فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون
مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله فاتوا بسورة
من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى
ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة
للتأكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان
تولوا فانما هم في شقاق اي اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق
وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله
تسلية للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد
بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع
ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة
الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته او
ارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على
وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء
اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد

لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة
احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك
يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء والبدل ان يضمر قولوا
معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب
قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل
الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له
بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا
باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من
يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما
ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان
والطاعة دونكم ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل
ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية
على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا
نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهولاء المعطوفون عليه اتباعه
في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية
والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا
لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء
كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم
في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الاية لنا تحذيرا عن
الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاولى الانبياء وفي الثانية اسلاف اليهود والنصارى
سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر
يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين
النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس
والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه
للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة
غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك
اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اي كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم
افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل

اسم المكان الذي يستوي فيه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط
وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل بها على ان الاجماع حجة
اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل
على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على
اتباع الشهوات والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم
روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة
للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا
ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم
فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب
المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام يصلي
اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رض كانت قبلته بمكة
بيت المقدس الا انه كان يجعل بينه وبينه فالمخبر عنه على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى
ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك
الفا لقبلة ابائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول
معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه
فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي
الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليعلمه موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه
لانهم خواصه او لنميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز
المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من معنى
الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب على عقبيه اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان
كانت لكبيرة ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا
والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او القبلة وقرئ
لكبيرة فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان و
الاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او
صلوتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل
من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم
ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل قد نرى ربما نرى تقلب وجهك

في السماء ترددُ وجهك في السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله عليه السلام يقع في روعه ويتوقع
ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود
وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته
كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت
مشية الله وحكمه فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل
لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم
ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال وممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون
الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف
القريب روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في
رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في
الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم
وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير
للتحويل او للتوجه وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين ولئن اتيت الذين اوتوا
الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم
المضمر وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة
وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا اثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون
صاحبنا الذي ننتظره تقريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان
ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع
الشمس لا يرجى توافقهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك
من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه
الوحي انك اذا لمن الظالمين اكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا
على اقتضائه وتحذيرا من متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم
الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله عليه السلام وان لم يسبق ذكره لدلالة
الكلام عليه او للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه
كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله
عليه السلام فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل
والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء
لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة
الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه

لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر
بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين
في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عليه السلام عن الشك فيه لانه
غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة
باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من
المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف
اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة الله موليها اياها واللام مزيدة
للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا
الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة
للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء
ومتفرقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم
او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله
على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان
خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق
من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرأ ابو عمرو بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر
للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة
وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها
كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة
والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة
علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في
التورية قبلته الكعبة وان محمدا عليه السلام يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي
ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس
حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او
بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونها
مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كقوله ولا عيب فيهم غير
ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين
ظلموا على انه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم واخشوني فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم
واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي امرتكم
لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي
عليكم او على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت

على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة
او في الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلو عليكم آياتنا
ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار
الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته
سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب
واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفوس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج
المؤمنين ومناجات رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون
ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا
يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل
اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والآية نزلت في
بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن
تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص
الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة
من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك
وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب
معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس
والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله تعالى والجوع صوم رمضان
والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض او الشيب ومن الثمرات موت
الاولاد وعن النبي عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون
نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول ولمن يتأتى منه البشارة
والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس
الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله فانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه
ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها
للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي عليه السلام من استرجع عند المصيبة
جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب
حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله

من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار
الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف
بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر
الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما
الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله تعالى فلا جناح فانه يفهم منه التخيير
وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة رحمه الله انه واجب
يجبر بالدم وعن مالك والشافعي رحمهما الله انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي
ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او
تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال
الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع
فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا تخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود
ما انزلنا من البينات كالآيات الشاهدة على امر محمد عليه السلام والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه
والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله و
يلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان
وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم
لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب
عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين استقر عليهم لعن الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا
وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو
او فاعل الفعل المقدر نحو وتلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر
تفخيما لشأنها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون
او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة
واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في
الوجود الها ولكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها
وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم او
لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت باية نعرف بها صدقك
فنزلت ان في خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة
بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل
والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى
الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه

على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ
بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء
من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد
موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون
النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيى فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا
والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب
المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل
مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله تعالى واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون
يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي
لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام
المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان
لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة
بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من
موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان
معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر
واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع
والتطارد كما اشار اليه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام
واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل
من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد
اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله
كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب
استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته
والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي
والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله تعالى بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة
موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد و
يعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين
ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذا عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى
الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب
لو محذوف اي يعلمون ان القدرة لله تعالى جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم
وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع
لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على

انه خطاب للنبي عليه السلام اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على
البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار
القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبعون من
الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو
للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او
رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين
والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول
وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي
ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم
حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل اري ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم
بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط
عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم
حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال
مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ
الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال
وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي
الخاطي وقرئ بضمتين وقلب الواو همزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة
وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة
لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان
لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه على الشر تسفيها لرايهم وتحقيرا
لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء
لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من
الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن كما بيناه في الكتب
الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء
على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع
ما الفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل
الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله عليه السلام الى الاسلام
فقالوا اما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها
ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او
العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر

الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما
اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس
بتقليد بل اتباع لما انزل الله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء
ونداء على حذف المضاف تقديره مثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين
كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى
عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف
مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين
بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق
في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء
ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم
فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا
طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا الله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم
اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان عبادته لا تتم الا
بالشكر وعن النبي عليه السلام اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر
غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها او الانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والسمك والجراد اخرجهما
العرف عنها واستثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل
كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر
اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال
لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رأي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان
كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل
غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي رحمه
وقول احمد رحمه الله فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه
فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه
لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك
ما ياكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه وكانه اكل
النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في
المآل اي لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض
بطنه لقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض
بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله تعالى ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم عذاب اليم

مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة
بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات
النار من غير مبالات وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية
ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه
بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب
الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن النهج المستقيم في
تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القران واختلافهم فيه قولهم سحر
وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس
البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم
اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم
وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيناه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي
ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة
وحفص البر بالنصب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين اي
ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من امن بالله او لكن ذا البر من امن ويؤيده قراءة من قرا ولكن البار
والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القران واتى المال على حبه اي حب المال كما قال
عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى وقيل الضمير لله
او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم
الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم اثنتان صدقة وصلة كما قال عليه السلام والمساكين
جمع مسكين وهو الذي اسكنه الخلة واصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر
سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين
الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب
وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة
المفروضة واتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله اتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض
من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل
الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين في البأساء والضراء نصبه على المدح
ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس
كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع
الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والاية كما ترى جامعة للكمالات
الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد
وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من امن الى والنبيين والى الثاني بقوله

وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها
بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار
بقوله عليه السلام من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء
وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام
تحاكموا الى رسول الله عليه السلام فنزلت فامرهم ان يتباءوا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد
والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم
وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي رحمهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد
غيره لما روى علي رضه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله عليه السلام ونفاه ولم يقده
وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من غير نكير وللقياس
على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله ان النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية
فلا ينسخ ما في القران واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ
الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره
ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء في القران
فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض
العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ
لم يثبت عفى الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفى يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله عفى الله عنك
وقال عفى الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن عفي
عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق
له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع
والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان
وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها
على مطلق العفو وللشافعي رحمه الله في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية
تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى
العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقريرا للحكم على حسب مراتبهم فمن
اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الآخرة وقيل في الدنيا بان
يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة كلام
في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل
على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون
سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص

من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل
المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص
يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن
فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القران حيوة للقلوب يا اولي
الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح
وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص
فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته
ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي
وله سبع مائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة
رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك
قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية
للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء و
لذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل
مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد
بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام
ان الله تعالى اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل
تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة لها بالقبول
لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين
بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل
فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا
فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما
اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه لانهم الذين جاروا وخالفوا
الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل لغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم
من قولهم اخاف ان ترسل السماء جنفا ميلا بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للحيف
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر موص
فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل
الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون
من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني
الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم
في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس
لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء او الاخلال باداءها لاصالتها وقدمها اياما معدودات موقتات بعدد

معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل
بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو
عاشوراء او ثلثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل
معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد
فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان
منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء
اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر
فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة
وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وعلى الذين يطيقونه
وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره
عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم
لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه
اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه
ويتطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطيقونه وعلى هذه القراءات
يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا
وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو
فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون
في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التأخير للقضاء
ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه
وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره
ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب
عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا
او بدل من ايام معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما
ومنع الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله
عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم
فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور
عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه
جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام
وعن النبي عليه السلام نزلت صحف ابرهيم عليه السلام اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين
والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن شهد
والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم

هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس
باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه
فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير
على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها
فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد
الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد
ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم
تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص
بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة
الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او
لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف
على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا نور الله والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه
ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هديكم
اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني فاني قريب فقل لهم اني قريب وهو
تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا
قال لرسول الله عليه السلام اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان
تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا
دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة
الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة
العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم
مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال احل لكم
ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلوا العشاء الآخرة او يرقدوا وان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم
واتى النبي عليه السلام واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام
الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب
ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة
وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة
الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان
ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت
عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم

تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب
فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما
نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني به عن
الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر
ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي
عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله تعالى وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من
غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود
لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو
بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا
يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان
وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باجتهادهم في ذلك ثم صرح بالبيان لما
التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم
المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه ونفي صوم الوصال
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد
بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة رضه كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها
ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء
حرام فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام
التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا
ان يتخطى كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه
وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك
التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تأكلوا اموالكم
بينكم بالباطل اي ولا يأكل بعضكم مال البعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرف
او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء
الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس
بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون
انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس
الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به
فقرأ عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم
الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام
انما انا بشر وانتم تختصمون الي فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن

قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من النار يسألونك عن الاهلة سأله معاذ بن
جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص
حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل
امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها
امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى اداء وقضاء
والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة
الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان
تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا
من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر
وان البر من المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت
الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة و
تركوا السؤال عما يعنونه ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان
يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال تمثيل بحال من ترك باب
البيت ودخل من وراءه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجترئ على
مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله
في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله
جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين
كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذي يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم
من المشايخ والصبيان والرهابين والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد
الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع
من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم
والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال وبقتال المعاهد والمفاجاة به من
غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان
او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل
المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس وقيل معناه
شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه
لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين
هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا
بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال

والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون
الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على
الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم او سمي
جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين
وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام
الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر
بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ
عليها يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم
ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا
الله في الانتصار فلا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم
وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه
المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم على هلاككم ويؤيده ما روي
عن ابي ايوب الانصاري رضه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم
فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في
الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد
بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم
في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم الى الهلاك فحذف المفعول واحسنوا
اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين
مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة واقيموا الحج والعمرة لله وما روى
جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فمعارض بما روي ان رجلا قال
لعمر رضه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر
وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان
وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما
سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال
حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي
لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رض لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض
او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج فقد حل فعليه الحج من قابل وهو
ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت زبير حجي واشترطي وقولي اللهم
محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما تيسر
والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند
الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رحه الله يبعث به ويجعل للمبعوث بيده

يوم امارة فاذا جاء اليوم ظن انه ذبح وتحلل لقوله ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي
لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ
الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال
ابو حنيفة رحمه الله يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية
وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا يحوجه الى الحلق او به اذى من
راسه كجراحة او قمل او صداع ففدية فعليه فدية من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس
الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله
قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فاذا
امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب
الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات
الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه
اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة رحمه الله انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي
فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة رح في اشهره بين الاحرامين
والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة
اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة
وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان
الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا
الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة
في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة
تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة رح اذ لا متعة
ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري
المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا وان كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه
ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك رح واتقوا الله في المحافظة على
اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به
عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال
وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة رح وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف
ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان
مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة رحمه الله وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما
سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض
فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية وسوق الهدي عند ابي حنيفة رح
وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي رح وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش

من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال
ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة
بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن
لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى
لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا
كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة
وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقب به النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن
كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا
ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله
وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرءوا عن كل شيء سواه وهو مقتضى
العقل المعرّى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح
ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة
وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها
فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء
اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع
سمي به كأذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين
ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس
كذلك او لان التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها
علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها
كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره
عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما رآه قال قد عرفت او لان آدم وحواء عليهما السلام
التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة
الا ان تجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي
مأمور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة الذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير
مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل
يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه
عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل
واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما
يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم
او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان

كنتم من قبله لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض
الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع والناس بعرفة ويرون ذلك
ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس
ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس
بالكسر اي الناسي يريد آدم عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه
واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر و
ينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم
آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم
وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف
على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او
على ما اضيف اليه الذكر بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل
المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله تعالى
منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر
يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا
ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب
خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الآخرة
حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا
المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة
وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك
اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما
خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع
الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب
فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات
وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر و
الذي بعده اي من نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن
تأخر فلا اثم عليه ومن تأخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رحمه الله يجوز تقديم رميه
على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من
اثم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر
بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل
الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض

للانسان بجهده بسبب التعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب
المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او يعجبك في الآخرة لما يعتريه من
الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في
قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان
يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي
وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم
واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك
الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة
السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد
لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي
يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم
علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف
للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد او يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي
اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما
انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرا وكلفهم بالجهاد
فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام
والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة
لانها تكف الاجزاء عن التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به
والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين
او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا
السبت وحرموا الابل والبانها او في شرايع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل
الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان
بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات
الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون
استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه كقوله او يأتي امر
ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله تعالى ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة
كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه
مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا
جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر
عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن

وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قراه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم
على انه من الرجع وقرا الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء
المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة
معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة
ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل
نعمة الله اي آياته فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف
والتاويل الزائغ من بعد ما جاءته بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها
ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد
جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا
عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا هو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من
الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون
من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم
الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كأنهم جعلوا مبدأ السخرية منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة
لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون
منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان
استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا
تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس عليهما السلام او نوح
او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح عليهما السلام فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي
علمته من عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن
باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا فان
اكثرهم لم يكن معهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا
بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله تعالى او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي
اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل
لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم
البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي
للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي عليه السلام
والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام
منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت
مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له

على الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدايد حتى يقول الرسول والذين
امنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرا نافع يقول بالرفع
على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله
قريب استيناف على ارادة القول فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة
الى ان الوصول الى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدايد و
الرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون
عن ابن عباس رض ان عمرو بن الجموح الانصاري كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا
ننفق وعلى من ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصارف لانه اهم فان اعتداد النفقة
باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله
من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي
ثوابه وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو
مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى
الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى
ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما
ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل
على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام
بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عير القريش فيهم عمرو بن
عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك
غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف
ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله
صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رض لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل
اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير
والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام
وفيه خلاف والاولى منع دلالة الاية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتالا فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم
وصد صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله
والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد اكل امرئ تحسبين امرأ
ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على صد مانع منه اذ لا يقدم
العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة

الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي عليه السلام والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطاء وبنا
على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل من يستوي فيه الواحد والجمع و
الذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى
يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد
لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال
كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه
وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم
فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان
في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع
في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب
يسئلونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا رضي الله عنهما في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله
في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا
فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال
انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلى
كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء
وقال ابو حنيفة رح نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر
والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسئلونك
عن تعاطيهما قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المامور به
وارتكاب المحظور ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان
وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي
تنشا منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة
اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة ويسئلونك ماذا ينفقون
سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال عن كيفية الانفاق قل العفو العفو
نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد وقال خذ العفو مني

تستدعي موقوفي وروى ان رجلا اتى النبي عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال
خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفها خذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل
ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف
اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في
الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما يضركم
ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى
ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم واصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم
فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة
المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلمه فيجازيه
عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة
ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين
والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق
وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال
نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولأمة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة
مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال
ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات وهو على عمومه ولعبد
مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك
اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم و
مصاهرتهم والله يدعو اي اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما
لشأنهم الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليها فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله
وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى
منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية
كانوا لم يساكنوا الحائض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر
من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير
واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت
واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي المحيض مستقذر يؤذي من يقربه نفرة منه فاعتزلوا

النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن
ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم
كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن
حتى يطهرن تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم
في رواية ابن عباس يطهرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي
جواز الاتيان عقيب الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله
اي المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين
عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن
بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان
لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع
امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله عليه السلام فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر
لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم
ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول عليه السلام
ان ينصحهم ويبشرهم من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين
الناس نزلت في الصديق رضه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله عنها او في عبد الله بن رواحة
حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض
دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان
الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير
وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون
للتعليل ويتعلق بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم
عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا
متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو
الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول
العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة
ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال
ابو حنيفة رح اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم
بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا
للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكنه
لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما بعده خبره او فاعل الظرف على خلاف
سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة

فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا
اي رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة
ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم
بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة رح الايلاء في اربعة اشهر فما فوقها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطي ان قدر
او الوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطي ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين
فان ابى عنهما طلق عليها الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات
والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار
بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء
رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيد فضل تأكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء
طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي
يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر
الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض
وهو المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال ابو حنيفة لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان
وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض
ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها
النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون
كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن
بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا
لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد
منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له
ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا
كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه
والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به
او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان
التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة
بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على
الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة
زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار و
نحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون
بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم و

ومصالح الطلاق مرتان التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام
او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية
الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول
او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الآخر حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقيب
تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا من الصدقات روي ان جميلة بنت
عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله عليه السلام وقالت
لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه
بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها
فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم
الآمرون بها عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة
المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود
الله بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول و
ابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في
اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حدد من الاحكام فلا تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك
هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير
كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة سألت
زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت
اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد
لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه تعالى سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق
فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان
يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله
فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان
الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد
ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره
من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت
لرسول الله عليه السلام ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل
هدبة الثوب فقال رسول الله عليه السلام اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد
مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا و
الرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة رح مع الكراهة وقد لعن الرسول عليه السلام

للتحليل والتحلل فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول
الى الآخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه
من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم هنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال
علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة
يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر
عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل
مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو
المراد في الآية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك
بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل
وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن
لان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهى عنه بالامر بضده
مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى
الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب
ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ
كانه نهى عن الهزو واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت و
عنه عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
القران والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله
بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي
دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما
روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون
دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح
اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن
يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم والاولياء والازواج وقيل الناس كلهم و
المعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس و
التضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضتها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء
وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال من الضمير المرفوع
او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو
غير منهي عنه ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل او كل واحد وان الكاف لمجرد
الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي
اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن

بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من
دنس الاثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن
امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر
او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن اذ الكلام فيهن
حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم
اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام
ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه
وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى
المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار
الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به
وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف
العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقرير اي
لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار
بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القرائتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول
وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء صلته اي لا تضر الوالدات بالولد فتفرط في تعهده
ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره
يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه
والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا مات
الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة
عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي
حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا
فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور
والمشاورة والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما
اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا
اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي
واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان
يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله اذا
قمتم الى الصلوة وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم
عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل
عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله

مبالغة في الحث على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين
او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ
يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام
ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له
ان لبثتم الا عشرا ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر
ان كان ذكرا ولاربعة اشهر ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف
حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعي والحرة
والامة كما قال الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله
تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي عباس رضي الله عنهما انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا
فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن
في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه
انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم
عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة
ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك
طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت
بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها
انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم
تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة
فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن
اي فاذكروهن ولا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطي لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه
وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا
قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة
الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف
لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة
وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا
تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل
معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب
من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا
ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة
من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي عليه السلام يكثر النهي عن الطلاق

فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا
ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى
مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من
مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو
كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى
ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة والمقتر اي ضيق الحال ما يطيقه ويليق به
ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة
هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية
يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة
وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا
صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى
الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم اي
فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثمة تبعة المهر وان لا
متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير
والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون
ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر ان ها هنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح
اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق
قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي
عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب
للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة
على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق
قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترد فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة
فطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق فقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم ولا تنسوا ان
يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات
بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم
الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر
لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا و
فضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار

فكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل
صلوة الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل الواقعة في حد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل
المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين في طرفي الليل
وعن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع
خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة
قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت
في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل
او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي
وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا
الله صلوا صلوة الامن واشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي
الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص
عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم
وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب الله عليكم الوصية لازواجكم متاعا
الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين
يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان
اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد
كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين
يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان
ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة متاخر
في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة رح
فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك
الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج و
الحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم من خالفه
منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا
بعد ما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق
بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقيل
المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة
الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم اياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام
ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها وتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب
وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار

مثلا في التعجيب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل
دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف كثيرة
قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف او الف كقاعد وقعود والواو
للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا كقوله كن فيكون والمعنى
انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله تعالى ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى
تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم
فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعريض للشهادة وحثهم على
التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص
عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار
والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص فان المقدر لا محالة واقع
امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف
والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع
بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه قرضا
حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض المجاهدة والانفاق في سبيل الله
فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على
المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب
بالنصب اضعافا كثيرة لا يقدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبع مائة واضعاف جمع ضعف ونصبه على
الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر
وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع
عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة
يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء
اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض
معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا
مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم
القتال ان لا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل
هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع بكسر السين قالوا وما لنا ان لا
نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه
ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم

واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلاثمائة وثلاثة
عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله
قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي
ان النبي عليه السلام لما دعا الله تعالى ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت
كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة
في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا اتملكه
لسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح
منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة امور السياسة وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا
في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل
القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا انه
واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه
حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت
من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله
ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التوراة وكان
من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان
اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى
عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او
ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم
يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليه السلام وقيل التابوت
هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية
مما ترك آل موسى وآل هارون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون عليهما السلام
وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة
قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون
به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك طالوت فاصابهم ببلاء حتى
هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهم الملائكة الى طالوت ان في ذلك
لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عليه السلام وان يكون ابتداء خطاب
منه تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه
ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه عليه السلام قال لا يخرج معي الا الشاب النشيط

الفارغ فاجتمع له ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله
لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس
مني فليس من اشياعي وليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا
ذاقه مأكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان
نبيا كما قيل او باخبار النبي عليه السلام الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت
عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا
والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب
ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ
بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل
ثلاثة آلاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت
شفته ولم يقدر ان يمضي الى الجهاد وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه
اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم
وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله تعالى
وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه
والضمير في قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة
او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او
فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى الله تعالى
بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم
في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم
بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشي في عسكر
طالوت مع ستة من بنيه وكان داود عليه السلام سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى
الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمته في الطريق ثلاثة احجار وقالت انك بنا
تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك اي ملك
بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب
والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين
ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا
وافسدوا في الارض او فسدت الارض بشؤمهم تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث
الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها
عليك بالحق بالوجه المطابق للذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن

المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في
السورة او المعلومة للرسول عليه السلام او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على
بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى عليه السلام وقيل
موسى ومحمد عليهما السلام كلم الله موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب
قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه
ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة و
بمراتب متباعدة وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة
والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه
العلم المتعين بهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابرهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب
وقيل ادريس عليه السلام لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن
مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه
وجعل معجزاته سبب الفضل لانها ايات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى
الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات
لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه لالتزام دين
الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل
ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه
يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله
تابعة لمشيته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم
انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تداركون فيه على
ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه وتفتدون به من العذاب ولا خلة حتى
يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحونكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلموا على شفعاء
فيشفع لكم في حط ما في ذمتكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او
فيه خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد
والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع
الكافرون موضع تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من
صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه
المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح
ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم
القائم بتدبير الخلق وحفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن رقاع
وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء
اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا

وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا
قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك
العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج به على
تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو
ابلغ من قوله له ملك السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان
لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه
عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل
ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون
بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم
الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة
ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذة من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش
ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي
الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور
بفلك البروج وهو في الاصل لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس
وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض
فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر
بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في
الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه
عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك
الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم
الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده
شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم اية
القرآن اية الكرسي من قراها بعث الله ملكا يكتب حسناته ويمحو سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال
عليه السلام من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها
الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات
حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا ولكن قد تبين الرشد
من الغي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى
السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه
الى الايمان طلبا للفوز والنجاة فلم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في

الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب
لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله
لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر
فنزلت فخلاهما فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن
عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسول
فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك الحق من النظر الصحيح والرأي القويم
لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات
ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امورهم والمراد بهم من اراد ايمانه
وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول
الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان
والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر
للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان و
غيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد
والانهماك في الشهوات او من نور اليقينيات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت
في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يأبى تعلق قدرته
وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين
تعظيم لشأنهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك
لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتني
لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة
اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه الله الملك على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق
الحياة والموت في الاجسام وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل
والقتل قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض
على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة
عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود
زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته
او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي
تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله
لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم
محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذي مر على قرية تقديره او رأيت
مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته
اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج

او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام
ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا
او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل
القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها
خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق
الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب
على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله فلبث
ميتا مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت بالاحياء القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن
بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل
انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال
او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان
واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن
من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب
كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائي
لم يتسن بغير الهاء في الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته
حفظناه بلا ماء ولا علف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده
ولنجعلك آية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره فقال انا عزير فكذبوه فقرأ
التوراة من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا
واولاده كانوا شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام
الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه
عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين
مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه او يفسره ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الامر
والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى
انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح
الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن
قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال او لم تؤمن بأني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحياة
قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال
بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان
الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل

الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات والزخارف
التي هي صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بها الغراب
والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بها الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان و
اجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك
لتتاملها وتعرف شانها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرا حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان
قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم دوالح
وقرى فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي
الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك
قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة وقرا ابو بكر جزءا بضم الزاء حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين
باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها ويمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل
كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من
اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى
يكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل
ابرهيم عليه السلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السوال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في
الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة
بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل
حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات
الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها
ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في
الذرة والدخن وفي البر في الارض المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله على حسب
حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما
يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان رض فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد
الرحمن بن عوف رض فانه اتى النبي عليه السلام باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه
على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن
والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد
تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول
معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاحه او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من
السائل بان يعذره ويغفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها
بالصفة والله غني عن الانفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويوذي بالعقوبة يا ايها

الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس
ولا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه ولا يريد به رضاء الله ولا ثواب
الاخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء والكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له
او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء فمثله كمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر
املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء
مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس
او الجمع كما في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد
وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح
فمن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان
حكم الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء
كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح
وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما
اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان
لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع
مكانها وهو المطر الصغير والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة و
القليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص
ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها
من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها
كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه
الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل
ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها
اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من
الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء
في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم
من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت
الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون فيها فتعتبرون بها
يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي من
طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه

اى ولا تقصدوا الردى منه اى من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر
وقرى ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به
منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم بآخذيه اى وحالكم انكم لا تأخذونه فى حقوقكم
لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرى تغمضوا اى
تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رضه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره
فنهوا عنه واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان
يعدكم الفقر فى الانفاق والوعد فى الاصل شايع فى الخير والشر وقرى الفقر بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحتين
ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمى البخيل فاحشا وقيل المعاصى والله يعدكم مغفرة منه
اى يعدكم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم فى الدنيا والآخرة والله واسع
اى واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتى الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول
اخر للاهتمام بالمفعول الثانى ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اى
ومن يؤته الله فقد اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص
من الآيات او ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله فى قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب
ذووا العقول الخالصة عن شائبة الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا
او علانية فى حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط فى طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم
عليه وما للظالمين الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون
بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هى فنعم شيئا
ابداؤها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون وكسر العين وقرا ابو بكر وابو عمرو وقالون بكسر النون
وسكون العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
اى تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره
افضل لنفى التهمة عن ابن عباس صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها
افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرا ابن عامر وعاصم فى رواية حفص بالياء
اى والله يكفر او الاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا
على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن نكفر وقرا نافع وحمزة والكسائى مجزوما
على محل الفاء وما بعده وقرى بالتاء مرفوعا او مجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب
فى الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على
المحاسن والنهى عن القبايح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدى من يشاء صريح بان
الهداية من الله وبمشيئته وانما يختص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم
وانما يختص
فهو لانفسكم لا ينفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال
وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله
اى وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفى فى معنى النهى وما تنفقوا

من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرط السابق او ما يخلف للمنفق استجابة
لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع
فى اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب اما الواجب
فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اى لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف
اى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله حصرهم
الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا فى الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا
نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا
يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله عليه السلام يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف من اجل
تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد
لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفنى من فضل لحافه اى
اعطانى من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحفوا وقيل هو نفى الامرين
كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا
من خير فان الله به عليم ترغيب فى الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت فى ابى بكر تصدق باربعين
الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل فى على لم يملك الا
اربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل فى ربط
الخيل فى سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين
ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف
على وعلانية الذين يأكلون الربوا اى الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا
شايع فى المطعومات وهو زيادة فى الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او فى العوض
بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها
بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام
المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق
كخبط العشواء من المس اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل
جن الرجل وهو متعلق بيقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او يتخبط
فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى فى بطونهم ما اكلوه
من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا
الربوا والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل
البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين
بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع
رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته

النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ
وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت
من موصولة وبالابتدا ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله
يجازيه عن انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم
عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم
كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف
ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم
مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين
كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسله وبما
جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكاة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على ساير
الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم عن ات ولا هم يحزنون على فائت يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم
مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم
عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن
بالشيء اذا علم به وقرا حمزة وعاصم في رواية ابن عياش رضه فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن
وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة
حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قال ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله
وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون
بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر
على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي
وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة اي فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار
وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب وعلى الامر
اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرا نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة
وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان
تصدقوا بالابراء وقرا عاصم بتخفيف خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة
ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا
كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا المصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء
وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضه انها اخر اية نزل بها جبرئيل عليه السلام وقال ضعها في راس
الاثنين وثمانية من البقرة وعاش رسول عليه السلام بعدها احدى وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين

وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اي اذا داين بعضكم بعضا
تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او اخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم
تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع الضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام
والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن
عباس رضه ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلم وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب
بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به
معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتابة ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة الوثايق
او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب
تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن
الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود
عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي والكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي
من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا
مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملال بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل
اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع
وهو دليل على جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين
واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود
واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة رح تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان
لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد رجل او فالمستشهد رجل وامراتان وهذا مخصوص
بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما
فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها
ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح
ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن
وقلة ضبطهن وقرا حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من
الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة
الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او
الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت
صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي
اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها
واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير القياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم
وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في
جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس

عليكم جناح ألا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها
بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع
والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر فالاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة
حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على
الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط و
الاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها
ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما
عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن
مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا
الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه
ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلث لاستقلالها
فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل في التعظيم من
الكتابة وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان
او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظن مجاهد
والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل
لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض
فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان
الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان
فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ايتمن
بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم
وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديون
والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان و
اسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه
رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق
سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما
في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه
لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة
والروافض فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء مغفرته وتعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد
رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن
جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا
جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثلها والله على كل شيء قدير فيقدر

على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما انزل من ربه شهادة وتنصيص من الله
على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين
راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع
كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان
وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه
وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب
لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل
وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله تعالى وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه
في سياق النفي كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق
بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك
او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا
الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها
لقوله يريد بكم الله اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت
من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير
والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله
واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ
من تفريط وقلة مبالات او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما
ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان
لم يكن له عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا ويجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا
بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان ربنا ولا تحمل علينا
اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة
كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا
والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة
وصرف ربع المال للزكوة وما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة
او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل
التخلص عنه والتشديد هاهنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا
واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا
فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة
روي انه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين
من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه

عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول
من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر فيها
البقرة كما قال عليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران بسم الله الرحمن الرحيم مدنية وهي مائتان

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها
ليدل على انها في حكم الثابت لانها سقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم
واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك في لام
وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها
على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله
لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي
القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة
انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التوراة والانجيل
جملة على موسى وعيسى عليهما السلام واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل
تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العربية من قبل
تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به
قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد
ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن
وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا
ويتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والباطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة
وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز لا يمنع عن التعذيب ذو انتقام لا يقدر
على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد
والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء
والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما
اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من
الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره
وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على
مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى
كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه نزلت السورة من اولها الى نيف
وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات

محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال هن ام الكتاب اصل يرد اليها غيرها والقياس
هن امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد
حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها
وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله
الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه
انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول
عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف
او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه
فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تأويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان
يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم
الجاهل وما يعلم تأويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا
فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة
وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو
المراد يقولون آمنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل
من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة
الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس
واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته
او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له
غير الله فتعين ان يكون هو اباه واجيب بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه
صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استئناف
والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم
بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا
تزيغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في
موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها
عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤال وفيه دليل
على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده ولا يجب عليه شيء ربنا انك جامع
الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان
معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان
الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد

الفساق مشروط بعدم العفو لدليل منفصل كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران واليهود او مشركوا العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته وطاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كداب ال فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره داب هؤلاء كداب هم في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم عطف على ال فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم اية خطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكانوا قريب الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك بعد ما قللهم في اعينهم حتى غلبوا اجترءوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريهم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي في التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة اية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول عليه السلام لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي الابصار وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا على محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله تعالى احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعل زينته ابتلاء لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية واذا كان على وجه يرتضيه الله ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور وخلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة

العلا

العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن الماب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قرا عاصم بضم الراء وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الاية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة والاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن الترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها عن الفضائل والصبر يشملها واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمته وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانه حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر المحذوف لا اله الا هو كرر للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبتني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد عليه السلام وقرا الكسائي بالفتح على انه بدل من الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ ان بالكسر

وان بالفتح على وقوع على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى
عليه السلام الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات
والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله
سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل
اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت به
الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى
والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب و
الاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب أأسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم
بعد على كفركم ونظيره قوله تعالى فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان
اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال فان تولوا فانما عليك
البلاغ فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد
ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب
اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا
قتل النبي عليه السلام والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة
ويقاتلون الذين ومنع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك
الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير
معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من
الكتاب اي التوراة او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم
والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد عليه السلام وكتاب الله القرآن او التوراة لما روي
انه عليه السلام دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابرهيم
فقال له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت
في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة
في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي
والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا
الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما
قلائل او ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عم ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم
فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار

الا

الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم
الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في
النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم
لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من الياء ولذلك
لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله
يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك تتصرف فيما يمكن
التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من
تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران
بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم بيدك الخير انك على كل شيء
قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا
او لمراعات الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق و
قطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا
سلمان الى رسول الله عليه السلام يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق
اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها
قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم
ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا
فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى
وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت ونبه على ان الشر
ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار في وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت
من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت
والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه
والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة و
النقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان
من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابو عمرو وابن كثير
وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او
صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر
الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة
عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء
يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المعاندين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك
ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء
والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا

في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش
جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو
تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه
دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي يعلم ضمائركم من ولاية
الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم
والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم
الله نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها
فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي
تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك
اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت من سوء او تجد مقصور على
ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن
الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره
للتاكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم
ومراعاة لصلاحهم وانه لذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا
علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله
لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه ولذلك فسرت
المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم جواب الامر اي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم
من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه وعبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور
رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه
وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام
انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا
يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم
وانما لم يقل ولا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله
وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة
الرسول وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل
على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق عليهما السلام واولادهما وقد دخل فيهم الرسول
عليه السلام وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب

او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اشعازار بن ابي يوز بن زربابين بن سالتان
بن يوحنا بن اوشان بن اموزر بن ميشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عوزيا بن
يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعم بن سليمان بن داود بن ايشا بن عوبد بن سلمون
بن باعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب
وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من
الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من
بعض في الدين والذرية الولد تقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرا ابدلت
همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من
كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرات عمران رب
اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا
جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهارون فظن
انه المراد وزوجته ويرده كفالة ذكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان
يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هي في ظل شجرة اذ رات طائرا
يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم فهلك عمران وكان النذر مشروعا في عهدهم
في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا
للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها
قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه
لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما
قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله
اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا
لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها
ولعل لله فيه سرا والانثى كان خيرا وقرئ وضعت على انه خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان
لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان
يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم
عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها
ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم
والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان
الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عليه السلام ما من مولود يولد الا والشيطان
يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث
يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر

مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها من امها
عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد
ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب
قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا عليه السلام انا احق بها
عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى
قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول
حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء
حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عباس على ان الفاعل هو الله
وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كلما
دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعها ومقدمها سمي
لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا
جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب
وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك
هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز كرامة الاولياء وجعل
ذلك معجزة لزكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة
ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير
لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله سبحانه
روي ان رض عنها اهدت لرسول الله عليه السلام رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية
فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما وقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا
والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه
في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها
من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى
الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأله وقال هب لي من لدنك ذرية
لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة
اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبرئيل وحده وقرا حمزة والكسائي
فناديه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائم في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر
او حال آخر او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرا نافع وابن
عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان
جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي عيسى سمي بذلك لانه وجد
بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة

لقصيدته

لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا
مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب
فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا
صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا
او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة
ولامرأته ثمان وتسعون سنة وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد
قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد
من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او
كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية علامة
اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة
ايام اي لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره
قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اوقعه مشتقا
عن السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء
منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا بفتحتين كخدم جمع رامز ورمزا
كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف
روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه
وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل
من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة
جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك
على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او
ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك
الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم يتقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة
واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال
الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود وبانطاق الطفل
وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة
بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه
على ان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع
ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
وبالسجود الصلوة كقوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب
نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على

سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم
فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون
اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في
كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على
ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق
واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه
مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل عم او من العيس وهو
بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها
ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به
ويتميز على غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون
عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته والخطاب لها تنبيها على انه تولد من غير اب
اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في
الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها
للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله
وقيل اشارة الى علو درجته او رفعه الى السماء وصحبته للملائكة ويكلم الناس في
المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد
مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله
وذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال
ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر
تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك
الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله وجبريل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء
مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب
والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها
من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشر او وجيها
والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى
بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره
ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة
مضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص
بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين

كهيئة الطير نصب على البدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع
على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير وقرا
اني بالكسر فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن
الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله تعالى وابرئ
الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان
يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه
عيسى وما يداوي الا بالدعا واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله
دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم
بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها
ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع
بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية
عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد
جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله
باني قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب
قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب
والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا
لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه
ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الزمان
وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي
وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي عليه
السلام والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله و
اطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله تعالى قد جئتكم باية من ربكم اي
جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاولى لتمهيد الحجة والثانية لتقريبها الى الحكم
ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم باية بعد اخرى بالمعجزات
القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه
ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة
الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال
فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي
الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين
الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت

بالله ثم استقام فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك
بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجيا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه
ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اى من الذين
يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام
قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص و
منه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام
لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى
عليه السلام من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها
نحن انصار الله اى انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا
يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبيا
الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس
ومكروا اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله
غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل
والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله
الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم
على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين
او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اى مستوفي اجلك
ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض
من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات
العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه
الى السماء واليه ذهب النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي
ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين
اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يغلبونهم بالحجة او السيف
في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن
لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير
لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطبين على الغائبين فاحكم بينكم فيما
كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا
في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له والله لا يحب الظالمين تقرير
لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره

نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون
الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان
ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع
عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب جملة مفسرة
للتمثيل مبينة لما به الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من تراب بلا اب
وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه
من تراب ثم قال له كن اى انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر
او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون
حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق وقيل
الحق مبتدأ ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين
خطاب للنبي عليه السلام على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن
حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اى من
البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله
والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر
بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة
بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا
صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا
الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال
والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم
نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا
رسول الله عليه السلام وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة
تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم
يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه
لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء
وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا
قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله
حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته
ان هذا اى ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان
او هو فصل يفيد ان ما ذكره شان عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما من

خبر واللام دخلت فيه على الفصل لانه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها
ان تدخل على المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق
تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه
يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان
تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر
ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد
المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب
يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها الا
نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا
ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا
يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح
ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا
بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم
ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك فان تولوا عن
التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون
دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل
تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدريج
والتدريج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية
للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم
الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد
عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق
عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم
وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا
بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل
الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم
فترافعوا الى رسول الله عليه السلام فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية
حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم
قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون
فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم

به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء
خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان
حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او
تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين
ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أانتم على
الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم
لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح
بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة
مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك
الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا
والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس
بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من
امته وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ
وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي
المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو
بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله
الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون به الا امثالهم وما يشعرون
وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف
وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في الفرق بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد
وبفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور
وتكتمون الحق نبوة محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه
وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه
النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا اخره لعلهم
يرجعون واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم
والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت
القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم
صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل
اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا
اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي في التورية لعل
اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب

الا لاهل دينكم ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان
رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان
ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف وتقديره دبرتم ذلك و
قلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا
تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين
لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان
الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل وخبر ان على
ان هدى الله بدل عن الهدى وقراءة ابن كثير أان يؤتى على الاستفهام للتقريع
تؤيد الوجه الاول اي أان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من
كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما
اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين
وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه
في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد
وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار
يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه
اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه
قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب
فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا
ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي
والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده
بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شأن
من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله
الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم
استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل
اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث
تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام قال عند
نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل
من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي
سدت مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع الجزاء

الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات
والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله
بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما
حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا
اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا
وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر
انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على
غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من
اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب
اليم على ما فعلوه وقيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت
محمد عليه السلام وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت
في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان
بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان
منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب
يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ
يلؤون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه
بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من
عند الله وما هو من عند الله تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع
عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من
عند الله وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على
الله الكذب وهم يعلمون تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا
عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل ان
ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا
فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا
بذلك امرني فنزلت وقيل قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض
افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا
الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني
منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل
في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم

معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة
الحق والخير والاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون
بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى
درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراة المشهورة ايضا بهذا المعنى على
تقدير وبما تدرسون على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون
لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله
ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة
على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه
وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال ايأمركم
بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على
ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل
معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن الامم
وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله
الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف
المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى
بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم
لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب
القسم ويحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي
اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه
او موصولة والمعنى اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ
لما بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم لمن بما الادغام فحذفت احدى الميمات
الثلث استثقالا قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري عهدي سمي به
لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما
يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار
وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم
وتشاهدكم شاهد وهو تاكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد
الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون
من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة

بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم
المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في
رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقون على تقدير وقل لهم وله اسلم
من في السماوات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة
وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق
والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم
لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان
الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل و
اسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم
امر الرسول عليه السلام بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقران كما هو
منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد
ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى
بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه عليه السلام
على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والمعيار عليه لا نفرق بين احد منهم
بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته
ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض
عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة
التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره
لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل
الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان
الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن
الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك
يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره
فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على وجهين دليل على ان
الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه
الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق
انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مايوسون راسا عن الرحمة
بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر

الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة والعقوبة
او النار وان لم يجر ذكرها ولدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا
هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا
ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله
غفور يقبل توبته رحيم متفضل عليه وقيل انها نزلت في الحارث بن سويد
حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه
الجلاس بالاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم
ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية
ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام والقران او كفروا بمحمد بعد ما امنوا به قبل
مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض
الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب
المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون
او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها
تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الايسين من الرحمة او لان توبتهم
لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك
هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول
الفدية ادخل الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ
بالرفع على البدل من ملء او الخبر المحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل
فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب
في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا
ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب
اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما
وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر
اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة
والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل
الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيل الله روي انها
نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها حيث
اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين و
جاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل الله فحمل عليها رسول الله

عليه

عليه السلام اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه
السلام ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك يدل على انفاق احب الاموال
على اقرب الاقارب افضل وان الاية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ
بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء
من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل
الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو
مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله
لاهن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها
قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه
فقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع
ان يقول ذلك باذن الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اي
من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك
رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا
لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى
الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى
الرسول عليه السلام موافقة ابرهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها قل
فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه
من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه السلام لما قال لهم
بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى
على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على
بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة فاولئك هم
الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل
صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته
حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض
الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين
فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين
والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع
للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل
عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة

كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة
البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه
السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل
كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم
ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه ادم فانطمس في الطوفان ثم
بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح تطوف به الملائكة
فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف
به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان
مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من
المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات
عجيبة كما قال فيه ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى
الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان
كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى
مقام ابرهيم مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من ايات
بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة
الصما وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه
دون سائر اثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده ان في
اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن
من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية او
شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن
من دخله او فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات
الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب
والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى
الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث
يوم القيمة امنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له
ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص
وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع
اليه سبيلا بدل من الناس مخصص وقد فسر رسول الله عليه السلام الاستطاعة
بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي رح انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة
على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من
قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رح انها بمجموع الامرين والضمير في

اليه

اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن
العالمين وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك
قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في
هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في صيغة الاسمية وايراده
على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه
كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة
وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين
يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم
السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد
عن الشهوات والاقبال على الله تعالى روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله
عليه السلام ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة
وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي باياته
السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد عليه السلام فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره
وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم
مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال
انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل
الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة
في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل
باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام قيل
كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم
ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون تبغونها عوجا
حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس و
توهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله عليه السلام ونحوهما
او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء
انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال وانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون
باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما
كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما
تعملون ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه
ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر
من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي

فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث
وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم
وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه
اليهم رسول الله عليه السلام واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد
ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع
الرسول عليه السلام وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب
اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان خاطبهم الله ويكلمهم وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال
اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله
ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد
اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب
منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا
الله ما استطعتم وعن ابن رضي الله عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر
فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي
هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة
تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال
سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات
نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله
بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث
ان التمسك به سبب النجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي
وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا
ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب
بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التآلف وزوال الغل اذ كنتم
اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا
متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين
فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله
بالاسلام والف بينهم برسوله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على
الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم
منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه ولانه

بمعنى

بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو
في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله
لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر من فروض الكفاية لانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك
فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام
بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا
اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا
امة آمرين كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم
الدعاء الى ما فيه صلاح ديني ودنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون
بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم
عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب
ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي
يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما
وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا
في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات
والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون
الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله
اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا
وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى
الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور و
كآبة الحزن فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور
بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب
من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله عليه السلام بعد ايمانهم
به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من
الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة و
الثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة
الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم ولكن

قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون
اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون
تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة
فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع
عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض
والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى
ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح
او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان
بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به
وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الجماعة
حجة لانها تقتضي كونهم امرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق
فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي
لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام
واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان
على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد
ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفي اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا
الى القتال كانت الدائرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا
عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من
المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر
ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا
وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت
عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله او كتابه الذي اتاهم
وذمة المسلمين او بدينه الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا بغضب من الله
رجعوا مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب
على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة
والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير
حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس
الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا

وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغاير
يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا
واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم
واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير
لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة
المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله
آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل
مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا
يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما
انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم
الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات
اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل
مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون
في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين الموصوفون بتلك
الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناه وما يفعلوا
من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي
توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة و
الكسائي فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم و
اشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او
من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون
مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا
في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح البارد
كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد
بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم
لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته
صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب و
لذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح
وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع
نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكنه
انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن

من يبصر جفونك بعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه
الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار
شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف
هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد
والألو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولك لا آلوك نصحا
على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة
وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون
انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية
واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين
ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات
على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا
يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائكم
في موالاتهم او هو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته
او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون
الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى
انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون
بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا
وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم
يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف
قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم
من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى
مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من
اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان
تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة
وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم
او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم
شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب
بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون
من الصبر والتقوى وغيرهما محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في
عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة

عائشة

عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة
باللام مقاعد للقتال مواقف للقتال واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام
بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله
سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني
عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله عليه السلام اصحابه وقد دعا
عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصيب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا
منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم
الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم
الى الخروج فقال عليه السلام رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في
ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة
فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة
يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا على
مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل
فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب من احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل
ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا
بالنبل لا يأتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت
طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو الحارث من الاوس وكانا جناحي العسكر ان
تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام خرج في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان
صبروا فلما بلغوا الى الشوط انخزل عبد الله بن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا
واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال
عبد الله بن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول
الله عليه السلام والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما عن
اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل
المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم يوم بدر ولقد
نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل
يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم
لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما
انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام
لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان
قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن

الغنايم وخالفوا امر الرسول عليه السلام لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا
بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم وقيل امدهم الله
يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ
ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم
وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل
مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا
تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم
بلا تراخ وتأخير مسومين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه
تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن
كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة
الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما
النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد
وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى
الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز لا يغالب في اقضيته الحكيم
الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من
الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم
بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم
او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد
فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او
يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما
ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من
امرهم شيء وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر
او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس
لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون بمعنى الا اي ليس لك من امرهم
شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم وروي ان عتبة بن ابي
وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم
خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من
يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب

والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادروا الى الدعاء
عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات
مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة
اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة
واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت
للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات
معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد
بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة
التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به
المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة
عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة
على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو
وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة و
انها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب
او مرفوع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان
لا يخلو من مسرة ومضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير
والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة كظمت القربة اذا
ملأتها وشددت رأسها وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله
قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن
النبي عليه السلام ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصمهم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت
والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم
والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان
اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة
ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم
فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام
بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة
والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على
ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين
مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدئ
به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفتها على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم

من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من
اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل
على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة
وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة
الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل
آية هؤلاء ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت
على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر
لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة
والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا
تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا
ارى مثلكم في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى
قوله قد خلت او مفهوم فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة
للمتقين ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان
والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى
ولا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم
اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان
وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في
العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا
ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف
والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم
المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم
يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان
يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها
بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما
لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه
والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر
والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت
وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح
ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف

فعلنا

فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى
اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم
بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ
منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب
الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه
تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء
للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت
الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا
قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولما تجاهدوا بعضكم وفيه دليل على انه فرض كفاية والفرق بين لما ولم
ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم الله بالفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذف
النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على
ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي
الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا
بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله عليه السلام مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر
من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوا
وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل
دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا
عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار
لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل
قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا
لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر
فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة
وهو يرى انه قتل النبي عليه السلام فقال قد قتلت وصرخ صارخ الا ان محمدا قتل فانكفأ
الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه
حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا
من ابي سفين وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم
فقال انس بن نضر عم انس مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ
اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا

بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس
واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيئته او باذنه لملك الموت في
قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد
للرسول عليه السلام بالحفظ وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا
مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض
لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون
فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من
ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي
الشاكرين الذين شكروا نعمة الله ولم يشغلهم شيء عن الجهاد وكاين اصله اي دخلت
الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وقرا ابن
كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار
كيأن ثم حذفت اليا الثانية للتخفيف ثم ابدلت اليا الاخرى الفا كما ابدلت من طائي
من نبي قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات
والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ
بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر
فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي
او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله
استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع
الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض
بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم
قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين
وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها
واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب
والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم
خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم بسبب الاستغفار واللجا الى
الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص
ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا

الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي
سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينكم وقيل عام في مطاوعة الكفرة
والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على
تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى
تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل
ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا
وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوهم فالقى الرعب في قلوبهم وقرا ابن عامر والكسائي
ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به
سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى
الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة
لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثويهم فوضع الظاهر موضع
المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط
التقوى والصبر فكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة
يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم
باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى
الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم
المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول عليه السلام
فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم
من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذ محذوف
وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة
وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم
ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما
علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال
كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او
ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا
من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم
كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في
ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف
على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح

وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازيكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله
بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدايد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق
وقيل لا مزيدة لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة
لكم وقيل الضمير في اثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل
عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة
والله خبير بما تعملون عليم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة
نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف
حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على
المفعول ونعاسا بدل منها وهو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال
من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها
المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على
الامنة والطائفة المؤمنون وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم في
الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على
المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدل وهو
الظن المختص بالملة الجاهلية او اهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل يظنون هل
لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر
ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا
فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر
كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم
مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم
او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان لو
كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد وزعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان اختيار
وتدبير لم نبرح كما كان رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في
هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج
الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة
ولم ينج احد منه فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم
وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي
وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء

او

او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس
والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن
الابتلاء وانما جعل ذلك ليتميز المؤمنون واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم
احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا
بمخالفة النبي عليه السلام بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة فمنعوا التأييد وقوة القلب
وقيل استزلال الشيطان اياهم توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان الذنوب يجر
بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بتذكير ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص
التوبة والخروج من المظلمة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين و
وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا
في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه
جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما
ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل
الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم
عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة
في قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي
اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم
مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر
فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير
تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد
للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة و
الكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم
وهو ساد مسد الجواب والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان
وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها
لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى
الله تحشرون لا الى معبود لكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون
فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم
اي فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله
وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ
الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا
اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي

في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم
وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شي بعد الشورى
فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت لك
على شي وعينته لك فتوكل على ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى
الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان
يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى
اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله
وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا
ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان
النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد
اما براءة الرسول عليه السلام عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض
المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا
نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول
على ما روي انه بعث طلايع فغنم رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم للطلايع فنزلت فيكون
تسميته حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان
ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذي غله يحمله على عنقه
كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت وافيا وكان
وكان اللايق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود
والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى و
وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عذاب عاصيهم افمن اتبع رضوان
الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأويه جهنم وبئس
المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع
هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب
او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم
فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول من قومه
وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر
مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من
جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة
مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب
بطونهم يتلو عليهم آياته اي القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم

من دنس الطبايع وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان
الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم
مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة
احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم
مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل
سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من
عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا
بالثبات والمطاوعة واختيار الخروج من المدينة وعن علي رضه باختيار الفداء يوم بدر
ان الله على كل شي قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم
وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المشركين وجمع المسلمين يريد يوم احد فباذن الله
فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم
الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون ويظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل
لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله
او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس
والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة
السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان
يسمى قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل
الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا
للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا
تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله
اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم
تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم
او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده
لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم
وقعدوا حال مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا
كما لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين
انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه
احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة فكما ان القتال يكون
سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة وقد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا

في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل بدر والخطاب لرسول الله عليه السلام
او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول عليه السلام او من يحسب او الى الذين
قتلوا والمفعول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جاز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر
قتّلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على
معنى بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء
فرحين بما آتيهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله
والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي
باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا
او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين
لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا
احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان
الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف
عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها
الآية وما روى ابن عباس رضي الله عنه انه قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة
وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح
الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء
بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة
واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره
للتوكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا
بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى
وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف
على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على
ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله
والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره
للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين
المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان
واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام
فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه السلام
مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح
فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا
فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن

مسعود

مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له
الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد
موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل
خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به
ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين
وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج
نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فترون
ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو
لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير
المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم
والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية
الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده
قول ابن عمر رضي الله عنه قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل
صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان
وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله
محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا
في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من
بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم
لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو
واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله
ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى
الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم واصابة
النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه
حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان
خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى
قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه
القاعدين عن الخروج مع الرسول عليه السلام او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان
واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة
امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله
على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه

وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان
يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اى لن يضروا اوليا الله بمسارعتهم
فى الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله ان لا يجعل
لهم حظا فى الآخرة نصيبا من الثواب فى الآخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم
على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون
لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد بهم ان يكون لهم حظ فى
الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان
لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق
من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم
خطاب للرسول عليه السلام او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى بدل منه وانما اقتصر
على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا
اصحاب ان الاملا خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملا خير لانفسهم
وما مصدرية وكان حقها ان تفصل فى الخط ولكنها وقعت متصلة فى الامام فاتبع
وقرا ابن وابو عمرو والكسائى وعاصم ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع
ما فى حيزه مفعول وفتح سينه فى جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملا الامهال
واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شا انما نملى
لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة
لام العاقبة وقرى انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا
ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول فى الايمان وانما نملى لهم خير اعتراض معناه ان
املاءنا لهم خير لهم ان انتبهوا او تداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز
ان يكون حالا من الواو اى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر
المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين
فى عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص
بالوحى الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص
المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس فى سبيل الله ليختبر به النبى بواطنكم ويستدل به
على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء
وما كان الله ليؤتى احدكم علم الغيب فيطلع على ما فى القلوب من كفر وايمان ولكن الله
يجتبى لرسالته من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب ما يدل عليها
فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب و
تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم ولا يقولون الا ما اوحى اليهم روى ان الكفرة

قالوا

وقالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدى انه
عليه السلام قال عرضت على امتى واعلمت من يؤمن بى ومن يكفر فقال المنافقون
انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا
حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين
يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرا بالتاء
قدر مضافا ليطابق مفعولاه اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من
قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول عليه السلام او من يحسب وان جعله الموصول كان
المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم
بل هو اى البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة
بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل
لا يؤدى زكوة ماله الا جعل الله شجاعا فى عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض
وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلا يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه فى سبيله او انه يرث
منهم ما يمسكونه ولا ينفقون فى سبيله ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما
تعملون من المنع والاعطا خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى
بالتاء على الالتفات وهو ابلغ فى الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ونحن اغنيا قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا روى انه
عليه السلام كتب مع ابى بكر رضى الله عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله
فقير حين سال منا القرض فلطمه ابو بكر فقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى
رسول عليه السلام فجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب
ما قالوا وقتلهم الانبيا بغير حق اى سنكتبه فى صحايف الكتبة او سنحفظه فى علمنا ولا
نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل
الانبيا وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترا على قتل الانبيا لم يستبعد منه
امثال هذا القول وقرا حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء
ونقول ذوقوا عذاب الحريق وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق
وفيه مبالغات فى الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك
سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشى عن البخل
والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه
ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل
الانبيا وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن
وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفيه

الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب
بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا
في التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزات الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب
بقربان فيقوم النبي عليه السلام فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق
وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو
وسائر المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم
قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات
اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوا فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان
وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر
واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر
والكتاب المنير تسلية للرسول عليه السلام من تكذيب قومه واليهود والزبر
جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القران
ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القران وقيل
الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة
على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق
والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا
وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم
قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها
والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل
المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي عليه السلام من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة
فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه
وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به
على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة واما من طلب بها الآخرة فهي له
متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف
الانفاق وما يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد
عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول عليه السلام والطعن في الدين
واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال
ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة

امر

امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور يعني من معزومات الامور
التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي
على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب
يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم
في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق
الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا
اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه
والقاؤه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها
فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي عليه السلام من كتم علما عن اهله الجم
بلجام من نار وعن علي رضي ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب الخطاب للرسول عليه السلام ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول
الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين
يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق
واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن
كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن
محذوف دل عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا
انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله
الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سأل اليهود عن شيء مما في التورية
فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم
تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت
في المنافقين فانهم يفرحون بنفاقهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم
يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء
قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق
في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير
وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير
العناصر لتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك لتبدل اوضاعها وعن النبي عليه السلام
ويل لمن قرأها ولم يتفكر الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما
على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض

الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله
عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى
جنب تومئ ايماء فهو حجة للشافعي رح في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا
بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل
العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق و
عنه عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان
لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول
وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك
وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او
اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من
جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدل على معرفتك
ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك
تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر
والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات و
الارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته
غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ
منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع
وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم
من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصر دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي
للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه
مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده
تعظيم لشانه والمراد به الرسول عليه السلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما
يعدى بالى واللام لتضمنهما معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا
اي بان آمنوا فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر
عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا
مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون
لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب و
اصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك
من الثواب لما اظهر امتثاله بما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة
ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا او استكانة

ويجوز ان يتعلق على محذوف تقديره وما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم
وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك
لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضه الميعاد البعث
بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو
شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب
لهم ربهم اي طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع
عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى
بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل
واحد او لفرط الاتحاد او الاتصال او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة
بين بها شركة النساء مع الرجال فيما روي عن ام سلمة قالت لرسول الله عليه السلام
اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى اخرها
تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين
هاجروا الشرك او الاوطان او العشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في
سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة
والكسائي بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثاني افضل ولان المراد لما قتل
منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن
عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من
عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه وهو مصدر مؤكد والله
عنده حسن الثواب على الطاعة قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في
البلاد الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته وتثبيته على ما كان عليه كقوله تعالى فلا
تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب
منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر
ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا
يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير
وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك
التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا
في جنب الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد
اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب
وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات
له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد

اصبعه

والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه
الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في عبد الله
بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا
نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله عليه السلام فخرج فصلى
عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام
على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم
من الكتابين خاشعين لله حال من ضمير يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بايات
الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص
بهم من الاجر وما وعدوه في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع
الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد
ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين
امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء
الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى
وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين
للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه
من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل
عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية
الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة التي هي الصبر على مضض
الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها
بالشريعة والطريقة والحقيقة وعن النبي عم من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر
جهنم وعنه عم من قرا السورة التي يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء واياتها مائة	بسم الله الرحمن الرحيم	وهي مدنية وخمس وسبعون

يا ايها الناس خطاب يعم بني ادم اتقوا ربكم من نفس واحدة يعني ادم وخلق
منها زوجها عطف على خلقكم اي من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه
او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم
من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله بيان لكيفية تولدهم
منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف
الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكون اكثر وذكر كثيرا
حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة
التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد

الامر

الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الايات التي بعدها
وقرئ خالق وباث على حذف مبتدا تقديره وهو خالق وباث الذي تساءلون به
اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية
في السين وقرا عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل
الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا
تقطعوها وقرا حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ
بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به
وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام
الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله
كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا واتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى
جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما
اجري مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع
على يتمى كاسرى لانه من باب الافات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق
يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورده في الاية
اما للتبليغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم
اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر
بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال واتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول
ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال
فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر
الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع
من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى
اموالكم ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما
وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فلياكل بالمعروف
انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا
وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم
من النساء اي ان خفتم الا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا
ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها
فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا
تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء
فانكحوا مقدار ما يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب

كلها على روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان
لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة
او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم
وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى
وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة ثنتين ثنتين وثلثة ثلثة واربعة اربعة
غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها
وقيل لتكرر العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرر منصوبة على الحال من
فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور
متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة
ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت
باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد
ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل
فعل محذوف او خبر تقديره فتكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم
سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب
القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى ان
لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول
الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله
يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا
تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد
فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل كتزوج الواحدة
بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد
وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما
على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله نحلة ونحلا اذا اعطاه
اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى
موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات
اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن
فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له
او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم
كانوا ياخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق
حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة كانه في الجلد توليع البهق اي
كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن

لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن
لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه
هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام
ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا
حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روي ان ناسا
كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها و
انما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة
والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر
الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا بجعلهم قواما على انفسهم
وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول
يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما وسمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما
بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها
مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا
لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع والعقل
بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع
احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه
مقدمات العقد وعند ابي حنيفة رح بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح
حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عم اذا استكمل
المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثماني عشرة سنة عند ابي
حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم
رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم
من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط
والجملة غاية للابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع
اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس
منهم الرشد وقال ابو حنيفة رح اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة
معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان
لم يؤنس منه الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين
كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان
فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل
بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان

في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد
هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على
انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها
فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق
في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لابي حنيفة رح وكفى بالله
حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تتجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم
المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا
نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا
نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث
لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن الصامت الانصاري خلف
زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه
عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث
من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله عليه السلام في مسجد الفضيخ فشكت
اليه فقال ارجعي حتى انظر الى ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا
فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات
الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب واذا حضر
القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه
فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من
الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا
لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله
ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم
او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا
عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة
على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا
اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة
فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم
انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه
اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب
لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم

بالتقوى التي هو غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع
الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة
وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية بما لا يؤدي الى مجاوزة
الثلث وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا
ووعدا حسنا وان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون في
بطونهم اي ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليه وعن ابي بردة انه عليه السلام قال
يبعث الله قوما من قبورهم تأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال ألم تر ان الله يقول
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
سيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ
مشددا يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير فعيل
بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم
في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث
اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى
بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا
في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي فان كان الاولاد نساء
خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات فوق
اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك
المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت
المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع على كان التامة واختلف في بنتين فقال ابن
عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما
حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى و
هو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب
بزيادة العدد رد بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة
لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين
امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك
ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص
على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيد السدس
مما ترك ان كان له للميت ولد ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع
الانثى بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد
وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه

لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه
قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث يكون معهما احد الزوجين
ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل
الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له
اخوة فلامه السدس باطلاقه على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان
كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رض انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام
والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير تثليث سواء كان من الاخوة او
الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلثة ولا الاخوات الخلص
اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد
وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصبا
للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة
على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم
الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب
اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد
اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم
من اصولكم وفروعكم في عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض
وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع
اليه بشفاعته او من يورثكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته او
من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة
من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله
كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم
ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث
من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم
من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان
كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض
للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا
في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة
والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه
من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من
لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد
ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد

وقرى يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلثة وعلى الاول خبر
او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال
قال الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى الاقي محمدا فاستعيرت للقرابة
ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي
كلالة كقولك فلان من قرابتي او امراة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى
بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت من الام ويدل
عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في اخر السورة ان للاختين
الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر هاهنا فرض الام فيناسب
ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء
في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء لمحض الانوثة ومفهوم الاية
انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت والابن فخص منه
بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة
على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة او الاقرار بدين لا يلزمه وهو حال
عن فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة
ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب
بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي لا يضار وصية
من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار
الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة
الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه
التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع
خالدين للفظ والمعنى وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة
كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا
والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم
اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا
لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن
اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت
فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي
ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل
الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن

كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله
تعالى الزانية والزاني أو يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح
المغني عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية وقرأ ابن كثير واللذانّ
بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ
والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الإيذاء
او اعرضوا عنهما بالإغماض والستر إن الله كان توابا رحيما علة الأمر بالإعراض وترك المذمة
وقيل هذه الآية سابقة على الأولى نزولا وكان عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الأولى
في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة إنما التوبة على الله أي إن قبول
التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة
ملتبسين بها سفها فإن ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو
جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب قبل حضور الموت لقوله تعالى
حتى إذا حضر أحدهم الموت وقوله عليه السلام إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لأن
أمد الحياة قريب لقوله تعالى متاع الدنيا قليل أو قبل أن يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها
فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل
أن ينزل بهم سلطان الموت أو يزين السوء فأولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء
بما وعد به وكتب على نفسه بقوله إنما التوبة وكان الله عليما فهو يعلم بإخلاصهم في التوبة
حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا
حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين
من سوف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة
للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء
وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون
لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما
تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان أن العذاب أعد لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد
التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل أصله أعددنا فأبدلت الدال الأولى تاء يا أيها الذين
آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها كان الرجل إذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته
وقال أنا أحق بها ثم إن شاء تزوجها بصداقها الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها
وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم أن تأخذوهن
على سبيل الإرث فتزوجوهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها
بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي أي ولا تمنعوهن
من التزوج وأصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الأزواج

كانوا

كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن أو يختلعن بمهورهن وقيل تم
الكلام بقوله كرها ثم خاطب الأزواج ونهاهم عن العضل إلا أن يأتين بفاحشة مبينة
كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له تقديره
لا تعضلوهن للافتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة إلا أن يأتين بفاحشة
وعاشروهن بالمعروف بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول فإن كرهتموهن فعسى
أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا أي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فإنها قد تكره
ما هو أصلح دينا وأكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم إلى ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير
وعسى في الأصل علة الجزاء فأقيم مقامه والمعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى أن تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج أخرى
وآتيتم إحداهن أي إحدى الزوجات جمع الضمير لأنه أراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا
فلا تأخذوا منه شيئا أي من القنطار أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا استفهام إنكار وتوبيخ
أي أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا
لأن الأخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم إذا أراد جديدة بهت التي تحته
بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان
الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم و
وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض إنكار لاسترداد المهر والحال أنه وصل
إليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر وأخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة
والممازجة أو ما أوثق الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان
أو ما أشار النبي عليه السلام إليه بقوله أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا
ما نكح آباؤكم أي ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وإنما ذكر ما دون من لأنه أريد به الصفة وقيل
ما مصدرية على إرادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين إلا ما قد سلف
استثناء من المعنى اللازم للنهي كأنه قيل يستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف أو من
اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم إلا ما قد سلف إن أمكنكم أن تنكحوه وقيل الاستثناء
منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فإنه لا مؤاخذة عليه لأنه مقرر إنه كان فاحشة ومقتا
علة للنهي أي إن نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لأمة من الأمم ممقوتا عند ذوي
المروءات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة أبيه المقيتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله
حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت ليس
المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لأنه معظم ما يقصد منهن ولأنه المتبادر إلى الفهم
كتحريم الأكل من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ولأن ما قبله وما بعده في النكاح وأمهاتكم تعم
من ولدتك أو ولدت من ولدك وإن علت وبناتكم تتناول من ولدتها أو ولدت من ولدها وإن

وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد
ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات
الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله
الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضع اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة
ووالد الطفل الذى در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثنا
اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما فى النسب بالمصاهرة
دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ذكر
اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان
تحريمها عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من آخر سمى به لانه يربه
كما يرب الولد وفى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم
متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز
تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وان علقتها
بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين
عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فانى لست منك ولست منى
على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول عليه السلام فرق
بينهما فقال فى رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج
ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن على رضى
تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى صفة للنسائين لان عاملهما مختلف
وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن
وهن فى احتضانكم او بصدده قوى الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها
مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رضى جعله شرطا والامهات
والربائب تتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن
الجماع ونحوه ثم اللمس كالوطى بشبهة او ملك يمين وعند ابى حنيفة رحمه الله لمس المنكوحة
ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس
وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من
اصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين فى موضع
الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة
كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى رضى عنهما حرمتهما
اية واحلتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل
وقول على اظهر لان اية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال و
الحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه

لكن ما قد سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات
الازواج احصنهن التزويج والازواج وقرأ الكسائى بكسر الصاد ولانهن احصن فروجهن
الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين
والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا
ان نقع عليهن فسالنا النبى عليه السلام فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق
بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبنى بها لم تطلق وقال ابو حنيفة رحمه الله
لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى واطلاق الاية والحديث حجة عليه كتاب
الله عليكم مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع
اى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذى
نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على
حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما فى معنى المذكورات
كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين
غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء
باموالكم بالصرف فى مهورهن او اثمانهن فى حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز
ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين
او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا و
لا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنى من
السفح وهو صب المنى فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما تمتعتم
به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع
فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضى او فيما تراضيا به
من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الاية فى المتعة التى كانت ثلثة ايام حين فتحت
مكة ثم نسخت لما روى انه عليه السلام اباحها ثم اصبح يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهى النكاح الموقت بوقت معلوم سمى به
اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراة وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس رضى ثم رجع عنه
ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا
غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات فى موضع النصب
بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات او من
لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر لقوله فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الاية حجة للشافعى فى تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق
حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رضى طول المحصنات بان يملك فراشهن

على ان النكاح وهو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات
المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون
المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه
من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر
وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل
النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض
انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن
واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية
وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره
او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال
مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات
عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا
احصن بالتزويج وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضمها فان اتين بفاحشة
زنا فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك
اي نكاح الامة لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم
بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل
المراد به الحد وهذا شرط لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء
متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن يصبر رحيم
بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن
اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول
قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف
وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم
من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن
المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها
والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتأكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات
يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع فيها دون غيره
فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ
والاخت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات ميلا
عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك
شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق

الانسان

الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنه
ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلثة وان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل
بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير
منهي عنه او اقصدوا كون تجارة عن تراض وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن
تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب وارفق
لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال
فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة
واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة
الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي
للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين
حفظ الانفس والاموال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل
النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر
ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه
ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن
الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها
للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه
يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي
وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم
نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب
الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عليه السلام انها
سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا
والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه الكبائر الى سبعمائة
اقرب منها الى السبع وقيل اراد ههنا انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر
الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليه الامران فمن عن له
امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق
من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى
عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا عن ان يؤاخذه عليها وندخلكم

مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او دخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل
المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية والدينية لكل
ولعل عدم فعله خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا
بما قسم الله له فانه تشهى لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له بكسب
بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا
بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا
الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب
الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف له من حاله
الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس
واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا و
واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه
كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال
ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك
الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان
لكل مع الفصل بالعامل او لكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوراث
وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان
الاقربين لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك
الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة مبتدأ
وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال
حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وعن ابي حنيفة رحمه الله
لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان
العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر
يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة
عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم
فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله
كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن
قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على
بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات
ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب
الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما
انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار

معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له

نشزت

نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله عليه السلام
فشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير
فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب
الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء
امرأة اذا نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها
ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب
والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام
بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت
مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على
الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز
فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن
فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا
غير مبرح ولا شائن والامور الثلثة مترتبة ينبغي ان يدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن
سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان
لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه
اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق
بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما
خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق
الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم
فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر
واصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب
اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز
وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب
لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال
مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير
الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين
الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل
مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة
والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر
والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا وخفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا

رفع القصاص

وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي
قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص
تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة جار له
ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام
وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في
امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المراة وابن السبيل
المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا
يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او
او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل به وقرا
حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم فهم
احقاء بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا
بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة
بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم
فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد عليه السلام والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد
لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء
في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه
لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله
واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان
والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف
ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة
والعوائد الجميلة والتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف
اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره
الى التخصيص ههنا والتعليل ثم وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم
مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة
ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره
عظم جزاؤه وان تك حسنة وان يكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر

او

او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرا ابن كثير
ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل
التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع
للاجر ومزيد عليه فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل امة
بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون
المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على
صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء
اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض
بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك
الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض
سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال
اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم
والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم
جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى
على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية
يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم
روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا
وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون
فنزلت وقيل المراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربانها
الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى
بالفتح وسكرى على جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة
الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب
الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر
الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة
جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او
صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر
الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رض
وقال ابو حنيفة رح لا يجوز له المرور الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن

الفرق بين حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يحترز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي
نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان
الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه بسبب ضعف حركتهم او على سفر لا
تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل
الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل
الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرا حمزة والكسائي ههنا وفي المائدة
لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله
اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال
المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم
يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل
حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من
الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا
شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزأه
وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم
العضو الى المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل
على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم
ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى
لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود
يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم
بانكار نبوة محمد عليه السلام وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا
ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء
وما يريدون لكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا
به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من
الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم
او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن
مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونها عن مواضعها التي وضعها الله فيها
بازالتها عنها واثبات غيرها او يؤولونها على ما يشتهون فيميلونها عما انزل الله فيه وقرئ الكلم
بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك
واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه
او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به

او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا
نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام على ما يشبه السب حيث وضعوا
راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها
وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين
استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم
هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما
يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم
ولكن خذلهم الله وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا
لا يعبا به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل
التشكي للمهم يصيبه او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب
آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو
تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في
الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصور ولمطلق القلب
والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار
والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه
قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار
ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم
كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او مسخنا مسخهم
او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على
طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد بها الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل
على ان المراد به ليس مسخ الصور في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه
بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله
بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به
ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان
ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون
الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا والمعتزلة علقوه بالفعلين
على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من
تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى من آيات الوعد و
نقض مذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها
فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه
خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام

وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول
يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق ألم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب
قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه
بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان
تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبيح وقد
ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا وقولا ولا يظلمون
بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق
النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء
الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين
آثامهم ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت
في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد عليه السلام وقيل
في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على
محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن
مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما
عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت
يطلق لكل باطل من معبود وغيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة
اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين
لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب
من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت
فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان
شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون
المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذن اذا وقع
بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ لا يؤتوا على النصب
ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله واصحابه والعرب والناس جميعا لان من
حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على
البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة
والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين
هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان
يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم
ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر

ولم

ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة
يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا
بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه
اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه وقيل
يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله
كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على
ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة و
ندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة و
الظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يأمركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزل يوم الفتح في
عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه
رسول الله لم امنعه فلوى علي رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله عليه السلام وصلى
ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان يرده
اليه فامر عليا ان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة
في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف
والتسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم
ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة
بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات و
العدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين
في عهد الرسول عليه السلام وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس
بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله
تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم
انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع
المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه
فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل
منكرو القياس به وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس
واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد
ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب

وتثبت بالسنة وثبت بالقياس فإن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فإن الإيمان يوجب ذلك ذلك أي الرد خير لكم وأحسن تأويلا عاقبة أو أحسن تأويلا من تأويلكم بلا رد. ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى النبي عليه السلام ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله فحكم لليهودي فلم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم إلى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم إليك فقال عمر للمنافق أكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل إن عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الأشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لأجله سمي بذلك لإفراطه في الطغيان أو لتشبهه بالشيطان أو لأن التحاكم إليه تحاكم إلى الشيطان من حيث إنه الحامل عليه كما قال وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ أن يكفروا بها على أن الطاغوت جمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم. وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على أنه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وهو مصدر أو اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد أنه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال. فكيف إذا أصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق أو النقمة من الله بما قدمت أيديهم من التحاكم إلى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤوك حين يصابون للاعتذار عطف على أصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا ما أردنا بذلك إلا الفصل بالوجه الأحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء أصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه. أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فأعرض عنهم أي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم أو عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم أي في معنى أنفسهم أو خاليا بهم فإن النصح في السر أنجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم أمره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الأنبياء عليهم السلام وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في أنفسهم مؤثرا فيها ضعيف لأن معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الأصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به. وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله بسبب إذنه في طاعته وأمره المبعوث إليهم بأن يطيعوه وكأنه احتج بذلك على أن الذي لم يرض بحكمه وإن أظهر الإسلام كان كافرا مستوجب القتل. ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالنفاق أو التحاكم إلى الطاغوت جاؤوك

وتقريره أن إرسال الرسول لما لم يكن إلا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل تم

تائبين

تائبين من ذلك وهو خبر أن وإذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والإخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا إليك حتى انتصبت لهم شفيعا وإنما عدل عن الخطاب ولم يقل واستغفرت لهم تفخيما لشأنه وتنبيها على أن من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب وإن عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه أن يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وإن فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه أو حالا من الضمير فيه. فلا وربك أي فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لأنها تزاد أيضا في الإثبات كقوله لا أقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به أو من حكمك أو شكا من أجله فإن الشاك في ضيق من أمره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم. ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد أو اقتلوها كما قتل بنو إسرائيل وأن مصدرية أو مفسرة لأن كتبنا في معنى أمرنا أو اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ أبو عمرو ويعقوب أن اقتلوا بكسر النون على أصل التحريك أو اخرجوا بضم الواو للإتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو قوله ولا تنسوا الفضل وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما على الأصل والباقون بضمهما إجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه إلا قليل منهم إلا أناس قليل وهم المخلصون لما بين أن إيمانهم لا يتم إلا بأن يسلموا حق التسليم نبه على قصور أكثرهم ووهن إسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا أو لأحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم وأشد تثبيتا في دينهم لأنه أشد لتحصيل العلم ونفي الشك أو تثبيتا لثواب أعمالهم ونصبه على التمييز والآية أيضا مما نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل إنها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن أبي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فقال حاطب لأن كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء إلى الجدر واستوف حقك ثم أرسله إلى جارك. وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال وإذا لو تثبتوا لآتيناهم لأن إذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم أبواب الغيب قال النبي عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم. ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين أو حال منه أو من ضميره قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل ثم الصديقون

الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات
الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم
الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا
اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء
اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون
اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا فهم الانبياء عليهم السلام او لا
فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين
القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات
تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز
او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد رفيقا روي ان
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي
من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت
الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت
في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ذلك مبتدا اشارة الى ما للمطيعين
من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته
من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من
اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا
للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا
الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق محاسنه
ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية
وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف
ما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من
بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او يبطئون غيرهم كما بطأ ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ
منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء ودخلت اسم ان للفصل بالخبر
والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليها ما استكن في ليبطئن
والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال
اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل
من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على
معنى من كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت
معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه

وانما

وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول
المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد
مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى
وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من المثقلة و
اسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء
لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع
فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف
على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي الذين يبيعونها
بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة
او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب
او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل
او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر
والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ
وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل و
والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر
وصونهم عن العدو او على سبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على
الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها
واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا
بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث
وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم
في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع
وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا
واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل
لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه عليه السلام فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب
ابن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير
ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث
على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان
لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان
كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف

لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم
كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فاشتغلوا بما امرتم به فلما
كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان
يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدأ ومنهم
صفته ويخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او
الحال من فاعل يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه
ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن
من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا
ان تجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية
اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب
استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن
قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى
ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرا
ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع
على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون
ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف
القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة
شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على
النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي وان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم
بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد عليه السلام
المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يقبض ويبسط حسب ارادته
فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه
وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لها او حادثا من صروف
الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله تعالى ما اصابك يا انسان
من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافي نعمة الوجود
فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال
ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها
بالمعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة
احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه
وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر

والايمان كما زعمت المجبرة لا حجة فيها لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد ان علق
الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة
للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك
بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى
روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون
الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا
كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم
حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال
من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة واصلها النصب
على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم
غير الذي تقول زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة
والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني فانه
يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما
يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض
عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم وكفى
بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتاملون في معانيه
ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله اي لو كان
من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت اللفظ وكان
بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره
المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه
الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره هنا للتنبيه على ان اختلاف الاحكام ليس
لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحكام في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كما يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا
بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول عليه السلام بما اوحي اليه
من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء
مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه اي ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول
والى اولي الامر منهم الى رأيه ورأي كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه اي لعلم
تدبير ما اخبروا به لعلمه على اي وجه يذكره الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم
وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين
ولو ردوه الى الرسول عليه السلام والى اولي الامر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا انه يذاع او
لا يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه

من جهتهم واصل الاستنباط استخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل
الله عليكم ورحمته بارسال الرسل وانزال الكتب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال
الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب او عصمه عن متابعة الشيطان
كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله
ان تثبطوا او تركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم
وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله تعالى ناصرك لا الجنود روي
انه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا
سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف على الجزم ولا نكلف بالنون وكسر اللام على بناء
الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم لانا لا نكلف احدا الا نفسه
وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس
الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد
باسا واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة
راعى بها حق المسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها
الدعاء للمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك
ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها
ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو
لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر وقال
وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على اساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه
من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها
الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه
ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال
لرسول الله عليه السلام السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام
عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك
ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال
عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام
المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي
المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع
فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر
حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام
وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي
ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر

او الله

او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم القيامة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة او
مفضين اليه او في يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة
وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع وهو حال من اليوم
او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق
الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله تعالى محال فما لكم في المنافقين فما لكم تفرقتم في
امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة
حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في
قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او في قوم اظهروا الاسلام
وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عاملها ما كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال
من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من
فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل
الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا
ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب
على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم
حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه
فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم
ولاية ونصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم
واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم
هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر
الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة
او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى
عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف
عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم
كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة
بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل
عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات وحاصرات صدورهم او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف
اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله عليه السلام غير مقاتلين والحصر
الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم

ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم
فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم
السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم
ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو
عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى
الفتنة دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب
فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم
ووضوح كفرهم وغدرهم وتسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما
صح له وليس من شأنه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال
او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه
صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع
اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل والشخص او
لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه
او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت
في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به
عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق
والحر كالعتيق الكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار
الرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة
ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان
الكلابي كتب الي رسول الله عليه السلام يامرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها
وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا
عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عليه السلام كل معروف
صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه
فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو
مؤمن فتحرير رقبة اي كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم
ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون وان كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اي وان كان من قوم كفرة
معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول
معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لا يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام

شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اي
شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي تاب عليه توبة او حال بحذف
مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله وكان الله عليما بحاله حكيما فيما
امر في شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له
عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رض لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد
التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن
تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس
ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا
اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل
متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله
سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي
فتثبتوا في الموضعين من التثبت هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن
حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي السلم بغير الالف اي الاستسلام و
الانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح
اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع
النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله
مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام
تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان تعلم مواطأة قلوبكم السنتكم فمن
الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين
في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء
الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب على ما ذكر
من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا
فيه روي ان سرية لرسول الله عليه السلام غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه
فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال
لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في
المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه
دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر لا يستوي القاعدون
عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي
الضرر بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن
عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه
وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم كيف وانا اعمى

فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي فخشيت ان ترضها
ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في
سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة
وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعدون في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن
انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة
لما نفي من الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي
بدرجة او نصب على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي
درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة
لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل
الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول
الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات
منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر
كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على
المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه
وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة و
قيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل
القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف
اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه
قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط
منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع
وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها
اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة
وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة
قالوا اي الملائكة توبيخا فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين
في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء
كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم وتبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها
الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب و
مساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة
باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة مستنتجة منها
وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه
من اقامة دينه وعن النبي عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض

استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليه السلام الا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره و
الاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان
فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا
على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال
عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء
السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ
العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق
بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا
من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من
الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على
اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما
الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية
نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق
بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع رسولك فمات فنزلت واذا
ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها
ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عائشة
رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت
فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة رح لقول عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام
غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رض اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين
فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول مأول بانه
كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا
الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا
على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة
عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة
عند سيبويه ومفعول تقصروا والزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك
لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت
به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم

بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض لما يكره ۝ واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول عليه السلام لفضل الجماعة
وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول عليه السلام كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه
فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك
يصلون وتقوم طائفة اخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اى المصلون حزما وقيل
الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين
فليكونوا اى غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي عليه السلام ومن يصلي معه
فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا
معك ظاهره الاية يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام ببطن
النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى
ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة
الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله عليه السلام بذات الرقاع
وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي معه
ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها
ثم تعود وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل
الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى
والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون
عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة
وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى
ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما
يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ
الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار
بعد الامر بالحزم ليتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان
الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة
اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع
الاحوال واذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين
ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف
فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرايطها واتوا بها تامة ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في
شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة فانها واجبة الاداء حال المسايفة و
الاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب

حتى

حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان
تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع
على التواني فيه بان ضرر القتال داير بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله
بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجوا عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم
في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون
قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله
عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين
الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب
دقيق فجعل الدقيق ينتشر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل
اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا
بنا الى رسول الله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ
اليهودي فهم رسول الله عليه السلام ان يفعل بما اراك الله بما عرفك الله واوحى به اليك
وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اى لاجلهم والذب
عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل
المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم
حين شهدوا على برائته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة
مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق
اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون
من الله ولا يستحيون منه وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه
سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون
ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله
بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة
الدنيا جملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم
يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا
يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك
وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه
رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله فان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو
عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان

عن محمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا او وحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا
بسبب رمي البريء وتنزيه النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما
دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي فما عصمة
الرسول عليه السلام واطلاعه على الاحوال لطف في حقهم لهمت طائفة منهم اي من بني
ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه
الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد
وباله عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك
على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل
الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين
والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من
نجويهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او
معروف على حذف مضاف الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة
ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل ويندرج فيه القرض واغاثة
الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات البين
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء
على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض
هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله
لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر
بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه
من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له
الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله
ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله
فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع
لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل
واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز
استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان
اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم
اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة
وقيل جاء شيخ الى رسول الله عليه السلام وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم
اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة

وما

١١١

وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن
يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن
الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب
ومنشا شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا
يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك
اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يسمن فانثى شديد الازم ليس له ضروس فانه عني
القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث
من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون
ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا
على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب
وربى وقرئ انثى على التوحيد واُنثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل
وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة وان يدعون وان
يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته
في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد
وغلام امرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال
لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله
وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في
الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية
غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان
وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى
فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى
الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية
الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر وفرض من قولهم فرض في العطاء
ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب
ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احله الله وهي عبارة عما كانت العرب
تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة
ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي
وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير
فطرة الله تعالى التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب
لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل
الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله

بشارة ما يدعوا اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا
اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون
وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة
او بلسان اوليائه اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص
يحيص اذا عدل عنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية
التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله
بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق
من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه
بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني
اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا
قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي
على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر
باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم
واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا
النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه
لما نزلت قال ابو بكر رضه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما
تصيبك اللأواء قال بلى قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد
لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل
من الصالحات بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر
او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر
او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور
تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء
من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم
الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون هنا
وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ومن احسن دينا
ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود
وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات

تارك

تارك السيئات واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا
عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم واتخذ الله ابرهيم
خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له
وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان
كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة
او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استيناف جيء بها للترغيب في
اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم بعث الى خليل له
بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن
يريده للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر
حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها
فاخرجت حواري واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا
لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من خليلي الله فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في
الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب
طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله
بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة وكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها
ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي عم
فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال
ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن
والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضميره المستكن
في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله تعالى يوصيكم
الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني
زيد وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب
خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على
القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا
ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن
والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول
كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى
بيائين على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن
من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء
اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن
طمعا في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم

من الرغبة في نكاحهن او بان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف
على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى
بالقسط ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذ جعلت في
يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب
وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم
ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما
وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل
وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها
ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان
يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا
لتستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا
على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما
او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة
او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور
وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما
والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس
الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها
ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا
في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون
من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم
مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو
متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ويعدل ويقول
هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها
كانت احب اليه ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل
بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها
كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي عليه السلام من كان له امرأتان
يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون
من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما
مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما
صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته

وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات
وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا
او باوتوا ومساق الآية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان
اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية في معنى
القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول
اي وقلنا لهم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا
ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله
غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات
وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها
على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى
بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه تعالى توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير
لذلك ان يشا يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشا محذوف دل عليه الجواب
ويات باخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان
الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا
تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى
رسول الله من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه
لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء
فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب
الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة و
في الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة
وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من
كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض
فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين
على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو
خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها
لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو
على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا
او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني
والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب
اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير

لا اليه والا لو جد ويشهد عليه ان فقيرا فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدول او من العدل وان تلووا
السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة
الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم
عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين والمنافقين او لمؤمني اهل الكتاب
اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل
من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم
او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب
الاول القرآن والثاني الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود
الى طريقه ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا حين
عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى عليه السلام ثم ازدادوا
كفرا بمحمد عليه السلام او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا
في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن
الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم
لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف
تتعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما
يدل على ان الآية نزلت في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد
اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان
انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب
او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة اي
ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه الله وقد كتب العزة
لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد
نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرئ نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم
آيات الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات
جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره
الذي هو جزاء للشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا
تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير في
معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم
قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين

يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله
جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا
ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر
او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم
تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون
او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان
لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين
نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم و
نتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ
يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت
قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين
نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن
يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به
اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف
لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه في اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمع كسلان يراؤن
الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي
يرى من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة
من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد
بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التسليم والتكبير مذبذبين
بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون الله اي يراؤنهم غير ذاكرين
مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مترددين بين الايمان والكفر
من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى
يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال
الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا
لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم

عقابه إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وإنما كان
كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما
قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت
طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرا الكوفيون بسكون
الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا
يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم حال
النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون
بطاعتهم غير وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله
المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم أيتشفى به من غيظ
او يدفع به ضررا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره
لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه
تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن
النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق
شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم
منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم
على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله
سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا
او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام
فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم
الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان
يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر
ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة
اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا
واجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا
الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد
لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم
وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك
سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن
لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله

غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسئلك اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من
السماء جملة كما اتى به موسى عم وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت في التورية
او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول
الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك
فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين
بمذهبهم تابعين لدينهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول
جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين
فأخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم
لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات
المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا
على لسان موسى عم والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود عم
ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء
والمسخ به في زمن داود عم وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء
في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم
ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل
المحذوف ويجوز ان تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه
الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف
فيكون من صلته وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن
او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا
اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات
والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه
وبكفرهم بعيسى بن مريم عم وهو معطوف على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر
كفرهم فانهم كفروا بموسى عليه السلام ثم بعيسى عم وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها
الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء
ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله تعالى بمدحه او وضعا للذكر
الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود
سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه

رفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام
رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه
فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة
وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة
وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور فكانه قيل ولكن
وقع لهم التشبيه بين عيسى عم والمقتول والى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف
بقتله وشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين
اختلفوا فيه في شان عيسى عم فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض
اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى
فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال بعضهم سمع منه
ان الله يرفعني الى السماء رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك
منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى
ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع
اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه
النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه
بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذلك تخبر
عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم جزما يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا
تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان
الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى عليه السلام وان من
اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب احد
الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير
الثاني والاول لعيسى عليه السلام والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن
بان عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين ان تزهق
روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون
لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معالجة الايمان به قبل ان
يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء
امن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا
يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام
وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم
ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي
عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب

وعلى

وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فبأي
ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين
هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم
الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على
ان النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه
المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وامن لكن
الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من
المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا
والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على
ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع
عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم
والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم
الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه
المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل
الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب
لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان
امره في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع
اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم عليه السلام اول اولي العزم منهم واخرهم
عيسى عليه السلام والباقون اشرف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا
قرا حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا
اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة
او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب
الوحي خص به موسى عليه السلام من بينهم وقد فضل تعالى محمدا عليه السلام بان
اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على
المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت
بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا
ارسلنا رسولا فينبهنا فيعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس
ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها
واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره
للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة

وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل
نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكأنه
لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك
قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل
اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا
ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه
كل بليغ او بحال من يستعد النبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي
يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل
وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبله والملائكة يشهدون ايضا
بنبوتك وفيه تنبيه على انهم لو ودوا ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن
النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال
ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها
كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج
على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون
اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا عليه السلام
بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والاية
تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه
السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال
مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد
جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من
انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد
فامنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن
الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه
يؤدي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض
يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله
لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله
عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب
للفريقين غلت اليهود في حط عيسى ع م حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى
في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا

على الله

على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه
لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي
الاموات او القلوب فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة اي الالهة ثلثة
الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى اانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب
والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح
القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصب لما سبق انما الله
اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد
اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه
فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك
فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه
ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن
عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته
باصبعك كي لا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له
فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره
روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله عليه السلام لم تعيب صاحبنا قال
عليه السلام من صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله
ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة
المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا
واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد قول النصارى في
رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من
المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه
ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى
فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه
رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون
الذين هم حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك
لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن
عبادته ويستكبر ويرتفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك
عطف عليه وانما يستعمل حيث الاستحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون بالاستحقاق
فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم

ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا
يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من
فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان
اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القران
اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين
او رسول الله او القران فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه
ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان
زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام
والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك اي في الكلالة حذف
لدلالة الجواب عليها روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله
فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزلت في الاحكام قل
الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اول السورة ان امرؤ هلك ليس له
ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له
ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف
والمراد بالاخت الاخت لابوين او لاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون
عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء
غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اي والمرء يرث اخته ان كان
الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها
والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة
بغير الولد لم تدل على سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا
مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما
الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة
الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما
وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة
واخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم
اذا خليتم وطبعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة
ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذفت لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم
فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات وعن النبي عليه السلام من قرا
سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من
الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة

وآيها مائة وعشرون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة المائدة مدنية

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك
الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا
العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال
ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من
التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب
الوفاء به او يحسن به ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب
احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات
اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام
وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما
مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه
الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه
غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه
تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال مما استكن في محلي
والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل او تحريم يا ايها
الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر
اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام النسك
وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده
ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية
كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي
وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد نفسها والنهي
عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله تعالى ولا يبدين
زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء الشجر
او غيرهما ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له ولا امين البيت الحرام بالقتال
قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى
عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في امين وليست صفة له لانه عامل
والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار ان يتعرض
لمن هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة
ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم
المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم بن شريح بن ضبيعة وكان

قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب
المومنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام
ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الاتي بعد الحظر على
الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف
جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم ولا يكسبنكم شنآن
قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن
عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر
كالليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر كعطشان وسكران
ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عنه عام الحديبية وقرا ابن كثير و
ابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا
بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن
قرا يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول واحد بالهمزة الى مفعولين
وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله
شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة
ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا
وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
اي ما رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة
التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب وحجر حتى تموت من وقذته اذا
ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها
اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات
وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا
ما ادركتم ذكاته وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل
السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد وما ذبح على النصب
واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون
ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى
على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم
عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب
على احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضوا
على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح

على

على الانصاب المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة
الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان
ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به
الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما
اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الاتية وقيل اراد يوم نزولها وقد
نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم
اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم
عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي
اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص
على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت
عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة او هدم منار
الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو
الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض
بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل
والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات
في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها
تلذذا او متجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم
لا يؤاخذه باكله يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع
على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان
يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤول ما احل لهم من
المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات
ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب
او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على
الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت
شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذات الاربع
والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثر او لان كل سبع
يسمى كلبا لقوله عليه السلام سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من
علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استئناف مما علمكم الله
من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل
الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر

بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن
عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي ابن حاتم وان اكل منه فلا
تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقها وقال بعضهم لا يشترط ذلك في
سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال الاخرون لا يشترط مطلقا
واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته
واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم
احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبايح وغيرها
ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه
نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر
ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام
سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبايحهم وطعامكم حل
لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات
من المؤمنات الحراير العفايف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن
عباس لا تحل الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها
لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين
اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين
والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله
وهو في الاخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به الكاره
والامتناع عنه يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام
كقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل
المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث
لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشي والقيام
اليه قصد له وظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا
والاجماع على خلافه لما روي انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال
عمر رض صنعت شيا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد
والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول
الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا
حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك
خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول
ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف

تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره
مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها
في الحكم وخروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الاية وكان
الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية
تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام
الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا من ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا
وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت
المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمن الفعل معنى الالصاق وكانه
قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل
وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب
فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رح مسح ربع
الراس لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا
بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب
عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد
اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران والشعر كقوله
تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب
خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء
عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل منه وبين اخواته ايماء على وجوب
الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا
وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا
ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره
ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي
ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم
لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب
اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل
مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد
ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم
بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه
انعامه عليكم بعزايمه لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها
مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب والمستوعب
باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مايع وجامد

وموجبها حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان
الموعود عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام
ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا
يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله عليه السلام على السمع
والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان
واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اي
بخفياتها اي فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا
قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عداه
بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم
فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد
تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح
لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين
انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين
واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف
السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام
بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة
فانه استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول
وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الاخر
وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه و
سلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم
وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة
الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل الى ما روي انه عليه السلام اتى بني قريظة
ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري
خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك
فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك
الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا
وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من
يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول فقال من يمنعك مني

فقال

فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم
قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به
وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد
مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال
الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم
بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر
امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون
وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم
وامر موسى عم ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ
عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان بعث النقباء
يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا
فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم ونكثوا العهد الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع
بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم
الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله
الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا
يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم المدلول عليه
باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
فمن كفر بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء
السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان
يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم
من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل
عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية
او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة
فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف السين
يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد
من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم
لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به
من التورية او من اتباع محمد عم والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل
عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم
لما روي عن ابن مسعود رض قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلى هذه الاية

ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء
للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال
ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم وقيل
الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان
تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف
ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو
عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا
انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا
ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال
انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا
مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية
وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب
لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى عم باحمد في الانجيل
ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير
منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن
فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل
يريد بالنور محمدا عليه السلام يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما
واحد او لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان
منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من
الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه
ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد
اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين
قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا
وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم
توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع
من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم و
امه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح
مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل

عن الالوهية

الالوهية ولله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير
ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق
يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل
ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق
حواء او من انثى وحدها كعيسى عليه السلام او منهما كسائر الناس وقالت
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لا
شياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والديهم
وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم
اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما
يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم
بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء
وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة
سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء
في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا
اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وقد حذف لظهوره
او ما كتمتم تخفون وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى
يبذل لكم البيان والجملة في موقع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة
من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع
من الوحي او بيبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة
ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف
اي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى
كما فعل بين موسى وعيسى عم اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى
الارسال على الفترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة
او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب
خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست
آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة
ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم ملوكا وقد تكاثر
فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى عم وقيل لما كانوا
مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم
ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال

المن والسلوى ونحوها مما آتاكم الله وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم
ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت
قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض
الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ
انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم
ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا
حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر
او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين
ثواب الدارين ويجوز في تنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا
يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال من
جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال
رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه
وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عم فعلى هذا الواو لبني اسرائيل
والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان
قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة
اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان
والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب
قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه
فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام
لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى عليه السلام وقوله
كتب الله لكم او مما علما من عادة الله تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى
في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين
بوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد
ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره
اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله
شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به
غير هارون والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من
تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يؤاخيني في الدين فيدخلان فيه
ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك

او على

او على محل ان واسمها وجوزه عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق
بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه
او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة
محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون
في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف
ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عم سار بعده
بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله
ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله
امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة فصار الشام كله لبني اسرائيل
واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا
وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في
التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ
يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم
من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم
من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه
كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون
وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير
كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى عم لما ندم
على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني آدم
قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم عليه السلام ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر
فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما
قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا
وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل
ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة
بالحق او حال من الضمير في واتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في
كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف النبأ او حال منه او بدل على حذف
مضاف اي واتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب
به الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو
في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد قربانا قيل
كان قابيل صاحب زرع وقرب ارذل قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب
جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم

ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل
لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين
في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه
اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به
صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة
لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك
لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج
من قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال
عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب
لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه
ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار
وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما
استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه
المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي
لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما
ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان
لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون
لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة
فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع و
قرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام
عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح
من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل
وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث
الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله
تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت في بني ادم فبعث الله تعالى
غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة
والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني
مفعولي يرى والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال
يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري
فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب
فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على ان

اكون

اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ
بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين
على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه
للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده
فسأله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود
جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله
لاجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل
مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته
اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية
متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا
بغير نفس بغير قتل نفس يوجب القصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها
كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة
الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع
سواء في استجلاب غضب الله والعذاب الاليم ومن احياها فكانما احيا الناس
جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من
بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل
النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون
اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا
اليهم الرسل بالايات الواضحات تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها
كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها
والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما
واصل الحرب السلب والمراد به هاهنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان
كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة
او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل يفسدون في الارض فسادا
ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي
يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب
حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي
تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من
الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع ان اقتصروا

على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الاية على هذا للتفصيل وقيل انه
للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في
الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين
تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل
عليه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء
يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة لا تسقط الحد
وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرا عنه
العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي
من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا
في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله
والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال
جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة
واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد
الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان
بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه
خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب
اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين
بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند
سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية
ودخلت الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب
وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاول والسرقة اخذ مال
الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه
لقوله عم القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه
وقد استقصيت الكلام في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن
مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى
ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع
يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل
على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي

سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان
الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته ولا يعذبه في الاخرة اما القطع
فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض الخطاب للنبي عليه السلام او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر
لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة ايتاء على ترتيب ما سبق
او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها
الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا
اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بامنا والواو يحتمل الحال والعطف
ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر محذوف
اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن
الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد او
لتضمن السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف
اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اي
لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى
على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء
اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون
ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه
التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد
واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من
الضمير فيه او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم
يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا
المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا
قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا
رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله وقالوا ان
امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل
ابن صوريا حكما بينه وبينهم فقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق
البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم
كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت
ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما عند
باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا

فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية
والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير
للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون
للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله
لانه مسحوت البركة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان
كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم تخيير لرسول الله عليه السلام اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض
ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي رحمه الله
والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع
الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة رحمه الله يجب مطلقا وان
تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك
من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله به ان الله
يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التورية
فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب
الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما
طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال
من التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها
لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد
ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك
داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه
ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف
ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده
ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين
اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا
باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل
او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون
والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما
استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابهم من التضييع
والتحريف والرجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون
ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس

واخشون

واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله عز وجل في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية
ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها
ثمنا قليلا وهو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له
فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك
وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم
على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار
حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها
بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا
على اليهود فيها في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس
والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها
الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم
النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او استئناف
ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة
بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله
بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة
للمعنى وقرا نافع والاذن بالاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع والجروح
قصاص اي ذات قصاص وقرا الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن
عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص
اي فمن عفى عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل
للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها
بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره
فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف
المفعول به لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون بعيسى ابن مريم مفعول
ثان عدي اليه الفعل بالباء ومصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل
وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين
يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز
نصبها على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم اهل
الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي
وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم
وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه
او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام

وان اليهود بها منسوخة ببعثة عيسى عم وان كان مستقلا بالشرع وحملها على
وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا
اليك الكتاب بالحق اى القران مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب
المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب
يحفظها عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اى بما
انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه
فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا عن ما
جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها
الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا
وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع
المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد فى
جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل
المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتيكم من الشرائع
المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها
بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل فاستبقوا الخيرات
فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم
جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل اى انزلناه بالحق وبان
احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم
ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه
وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اى احذرهم فتنتهم او مفعول له اى احذرهم
مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه
عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود
كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك
ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا
عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم
يعنى ذنب التولى عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا
مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة للتعظيم كما فى التنكير ونظيره قول
لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون
لمتمردون فى الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذى هو الميل
والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت

اى هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ هو الله تعالى والحفاظ فى كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله

والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اى انزل اليك الكتاب والحكم او على الحق

فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان
يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ
ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله اهذا الذى بعث
الله واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما
كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم
افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اى عندهم
واللام للبيان كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم
هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن
حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا
تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض
ايماء الى علة النهى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى
الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن والاهم
منكم فانه من جملتهم وهذا تشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تراءى
ناراهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدى القوم الظالمين
اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى
الذين فى قلوبهم مرض يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم
ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ويعتذرون بانهم يخافون
ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامور ويكون الدولة للكفار
روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله ان لى موالى من اليهود كثير عددهم
وانى ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى
رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالى فنزلت فعسى الله ان يأتى بالفتح
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده
يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم
فيصبحوا اى هؤلاء المنافقين على ما اسروا فى انفسهم نادمين على ما
استبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول عم فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم
ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام مبتدأ ويؤيده
قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا
يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتى باعتبار
المعنى وكانه قال عسى ان يأتى الله بالفتح وان يقول الذين آمنوا او يجعله بدلا
من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح
بمعنى عسى الله ان يأتى بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به

أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض
تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود
فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم و
جهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا
بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ
كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين
اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه
قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام
وهذا من الكائنات التي اخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في
اواخر عهد رسول الله عليه السلام ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار
الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة
قبض رسول الله عليه السلام من غدها واخبر الرسول عليه السلام في تلك الليلة
فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ
وكتب الى رسول الله عليه السلام من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله عليه السلام
اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة
الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن
خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله عليه السلام خالدا فهرب بعد القتال الى
الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن
وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع
قوم مالك بن نويرة وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة
وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد
وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم
تنصر وسار الى الشام فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل
اليمن لما روي انه عليه السلام اشار الى ابو موسى الاشعري وقال هم قوم هذا وقيل
الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا
وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف
من كندة وبجيلة وثلثة آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره
فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق
لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز

عن معاصيه أذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول
فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى العطف والحنو او للتنبيه على
انهم مع علو طبقتهم وفضلهم خافضون لهم او للمقابلة أعزة على الكافرين
شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في
سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة
لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله
والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين
فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون
شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان
ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه
ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله إنما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما
قال وليكم الله ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله
وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين
آمنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز رفعه ونصبه على المدح وهم
راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون
اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة
اليه وانها نزلت في علي رض حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه
واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور و
المستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الواحد على الجمع خلاف الظاهر
وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه
وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة
التطوع يسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم
اولياء فإن حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون وضع الظاهر
موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهو حزب الله
وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا
الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم
يجتمعون لامر حزبهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا
ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء نزلت في رفاعة
ابن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء

على العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعادات
والبغضاء وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو
والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة
لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من
ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب
كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان
مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده
ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا
الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا
بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله
الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررة في البيت فاحرقته
واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء
والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون
يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو
لغة الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب
المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان امنا وكان المستثنى لازم
الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم
خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف
او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة
محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان امنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار
فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء
والخبر محذوف اي فسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن
الانصاف والاية خطاب ليهود سألوا رسول الله عليه السلام عن من يؤمن به
فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر
عيسى عم لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي ذلك المنقوم
مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر
فوضعت هاهنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على
التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل
من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك
دين من لعنه الله او خبر مبتدأ محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم
الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات ومسخ

بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عم
وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير
وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول
ورفع الطاغوت وعبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا
اي فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او
عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذف التاء للاضافة
عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت
العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله وقرأ حمزة وعبد الطاغوت
بضم الباء وجر التاء والباقون بفتح الباء ونصب التاء اولئك اي الملعونون
شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل
عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود
والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة
والضلال واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله عم
او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون
من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل
قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب
الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارات
النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله عليه السلام يظنه ولذلك قال والله
اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي من
اليهود والمنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم
والعدوان الظلم ومجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم
والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة
لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا
اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا
يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان
بعد تدرب فيه وتردد وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك
الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك
الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو
ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى
اثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى

بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة
شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل
والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغللون اسارى في الدنيا
ويسحبون الى النار في الاخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل
كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد
ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه
وتنبيها على منح الدنيا والاخرة او على ما يعطي للاستدراج وعلى ما يعطي للاكرام
ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق
اخرى على حسب مشيته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد
ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين
اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه
قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا عليه السلام
واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا
وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح
للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم
ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا
حرب الرسول عليه السلام واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف
بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم
بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس
ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا وصفة نارا ويسعون في الارض
فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن
وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان
اهل الكتاب امنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم
ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم اي التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم
جنات النعيم ولجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة
ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما
لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما من نعت
الرسول عليه السلام والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب
المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القران لاكلوا

من فوقهم

من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات
من السماء والارض او بكثرة ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة
الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك
ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا
ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة
غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد عليه السلام وقيل مقتصدة متوسطة
في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي
ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل غير مراقب احدا
ولا خائف مكروها وان لم تفعل اي وان لم تبلغ جميع ما امرتك فما
بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها تضييع ما ادي منها
كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت
شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء
في الشناعة واستجلاب العقاب وقرا نافع وابن كثير وابو بكر بالجمع وكسر التاء
والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي
وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون
بك وعن النبي عليه السلام بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي
ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس رض كان رسول
الله عليه السلام يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها
الناس فقد عصمني الله من الناس فظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل
المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية
ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان
يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم
ومن اقامتها الايمان بمحمد عليه السلام والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية
باسرها امرة بالايمان بمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة
اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم
وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة
لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى
سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف
والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا

والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله واني وقيار بها لغريب
وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به
على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب
عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان
يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده
كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على
محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر
خبر المبتدا وخبر ان فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد
والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها
في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما
جوز بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل
الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او
خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اي من آمن فيهم او النصب على البدل من
اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب
الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم
صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل
وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا
يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول
منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء يقتلون
موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها
على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآي وحسبوا
ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل
الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب ان لا تكون بالرفع
على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون فخفف ان وحذف ضمير الشان
وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيله منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان
او ان ما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او عن الدلائل والهدى
وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم
اي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما
على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمي
واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث

اوخبر

او خبر مبتدا محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو
ضعيف لان تقدم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق
اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم
انه من يشرك بالله في عبادته وفيما يختص به من الصفات والافعال فقد
حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين
ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم
احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك
وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى عم وان يكون
من كلام الله تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم
بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلثة اي احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون
بالاقانيم الثلث وما سبق في قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من
اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه
مبدا لجميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة
ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر
او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم
وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله
افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد
والاقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا
التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا
وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت
من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله تعالى بآيات كما خصهم
بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو
اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب
وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء
كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما
من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في
مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات
الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة

فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون
عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للآيات عجب
واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا
نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك
مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما
نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا
الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما
قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال
والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
فى دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او
تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا
اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا من قبل مبعث
محمد عليه السلام فى شريعتهم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم
وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه
وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة
الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان
داود وعيسى ابن مريم اى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما
وقيل اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم داود ومسخهم الله قردة واصحاب
المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف
رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ
بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم الله عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه
او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر
وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد
بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا
يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم
اى لبئس شيئا قدموا ليردوا يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفى العذاب
هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود فى
العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط
والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الاية
فى المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان

يمنع

يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون
فى نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا
لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى وقربهم الى التقليد
وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم
مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم
وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه
او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال
على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان فى كافر واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو
بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه
والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من
فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء
والثانية للتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا
كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد عليه السلام فاكتبنا مع الشاهدين
من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع فى الانخراط
مع الصالحين والدخول فى مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من
الضمير والعامل ما فى اللام من معنى الفعل اى اى شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله
اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان
به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر مبتدأ محذوف
والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم
الله بما قالوا اى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا
النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والايات الاربع روى انها
نزلت فى النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله عم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن
ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ
عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت فى ثمانين او
سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول عليه السلام فقرأ عليهم سورة يس فبكوا
وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب

بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين و
ذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه وكانه لما تضمن ما قبله
مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهي
عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا
ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم
الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد
بينهما روي ان رسول الله عليه السلام وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم
فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين
وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا
الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله
فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا و
ناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب
عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل
لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه
نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا وحلالا
حال من الموصول والعائد محذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو
لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي
انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد
كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه
كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رح وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر
او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد
والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم
وقرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية
ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي
الفعلة تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث
وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها
فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما
تطعمون اهليكم من اقصده في النوع والقدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف
صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة
مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون

امنوا

وقرى

وقرى اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع
اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم
عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب
جامع قميص او رداء وازار وقرى بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة او
او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا تواسون بينهم
ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم
او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة
القتل ومعنى او ايجاب احد الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين
فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام
وشرط ابو حنيفة رح فيه التتابع لانه قرى ثلثة ايام متتابعات والشاذ ليس بحجة
عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم يرو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم
اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها
لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم
كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم
تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم
المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام
نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر
يعاف عنه العقول وافرده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او المضاف
محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من
تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم
تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية
بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعل من عمل الشيطان
تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما
وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية
والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما
باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر
الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب
الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة بالذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها
صاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث
على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل

أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فيما امرا به وَاحْذَرُوا ما نهيا عنه او مخالفتهما
فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول
بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم بانفسكم لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا مما لم يحرم عليهم لقوله إِذَا مَا اتَّقَوْا
وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحات
ثُمَّ اتَّقَوْا ما حرم عليهم بعد كالخمر وَآمَنُوا بتحريمه ثُمَّ اتَّقَوْا ثم استمروا
وثبتوا على اتقاء المعاصي وَأَحْسَنُوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها
روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون
الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرار باعتبار الاوقات الثلثة
او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه
وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة
الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدأ
والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب
والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة
وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ فلا يؤاخذهم بشيء
وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ نزلت عام
الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من
صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه
على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال
فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عندما هو اشد منه لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ
ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة
ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ
ذَلِكَ بعد ذلك الابتلاء بالصيد فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ فالوعيد لاحق به
فان من لم يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون
النفس اميل اليه واحرص عليه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ
حُرُمٌ اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح
والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده
قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحداءة والغراب والعقرب والفارة
والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل

كل مؤذ واختلف في هذا النهي هل يلغي حكم الذابح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة و
مذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب وَمَنْ
قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على
ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطي واحد في
ايجاب الضمان بل لقوله وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ولان الاية نزلت فيمن تعمد
اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش وطعنه ابو اليسر برمحه فقتله
فنزلت فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب
بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل
بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون
صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول
كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء
يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك
والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت
ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي
كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام
كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول ادفع
يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه
اذا اخصصته او وصفته او رفعته بخبر مقدر ولمن وكما ان التقويم يحتاج الى النظر
واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ
ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هَدْيًا حال من الهاء في به او من جزاء وان
نون لتخصصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بَالِغَ
الْكَعْبَةِ وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم
والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء أَوْ كَفَّارَةٌ
عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طَعَامُ مَسَاكِينَ عطف بيان
او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة
للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين
ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ
صِيَامًا او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل
مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمل
وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ متعلق
بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة

بهتكه بحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام
الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او
في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم منه وليس
فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام
ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال
كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يحل
الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه
وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصبه على الغرض وللسيارة
اى ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر ما صيد فيها او الصيد فيها
فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور
على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او لم يصد لكم ما دمتم
حرما اى محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه
تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام
عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اى
سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه
التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرا ابن عامر قيما
على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل فعله ونصبه على المصدر او الحال
والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدي
فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرانه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل
او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المرتبة
عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص
ومبالغة بعد الاطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم
وعد ووعيد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه
ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به اى الرسول اتى بما امر
من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من
تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام
في نفي المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب
به في صالح الاعمال وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة
والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب
لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اى فاتقوه في تحري الخبيث

وان

وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح
روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا
مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها
حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا
رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما
كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء
اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع شيء
على ان اصله شيء كهين او شيئ كصديق فخففت وقيل افعال جمع له من غير تغيير
كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء
عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة
بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله عليه السلام حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت
نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استيناف اى عفا الله
عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما
يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم
غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال
رجل اين ابي فقال في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت
قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دلت عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء
بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون
صفة الجثة ولا حالا عنها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اى بسببها حيث لم
يأتمروا بما سألوا او جحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد
وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر
بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم
يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت
الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها
فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه
من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك تعدى الى
مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله
الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اى الحلال
والحرام او المبيح من المحرم او الآمر ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه اشارة الى ان منهم
من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه

آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه أولو كان
آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار
الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى
ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد
يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور
جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر
حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده
فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان
المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له
سفهت آباءك ولاموه فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده
ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة
اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من
ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد
ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا
شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية
واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم
اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة
حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان يتهاون فيه
او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف
ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران
من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادة
على المسلم لا يسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم
مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة
لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض
فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم
او استئناف كانه قيل كيف نعمل بهما ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما
من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل
وملائكة النهار وقيل اي الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم اي ارتاب
الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص
القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف

بالله كاذبا بالطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا
محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها
وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض
حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين
اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون
فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما
كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق
عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل الاوليان
الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر مبتدأ محذوف اي هما الاوليان او خبر
آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب
وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي من الذين الاولين استحق
عليهم وقرئ الاوليين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان
فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما
اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل
موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية
ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان
لم يجدهما بان كانا في السفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما
على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف
آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد
ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما
لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي
ان تميما الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا ح نصرانيين ومعهما
بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة
وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه
واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب
اهله الصحيفة فطلبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله عليه السلام فنزلت يا ايها
الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله عم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما
ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن
لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله عليه السلام فنزلت فان عثر فقام
عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد فيهما لخصوص
الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة

على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان
بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين
الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به
سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا
كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة والى طريق الجنة
فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال
او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار
اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال
لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا
اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما اجابونا واظهروا لنا
الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب
على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام
نصب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع
اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع
وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل
عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا اخرون
فاتخذوهم الهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف
لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبرئيل عم او بالكلام الذي يحيى به
الدين او النفس حيوة ابدية وتطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا
اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولية والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله
في الطفولية بحاله في الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه
رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق
من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص
باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في سورة ال عمران وقرأ نافع ويعقوب
طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين
هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا
منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا
ساحر فالاشارة الى عيسى عم واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة
رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة
قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى
ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم

الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن
بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما يقتضيه القدرة وقيل
المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي
هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان
اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم
اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم
مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد
ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل
منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته
ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها
من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى
ابن مريم لما رأى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه فاراد ان يلزمهم الحجة
بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم
نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن
على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا للمتقدمين
منا والمتأخرين روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها
اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا
منك صفة لها اي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا
المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه
بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه
عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او
للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من
عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم
روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم
فبكى عيسى عم وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة
وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة
مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله
امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة ليس منهما ولكنه اخترعه بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا
يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية آية اخرى فقال

باسمه احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء
والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل
منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى ان
اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك
فمسخ منهم ثلثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا
وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن
بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقايق المعارف فانها غذاء الروح كما ان
الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقايق لم يستعدوا للوقوف
عليها وقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها
فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه
خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله
ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا   واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله   يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله
صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله
مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور
فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل
الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا اليه   قال
سبحانك   اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك   ما يكون لي ان اقول
ما ليس لي بحق   ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله   ان كنت قلته
فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك   تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه
ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله ما في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات
انك انت علام الغيوب   تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه   ما قلت لهم
الا ما امرتني به   تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه   ان اعبدوا الله
ربي وربكم   عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل
مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز
ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر
مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة يحكى بعده الا
ان يأول القول بالامر وكان مثل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله   وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم   اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او
مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان   فلما توفيتني   بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك

والتوفي

والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها   كنت انت الرقيب عليهم   المراقب لاحوالهم فتمنع من
اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال
الايات   وانت على كل شيء شهيد   مطلع عليه مراقب له   ان تعذبهم فانهم
عبادك   ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما
بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك   وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم   فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب
والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل
مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد
فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان   قال الله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم   وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر
وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته
الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا
فان النافع ما كان حال التكليف   لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم   بيان للنفع   لله ملك السموات
والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير   تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم
في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولي
العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها
على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها وهو اولى
بارادة العموم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات
ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشرون درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية الا ثلث تعالوا وهي مائة	بسم الله الرحمن الرحيم	ايات من قوله قل وخمس وستون اية

الحمد لله الذي خلق السموات والارض   اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له
على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات
دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات
وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها   وجعل الظلمات والنور   انشأهما
والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه
معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان
بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان
المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم

الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان
عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء
اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق
ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد
عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون
عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون
بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة
الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم
قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاول ما بين الخلق
والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها
وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول الموت لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن
يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه
ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل
لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود وبيانه بذاته ثم انتم تمترون استبعاد
لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق
المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها
ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله
المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات
وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله تعالى وهو
الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي
الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم
اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما
فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلقا بالمصدر لان صلته لا
يتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله
اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالكسب اعمال الجوارح وما تأتيهم
من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر
لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها
معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن
وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم

او كالدليل

او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات
فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به
يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا
والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل
ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه
من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها او اعطيناهم من
القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم
في السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار
بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان
مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب
والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا
وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك
من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو
نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص
اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه
الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا
لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا
انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه و
الخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله
جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان
جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة
يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول
ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبرئيل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على
رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا
جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون
ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ ولبسنا بلام واحد ولبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ
برسل من قبلك تسلية لرسول الله عليه السلام عما يرى من قومه فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به بحيث

اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف
كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه
وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمه لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك
قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في اثار الهالكين قل لمن
ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه
على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه
الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك
الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر
ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم
في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في القيمة والى بمعنى في وقيل بدل
من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في
اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية
والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على
الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم
فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى
الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل
والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم و
المعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الاخر
وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين
على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ
الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى
الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس رض ما عرفت معنى
الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على
الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح
وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الاحتياج اليه وقرئ
ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو
فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني
من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يبسط ويقبض قل
اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن
من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون

للعذاب

للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة
من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر
عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ
بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف
او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه
الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على
حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه لقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده
تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد
وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزل حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك
اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك
رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله
اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون
الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان هو الشهيد كان اكبر شهادة واوحي الي هذا
القران لانذركم به اي بالقران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ
عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه القران من الاسود والاحمر
او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام
القران تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه ائنكم
لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع استنكار واستبعاد قل لا اشهد
بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما
تشركون يعني الاصنام الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله
بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا
انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله
او كذب باياته كانوا كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا
بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير
للشان لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا
منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي الهتكم التي
جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي
تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين
الهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن
لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد

عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته
وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرا ابن كثير وابن
عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر بالتاء و
النصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء
والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط
الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين
عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله
على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا
يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران والمراد ابو سفيان
والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله عم يقرا
القران فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه
ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو
ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد
مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام
التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاؤك
يجادلونك وحتى التي يقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين
كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين
غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع
الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة واسطار
جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القران
او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله
عليه السلام وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون
بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ
وقفوا على النار جوابه محذوف اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها
او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ
وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى
الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين استيناف كلام منهم على
وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد
او حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد
ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفا

وقرا

وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا
يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا
يخفون من نفاقهم او قبايح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو
ردوا اي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم
لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون
او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة
وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه
وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب
قائل قال ماذا قال ربهم ح والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه
من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء قال
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا
جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها
على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اي تعالى فهذا اوانك على ما
فرطنا قصرنا فيها في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني
في شانها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم اصار
الاثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا
لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة
ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الاخرة خير للذين
يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس
من اعمال المتقين لعب ولهو وقرا ابن عامر ولدار الاخرة افلا يعقلون اي الامرين
خير وقرا نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على
الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في
قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن فانهم
لا يكذبونك في الحقيقة وقرا نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او
نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولكنهم بايات الله يجحدون
ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على
الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا
لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله
وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا
على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين

ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات
ولقد جاءك من نبأ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وإن كان كبر عليك
عظم وشق إعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا
في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او
مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز
ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل
والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية
من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق مشيئته فلا تتهالك
عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل
لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر
فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون
بفهم وتأمل كقوله او ألقى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى
يبعثهم الله يبعثهم حين لا ينفع الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل
عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم
اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم
الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر
على انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل ما
بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه
في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم
امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال
قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل
على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم
من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من
امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى
بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني
الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رضي الله عنه
حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال
علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث
اي خابطون في ظلمات الكفر او ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن
في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة

ومن يشأ

ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل أرأيتكم
استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول
أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم
في الآية ان يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها
ان أتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه أغير الله تدعون
وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون
بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه
اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون
وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او
تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك ومن مزيدة فاخذناهم
اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالبأساء والضراء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات
وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ
جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه
لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به
من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة
عليهم استدراجا بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة
او مكرا بهم لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد
في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا
بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم
بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على
اهلاكهم فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم و
اعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل أرأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم
واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله يأتيكم به
اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات نكررها
تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير
باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف
الآيات وظهورها قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة
بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك
به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ

وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين
بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا
خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب
جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا
يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من
جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه
ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر
ردا لاستبعادهم دعواه او جزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير
مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم
كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع
الوحي مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الي الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون لحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او منكرا فانه
فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع
في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا
امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء
الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك
فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم وروي ان عمر رضه قال له لو
فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعى بالصحيفة وبعلي ليكتب
فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلوة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة
ههنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص
تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي شعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله
كان اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم
لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم
فحسابهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم
اي فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم
بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من
الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا
بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا

بعضهم

ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا
اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن
الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق
والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن
معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منهم الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع
منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين
يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة
على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله
بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب
ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا وبالرحمة في الآخرة وقيل ان قوما
جاؤوا الى النبي عم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من
عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل
منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد
كعمر فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه
والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود
اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله
غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة
المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأه نافع بالتاء
ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل
وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم
والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة
اي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي
من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله
عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تأكيد
لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع من متابعتهم واستجهال لهم وبيان
لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد
قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء
من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب
اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل
المراد بها القرآن والوحي والحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه
ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة

باعثا المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب او تاخيره يقص الحق
اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير
واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم
يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي اي
في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي
وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو
اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح
الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو
المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو
فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه
دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه
بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة
علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة
وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او
بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او للابتداء والخبر الا في
كتاب مبين وهو الذي يتوفيكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من
المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه
خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي
فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف
بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به
اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم
على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه
وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على
عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته
رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير
وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه
مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له
الحكم يومئذ لا لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله

حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما
في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر
والغرق في البحر وقرا يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين
ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ وخفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
على ارادة القول اي تقولون لئن انجيتنا وقرا الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه
اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب
غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون
موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت
ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت
ارجلكم سفلتكم او عبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب
القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم
باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم
يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق
قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ
لكل نبا خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف
تعلمون عند وقوعه في الدنيا والآخرة واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب
والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك
بوسوسته حتى تنسى النهي وقرا ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان
تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب
والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من
قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء شيء مما يحاسبون عليه
ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا
كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل شيء
لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون
ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم
ولا ينثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع
ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم
على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا واجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب
او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم

زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله
ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم
وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت
مخافة ان تسلم الى الهلاك وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته
لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام عليك ليس لها من دون
الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل
الفدية لانها تعادل المفدي وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند
الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدي به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا
اي اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما
كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم
بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا لا يقدر على نفعنا وضرنا
ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي
استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الشياطين والجن الى المهامه استفعال من هوى
يهوي هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل
نرد اي مشبهين الذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في الارض
حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوي رفقة يدعونه الى الهدى
الى ان يهدوه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية المفعول بالمصدر ائتنا يقولون
له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا
لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم
وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام
ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا
اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول عليه السلام بهذا القول اجابة عن الصديق
وتعظيما له واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي
خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية
قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارض
وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الهاء في واتقوه وبمحذوف
دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد
حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك
يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو
عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه آزر وهو عطف بيان لابيه
وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ وقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف

معناه

معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر
والاقرب انه اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه
بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد آزر ثم قال اتتخذ
اصناما آلهة تفسير وتقرير او يدل عليه انه قرئ ازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو
اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اراك وقومك في ضلال عن الحق
مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ
ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها
وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين
اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي
تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون
الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال
وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع
فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال
وانما قاله زمان مراهقته او اول بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الآفلين فضلا
عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان وينافي الالوهية فلما رأى القمر
بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا للقوم وتنبيها
لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية فان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة
قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر
كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام
المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها
ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه
رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في
التوحيد قال اتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد
هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر
ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم
وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان
يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر
والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق
بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار

النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق
بالامن اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا او انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون
ما يحق ان يخاف منه وما ينبغي الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون
استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الاية لما نزلت
شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم على نفسه فقال عم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه
يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق لوجود الصانع الحكيم ويخلط
بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم عم على قومه من قوله
فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه حجتنا آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها
وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك او بمحذوف ان جعل بدله اي آتيناها ابرهيم حجة
على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرا الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان
ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحاق و
يعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل اي من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم
من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل
لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم عم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين في
تلك الاية والتي بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا وداود وسليمان وايوب
ايوب بن اموص من اسباط عيص ابن اسحاق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين
اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا
ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل
هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي
موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل
واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرا حمزة والكسائي والليسع وعلى القراتين علم اعجمي ادخل عليه اللام
كما ادخل اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باحناء الخلافة كاهله ويونس هو
يونس بن متى ولوطا هو هاران بن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل
على فضل الانبياء على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي
فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا
واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك
هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية
ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون
لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس
والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلثة
هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء

المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي عم او كل من آمن له او الفرس وقيل الملائكة
اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء
والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها
ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عم متعبد بشرع من قبله
والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل
مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية عن المصدر قل لا اسئلكم عليه اي على التبليغ او القرآن
اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسال من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ
او القرآن او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما
عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا
الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم
حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن
بدليل نقض كلامهم والزامهم قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
وقراة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرا بالياء ابن كثير و
ابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمهم على تجزيتها بابداء بعض
انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه
الرسول عم بقوله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر
السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا
يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد عليه السلام ما لم تعلموا
انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش
قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها
على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد
التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول
او الفاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير
الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى
عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه
وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض
دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر
الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم
على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر
والتدبر حتى يؤمن بالكتاب والنبي والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين

وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي
واختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد
بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله عليه السلام فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا
من تفصيل خلق الانسان فقال عم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا
لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله كالذين
قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو
ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم
بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا
من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به
وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان
يريد به العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على
الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون
فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال
والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو
جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما
خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد
فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي
مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم
ما قدمتم منه لانفسكم شيئا ولم تحتملوا منه نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء
اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم
والبين من الاضداد يستعمل للفصل والوصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع
التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه
او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم بطل وضاع ما كنتم تزعمون
انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق
الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو
كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على
فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له
العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل
او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا
دخل في الصباح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل

الليل

١٤٧

الليل سكنا يسكن اليه التعب في النهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به
او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة
الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان
المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل
ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان
حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بهما الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح
كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى
جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه
المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم
لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في
مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها
بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي
انشأكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في
الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع
وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع
لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون
لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال
مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب
او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من
النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المتفننة بماء واحد كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر
كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن
النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز
ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق
جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان
من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها
لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء
اي ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون
والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها
وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه في الهيئة واللون والقدر والطعم
انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة

كخشبة وخشب وثمار كثمار وكتب إذا أثمر إذا أخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه
وإلى حال نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الأصل مصدر ينعت الثمرة إذا أدركت
وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون أي لآيات
على وجود القادر الحكيم وتوحيده فإن حدوث الأجناس المختلفة والأنواع المفننة من أصل واحد ونقلها
من حال إلى حال لا يكون إلا بإحداث قادر حكيم يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها ولا يعوقه
عن فعله ند يعارضه أو ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله
شركاء الجن أي الملائكة بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم أو
الشياطين لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله تعالى أو عبدوا الأوثان بتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله
خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من
شركاء أو شركاء الجن ولله متعلق بشركاء أو حال منه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر
على الإضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا أن الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق
كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن أي وما يخلقونه من الأصنام أو على شركاء أي وجعلوا له اختلاقهم للإفك
حيث نسبوه إليه وخرقوا له فتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا أي وزوروا
بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله
بغير علم من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو أو المصدر
أي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو أن له شريكا أو ولدا بديع السموات والأرض
من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أو إلى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى أنه عديم النظير فيهما وقيل
معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف أو على الابتداء وخبره أنى
يكون له ولد أي من أين أو كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء
للفصل أو لأن الاسم ضمير الله أو ضمير الشأن وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية وإنما
لم يقل به لتطرق التخصيص إلى الأول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الأول أنه من مبدعاته
السموات والأرضون وهي مع أنها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها
فهو أولى بأن يتعالى عنها أو أن ولد الشيء نظيره ولا نظير له فلا ولد له والثاني أن المعقول من الولد ما
يتولد من ذكر وأنثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث أن الولد كفو الوالد ولا كفو له
لوجهين الأول أن كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثاني أنه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره
بالإجماع ذلكم إشارة إلى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ خبره الله ربكم لا إله إلا هو خالق
كل شيء أخبار مترادفة ويجوز أن يكون البعض بدلا أو صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب
عن مضمونها فإن من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل أي وهو
مع تلك الصفات متولي أموركم فكلوها إليه وتوسلوا بعبادته إلى إنجاح مآربكم ورقيب على أعمالكم
فيجازيكم عليها لا تدركه الأبصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث إنها
محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لأنه ليس الإدراك مطلق الرؤية ولا النفي

في الآية عاما في الأوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الأشخاص فإنه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه
مع أن النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الأبصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك
ما لا يدركه الأبصار كالأبصار ويجوز أن يكون من باب اللف أي لا يدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك
الأبصار لأنه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد
جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لأنها
تجلي لها الحق وتبصرها فمن أبصر أي أبصر الحق وآمن به فلنفسه أبصر لأن نفعه لها ومن
عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما أنا عليكم بحفيظ وإنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ
أعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه السلام وكذلك نصرف الآيات ومثل
ذلك التصريف نصرف وهو إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال إلى
حال وليقولوا درست أي وليقولوا صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو دارست أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست
من الدروس أي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الأولين وقرئ درست بضم الراء
مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست بمعنى درست
أو دارست اليهود محمدا وجاز إضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن أي عفون ودرس
أي درس محمد عليه السلام ودارسات أي قديمات أو ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه
اللام على أصله لأن التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى أو للقرآن وإن لم يذكر
لكونه معلوما أو للمصدر لقوم يعلمون فإنهم المنتفعون به اتبع ما أوحي إليك من ربك
بالتدين به لا إله إلا هو اعتراض أكد به إيجاب الاتباع أو حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الألوهية
وأعرض عن المشركين ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت إلى رأيهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل
الإعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم إشراكهم ما أشركوا وهو دليل
على أنه تعالى لا يريد إيمان الكافر وأن مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا
وما أنت عليهم بوكيل تقوم بأمرهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ولا تذكروا آلهتهم
التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق إلى الباطل بغير علم على جهالة
بالله وبما يجب أن يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي
أنه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلهك فنزلت وقيل كان
المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت
إلى معصية راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر
بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل أمة بالكفرة لأن الكلام
فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة
عليه وأقسموا بالله جهد أيمانهم مصدر في موضع الحال والداعي لهم إلى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم
على الرسول عم في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم

ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي الاية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القران وغيره من الايات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الايات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة

ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة فاتوا بابائنا او تاتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا به او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا في حال مشية الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ

من الحاكم

من الحاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القران المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن سائر الايات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تاييد لدلالة الاعجاز على ان القران حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عم لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم ومن لم يعلم فهو متمكن عنه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنو اهل الكتاب وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل بالحق بجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول عم لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرف شيئا منها كما فعل بالتورية على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القران وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار والجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بالضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من يضل او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرا الكوفيون بضم الياء والباقون

بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين
عن الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما
بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون
يكسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب
داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه
وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان
الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون
ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله
الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك
طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ
الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه
من الضلال وجعل نور الحجج والايات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرا نافع
ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدا خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها
حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال
كذلك كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابي جهل
وقيل في عمر وعمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا
في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه
ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر
مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان
وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي
رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالته
استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء
من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرا ابن كثير وحفص
عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم
القيمة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم
فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له و
ينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه
واليه اشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل
لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله

الايمان وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون
بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه
فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة وتنبيه على ان الايمان يمتنع عنه كما يمتنع عنه الصعود
وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ
وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك كما يضيق صدره ويبعد قلبه
عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر
موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القران او الى الاسلام او الى ما سبق من
التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته
مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل
فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله تعالى وان
كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم
دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام
عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا
يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر
او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن
يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم
فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع
بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس
بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز و
عند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا
اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر
على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل
مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار
الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله
عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل
بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون
من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن
في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب
وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل من الجن رسل الرسل اليهم
كقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا
جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب

وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رأيهم
فانهم اغتروا بالحيوة الدنياوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم
ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد وتحذير للسامعين من مثل
حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك ان لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اى الامر ذلك
لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين
بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب
مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به
من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغنى عن العباد
والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصى وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من
الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اى ما به
اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية
قوم آخرين اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم انما توعدون من البعث واحواله لآت
لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال
مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم وحالكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام
ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم
انى عامل اثبت على ما كنت عليه من المصابرة والاثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد
كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضى اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتى منه الا الشر كالـ
مأمور به الذى لا يقدر ان يتقصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية
يعنى اينا يكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت
موصولة فالنصب بتعلمون اى فسوف تعرفون الذى يكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف فى
المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث
العاقبة غير حقيقى انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا
اى مشركو العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روى انهم كانوا يعينون شيئا من
حرث ونتاج ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منها لآلهتهم على سدنتها ويذبحون عندها
ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه حبا لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ
تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شىء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكى له
وفى قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه ولم يأمرهم الله به وقرأ الكسائى بالضم فى الموضعين وهو
لغة فيه وقد جاء ايضا بالكسر كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين فى
قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة

وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة
القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة
زج القلوص ابى مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين
ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل
او ما وجب عليهم ليتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشيطان وللعاقبة ان كان من السدنة
ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم
وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث
حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج
اى مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من
غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعنى البحائر والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها
فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر
لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او على المفعول له
والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما فى بطون
هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال
للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث
سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر ابن عامر
فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة بنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما فى رواية الشعر او
مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من
الضمير الذى هو فى الظرف لا من الذى فى لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوى
ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل
من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب
الذكر سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم
الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون
بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير سفها
بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم ويجوز نصبه على الحال او المصدر
وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله
قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذى انشأ جنات من الكروم
معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل
المعروشات ما غرسه الناس وغير معروشات ما نبت فى البرارى والجبال والنخل والزرع
مختلفا اكله ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل
والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا

حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه
يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد
من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم ينع بعد وقيل فائدته رخصة للمالك في الاكل منه
قبل اداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم
الحصاد لا الزكوة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكوة والآية
مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان
الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء
وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين
لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام
ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار
الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم
الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند
انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا
او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او
متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول
من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان
على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ
بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ
معزى قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب
الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت
عليه اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبؤني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله
تعالى حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل
اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله تعالى حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او
انثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها
تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء
بل اكنتم حاضرين شاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم
لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن
اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون
لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم

الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه
تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه
الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة بالتاء لتأنيث
الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان التامة وقوله او دما
مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا
كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر
لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض
للتعليل اهل لغير الله به صفة موضحة له وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله
في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن
فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى
تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك
غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الي تلك
الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال
بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور
وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم
التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة
لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتملت
على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل
هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها
بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
في الاخبار والوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم
على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين
حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه
ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم
لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره
يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء
خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا
ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله تعالى لا الاعتذار عن
ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا
للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب

لكن في ان الله تع منع من الشرك ولم يحرّم ما حرّموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف
آباؤنا على الضمير اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم
بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا
فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا
تخرصون تكذبون على الله تع وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول
ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي
بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج
بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين بالتوفيق
لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلالة آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهلم
اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين
ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين
هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون
متعديا كما في الآية ولازما كقوله تع هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا
يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم
كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان
شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم
في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها
والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا
قل تعالوا امر بالتعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه
بالتعميم اتل اقرأ ما حرم ربكم عليكم منصوب باتل وما يحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز
ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم
عليكم متعلقة بحرم او اتل الا تشركوا به اي لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه
تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن
جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده
المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا
او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا
اي احسنوا بهم احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة
على ان ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق
من اجل فقر ومن خشيته كقوله تع خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية
ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب

اوالزنا

او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة
الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل
هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل
بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم
او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل
والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر
معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم
في حكومة ونحوها فاعدلوا فيها ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من
ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية
احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطي مستقيما
الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها بأسرها في اثبات التوحيد والنبوة و
بيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب
بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه
وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم ولا تتبعوا
السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى
الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن
سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به
لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على
وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به
قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على
الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على
الذي احسن تبليغه وهو موسى عم او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع
اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي على الذي
الذي هو احسن دينا او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا
لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما و
نصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل
بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه
مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه
وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان

الباقي المشهور من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان
هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم
لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا
ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون
فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه
وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن
من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي
الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون
باعراضهم وصدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا
منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا
ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرئ حمزة والكسائي بالياء
او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل آية يعني آيات القيمة والهلاك
الكلي لقوله تع او ياتي بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء
ابن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر
آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا
بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى عم
ونارا تخرج من عدن يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها
كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانيا وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان
الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا
عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان ح نفسا غير مقدمة ايمانها او
مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد
عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع
باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن
بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته ح وان كسبت في ايمانها خيرا قل
انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد هذه الثلثة فانا منتظرون
له وح لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فامنوا ببعض
وكفروا ببعض او افترقوا فيه فقال عم افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين كلها في الهاوية

الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع
كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او عن عقابهم
او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف انما
امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله تع وقرأ يعقوب
عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد
جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون
العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون
بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم
بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى
وهداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ
قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة و
المستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر
نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم
عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه
قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي
وما انا عليه في حيوتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة
والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما
وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين
لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص
امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل
اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادته وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم
وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه
مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني
في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب
عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل
وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله تع
في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السابقة
على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف
والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب

لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تع غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها وعن النبي عم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	مائتان وست آيات

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اى هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اى شك فان الشك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان يكذب فيه او يقصر في القيام بحقه وتوجه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن من عند الله تع جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اى لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله تع وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون دين الله تع دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله تع وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي عم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اى اردنا اهلاكها او اهلكنا اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط عم مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اى قائلين نصف النهار كقوم شعيب عم وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب

ولهذا

ولهذا خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجي العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اى دعاؤهم او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله تع ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اى القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحايف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلايق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عم انه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تع جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحايف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم قلنا لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد اى ان تسجد ولا صلة مثلها في

لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه
ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء المضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى ان
لا تسجد إذ أمرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه
جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود
لمثله كأنه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف
يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا
خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك
بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما
اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار
الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار
الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له
خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام
كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار
الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فانها مكان الخاشع
المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه
لكبره لا لمجرد عصيانه فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فان ع م
من تواضع لله تعالى رفعه الله تعالى ومن تكبر وضعه الله تعالى فاخرج انك من الصاغرين
ممن اهانه الله تعالى لكبره قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيامة
فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما
سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى الوقت المعلوم وهو النفخة
الاولى او وقت يعلمه الله تعالى انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد
وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن
في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي
او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن
فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا لهم كما يقعد القطاع
للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل
الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب الظهر والبطن ثم
لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع
الجهات الاربع ولذلك مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه
يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان

منه يوحش وعن ابن عباس رضي الله عنه من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم
من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال
من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون
ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا
ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف
الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما
كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين
مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ
الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤوما
مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه
يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه
لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام
على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب
قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي
الشجرة وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين
فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب
فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي
كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي
لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوأهما
بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة
في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من
سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما
من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل
لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها
واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا
ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون
او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان
من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما
للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل
على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه

على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسم لهما بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه
لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلّيهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة
نبّه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء
ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرّهما به من القسم فانهما ظنّا ان احدا
لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما
اى فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت
عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة
او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان
اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة
قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما
ويخصّفان من خصّف ويخصّفان واصله يختصفان وناديهما ربهما
الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين
عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على
ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض
للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل
على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب
الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات
واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس
كرّر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو
في موضع الحال اى متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار
ومتاع وتمتع الى حين الى تقضّي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها
تخرجون للجزاء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات
سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد
يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان
العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله
فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول
سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا
ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه ترّيش الرجل اذا تموّل وقرئ
رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل
الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير
او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر

والكسائي ولباسَ بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزال اللباس من آيات
الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون
فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم
دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها
والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع
عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع
اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد
للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة
لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين
لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من
خذلانهم وحملهم على ما سوّلوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا
فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا
وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء
على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله
لا يأمر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على
مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا
عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم
وقيل هما جوابا سؤالين مرتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها
آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع
التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون
انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل
وهو الوسط من كل امر المتجافي عن الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم
وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة
عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد
حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه
مخلصين له الدين اى الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم
ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة
بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون
اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا
وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم
الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده

اى وخذل فريقا إنهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم
او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند
سواء فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر يا بنى آدم خذوا زينتكم
ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل
احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلوة وكلوا واشربوا
ما طاب لكم روى ان بنى عامر فى حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون
دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدى
الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس
ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد قد جمع
الله الطب فى نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين
اى لا يرضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التى اخرج
لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن
كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه
دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام
فى من للانكار قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم
فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع
بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اى كتفصيلنا هذا
الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربى الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق
بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد
تخصيص وقيل شرب الخمر والبغى الظلم والكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق
متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين
وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او
وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت
مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اى لا يتأخرون
ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا
بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى شرط ذكره بحرف الشك
للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها
ما للتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين

كذبوا

كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد
والمسامحة فى الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن
يقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه
حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى
غاية نيلهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون
من دون الله اى اين الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين
فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا
عليه قال ادخلوا اى قال الله لهم يوم القيامة او احد من الملائكة فى امم
قد خلت من قبلكم اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة من
الجن والانس يعنى كفار الامم الماضية من النوعين فى النار متعلق
بادخلوا كلما دخلت امة اى فى النار لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء
بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا وتلاحقوا فى النار قالت
اخريهم اى دخولا او منزلة وهم الاتباع لاوليهم اى لاجل اوليهم اذ الخطاب
مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم
عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما
القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون
ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اوليهم لاخريهم
فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخريهم ورتبوا عليه
اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا وإياكم متساوون فى الضلال و
استحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة
او من قول الفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اى عن
الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما
تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب
والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التأنيث
غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان
الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم
الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك
وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل
كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب

وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام
والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش
ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف
عند غيره وقرئ غواشٌ على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر
عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعاراً بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا
بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب
بالنار تنبيهاً على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف
نفساً الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته تعالى
في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفساً الا وسعها اعتراض بين المبتدا
وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ
لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب
الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو
ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة
في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما
كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي
وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرئ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها
مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون
ذلك اغتباطاً وتبجحاً بان ما علموه يقيناً في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة
ونودوا ان تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له
بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال
من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواضع الخمسة
هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين من القول ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً
انما قالوا تبجحاً بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيراً لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال
ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصاً وعده بهم كالبعث والحساب
ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فأذن مؤذن
قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب
وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون
عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها
عوجاً زيغاً وميلاً عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن

منتصبة

منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون
وبينهما حجاب اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار
ليمنع وصول اثر احدهما عن الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب
اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس
وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال
طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله
فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء او اخيار المؤمنين
وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلاً من اهل الجنة
والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده
فعلا من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه
من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب
الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون
حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه الباقية واذا
صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا نعوذاً بالله ربنا لا تجعلنا مع
القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالاً يعرفونهم
بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال
وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة
أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة
الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله
لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا
الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوها وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم
وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف
لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا
على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولاً لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه وهو دليل على
ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة
او من الطعام كقوله علفتها تبناً وماءً بارداً قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً كتحريم البحيرة
والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب
طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم

ودخلوا اهـ

نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه
ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ
مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم
او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين
بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل
ينتظرون الا تأويله اي ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد
والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي
قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا
لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا
او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين وعلى الثاني ان يكون
لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل
جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف
اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان
ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات
كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف
في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا
مع القدرة على ايجاده دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني
في الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان
الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش
على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر
الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه
وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان
اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد
للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل
بينهما والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل
بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على
الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر
فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية

في الالوهية

في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا
متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق
والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب
كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام
السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية
متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في
جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها
ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وقدر
فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى
تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك
الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير
ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه
متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية
فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء
وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود
الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي عم سيكون قوم
يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من
قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء
وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم
وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله
قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب
لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة مصدر محذوف اي امر قريب على تشبيهه بفعيل
الذي بمعنى مفعول او الذي هو المصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب
والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على
الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع
وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى
ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو
تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات
او للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير

السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي
حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه
لان السحاب جمع بمعنى السحائب سقناه وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد
ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب
او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا
كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي
للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه
الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه
وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس
الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون
ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج
نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه
لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا
عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي
يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا وعلى المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان
للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله
فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن
لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف
ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها
توقع وقوع ما صدر بها ونوح ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده
بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي
اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر نعتا او بدلا
على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم
نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤون العيون
رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي
ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به
ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على
هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات
ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استئناف

ومساقها

ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف
وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ
والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس
واللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به
فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم
بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم
ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على
لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال
البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون
بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله
تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه
فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة
وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن في الفلك متعلق
بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا
بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله
عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم
عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم
يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم
بن سام بن نوح وقيل هود بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي
عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استئناف ولم يعطف كانه جواب
سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله
وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه
اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا
في خفة عقل وراسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين
قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات
ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض
عن مقابلتهم بكمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل
ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم

خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد
بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم
بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد
تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعمة الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا
اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة
والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في
اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او عن السماء على التهكم او القصد
على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله
افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب
او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني
في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء
سميتموها آلهة ليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل
وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين
ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى
واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم
واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك
لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما
ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب
اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم
وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين
تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان
روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا
عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حج مسلمهم ومشركهم
اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل
ابن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة
اولاد عمليق بن لاود بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو
بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون
الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا اليه اهمه
ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين
الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادوا

قد امسوا لا يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك وقال مرثد والله لا تسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن
معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء
اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد
من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم
فاهلكتهم ونجى هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى
ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام
ابن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل
الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى
اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة
على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال
والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا
او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت
من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك آية فذروها تأكل في ارض الله
العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء
الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم
جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض
الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض
بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون
بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا
من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض
مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين
استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين
استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل
به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله
اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن آمن ومن
كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على مقابلة
ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة

فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر
ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عم بقوله فذروها وقالوا
يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في
دارهم جاثمين روى انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا
اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة
فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم
فانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون اخرج معنا الى عيدنا فندعوا الهك
وندعوا آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم
جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة
مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت
ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعى ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم انتجت
ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب
ابن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة
مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها
ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي
فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك
عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها
فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح عم لهم ادركوا الفصيل عسى ان
يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم
صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم
العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين
ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء
فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان
ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه
وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على
تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم
احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية

للتبعيض والجملة استئناف مقرر للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم
باختراعها فانه اسوأ ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله
اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار
المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم
بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب
الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار
الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف
في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر
لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه
فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون
اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به الا امراته فانها كانت
تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير
لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روى
ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم الى الشام نزل بالاردن
فارسله الله تع الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله تع وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة
فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت
الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد
مدين بن ابرهيم بن شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب
الانبياء لحسن مراجعة قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما
روي من محاربة عصى موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع
خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصى آدم في يده في المرات
السبع متأخر عن هذه المقاولة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى عم او ارهاصا
لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال
كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود اوفوا المكيال والميزان
ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا
حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير
القليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع

او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم
ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة
مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا
لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى في شيء
منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
لا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق
وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر
موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه
او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول
تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وهو
بما عطف عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون
لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ
كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة والنسل او المال وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة
منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى
يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين
ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال
الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك
من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن
القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم
الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك
اجرى الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن
كارهون لها او انعيد ونا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد
اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف
دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعله كالواقع للمبالغة وادخل
عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها
حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق
وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على
ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع

عدون

ابنا

١٦٤

ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا
في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا و
بينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على
المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم
انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس
والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة
الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم
جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها اي
استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمعنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين
دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه
على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف الجملتين واتى بهما اسميتين فتولى
عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه
عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم
ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت
في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف
آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا
اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة
السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال
عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء
كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس
بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجأة
وهم لا يشعرون بنزول العقاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول
عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا
مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم
الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا
بالتشديد ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن
اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض
والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات
او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام

يعني التسليم وهم نائمون حال من ضمير البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى
وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بالسكون على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار
وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او
يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله
استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد
للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون
ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل
يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه
اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه
على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياقه جواب لو لافضائه الى نفي الطبع
عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم
نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها
وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص عليك
بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه
من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما
كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات
المتتابعة واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم
في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض
او لاكثر الامم المذكورين من عهد من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله
اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا
في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم
اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام
الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند
الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل
في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه
فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى
وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان

اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك
وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه
في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علي
ان لا اقول كما قراه نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح والضياطرة
الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه
واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن
حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس
وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد
جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض
المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال
ان كنت جئت بآية من عند من ارسلك فات بها فاحضرها عندي
ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة
روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع
لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه
واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح
فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني
اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا
هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظارة
او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان آدم شديد
الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها
شعاع الشمس قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف
قومه على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا بقوله
قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون
تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين
ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا الى فرعون
والارجاء التاخير اي اخر امره واصله ارجئه كما قرا ابو عمرو ويعقوب
من ارجات وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير او ارجه
من ارجيت كما قرا نافع في رواية ورش واسماعيل والكسائي واما قراءته في
رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وقرا حمزة ارجه

بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما
قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا
كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت
مجراها وقرا حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء
وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا
نحن الغالبين استئناف به كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاءوا وقرا ابن
كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر
والتنكير للتعظيم قال نعم وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسد
نعم زيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن
الملقين خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا
قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد ضميرهم
المتصل بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما وتسامحا وازدراء بهم ووثوقا على شانه
فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم
وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في فنه روي
انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملات الوادي وركب بعضها
بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف
ما يافكون ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون
ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها
باسرها اقبلت على الحاضرين فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا
هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة مقهورين
والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على
ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم
عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة
خرورهم وشدته قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ابدلوا الثاني من
الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون آمنتم به بالله او بموسى والاستفهام
فيه للانكار وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام
بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان آذن لكم
ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة
في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل
فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم

من خلاف

من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم
قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله
ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة
فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه
شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر
منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس
مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ
علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من
الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام
قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما
الغالبون وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب
للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جارك ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف
على اتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك
كقوله فاصدق واكن من الصالحين وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب
وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى
وقرئ الاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود
الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرا ابن كثير ونافع سنقتل
بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا
منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم
وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد
لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له
وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس
قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء و
من بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم
جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في
زمن داود عم فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة

وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب
لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويورخ به
ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات
لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشوم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او لترق
قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب
والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء
يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشومهم وهذا اغراق
في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك
وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل ازدادوا عندها
عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها
وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها
وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم
عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شومهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها
التي ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله او من شوم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية
ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه
الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره
تأتنا به اي اي شيء تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على
زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي
لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ
وانثه بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي
اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون
والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها
والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد
ان يخرج من بيته ودخل الماء في بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت
بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث
والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف
عنا ونحن نؤمن لك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله
ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم واخذت تاكل
الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار
بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا

فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم
وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل
عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ
منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه
وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم
الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه
دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل
سلط الله عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا تشكل
على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل
اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعدما
غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان
وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون
ارسل الله تعالى عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك
في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك
او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني
اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون
فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم
ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير توقف وتامل فيه
فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره
وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم
بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها
بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء
من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل
بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز
عدته اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ
كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون
من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر

يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني إسرائيل البحر
وما بعده ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن منّ الله عليهم
بالنعم الجسام وأراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى
منهم وإيقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم روي أن
موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا
فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على أصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل
كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى
بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى
اجعل لنا إلها مثالا نعبده كما لهم آلهة أصنام يعكفون عليها قال إنكم قوم
تجهلون وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى
عن العقل إن هؤلاء إشارة إلى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني أن الله يهدم
دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون
من عبادتها وإن قصدوا به التقرب إلى الله تعالى وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلاء
اسم إن والإخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين
خبرا لإن للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وأن الإحباط الكلي لازب لما مضى
عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال أغير الله أبغيكم إلها أطلب لكم معبودا وهو فضلكم
على العالمين والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث
قابلوا تخصيص الله إياهم من أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بأن قصدوا أن يشركوا به
أخس شيء من مخلوقاته وإذ أنجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت
وقرأ ابن عامر أنجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما أنجاهم أو حال
من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه
مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة وواعدنا
موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابن عمرو ويعقوب ووعدنا وأتممناها بعشر
من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة بالغا أربعين روي أنه عليه السلام
وعد بني إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون
وما يذرون فلما هلك سأل ربه فأمره بصوم ثلاثين فلما أتم أنكر خلوف فمه فتسوك
فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى
أن يزيد عشرا وقيل أمره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة
في العشر وكلمه فيها وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي وأصلح
ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من
سلك سبيل الإفساد ولا تطع من دعاك إليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا

لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير
واسطة كما يكلم الملائكة وفيما روي أن موسى عليه السلام كان يسمع الكلام من كل
جهة تنبيه على أن سماع الكلام القديم ليس من سماع كلام المحدثين قال رب
أرني أنظر إليك أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك
وأراك وهو دليل على أن رؤية الله جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء
محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون قوله
لن أرى ولن أريك ولن تنظر إلي تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد
في الرائي ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله
جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبههم كما فعل بهم
حين قالوا اجعل لنا إلها ولا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ولا تتبع سبيل المفسدين
والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار عن عدم رؤيته
إياه على أن لا يراه أبدا وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالته ودعوى
الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن
استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية
بالاستقرار أيضا دليل على الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير
فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى له حياة ورؤية
حتى جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي
دكاء أي أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا أي قطعا دكا
جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما أفاق قال تعظيما
لما رأى سبحانك تبت إليك من الجراءة والإقدام على السؤال بغير إذن وأنا
أول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا قال
يا موسى إني اصطفيتك اخترتك على الناس أي الموجودين في زمانك وهرون
وإن كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني
أسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما
آتيتك أعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي أن
سؤال الرؤية كان يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له في الألواح من
كل شيء مما يحتاجون إليه من أمر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار
والمجرور أي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلف في أن الألواح
كانت عشرة أو سبعة كانت من زمرد أو زبرجد أو ياقوت أحمر أو صخرة صماء
لينها الله لموسى فقطعها بيده وشققها بأصابعه وكان فيها التوراة أو غيرها فخذها
على إضمار القول عطف على كتبنا أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للألواح

أو لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء أو للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك
يأخذوا بأحسنها أي بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار
والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل
إليكم أو بواجباتها فإن الواجب أحسن من غيره ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ
في الحسن مطلقا لا بالإضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف أحر من الشتاء سأريكم
دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها أو منازل عاد وثمود
وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا أو دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى
سأبين لكم من أوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله وأورثنا القوم سأصرف
عن آياتي المنصوبة في الآفاق والأنفس الذين يتكبرون في الأرض بالطبع
على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرف عن إبطالها وإن
اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه بإعلائها أو بإهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون
أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل أو حال من فاعله وإن يروا كل آية
منزلة أو معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد
وهو يؤيد الوجه الأول وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة
وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم
والسقام وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا
عنها غافلين أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز أن
ينتصب ذلك على المصدر أي سأصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة أي ولقائهم الدار الآخرة أو ما وعد الله في الآخرة حبطت
أعمالهم لا ينتفعون بها بل يجزون إلا ما كانوا يعملون إلا جزاء أعمالهم واتخذ
قوم موسى من بعده أي من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا
من القبط حين هموا بالخروج من مصر وإضافتها إليهم لأنها كانت في أيديهم
أو ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر
بالإتباع كدلي ويعقوب على الإفراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم أو جسدا
من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي أن
السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب أثر جبريل فصار حيا وقيل صاغ
بنوع من الحيل يدخل الريح جوفه ويصوت وإنما نسب الاتخاذ إليهم وهو فعله
إما لأنهم رضوا به ولأن المراد اتخاذهم إياه إلها وقرئ جؤار بالهمزة أي صياح
ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم وإخلالهم بالنظر
والمعنى ألم يروا حين اتخذوه إلها أنه لا يقدر على كلام ولا على إرشاد سبيل كآحاد
البشر حتى حسبوا أنه خالق الأجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم أي اتخذوه

اتخذوه إلها وكانوا ظالمين واضعين الأشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل
بدعا منهم ولما سقط في أيديهم كناية عن اشتداد ندمهم فإن النادم المتحسر يعض
يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها
وقيل معناه سقط الندم في أنفسهم ورأوا وعلموا أنهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا
لئن يرحمنا ربنا بإنزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة وقرأهما حمزة والكسائي
بالتاء وربنا على النداء لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى إلى قومه غضبان
أسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث
عبدتم العجل والخطاب للعبدة أو قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون
والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف
تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد
انطلاقي أو من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه
أعجلتم أمر ربكم أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته أو عجلتم
وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم
بعد أنبيائهم وألقى الألواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين
روي أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع
ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيها المواعظ والأحكام
وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهما بأنه قصر في كفهم وهرون كان أكبر منه
بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل قال ابن أم
ذكر الأم ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر
عن عاصم يا ابن أم بالكسر وأصله يا ابن أمي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى
المضاف إلى ياء المتكلم والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيها بخمسة عشر
إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني إزاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت
وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعداء
فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم
بالمؤاخذة أو نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت بأخي ولأخي إن فرط
في كفهم ضم إليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وأدخلنا في رحمتك
بمزيد الإنعام علينا وأنت أرحم الراحمين فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا إن
الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما أمرهم به من قتل أنفسهم
وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين
على الله تعالى ولا فرية أعظم من فريتهم وهي قولهم هذا إلهكم وإله موسى ولعله لم يفتر مثلها
أحد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها

من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالإيمان وما هو مقتضاه من الأعمال الصالحة
إن ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وإن عظم الذنب كجريمة عبدة العجل
وكثر كجرائم بني إسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب
باعتذار هرون أو بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث إنه جعل الغضب
الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ
سكت وأسكت على أن المسكت هو الله تعالى أو أخوه أو الذين تابوا أخذ الألواح
التي ألقاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل
فيما نسخ منها أي من الألواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة إرشاد إلى الصلاح
والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخر أو
حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى
قومه أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل إليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما
أخذتهم الرجفة روي أنه تعالى أمره بأن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فاختار
من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال إن
لمن قعد أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه
غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف
الغمام فأقبلوا إليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي
الصاعقة أو رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي
تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما رأى أو بسبب آخر عنى به أنك قدرت على إهلاكهم
قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم وبإغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالإنقاذ
منها فإن ترحمت عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم إحسانك أتهلكنا بما فعل السفهاء
منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل
السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنهم فغشيتهم هيبة
قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف عليهم
موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك
حتى طمعوا في الرؤية أو أوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء
ضلاله بالتجاوز عن حده أو باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها إيمانه
أنت ولينا القائم بأمرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وأنت خير الغافرين
تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة
وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا إليك من هاد يهود
إذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده إذا أماله ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل
والمفعول بمعنى أملنا أنفسنا أو أملنا إليك ويجوز أن يكون المضموم أيضا مبنيا

مبنيا للمفعول على لغة من يقول عود المريض قال عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه
ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها
فسأثبتها في الآخرة أو فأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يتقون الكفر
والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لإنافتها ولأنها كانت أشق عليهم
والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي
مبتدأ وخبره يأمرهم أو خبر مبتدأ تقديره هم الذين أو بدل من الذين يتقون بدل
البعض أو الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وإنما سماه رسولا
بالإضافة إلى الله ونبيا بالإضافة إلى العباد الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه
تنبيها على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في
التوراة والإنجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات
مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير أو كالربوا والرشوة
ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف
الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطاء وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع
النجاسة وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحركة لثقله
فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير
ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أي مع نبوته يعني القرآن وإنما سماه نورا لأنه
بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أو لأنه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز أن يكون معه متعلقا باتبعوا
أي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون إشارة إلى اتباع الكتاب والسنة أولئك
هم المفلحون الفائزون بالرحمة الأبدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
مبعوثا إلى كافة الثقلين وسائر الرسل إلى أقوامهم جميعا حال من إليكم الذي له
ملك السموات والأرض صفة لله وإن حيل بينهما بما هو متعلق بالمضاف إليه لأنه كالمتقدم
عليه أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ وخبره لا إله إلا هو وهو على الوجوه الأول بيان لما قبله
فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالألوهية
فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل
من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على إرادة الجنس أو القرآن أو عيسى تعريضا لليهود وتنبيها
على أن من لم يؤمن به لم يعتبر إيمانه وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات
الداعية إلى الإيمان أو الاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين
تنبيها على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد خطط ومن قوم موسى يعني
من بني إسرائيل أمة يهدون بالحق يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق وبه وبالحق
يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الإيمان القائمون بالحق من أهل زمانه

اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم
اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله
ليلة المعراج وامنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة
مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا
بدل منه ولذلك جمع او مميز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي
عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانه امما على الاول بدل بعد بدل او نعت اسباطا
وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان
اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف
في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا
قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم
المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية
بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة
معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له هنا اكتفاء بذكره
ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على ادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة
بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج
الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب
تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو
خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا
يظلمون مضى تفسيره فيها واسالهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام
بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها
وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور
على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حد الله
بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه
بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون
واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات الصيد يوم السبت
وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة
لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله لا يسبتون
لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى
لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من

شرع عليها اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد
نبلوهم بسبب فسقهم وقيل متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء
متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية
يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما
الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوه
مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم
او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة
اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي
موعظتنا انهاء عذر الى الله تعالى حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرا
حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة
ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به
ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء
ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرا
ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس
كحذر كما قرئ مخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة
ياء كما قلب في ذئب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على
قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس على وزن فاعل بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا
عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك
فمسخهم ويجوز ان تكون الاية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا
من اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما
ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا
انسابهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تاتي انسابهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم
ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل
من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله
واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم
الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم
سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام
بخت نصر فخرب ديارهم وقاتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على
من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم

نفعل بما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب
اي عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم
فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان
او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم
ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم
وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون
ويرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم اي من بعد المذكورين خلف بدل سوء
مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف
بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب
التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى
حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى
في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله
بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر
يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة
مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به
اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء
على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى
لانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء
افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الذي المؤدي الى العقاب بالنعيم
المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون
بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض او
مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها
على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة
لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه
فوقهم واصل النتق الجذب كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا
انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما
اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها
فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار
القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم
على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي

لعلكم

لعلكم تتقون قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم
بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم
واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في
عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى
فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل
عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا
غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء
لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم
لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون
يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية
كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر وقد حققت
الكلام فيه في شرحي كتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود
بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم الميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية
والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل
الآيات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود
نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت فانه كان
قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو
فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعورا من الكنعانيين
اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها اي من الآيات بان كفر بها واعرض عنها
فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روي
ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا
عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها
بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة
واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق
رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب
لرفعه وان عدمه دليل على عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي
هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث
ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه
اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل
خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو

ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او
ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان
من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع
موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما
دعا على موسى عم خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل
القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم
يتفكرون تفكرا يؤديهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ
ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها
وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا
بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب الايات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا
بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهدي الله
فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال
من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد
في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم
بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء
وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم
بالنعم الاجلة والعنوان لها ولقد ذرانا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني
المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة
الحق والنظر الى دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله
نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها الايات والمواعظ سماع تامل وتذكر
اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في
ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل
فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية
جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد
بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون
في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم
معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه
كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق
اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه واعرضوا عنهم
فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرا حمزة يلحدون بالفتح

بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون
ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه
خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع
لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا تزال من امتي
طائفة على الحق الى ان ياتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول عليه السلام او غيره
لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم
الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة
من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله
بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم
عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره
احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه السلام من جنة
جنون روي انه عليه السلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله
تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا
نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظره اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت
السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الاجناس التي لا يمكن
حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها
ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت
وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم
ينظروا في اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل
مغافصة الموت ونزول العذاب فباي حديث بعده اي بعد القرآن يؤمنون
اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام
الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم
قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم
يؤمنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا ومن يضلل الله فلا هادي له
كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرا ابو عمرو
وعاصم ويعقوب بالياء لقوله ومن يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا
على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم
يسالونك عن الساعة عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها
اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة ايان مرساها
متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة
واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت اليه لان البعض اوي

اى الكل قل انما علمها عند ربى استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا
لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها فى وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره
الى وقت وقوعها واللام للتوقيت كاللام فى قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس
ثقلت فى السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها
وكانه اشارة الى الحكمة فى خفائها لا تأتيكم الا بغتة فجأة على غفلة
كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس وان الرجل يصلح حوضه والرجل
يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسئلونك
كانك حفى عنها عالم بها فعيل من حفى عن الشئ اذا سأل عنه فان من بالغ فى السؤال
عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة يسألونك
وقيل هى من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل
لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك عنها كانك حفى تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم
بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفى من حفى بالشئ اذا فرح بالسؤال عنها تحبه الى
نكرة لانه من الغيب الذى استأثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك
لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله
لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر
وهو اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم بالغيب الا ما شاء الله من ذلك
فيلهمنى اياه ويوفقنى له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء
ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ما هى عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار
حتى لا يمسنى سوء ان انا بشير ونذير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة
لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير
محذوف هو الذى خلقكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وجعل منها من جسدها
من ضلع من اضلاعها او من جنسها لقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء
ليسكن اليها ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشئ الى جزئه او جنسه وانما ذكر
الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشيها اى جامعها حملت حملا خفيفا
خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو
النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف و
فاستمرت وفمارت من المور وهو المجئ والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل
وارتابت به فلما اثقلت صارت ذا ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول
اى اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن
من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما
آتاهما اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناة

مناة على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله
عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعنى الاصنام وقيل لما حملت
حواء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب
وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهمّا منه ثم عاد اليها فقال
انى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه
فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا فى الملائكة فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث
وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب فى خلقكم لبنى قصى من قريش
فانهم خلقوا من قصى وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله الولد
فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار ويكون
الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اى شركة
بان اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جئ به على تسميتهم
اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اى لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون
عنها ما يعتريها وان تدعوهم اى المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم
وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى تدعوهم الى ان
يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مستو
بالثبات على الصمات لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم
دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اى
تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم نحتوها بصور الاناسى قال لهم
ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق
بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان الذين
بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله
ويبطشون بالضم ههنا وفى القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم فى عداوتى
ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهى انتم وشركاؤكم فلا تنظرون ولا تمهلون
فانى لا ابالى لكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه ان وليى الله الذى نزل الكتاب القرآن
وهو يتولى الصالحين اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن
انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام
التعليل لعدم مبالاتهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم
لا يبصرون يشبهون الناظر اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه

خذ العفو اى خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو
الذى هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك
قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين
فلا تمارهم ولا تكافهم مثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول
باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اى وسوسة تحملك
على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكرة والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه
وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله
انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من
آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة للشيطان
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف
يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به
الخيال يطيف طيفا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب طيف على انه
مصدر او تخفيف طيّف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره
تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكائد
الشيطان فيتحذرون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا
قوله واخوانهم يمدونهم اى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين
فى الغى بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم
بالتسهيل والاغراء وهولاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون
عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى ولا يكفون عن الغى
ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين
فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم باية من القران او مما اقترحوه قالوا
لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقراوه او هلا طلبتها من الله
قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى لست بمختلق للايات او لست بمقترح لها
هذا بصائر من ربكم هذا القران بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القران فاستمعوا له و
انصتوا لعلكم ترحمون نزلت فى الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة
الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرا القران مطلقا وعامة
العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف
واذكر ربك فى نفسك عام فى الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم
بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعى تضرعا وخيفة متضرعا
وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل فى الخشوع

والاخلاص بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال
وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله
ان الذين عند ربك يعنى ملائكة رفيق الملاء الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض
بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا
قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية	بسم الله الرحمن الرحيم	وايها خمس وسبعون

يسئلونك عن الانفال اى الغنايم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية
من الله تعالى وفضل منه كما سمى به ما يشترطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهم
قل الانفال لله والرسول اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله تعالى
وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنايم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون
منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن كان له غناء
ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان
المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة
تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا
قيل لا يلزم الامام ان يفى بما وعد وهو قول الشافعى وعن سعد بن ابى وقاص قال
لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى
القبض فطرحته وبى ما لا يعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا
حتى نزلت سورة الانفال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتنى السيف وليس لى
وانه قد صار لى فاذهب فخذه وقرئ يسئلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسئلونك الانفال اى يسئلك الشبان
ما شرطت لهم فاتقوا الله فى الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم بالمواساة
والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه
ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ذلك او ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان
بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان
انما المؤمنون اى الكاملون فى الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت
لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل الذى يهم بمعصية فيقال له اتق الله

فيرع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا
تليت عليه آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين
بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون
ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا
لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم الاخلاق واعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة
مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامات
وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم
اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ
محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة
مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا
مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها
مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال
كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل
عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال
وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء
النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا
وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء
فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت
بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما ترضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم
فخرج ابو جهل باهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما
في السنة وكان رسول الله عليه السلام بوادي ذفران فنزل عليه جبرئيل بالوعد
باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا
ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد
مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير
ودع العدو فغضب رسول الله فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة
فقال انظر امرك فوالله لو سرت بنا الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال مقداد بن عمرو امض حيث امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول
لك كما قال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا

انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها
الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة
انهم براء من ذمامه عليه السلام حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا
على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال
اجل قال لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت
فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا
رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا
على بركة الله فابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الآن
انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير
فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى
الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك
الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا
باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة
من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم
اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت
لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى
ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل اشتمال وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها
ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من
واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه
الحالة او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم
والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار
الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير
لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي
على حمل الرسول الى اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك
اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم
انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا
يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين
وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي

ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه
فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب
لكم اني ممدكم بحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو بالكسر على ارادة القول
او اجرى استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين
متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته انا اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا
المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرا نافع ويعقوب مردفين
بفتح الدال وضمها اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم
وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال
فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف
ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين
كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم
وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر
ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله
ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تاثير لها
فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكروا
وقرا بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى
وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له
باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة
فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة
فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف
فلما غشاهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى
عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة
لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر
تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء
فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون
محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله تعالى وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله
المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب
واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبينه حتى تثبت عليه الاقدام وزالت
الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام

اي بالمط

اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك
بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي
وقرئ بالكسر على ارادة القول واجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة
او بتكثير سوادهم او محاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب
كالتفسير لقوله تعالى اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك
جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله
كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون بالمؤمنين به كانه قال قولوا قولي هذا فاضربوا
فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع
اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب
للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم
واشتقاقه من الشق لان كلا من المعاندين في شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة
من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير
للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة
على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل
عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين
عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم
مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب
العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين آمنوا
اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف
الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال
فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة
لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل
والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من
الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد
الحرب او متحيزا الى فئة اي منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم
ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي ابن عمر رضي الله عنه انه كان في سرية بعثهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم
العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء
من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا
لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو

على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر
والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم
عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال صلى الله
عليه وسلم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني
اسألك ما وعدتني فأتاه جبرائيل وقال له خذ قبضة من التراب فارمهم بها فلما
التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم
يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا
اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف
تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها
الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى
اتى بما هو غاية الرمي واوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم
وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه
ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصى ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل
في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات
او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن الحقيق على فراشه والجمهور
على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين
وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات
ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء
الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن
كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود وبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال
حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة
والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك
انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين
واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم
لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن
تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم
وان الله مع المؤمنين بالنصرة والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح
على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول
فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم
اذ لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في الايمان ويؤيد ذلك يا ايها الذين

آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد
من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على
ان طاعة الله تعالى في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل
الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ
سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا
السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا ان شر الدواب
عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون
اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله
فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد
علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون
لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد
لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين استجيبوا لله وللرسول بالطاعة
اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه صلى الله
عليه وسلم مر على باب ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك
عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه
فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان
لامر لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله فظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم
من العلوم الدينية والدنيوية فانها حيوة القلب والجهل موته وقال لا تعجبن الجهول
حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم من الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد
والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او من الشهادة
لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه
من العبد لقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب
ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل
ان يحول الله بين المرء وقلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ
عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان
ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء
واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من شدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر
بين اظهركم والمداهنة بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد
على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيبن الظالمين منكم
خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي

ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه
شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى
جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف
كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر
باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه
ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على
ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم
قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين
وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان
يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين
لهم فآواكم الى المدينة اي جعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره
على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات
من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم
روي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح
اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فأبى
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان
مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم
سعد بن معاذ فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت
اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق
طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه
ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى
يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من
تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال
عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء
التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم
بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون
او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانه سبب الوقوع
في الاثم او في العقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة
وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضى الله عنهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم
بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون

بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين
او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم
من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها
ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد
ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على
ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه
كالسيد اذا وعد عبده انعاما على ما عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر
قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى
واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق والحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه
حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك
او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار
ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس
في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني
رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه
طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه
ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم
فلا يضركم فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى
بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى
فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل فاخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا كرم الله وجهه
على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم
عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم
فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن
للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا
قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما
فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره صلى الله عليه وسلم
وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم
وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط
استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره
الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود

روى انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال النبي صلى الله عليه وسلم ويلك
انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة
على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام
على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه
الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله
لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم
والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب
استيصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم
اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى
لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون
وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك فكيف لا يعذبون وهم يصدون
عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره
مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت الحرام فنصد من نشاء وندخل
من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره الا الله
وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم
من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت
اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو
اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكاء وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصد
على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم
ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن
هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين اصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي عليه السلام ان يصلي يخلطون
عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر
وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم
تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم
عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش
من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش
ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد

والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار
عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل
وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق
ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها
من غير مقصود وجعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر
وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم
بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن
والفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم
تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا
لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم
كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم
الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني
ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام
يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على خطابهم ويغفر على البناء للفاعل
وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء
بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد
فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر
فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون
بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر
الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم
للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم
ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب
من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه
اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ
فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق
غير ان سهم الرسول يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان
رضي الله عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى

سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية وعن مالك
رحمه الله الامر فيه مفوض الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية
الى ظاهر الاية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه السلام
كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال
وقيل مضموم الى سهم الرسول وذوو القربى بنو هاشم وبني المطلب لما روي انه عم
قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما هؤلاء اخوتك
بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا من بني المطلب
اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية
ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش
الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله
لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم فالعطف للتخصيص والاية
نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف
من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل
عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم
واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه
مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد عليه السلام
من الايات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان
يوم بدر فانه فرق بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله
على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة
الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها
والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى
البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا تفرقة بين الاسم
والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير
او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى
جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر
مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا تمشي فيها الا
بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم
في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد
هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا

للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد
ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى
ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له
حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن
عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك
ومن اسلم المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك
بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل
وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع
بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك
قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على
عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر في امر القتال وتفرقت آراؤكم
بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم
بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين
حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا
لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه
اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترءوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى
يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة
فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد
وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط
ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء
على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع
الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا
يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في
مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم
من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه
عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال
واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي
وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث

انها فی تمشی امرها ونفاذه شبهت بها فی هبوبها ونفوذها وقیل المراد بها الحقیقة فان
النصرة لا تکون الا بریح یبعثها الله وفی الحدیث نصرت بالصبا واهلکت عاد بالدبور
واصبروا ان الله مع الصابرین بالکلاءة والنصرة ولا تکونوا کالذین خرجوا من دیارهم
یعنی اهل مکة حین خرجوا منها لحمایة العیر بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس لیثنوا علیهم
بالشجاعة والسماحة وذلک انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابی سفیان ان ارجعوا
فقد سلمت عیرکم فقال ابو جهل لا والله حتی نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علینا
القیان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولکن سقوا کأس المنایا وناحت
علیهم النوائح فنهی المؤمنین ان یکونوا امثالهم بطرین مرائین وامرهم بان یکونوا اهل تقوی
واخلاص من حیث ان النهی عن الشیء امر بضده ویصدون عن سبیل الله معطوف
علی بطرا ان جعل مصدرا وکذا ان جعل مفعولا له علی تأویل المصدر والله بما یعملون
محیط فیجازیهم علیه واذ زین لهم الشیطان مقدر باذکر اعمالهم فی معاداة الرسول
وغیرها بان وسوس الیهم وقال لا غالب لکم الیوم من الناس وانی جار لکم مقالة
نفسانیة والمعنی القی فی روعهم وخیل الیهم انهم لا یغلبون ولا یطاقون لکثرة عددهم
وعددهم واوهمهم ان اتباعهم ایاه فیما یظنون انها قربات مجیر لهم حتی قالوا اللهم انصر
اهدی الفئتین وافضل الدینین ولکم خبر لا غالب او صفته ولیس صلته والا لانتصب
کقولک لا ضاربا زیدا عندنا فلما تراءت الفئتان ای تلاقی الفریقان نکص
علی عقبیه رجع القهقری ای بطل کیده وعاد ما خیل الیهم انه مجیرهم سبب هلاکهم
وقال انی بریء منکم انی اری ما لا ترون انی اخاف الله ای تبرأ منهم وخاف علیهم
وایس من حالهم لما رأی امداد الله المسلمین بالملائکة وقیل لما اجتمعت قریش
علی المسیر ذکرت ما بینهم وبین کنانة من الاحنة وکاد ذلک یثنیهم فتمثل لهم ابلیس
بصورة سراقة بن مالک الکنانی وقال لا غالب لکم الیوم وانی مجیر لکم من بنی کنانة
فلما رأی الملائکة تنزل نکص وکان یده فی ید الحارث بن هشام فقال له الی این
اتخذلنا فی هذه الحالة فقال انی اری ما لا ترون ودفع فی صدر الحارث وانطلق
وانهزموا فلما بلغوا مکة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلک فقال والله ما شعرت
بمسیرکم حتی بلغتنی هزیمتکم فلما اسلموا علموا انه الشیطان وعلی هذا یحتمل ان یکون
معنی قوله انی اخاف الله انی اخافه ان یصیبنی بمکروه من الملائکة او یهلکنی ویکون الوقت
الموعود اذ رأی فیه ما لم یر قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شدید العقاب
یجوز ان یکون من کلامه وان یکون مستأنفا اذ یقول المنافقون والذین فی قلوبهم
مرض والذین لم یطمئنوا الی الایمان بعد وبقی فی قلوبهم شبهة وقیل هم المشرکون
وقیل المنافقون والعطف لتغایر الوصفین غر هؤلاء یعنون المؤمنین دینهم
حتی تعرضوا لما لا یدی لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الی زهاء الف ومن یتوکل

علی الله جواب لهم فان الله عزیز غالب لا یذل من استجار به وان قل حکیم
یفعل بحکمته البالغة ما یستبعده العقل ویعجز عن ادراکه ولو تری ولو رأیت
فان لو تجعل المضارع ماضیا عکس ان اذ یتوفی الذین کفروا الملائکة ببدر واذ
ظرف تری والمفعول محذوف ای ولو تری الکفرة او حالهم حینئذ والملائکة فاعل
یتوفی ویدل علیه قراءة ابن عامر بالتاء ویجوز ان یکون الفاعل ضمیر الله تعالی
وهو مبتدأ خبره یضربون وجوههم والجملة حال من الذین کفروا واستغنی فیه بالضمیر
عن الواو وهو علی الاول حال منهم او من الملائکة او منهما لاشتماله علی الضمیرین وادبارهم
ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعمیم الضرب ای یضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا
عذاب الحریق عطف علی یضربون باضمار القول ای ویقولون ذوقوا بشارة
لهم بعذاب الآخرة وقیل کانت معهم مقامع من حدید کلما ضربوا التهبت النار منها
وجواب لو محذوف لتفظیع الامر وتهویله ذلک ای العذاب والضرب بما قدمت
ایدیکم بسبب ما کسبتم من الکفر والمعاصی وهو خبر لذلک وان الله لیس بظلام
للعبید عطف علیه للدلالة علی ان سببیته مقیدة بانضمامه الیه اذ لولاه لامکن ان
یعذبهم بغیر ذنوبهم لا ان لا یعذبهم بذنوبهم فان ترک التعذیب من مستحقه لیس بظلم
شرعا حتی ینتهض نفی الظلم سببا للتعذیب وظلام للتکثیر لاجل العبید کدأب آل فرعون
ای دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطریقهم الذی دأبوا فیه ای داموا
علیه والذین من قبلهم من قبل آل فرعون کفروا بآیات الله تفسیر لدأبهم فاخذهم الله
بذنوبهم کما اخذ هؤلاء ان الله قوی شدید العقاب لا یغلبه فی دفعه شیء ذلک
اشارة الی ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم یک مغیرا نعمة انعمها علی قوم مبدلا
ایاها بالنقمة حتی یغیروا ما بانفسهم یبدلوا ما بهم من الحال الی حال اسوء کتغییر قریش
حالهم فی صلة الرحم والکف عن تعرض الآیات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه
منهم والسعی فی اراقة دمائهم والتکذیب بالآیات والاستهزاء بها الی غیر ذلک مما احدثوه
بعد المبعث ولیس السبب عدم تغییر الله ما انعم علیهم حتی یغیروا حالهم بل ما هو المفهوم له
وهو جری عادته تعالی علی تغییره متی غیروا حالهم واصل یک یکن فحذفت الحرکة
للجزم ثم الواو لالتقاء الساکنین ثم النون لشبهه بالحروف اللینة تخفیفا وان الله
سمیع لما یقولون علیم بما یفعلون کدأب آل فرعون والذین من قبلهم کذبوا
بآیات ربهم فاهلکناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تکریر للتأکید ولما نیط به
من الدلالة علی کفران النعم بقوله بآیات ربهم وبیان ما اخذ به آل فرعون وقیل
الاول لتشبیه الکفر والاخذ به والثانی لتشبیه التغییر فی النعمة بسبب تغییرهم ما بانفسهم
وکل من الفرق المکذبة او من غرقی القبط وقتلی قریش کانوا ظالمین انفسهم
بالکفر والمعاصی ان شر الدواب عند الله الذین کفروا اصروا علی الکفر ورسخوا فیه

فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم
لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف
وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا
بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم
عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ
والمراد بالمرة مرة المعاهدة والمحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله
فيه او نصرة المؤمنين وتسليطهم عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم
في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم
من ورائهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه
مقلوب شذر والمعنى واحد فانه اذا شرذ من ورائهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم
يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد
بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق
قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخبر
او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق
سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين
تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف
ولا يحسبن خطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا
مفعولاه وقرا ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم
او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا
وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم
لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين
اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله
ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف
ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت
من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او الكفار ما استطعتم من قوة
من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول
على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله صلى الله عليه وسلم خصه بالذكر لانه
اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر
سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابطه مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال
وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبرائيل

وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد
والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم
من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم
لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم
جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل ونقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح
وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح او الاستسلام وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها
وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف
من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم وحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم
العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها
اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك
قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي
ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة
في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا
كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لو انفقت ما في الارض جميعا
ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم
ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته
البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة
لا يعصي عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الاية في الاوس
والخزرج وكان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك
والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك
ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء
واشتجر القنا فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين
او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر
وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم
عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في اسلامه
يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه
المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة
الواحد العشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر تكن بالتاء في الايتين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة بانهم قوم

لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب
وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن
خفف عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن
منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات
لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا
بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بتكرير الاعداد والمناسبة للدلالة
على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا
متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين
والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد
ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه
حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله
الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء
والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع
اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ
ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق
بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين
وخيره بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام
اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم
فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها
اصحابك فقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفرة وان الله اغناك عن الفداء
مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم
يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى
تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة
وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم عليه السلام قال فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح عليه السلام قال لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء
بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض الله تعالى
علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون
وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله
سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر

بدرا او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم
فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا
منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية
فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف
تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر
للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع
في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا
واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي
قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس
كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب
ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب
الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في
وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقثم
فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله
وانك رسول الله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال
العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر
المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني
الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ
بالعقل من قبل فامكن منهم فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك
منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا اوطانهم وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم
حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج
وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين
الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون
والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها
لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم
وبينهم ميثاق فانه لا ينقض عهدهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم

أولياء بعض في الميراث والموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ما أمرتم به
من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار
تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد
كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين
آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلثة اقسام بين ان الكاملين
في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال
ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة لهم ولا منة فيه
ثم الحق بهم في الامر من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه في اللوح او القرآن
واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة
في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد بانه برئ من النفاق
واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له
ايام حيوته

الا قوله لقد جاءكم		سورة براءة مدنية		

رسول من انفسكم وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة
والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب
لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها
والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم ويذكر عذابهم

	وآيها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون	

وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها
وكانت قصتها تشابه الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة
نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلف الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع
الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله
اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز
ان تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ
بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد الذي عاهدتم به
المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريا منها
وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بنو ضمرة وبنو كنانة فامرهم
بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال

فسيحوا

فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت
في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر
لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر
رضي الله عنه اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل
مني فلما دنا علي رضي الله عنه سمع ابو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما
كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة
فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية
ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله
ولا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه بعث لان يؤدي عنه كثير لم يكونوا
من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه
على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا
الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان اهملكم وان الله مخزي
الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس
اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين
يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه
ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا
يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف الحج
بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله
فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده
اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله
برئ من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في برئ او على
محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب
عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار
بثبوت البراءة وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص
بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة
او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا
ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم
من المشركين استثناء من المشركين او استدراك كانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد

الى الناكثين ولكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوا
ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من عدوكم فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين
تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ
خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها
وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف بالاجماع فانه
يقتضي بقاء الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين
حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم
واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا
يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا
لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله
غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم
الثواب بالتوبة وان احد من المشركين اي المامورين بالتعرض لهم استجارك استامنك
وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر
ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء
لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان
وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد
ولان يثبتوا مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون
كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له
او ليكون وكيف على الاخرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين
عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل
او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا
على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية
والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد
او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله خبرتماني انما الموت
بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم
ان يظفروا عليكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان
لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق

اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه
ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية
وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري
بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرال وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله
يرضونكم بافواههم استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم
مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون
ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال
واستبطان الكفر والمعادات بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه
وتابى قلوبهم ما تفوهوا به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم
ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف
عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران ثمنا قليلا عرضا
يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته
بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراهم اداهم الى الصد انهم ساء
ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة
فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا
وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون
في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم
في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث
على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد
عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم
بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر
موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل
بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع عن مراقبتهم وقرا
عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح
بالياء لحن انهم لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل
على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان
يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان
لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به
من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم
معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم
في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون

قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل
نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم
فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة
على ما ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا
باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بدأهم
بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة
فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه
منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان
قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه
والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر
عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل
بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم
لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء
ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب
على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم
تسبب لتوبة قوم اخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم
الا على وفق الحكمة ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم خطاب
للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ
على الحسبان ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد
نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه
ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان
تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله
ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا
عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع
ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر
باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا
بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس
عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال
تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج

ونفك

ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك
وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
واقام الصلوة وآتى الزكوة انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية
والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر
ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد
تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان
بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة
وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية
لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره
بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع
بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك
باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر
سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج
كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة سقاة الحاج
وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم
المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله
لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة
فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين
يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات
او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى
عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم دائم
وقراءة حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف
خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده
اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله ونعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا
ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل
نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يثبطونكم
عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه

وحضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها
قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم مأخوذ
من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ
ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون
كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف التحفظ عنه
فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل
فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل
من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها
ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر المواطن
بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على
موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم
واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول
صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا
فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا اربعة آلاف
فلما التقوا قال النبي عليه السلام او ابو بكر رضي الله عنه او غيره من المسلمين لن نغلب
اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم
على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه
ليس معه الا عمه عباس رضي الله عنه آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث
وناهيك كافيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس
فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون
لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس
ثم اخذ كفا من تراب فرماهم بها ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم
اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت
برحبها اي بسعتها لا يجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسهم من شدة الرعب ولا يثبتون
فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب
الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا على رسوله
وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين
ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني
الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين
كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين ما فعل بهم جزاء كفرهم

كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام
والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي
اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل
والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب
شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم
بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه
ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه
فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا
الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه
يجب ان يجتنب عنهم كما يجب ان يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يتجنبون
عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته
نجس وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ بالسكون
وكسر النون وهو كلبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام
لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي
عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس
مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حج الوداع
فان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم عن الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب
والارزاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز
وعده بان ارسل عليهم مدرارا ووفق تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح
عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار البلاد وقرئ عائلة على انها مصدر
كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله ولينبه على انه متفضل
في ذلك فان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم
باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لا يؤمنون
بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله
ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى
انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي
هو ناسخ الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى
يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال
عن الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم مسلمين بايديهم غير باعثين

بايدي غيرهم ولذلك منع عن التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير
او عن يد قاهرة عليهم عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن
انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس
رضي الله عنه تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الاية يقتضي تخصيص الجزية
باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوسي حتى شهد عنده
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه
قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما
سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة رحمه الله تؤخذ منهم الا من مشركي العرب
لما روى الزهري انه عليه السلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعن مالك
تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة
رحمه الله على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب
ربعها ولا شيء على الفقير غير الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قال بعضهم
من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر
من يحفظ التورية حفظا وهو لما احياه الله تعالى بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا
فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم
ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي
ويعقوب بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى
اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحرف اللين او لان
الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى
تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول
بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه
والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تأكيد لنسبة هذا القول
اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد
في افواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم
قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم
والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله
او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به
عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض
قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم
انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم

لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون اربابا
فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى
واما طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله
الا هو صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له
عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته
وتقدسه عن الولد او القران او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بافواههم بشركهم
او تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام
وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب
بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه
وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون
محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر
ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا
الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام
في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين
امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها
بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله
دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به
الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن
وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه
بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي
من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد
على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله عليه السلام من ترك
صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد منه حقها لقوله عليه السلام
فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب
ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى
بها جنبه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم
توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم
حذف النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث
الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة

كما قال علي كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها
كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيها للكنوز والاموال فان الحكم عام وتخصيصها
بالذكر لانها قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب
اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان
لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا
عن السائل واعرضوا عنه وولوا ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة
فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها
اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم
على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا
ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بالضم ان عدة الشهور
اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله
في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات والارض
متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت
في نفس الامر مذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب
وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة
هو الدين القيم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما
فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة
فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم
وحال الاحرام وعن عطاء لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان
يقاتلوا او يبدأ الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين
في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر
كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله
مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقويهم انما النسيء اي تأخير
حرمة الشهر الى شهر آخر وكانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا
مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية
ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسء بحذفها والنسيء
والنساء والنسي كلها مصادر نساه اذا اخره زيادة في الكفر لتحريم ما احل الله
وتحليل ما حرم فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا
وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل
على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه
شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك

جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم
قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي
ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين
فيحلوا ما حرم الله بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء
اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم الله واضلهم حتى حسبوا
قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء
يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ
تثاقلتم على الاصل وااثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ والانكار الى الارض متعلق
كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها
بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق
عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع
الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا
الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو
ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس
ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء
وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة
ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة
بلا مدد كما قال الله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره
كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف
الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصر
حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة
لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له في الخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون
على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما
في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب
في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول
بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله تعالى عنه لا تحزن
ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق
ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام
ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه
وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت

فنبحث عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه
على النبي او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني
الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب
وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
يعني الشرك او كلمة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى
وجعل ذلك بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدا له او بتاييده
اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب كلمة الله
بالنصب عطفا على كلمة الذين كفروا والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله
عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل
والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم
او لقلة عيالكم او لكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا
ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعليّ ان انفر
قال نعم حتى نزلت ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه
خير وان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا
اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا
لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ
بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك
معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ
لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا
معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع
قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون
لان الحلف الكاذب ايقاع النفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم
انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية
عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم لما كني عنه بالعفو
ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا
بالاكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في اعذار وتعلم الكاذبين
فيه قيل انما فعل رسول الله شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين
فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا
فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يتوقفون على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوا

في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف
كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك
في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر
في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له
للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر
الذي وعدوا وعدة بكسر العين باضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك
عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره
انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين
تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او
حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم
وعلى الوجهين لا يخلوا عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا
اي فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان
الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء
منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولا وضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم
بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم
الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم والجملة حال
من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم اي ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون
يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد
ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي
واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول عليه السلام الى ذي جدة اسفل
من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل
ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله
علا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم
وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة
لاعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه
ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان
والمخالفة بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن
او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة
بنات الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء
فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي

ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه
وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الآن لان احاطة اسبابها بهم
كوجودها ان تصبك في بعض غزاتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط
حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد
يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في
التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول وهم فرحون
مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة
او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل
يصيبنا وهل يصيّبنا وهو من فيعل لا من فعّل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم
يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب
هو مولينا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتكلوا
على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين
اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى
السوأتين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب
بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم
قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم
انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول
كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب جد بن قيس
واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم
كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم
الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقي
وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون
الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون
فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين
مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق
الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم
ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون
الاسلام تقية لو يجدون ملجأ اي حصنا يلجؤن او مغارات غيرانا او مدّخلا

نفقا

نفقا يندسون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مَدخلا من دخل وقرئ مُدخلا
اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومندخلا من تدخل واندخل لولّوا اليه لاقبلوا نحوه
وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه
الجمازة ومنهم من يلمزك وقرئ يلمُزك بالضم ويلمّزك ويلامزك في الصدقات
في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها
نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم
في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب
اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل
فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتيهم الله
ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة والصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على ان ما فعله
الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله ورسوله
صدقة او غنيمة اخرى فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله
والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين
مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات
للفقراء والمساكين اي لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد
باللمز لمزهم في قسم الزكوة دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا
من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال وكسب لا يكفيه
من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله اما السفينة فكانت لمساكين
وانه صلى الله عليه وسلم سأل المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى
او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم
قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم
ومراعاتهم اسلام نظائرهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصين
والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون
على ان يسلموا فانه عليه السلام كان يعطيهم من خمس الخمس والاصح انه يعطيهم
من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على
قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله
تعالى وكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون
المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك
واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق
للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم

في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء
لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم
او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين
للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق على
المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء القناطر والمصانع
وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية
اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في الفقراء وقرئ
بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية
يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل
صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي
وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها
الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي
شيخي ووالدي رحمه الله على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب
قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له
ويصدقه بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي
الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل
روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول
قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه
يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة
ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان
التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا
منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل
قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير
وقرئ بالنصب بفعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن
بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا
او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه
احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام
في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك
ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله
ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي

اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب
محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم
يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم
بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل
فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرو ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم
ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر
وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزؤا ان الله مخرج مبرز
او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره
من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين
مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل
يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم
فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكنا
كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله
كنتم تستهزؤن توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم
ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب
قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهار الايمان
ان يعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء
والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله
وان تعف بالتاء والبناء للمفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان
كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى
وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين
وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان
والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله
اغفلوا ذكره وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم
الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا
وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم الله من رحمته واهانهم
ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق
كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا

اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم
فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير
فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين
باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة
والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيد الذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم
وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا
او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لم يستحقوا
عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة
الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح
وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب
مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم
لوط ائتفكت بهم اي انقلبت فصارت عاليها سافلها وامطروا الحجارة من سجيل
وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلابهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم
يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس
كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان
السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده حكيم
يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث
انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود
وعنه صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها
غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك
ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل
التوزيع او الى تغاير وصفه فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي
يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب
العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين
لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله
اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء

باللقاء وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون
وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل
من ذلك قالوا واي شئ افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم
ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا
وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة عليهم واقامة
الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم
يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه السلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه
القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا
حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت
فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان خمسة
عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يرفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم
العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام ناقته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها
فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فقال اليكم
اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا
عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا
او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل
المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته
اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ عن اعم المفاعيل والعلل فان
يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان
يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة في الدنيا بالقتل
والاسر والاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة
ابن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عم
يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق
لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود
حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنه فقيل كثر حتى لا يسعه واد يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة
واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية او اخت الجزية فارجعا حتى

اري زاني فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني ان
اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال عليه السلام هذا عملك
وقد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر
فلم يقبلها ثم جاء الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك بها في زمان
عثمان فلما اتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله
وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم
اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون
الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله
بالموت او يلقون عملهم اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه
من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد
متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او في المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد
الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله
يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجويهم
وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب
فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم
وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي
انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم
وقال كان لي ثمانية الاف درهم فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم
وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري فقال
بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا
ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل
ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون
الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه
فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى
الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به
التساوي بين الامرين في عدم الافادة كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت

فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم
من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه
حكم ما وراءه فبين له ان المراد التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة
والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد
فكأنه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس
من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم
قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين
في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر
والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه
على عذر الرسول عليه السلام في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم
انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم
اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو
خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه
على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا
للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض للمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل
رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه
للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون
ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والاخرة
اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء
كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة
منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم
لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك
للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي
عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له
وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم عن تخلفهم واول مرة هي الخرجة
الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد
كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد
منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم

في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده
ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت
وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة
عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس
قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو
ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر
فان احياء الكافر للتعذيب لا للتمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف
عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله
ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والامر
حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها
ويجوز ان يكون في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القران ويجوز
ان يراد بعضها ان امنوا بالله بان امنوا بالله ويجوز ان يكون ان المفسرة
وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا
ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف
مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة
لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم ان تخلف هؤلاء
ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين
النصرة والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله تعالى
فيهن خيرات حسان وهو جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون
بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب
ليؤذن لهم يعني اسد وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة
العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على
اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له
عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل
حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ
بهما وقرأ يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون
بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم
في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله

قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله
ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب
الذين كفروا منهم من الاعراب او المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره
عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج
اثم في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية
كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين
بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم
سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك
المحسنين غير معاتبين في ذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسنين
ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم
البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب
وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا انذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال
المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن
معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه
حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض من
الدمع اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز
وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا
نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا
يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة
على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف
استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة
والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن
وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم
من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم
لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في
ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون
عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه
فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه
شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون

بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم
انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء
ارجاس لا يقبلون التطهير وهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأويهم جهنم من تمام
التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة
او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون
اي يجزون ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون بالله لكم لترضوا عنهم بحلفهم
فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحده لا ينفعهم اذا كانوا
في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم
ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم
بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم الكتاب
والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله
من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر
حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد
ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه
عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء وتقية ويتربص بكم الدوائر
دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص عن الانفاق عليهم
دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون به او الاخبار عن وقوع
ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور
سمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك
رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون
ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات
سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ
وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين
ويستغفر ولذلك سن للمتصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن
ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى
لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة عند الله
بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان
المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة
عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره وقيل الاولى في اسد

في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون
الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا
او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة
واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب
ابن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان
اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم
القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا
من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير
من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن
حولكم اي ممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة
ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف
على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف
واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين
فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمردهم وتمهرهم في النفاق
لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم
الى حد خفي عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع
على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم
مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان
ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم
يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم
على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا
يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال عليه السلام وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت
فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم
والاعتراف بالذنب بآخر سيئ وهو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما
بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد
منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي المدلول عليها
بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه
خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي
خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت
تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره

يعني تطهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم
الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم
ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد
المدعو لهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم
بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم
قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله
يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ
الصدقات يقبلها قبول من يأخذ الشيء ليؤدي بدله وان الله هو التواب
الرحيم وان من شأنه قبول التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا
ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه شيء من اعمالكم خيرا كان او شرا
ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون
الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه
وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته
اذا اخرته وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان
لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا
والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم
باحوالهم حكيم فيما يفعل لهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يسلموا
عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امورهم الى الله تعالى
فرحمهم الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا عطف على وآخرون مرجون
او مبتدا خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا مسجدا او منصوب
على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي
ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على
قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة
المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا
مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا
وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون
للصلوة في مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله يعني الراهب

الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك
الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب
الى الشام ليأتي من قيصر بجنود ويحارب بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا
خرج الى الشام من قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل
ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله
صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا
ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على
المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد
اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه
ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقول ابي سعيد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو مسجدكم
هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله
لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن شهر احق ان تقوم فيه اولى بان
تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا
لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى
عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار
جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر رضي الله عنه انهم مؤمنون
وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون
على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون على الرخاء قالوا نعم فقال صلى الله عليه
وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل
قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء من البول والغائط فقالوا يا رسول الله
نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا
أفمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة
محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة أم من اسس بنيانه على
شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار
جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف
وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان
وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره في النار ووضعه في مقابلة الرضوان

فنبها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله
ومقتضياته التي الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع
في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر
اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة
واسس واساس بالفتح واساس بالكسر وثلثتها جمع اس وتقوى بالتنوين
على ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترا وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف
بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم
الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله
التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى
ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه
الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول رسمه
عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار
وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن
بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب
الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ
يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم
او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم
حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيل الله
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لاجله الشرى
وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت
ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا
مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه بمعنى الوعد في التورية والانجيل والقران
مذكور فيهما كما اثبت في القران ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز
وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه
اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع
على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا
خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله تعالى
وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون
لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون
الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من البأساء

والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم
شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها
على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون
الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون
عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه
في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله تعالى والحافظون
لحدود الله فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل
الفضائل وهذا مجملها وقيل للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث
ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء عدد آخر معطوف عليه ولذلك
سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع
المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن
الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قال وبشرهم بما يجل عن
احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك
بها عند الله تعالى فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل
لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت
ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار فلم يأذن وانزل
علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بانهم
ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان
وبه دفع النقض باستغفار ابرهيم عليه السلام لابيه الكافر فقال وما كان
استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم اباه
بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله
ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهي الوعد بالايمان
فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي فيه بانه لن يؤمن تبرأ منه
قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه
ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته
عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ
هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكانه
بيان عذر الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل
انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل
على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله

له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا
نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك
وجوب التبرء عنهم رأسا بين لهم ان الله تعالى مالك كل موجود ومتولي امره
والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه ويتبرءوا عما سواه
حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار من اذن المنافقين في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب لقوله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من
احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمهاجرون والانصار
لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه
ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانه مقام الانبياء
والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم
في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى
قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ
قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول عليه السلام
وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد اليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص
يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب
فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه يتاب
عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم
رؤف رحيم وعلى الثلثة وتاب على الثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية
وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث
لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه
الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم
ليعدوا في التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليه
بالنعم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين
في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي
في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة
ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله عن حكمه نهي عبر عنه
بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن

نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ
بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير
وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء
بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا
بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة
فكان ففرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا
يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي
عن التخلف او وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ من العطش
ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن ولا يدوسون
موطئا مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل
والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك
مما يوجب المتابعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل وتنبيه
على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن
كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار
واستيلائهم في سيرهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما
انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم
وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض
الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون
جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة
وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان
يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في
الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم
وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من
فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع
على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون
منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان
ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا
ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه

تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد وقد قيل للاية معنى اخر وهو انه لما نزل
في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفر وانقطعوا عن التفقه فامروا
ان ينفروا من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع
التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة
فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو
وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم
بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود
حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام
وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال
وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين
بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم اي فمن المنافقين من يقول
انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على
اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل
من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون
بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم
مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا
وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه ولا يرون يعني المنافقين
وقرئ بالتاء انهم يفتنون اي يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليهم من الآيات في كل عام مرة او مرتين
ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية
وغيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد اي يقولون هل يريكم احد ان
قمتم من حضرة الرسول عليه السلام فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم
احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم
عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون
لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم
وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم
لقاؤكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم
ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف فان الرأفة شدة

شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله
فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت
فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم
الاعظم المحيط الذي ينزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن
ابي ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ما نزل القران علي الا اية اية وحرفا حرفا خلا سورة براءة وقل هو الله احد
فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة صدق الله

سورة يونس مكية — بسم الله الرحمن الرحيم — وهي مائة وتسع آيات

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى
المنقلبة عن الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة
او القران من الاي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم
او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام
انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر
بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على
انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم
من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله
لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور
نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام
لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في الحال وخفة الحال اعون شيء
في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث
بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة
او المخففة من الثقيلة فيكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا
عمم الانذار اذ قل ما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة
اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم
سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها
تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها
بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به
الرسول لسحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة
الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة

معجزة ايايهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض اي التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش
يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه
اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من
شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع
لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات
المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك
فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق
للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره
فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله
حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده
بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله
او بعدلهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك
ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب
اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود
بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى
اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء
ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والاية كالتعليل لقوله تعالى اليه مرجعكم
جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم
كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز
ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب هو الذي جعل الشمس
ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه
منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القران على القلب
بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو اعم
من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه
وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس
والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما
منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله
واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب
حساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله

ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الايات
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص
يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض
من انواع الكائنات لايات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا
بالحيوة الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين
هممهم على لذاتها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم
عن اياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما
لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات
رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين
والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه
حب العاجل عن التأمل في الاجل والاعداد له اولئك مأواهم النار بما كانوا
يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك
الحقائق كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
او لما يريدونه من الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان
والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان
العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان
او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال اخرى منه
او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم سبحانك
اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة
اياهم فيها سلام واخر دعواهم واخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي
يقولون ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه
ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الافات والفوز باصناف
الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة
وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم
استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى
كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة
من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه
استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم

لايبقوا او اهلكوا وقرا ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وسواه تعالى
وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على
فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا
لهم واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه
ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال
او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره
او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف النون
وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر
مسه اي كشف الضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون
من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى
والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم
وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام
لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى لهم وعلمه بانهم يموتون
على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم
للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين
نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام
فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون
التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون خيرا او شرا فنعاملكم على
مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه
ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا من حيث
ذواتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقران غير هذا بكتاب آخر
نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من الثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من
معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى ولعلهم
سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من
تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل
لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران غير هذا ان اتبع الا ما يوحى الي
تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب
للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القران
كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني

اني اخاف

اخاف ان عصيت ربي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا
العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادريكم به
ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير برواية قنبل والبزي مع خلاف عنه
ولادريكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري
والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه ولو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراكم
ولا ادراتكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه
من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر
بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله
فقد لبثت فيكم عمرا مقدار اربعين سنة من قبله من قبل القران لا اتلوه
ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القران معجز خارق للعادة فان من عاش
بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا
ولا خطبة ثم قرا عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور
ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين
واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله تعالى افلا تعقلون
افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا تفاديا مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم
على الله تعالى في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته فكفر بها
انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد
لا يقدر على ضر ونفع والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى يعود عبادته بجلب نفع
او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من
امور الدنيا او في الاخرة ان يكن بعث فكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط
جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا ينفع
ولا يضر على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم
وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا وما لا يعلمه العالم
بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العائد
المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي
او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق
ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين
يشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين
على الحق وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان
او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل

او بعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء
لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون
لولا انزل عليه اية من ربه اى من الآيات التى اقترحوها فقل انما الغيب لله
هو المختص بعلمه فلعله يعلم ما في انزال الايات المقترحة من مفاسد تصرف
عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه انى معكم من المنتظرين لما يفعل الله
بكم بجحودكم ما انزل على من الايات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس
رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في اياتنا
بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكيدون رسوله
قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم
المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو
من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق
للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى
على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذى يسيركم اى يحملكم
على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن
وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة فانه تذكرة لغيرهم
ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح
جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف
ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجئ الموج منه
وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو
دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من
شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا
لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجادوا
الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز
عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانه افساد
بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم
وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها
ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدا محذوف تقديره ذلك
متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر موكد اى

اى يتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار
من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال
او مفعول فعل دل عليه البغى وعلى انفسكم خبر بغيكم ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم
بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها
وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل
الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض
زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت
من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغمت
وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى
صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها
متمكنون من رفع غلتها وحصدها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا
او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان
لم تغن كان لم يغن زرعها اى لم ينبت والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ
بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به
مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا
والتف وزين الارض وطمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان
وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون
فانهم المنتفعون به والله يدعوا الى دار السلام السالم من التقضي والافة او
دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها
على من يدخلها والمراد الجنة ويهدى من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم
هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص
الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة
لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد
على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة
عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان
وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشيها قتر غبرة فيها
سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك
من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال
فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز

في الدار زيد والحجرة عمرو والذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين
كسبوا السيئات جزاء بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها
وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار
وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة واقع او بمثلها
على زيادة الباء او بتقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم
من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله او من عنده
كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها
وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو
موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل
في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا
يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك
والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم
قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم
الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله
وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا
بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها
الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ان ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وان المخففة هنالك في ذلك
المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ
حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله
فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى
نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف سعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت
من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت
من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا
مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ بالنصب
على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم
تشفع لهم او ما كانوا يدعون من انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما

جميعا

جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما
توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض
امن يملك السمع والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات
مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن
يدبر الامر ومن يلي تدبير العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون
على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه
باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي
لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم
ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق
الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال فانى
تصرفون من الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية لله
تعالى او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه
على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم
من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم
يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه السلام بان ينوب عنهم بالجواب فقال
قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب
الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما تعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء
تعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل
الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله تعالى قل الله يهدي للحق
افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي
الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي لغيره الا ان يهديه الله
تعالى وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير
وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب
وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء
او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الهاء الياء وقرأ
ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك
وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدي على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي
صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه الا ظنا مستندا الى خيالات

فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق
بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر
ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد
الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه
دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز
ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان
وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن
تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها
ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها
ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تعالى
تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب
لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا
من رب العالمين خبر اخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق
او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا
من الكتاب والضمير في فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب
اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل يقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه
الانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء
فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم
ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى
فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل
سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا
اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من صدق ذكر البعث
والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله
ولم يبلغ اذهانهم معانيه او لم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى
يتبين لهم انه صدق او كذب والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم
فاجؤوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه
قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته
فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع (اي جربوا)
ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا
عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر

كيف

كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم
ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن
يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه
لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم
بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين فان كذبوك فان اصروا على تكذيبك
بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي
ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم
قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرات القران
وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم
تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه
على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم
وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة
بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة
فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم
من ينظر اليك ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي
العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة
فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة
ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل
للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم
وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه
دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله
لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا
ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون
والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة
او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف
اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا
الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى
مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم
يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز

ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين
لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات
ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي
نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك
فالينا مرجعهم فنريك في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها
ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة
ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء
رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل
فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة
رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي
بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكافرين لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم
ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب
منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل
في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك
كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحيء وقتكم وينجز وعدكم
قل ارايتم ان اتيكم عذابه الذي تستعجلونه بياتا وقت بيات واشتغال
بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون
اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارايتم
لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي
ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا
على الاستعجال او تعرفوا خطاه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك
ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم او قوله اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى
ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض
ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير آلآن على ارادة القول اي
قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب آلآن امنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا
عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون
الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو
احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن

احطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك
وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق
مبتداء والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب
بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت
وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل
بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين
العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض
من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه
بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه
من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها
لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها
وقيل اظهروها من قولهم سر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم
لا يظلمون ليس بتكرير لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني
مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم
لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة
والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه
ولكن اكثرهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت
في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة
القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال
ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي
هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين
ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان
وتبدلت مقاعدهم من مقاعد النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير
فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره
قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته
فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك
اشارة الى المصدر اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا
بشيء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين

بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد فاذا هلكت فبعد ذلك
فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا
ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال
اقرب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون
فهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق
منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل
او بارأيتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ
على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله اذن لكم
في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه
ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل تكرير للتأكيد ويجوز ان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين
يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه
وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام
الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل
وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة
وما تكون في شأن ولا تكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه
اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة القرآن
معظم شأن الرسول او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله
ومفعول تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفي او للقرآن
واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب
بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث
عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين اذ تفيضون
فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب
عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة
او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف
ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها
والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي
كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف
على لفظ مثقال ذرة جعل الفتح بدل الكسرة لامتناع الصرف او على محله مع الجار

جعل

جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله
الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم
يحزنون بفوات مأمول والآية مجمل فسره قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون
وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وهو ما بشر الله به المتقين في كتابه على لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا الصالحة
وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي
الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين
آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء و
وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله اي لا تغيير لاقواله ولا اخلاف
لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم
هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه
ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم
وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل
ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا
لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم
بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة
والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم
للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا
يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف
دل عليه ان يتبعون الا الظن اي يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء
ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ
تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين
اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده
مصروف عن خطابهم لبيان مستندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون
يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم
نعمته المتوحد هو بها ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا
ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب
ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا

اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصلح الا ممن يتصور له الولد وتعجب
من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة
له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا
نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم
وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا
سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم
وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها
من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله
الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار
ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدا محذوف اي افتراهم متاع
في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حيوتهم او تقلبهم متاع او مبتدا خبره
محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون عذاب الابد
ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم
نبا نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق
مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة
او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بايات الله فعلى الله توكلت وثقت به
فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع
عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم
بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره
وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم
او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله تعالى
وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا
مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم
من ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي
وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء
ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر
يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري
ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به امنتم او توليتم
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره
فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين لهم ان توليهم ليس الا
لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن

معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا
الذين كذبوا باياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى
عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من
بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات
الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة
شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين
بخذلانهم لانهماكهم في الضلالة واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل
على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك
ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه
باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين
الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق
من عندنا وعرفوا بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط
تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه
قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله
ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه
اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم من قولهم ويجوز ان يكون
معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخالف القالة كقوله تعالى
سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المقول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام
موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة
ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان اسحر هذا محكيا كانهم
قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحر وان قالوا اجئتنا لتلفتنا
لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام
وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء
او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به
وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم
حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا
قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه
سحرا وقرأ ابو عمرو ءالسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به
خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدا محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا خبره
محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي

اى شىء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح
عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له
ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره
المجرمون ذلك فما آمن لموسى فى مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد
من اولاد قومه بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة
من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن
آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون
وملائهم اى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد فى ضمير العظماء
او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم
ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة
على ان الخوف من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال فى الارض لغالب فيها
وانه لمن المسرفين فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء
وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله تعالى مخلصين له
وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه
المقتضى له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك
زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين
اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اى لا تسلطهم
علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم
وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى ينبغى ان يتوكل اولا لتجاب دعوته
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اى اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا
يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم
تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة وكان
موسى عليه السلام يصلى اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم
لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذونهم ويفتنونهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة
فى الدنيا والجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد
مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها
مما ينبغى ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة فى الاصل وظيفة صاحب الشريعة
وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس
والمراكب ونحوهما واموالا فى الحيوة الدنيا وانواعا من الاموال ربنا ليضلوا
عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر لما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره

كقولك

كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون
للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها
سببا فى الضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها
على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم
اهلكها والطمس المحو وقرئ اطمس بالضم واشدد على قلوبهم اى واقسها واطبع
عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء
او دعاء بلفظ النهى او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت
دعوتكما يعنى موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه
من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن فى وقته روى انه
مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق
الجهلة فى الاستعجال او عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تعالى وعن ابن عامر
ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع
ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر اى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا
الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف
فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين
وعادين او للبغى والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال
آمنت انه اى بانه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين
قرأ حمزة والكسائى انه بالكسر على اضمار القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا
لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الآن
اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل
من قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان
فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك
على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرئ ننجيك من الجى وقرئ ننحيك
بالحاء اى نلقيك بناحية من الساحل ببدنك فى موضع الحال اى ببدنك
عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له
درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى باجزاء البدن كلها كقولهم
هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية
لمن وراءك علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم
انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه
مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا
مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا على الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان

على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان
الربوبية وقرئ لمن خلفك اي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده
اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة
في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل
على المشهور وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها ولقد بوانا انزلنا بني اسرائيل مبوا صدق منزلا صالحا
مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التورية وعلموا
احكامها او في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر
معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق
عن المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك
من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسئل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد
تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدق
لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول
وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام لا اشك
ولا اسئل وقيل الخطاب للنبي والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت
ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من
خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك
الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن
من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت
وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم
ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون
اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي
لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ
لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى
التي اهلكناها آمنت من قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون
فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس
لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي

لتضمن

لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى
كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس
ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس
عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب
الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنى الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان
شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه
فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا
بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا
التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا
يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد
جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى
لم يشأ ايمانهم اجمعين فان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء
خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين
وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم
الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالاكراه
عليه فضلا عن الحث والتحريض اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه
شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن
بالله تعالى الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك
في هداها فانه الى الله تعالى ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه
وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون
عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم
من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات والارض
من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية
علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله
او في حكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل
ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون
غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك
او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا
عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم
ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الماضية وقرأ حفص والكسائي ثم ننجي
بالتخفيف كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك

محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر
وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب اهل مكة ان كنتم في شك
من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي
يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف فانظروا فيها
بعين الانصاف لتعلموا صحتها واني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد
خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت
ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار
من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك
الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب وان اقم وجهك للدين
عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض
لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها
كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه
باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا
حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا
من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله
بضر وان يصبك به فلا كاشف له يدفعه الا هو الا الله وان يردك بخير
فلا راد فلا دافع لفضله اي الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس
مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم
لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم
من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به
بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة
ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
رسوله او القران ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي
لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال
عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير
واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى
يحكم الله بالنصر او الامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه
على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي عليه السلام من قرا سورة يونس
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من
غرق مع فرعون صدق حبيب الرحمن صلى الله تعالى عليه وسلم

الر

وثلث وعشرون اية	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة هود مكية وهي مائة

الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب خبر مبتدا محذوف احكمت اياته نظمت نظما
محكما لا يعتريه اخلال من جهة المعنى واللفظ او منعت من الفساد والنسخ فان المراد
ايات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة
منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها تشتمل على امهات الحكم النظرية والعملية
ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا
او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت
بين الحق والباطل واحكمت اياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم
او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر
او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي
باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة
لان في تفصيل الايات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدا للاغراء على التوحيد
او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه
او اتركوه تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب
على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه
ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع
وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت
ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى
هو اخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والاجال
وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير
ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا
والاخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا
فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا
بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولي الى الله
مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير
فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم
يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي عليه السلام
او يولون ظهورهم وقرئ تثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة
وتثنون اصله تثنونن من الثن وهو الكلا الضعيف اراد به ضعف قلوبهم

او مطاوعة صدورهم للثنى وتثنونى من اثنونى كابياض بالهمزة وتثنوى
ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت
فى طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا
صدورنا على عداوة محمد عليه السلام كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين
وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم
الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون ثيابهم يعلم ما يسرون فى قلوبهم
وما يعلنون بافواههم يستوى فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى
يظهرونه انه عليم بذات الصدور باسرار ذوات الصدور او بالقلوب واحوالها
وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا
ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم
مستقرها ومستودعها اماكنها فى الحيوة والممات او الاصلاب والارحام
او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت
بعد بالقوة كل اى كل واحد من الدواب واحوالها فى كتاب مبين مذكور
فى اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها
بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد
والوعيد وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام اى خلقهما وما فيهما
كما مر بيانه فى الاعراف او ما فى جهتى العلو والسفل وجمع السموات دون الارض
لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء
قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان
الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء
على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اى خلق
ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك
اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات
تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه
من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل
والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن
المحاسن والتحضيض على الترقى والنما فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل
ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعته والمعنى ايكم
اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث او القول به او القران المتضمن

لذكره

لذكره الا كالسحر فى الخديعة او البطلان وقرا حمزة والكسائى الا ساحر
على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت
او ان يكون ان بمعنى علّ اى ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة فى انكاره ولئن اخرنا
عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة
ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر
ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس
مقدم عليه وهو دليل على تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم
وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد ما كانوا به يستهزؤن
اى العذاب الذى كانوا يستعجلون به فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان
استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه
نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس
قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ
فى كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته
كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن
ذهب السيئات عنى اى المصائب التى ساءتنى انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها
فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفى لفظة الاذاقة والمس
تنبيه على ان ما يجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده
فى الاخرة وانه يقع فى الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم
والمس مبدا الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه
وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم
واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان
محلى بالالف واللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم
جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض
ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم
من توقع الشئ لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه
وهو عصمة الله الرسل عن الخيانة فى الوحى والتقية فى التبليغ ههنا وضائق به
صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز ينفقه فى الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه
وقيل الضمير فى به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار
بما اوحى اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله

والله على كل شئ وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم
وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فاتوا بعشر سور
مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر
عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات
من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي
تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم
القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة
ان كنتم صادقين بانه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه
وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول
شاملا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه
على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم ولا يغفلون عنه ولذلك
رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله تعالى
ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر
بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت
صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله الهتهم
فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم
اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا
لمن استطعتم فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم
القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده
وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجج
القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه
على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه
وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة
والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء ويوف على البناء
للمفعول ويوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم
يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون
شيئا من اجورهم والاية في اهل الريا وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة
وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا بمقابلة ما عملوا
لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة
وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به
وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعلق الظرف بصنعوا

على ان

على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي
وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول
يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام
وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق
والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه
هؤلاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة
وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة من ربه كمن كان
يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان
الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران
ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه
في التصديق او البينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرائيل ع م
او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير
في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة
وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد
ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل
ويقرأ من قبل القران التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة
على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان
على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن
تحزب معهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فالنار موعده يردها
لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما
الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال
فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كأن اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه
ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا او تعرض اعمالهم
ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب
او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين
تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون
عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق
والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالاخرة هم كافرون
والحال انهم كافرون بالاخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك
لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم

وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم
الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف
وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون
السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله
وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله
وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لم يسمع ولم يبصر لا يصلح للولاية
وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء
عبادة الالهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها
او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة
لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت
وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد
تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله
وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد
فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع
بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة
كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان
هل يستوي الفريقان مثلا اي تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب
الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم وقرا نافع وعاصم
وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب
ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز
ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه
على طريقة جد جده ونهارك صائم للمبالغة فقال الملا الذين كفروا
من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة
صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الراي ظاهر الراي من غير
تعمق من البدو او اول الراي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار
ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف
اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم

لذلك

لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها
اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمن اتبعك علينا
من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك
في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على
الغائبين قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة
شاهدة بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت
عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة
او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها
للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرا حمزة والكسائي وحفص فعميت
اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء
بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران
وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل
ويا قوم لا اسالكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا
جعلا ان اجري الا على الله فانه المامول منه وما انا بطارد الذين امنوا
جواب لهم حين سالوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده
او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اريكم قوما تجهلون
بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم
اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم
بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان
عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه وامواله
حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي لا اقول
لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني
بادي الراي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول
ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين
تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله
خيرا فان ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما اتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم
اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى
عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين
للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية بما عاينوا من رثاثة
حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا
خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا

من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك
لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا واجلا وما انتم بمعجزين
بدفع العذاب والهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط
ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم
وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم
لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار
ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله
كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف
مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك
هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم
ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي بالفتح على الجمع
وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن
من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم
ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا
ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال
والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك
كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني
باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل
الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه
سخروا منه استهزأوا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء
اوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون صرت نجارا بعد ما كنت نبيا
قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا
والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل عليه
او يحل عليه حلول الدين الذي لا ينفك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار
حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال فيه او حتى هي
التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور
والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة
في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور
وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل
نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى على قراءة حفص

والباقون

والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين من كل صنف ذكر
وكل من صنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته
وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان
وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن
معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة
سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم
روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة
ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها
الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها
اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله
مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله
او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى
للوقت او المكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيك خفوق النجم
وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر
او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة
والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو
والهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد
ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام
عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم مجريها بالفتح من جرى وقرئ ايضا
مرسيها من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله
ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي
تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري
وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند
اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء
طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت
والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق
ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير
لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ
اذ الانبياء عليهم السلام عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين
وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل
عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزل عنه اذا ابعده

يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة
المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع
الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا
اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواة
عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص
لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والانعزال قال سآوي
الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من
رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله تعالى وهم المؤمنون
رد بذلك ان يكون اليوم معتصما من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين
وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله تعالى في عيشة راضية
وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحم الله يعصمه وحال بينهما الموج
بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين
بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم
وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع
الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من
اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص
وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت
واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل
روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم
وصار ذلك سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم بعد بعدا وبعدا
اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء
والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال
مع الايجاز الخالي عن الاخلال وفي ايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة
على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم
الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار
ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف على قوله فقال رب ان ابني
من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق
لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما باله لم ينج
ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم
واعدلهم او لانك اكثرهم حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع
من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر

واشار اليه

واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه
ذو عمل فاسد فجعل ذاته العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ناقتها
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح
تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه
وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن
ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما نداؤه
سؤالا لتضمن ذكر الموعود بنجاة اهله استخباره في شان ولده واستفسارا
لمانع الانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون
من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال
واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير
بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله
تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء
ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل قال رب اني اعوذ
بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته
والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل
علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة
مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك مباركا عليك
او زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد
وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما
لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون
لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب
اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح
ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح عليه السلام
ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك
خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر
ومن انباء متعلق به او حال من الهاء في نوحيها ما كنت تعلمها انت
ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل
ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت
وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم
لما لم يسمعوا فكيف يؤاخذ منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم
كما صبر نوح عليه السلام ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز

للمتقين عن الشرك والمعاصي وإلى عاد أخاهم هودا عطف على قوله
نوحا إلى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم
من إله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده إن أنتم إلا مفترون
على الله باتخاذ الأوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا أسألكم عليه
أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه إزاحة
للتهمة وتمحيضا للنصيحة فإنها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع أفلا تعقلون
أفلا تستعملون عقولكم فتعرفون المحق من المبطل والصواب من الخطأ ويا قوم
استغفروا ربكم ثم توبوا إليه اطلبوا مغفرة الله بالإيمان ثم توسلوا إليها
بالتوبة وأيضا التبرؤ عن الغير إنما يكون بعد الإيمان بالله والرغبة فيما عنده
يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة إلى قوتكم ويضاعف قوتكم
وإنما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات
وقيل حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود
على الإيمان والتوبة بكثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا
ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه مجرمين مصرين على إجرامكم قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم
بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك
صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين إقناط له
من الإجابة والتصديق إن نقول إلا اعتراك ما نقول إلا قولنا اعتراك
أي أصابك من عراه إذا أصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك إياها
وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول
وإلا لغو لأن الاستثناء مفرغ قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما
تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون أجاب به عن مقالتهم الحمقاء
بأن أشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن إضرارهم تأكيدا لذلك
وتثبيتا له وأمرهم بأن يشهدوا عليه استهانة بهم وأن يجتمعوا على الكيد في إهلاكه
من غير إنظار حتى إذا اجتهدوا فيه ورأوا أنهم عجزوا عن آخرهم وهم الأقوياء
والأشداء أن يضروه لم يبق لهم شبهة أن آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع
لا تتمكن من إضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فإن مواجهة الواحد
الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش إلى دمه بهذا الكلام ليس إلا لثقته بالله
وتثبطهم عن إضراره ليس إلا لعصمته إياه ولذلك عقبه بقوله إني توكلت
على الله ربي وربكم تقرير له والمعنى أنكم وإن بذلتم غاية وسعكم لن تضروني
فإني متوكل على الله واثق بكلائه وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده
بحفظه

ولا تقدرون

ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة إلا هو آخذ
بناصيتها أي إلا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والأخذ بالنواصي
تمثيل لذلك إن ربي على صراط مستقيم أي إنه على الحق والعدل لا يضيع
عنده معتصم ولا يفوته ظالم فإن تولوا فإن تتولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت
إليكم فقد أديت ما علي من الإبلاغ وإلزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم
فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف
بالوعيد لهم بأن الله يهلك ويستخلف قوما آخرين في ديارهم وأموالهم
أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكأنه قيل
وإن تتولوا يعذر لي ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر
ومن جزم يستخلف أسقط النون منه إن ربي على كل شيء حفيظ رقيب
فلا يخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم أو حافظ مستول عليه فلا يمكن
أن يضره شيء ولما جاء أمرنا عذابنا وأمرنا بالعذاب نجينا هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا أربعة آلاف ونجيناهم من عذاب
غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل أنوف الكفرة
وتخرج من أدبارهم فتقطع أعضاءهم أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة
أيضا والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم وهم معذبون
في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد أنث اسم الإشارة باعتبار القبيلة
أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها
وعصوا رسله لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل
لأنهم أمروا بطاعة كل رسول واتبعوا أمر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين
وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا إذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم إلى الإيمان
وما ينجيهم وأطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرديهم وأتبعوا في هذه الدنيا
لعنة ويوم القيامة أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب
ألا إن عادا كفروا ربهم جحدوه أو كفروا النعمة أو كفروا به فحذف الجار
ألا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين
لما نزلت عليهم بسبب ما حكي عنهم وإنما كرر ألا وأعاد ذكرهم تفظيعا لأمرهم
وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم
عن عاد الثانية عاد إرم والإيماء إلى أن استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم
وبين هود وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله
غيره هو أنشأكم من الأرض هو كونكم من الأرض لا غيره فإنه خلق آدم
ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم

فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى
بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم
تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي
قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا
قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا
ومستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك
انقطع رجاءنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية
واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب
موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب
في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة
وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني
من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به
فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما
منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم
الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة
ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها
وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى
عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم
عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة
ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه
مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز
وكان الواعد قال له اني بك فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب
على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا
معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم
بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وقرا نافع والكسائي ههنا وفي المعارج
من عذاب يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه
ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين
ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف
كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي
في جميع القران وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود
ذهابا الى الحي او الى الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة

قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة
الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه
بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام او عليكم
سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي سلم وكذلك
في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث
ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه
والجار في ان مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل هو الذي
يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما
راى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة
انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس
الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا
لا ناكل وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة فضحكت
سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول
لابراهيم عليه السلام اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم
وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم تعد حقا
ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بالفتح فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره
ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا له من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف
على موضع باسحاق او على لفظ اسحق وفتحه للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه
وبين ما عطف عليه بالظرف وقرا الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف
اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد
وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث
انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة
كيحيى عليه السلام ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به
وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها
كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق
على كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين
او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة
او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع
على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل منه

ان هذا الشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة
دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة
ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه
عاقل فضلا عمن نشاءت وشابت في ملاحظة الايات واهل البيت نصب
على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما
ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم
وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم
ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا
على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه
المحذوف مثل اجترا على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه
مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه
اواه كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله
تعالى والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه
وفرط رحمه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابرهيم
اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي
بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير مردود غير مصروف بجدال
ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم
لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم
قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرا نافع وابن عامر والكسائي سيء باشمام
السين الضم وفي الملك والعنكبوت والباقون باخلاص حركة السين
وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض
للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد
من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت
كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها عليها ولم يستحيوا منها
حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن
اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن
قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع
طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه

او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات
نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف
ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا
واقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر
بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو لا فصل فانه لا يقع
بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون
ولا تفضحون من الخزي او ولا تخجلون من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم
فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق
ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة
وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكور قال لو ان لي بكم قوة لو قويت
بنفسي على دفعكم او اوي الى ركن شديد الى قوي اتمنع به عنكم شبهه
بركن الجبل في شدته وعن النبي عليه السلام رحم الله اخي لوطا كان
ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال
لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه
اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار
فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا
واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم
واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك
بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القران
من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف
او ولا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط الا امراتك
استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل
الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر
بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل
من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها
او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها
حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء
في القراءتين عن قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد
ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات
بل عدم نهيها عنه استصلاحا وكذلك علله على طريقة الاستئناف

بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على
قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كأنه علة الامر بالاسراء أليس الصبح
بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا
عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا
عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملئكة
المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر
فانه روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها
الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم
وامطرنا عليها اي على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين
متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله
اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية
في الادرار او من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله
من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد معدا لعذابهم
او نضد في الارسال بتتابع بعضه على بعض كقطار الامطار او نضد بعضه
على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة
او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى بها عند ربك
في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم
وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سأل جبريل عليه السلام فقال
يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة
الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم
الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا
اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه
فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما
اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اريكم
بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس
شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو
في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد
منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة
او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب
لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء

بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن
تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها بالقسط
بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب
غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص
فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض
مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد
بالبخس المكس كاخذ العشور في المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة
وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل
معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بقيت الله
ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب
مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم
وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء
وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح
او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت
حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا
يا شعيب اصلوتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا
بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله لا يدعو
اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب
عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي
وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف
لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف
على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف
على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان
ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم
الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه
واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك
قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه الله
من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال
الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام
الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه

في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي
عن دين الآباء والضمير في منه يعد اي من عنده وباعانته بلا كدّ مني
في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه اي وما اريد ان آتي
ما انهيكم عنه لاستبدّ به فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا
عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مولّ عنه
وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
اي ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهي عن المنكر ما دمت استطيع
الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة
الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي
في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله تعالى
وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به
وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقع موقع الظرف وقيل خبرية بدل
من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف
المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته
ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز
في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد
الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد
وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق
لاصابة الحق فيما ياتيه ويذره من الله والاستعانة في مجامع امره والاقبال عليه
بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم
وتهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي
معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود
من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه
يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول
من المتعدي الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على
السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب
منها غير ان نطقت • حمامة في غصون ذات اوقال • وما قوم لوط
منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او انهم ليسوا
ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد
لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله
بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا

ربكم

ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين
ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة
بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب
ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس
وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل
قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم
عنه وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا
او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده
التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء
والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم
على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل
الى السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الحجارة او باصعب وجه وما انت
علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل
الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على
ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك
قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه
كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على الله
وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب والظهري
منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط
فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف
تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها
ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو
كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له كقولك سيعلم الكاذب والصادق
بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب
مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه
لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا فانتظروا
ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم والمراقب
كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه
برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى
السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد

غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بالفاء السببية واخذت
الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل عم فهلكوا فاصبحوا في ديارهم
جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم
يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان
ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم
وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون
سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى
باياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا
وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه
بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها
فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع
والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه
فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق
المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال
والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم
وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي
محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا
الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة
في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد
المورود اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش
والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا
عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون
العاقبة حميدها واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا
والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل
الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهي اللعنة
في الدارين ذلك اي ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه
عليك مقصوص عليك منها من تلك القرى قائم باق كالزرع
القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال
من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا
اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم
فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من

شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب
هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك
بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها
وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة
لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا
بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم
شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك
اي فيما نزل بالامم الماضية الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لاية لعبرة
لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظته لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما
اعد الله تعالى للمجرمين في الاخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار
يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم
لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع باسباب فلكية اتفقت
في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة
دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات
معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ
من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة
وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه
باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود
اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه
فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة
مدة معدودة متناهية على حذف المضاف واراد مدة التأجيل كلها بالاجل لا
منتهاها فانه غير معدود يوم يأت اي الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة
على ان يوم بمعنى حين او الله تعالى كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرا
ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس
لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه
باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون في موقف اخر او المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع منه
هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد
وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه
بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير

اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره فالمراد بهما
الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه
وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شُقوا بالضم خالدين
فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامها
فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامها بل للتعبير عن التأبيد
والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط
لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامها دوامه
الا من قبيل المفهوم لان دوامها كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم
لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل عليه قوله
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لابد لهم من مظل
ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه
فانما يعرفه بما يدل عليه من دوام الثواب والعقاب فلا يجري له التشبيه
الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين
يخرجون منها وذلك كاف لصحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه
زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم
فان التأبيد من مبدا معين ينتقض باعتبار الانتها وهولاء وان شقوا
بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد
تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل صنف منتفية عن قسيمه
لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا
المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلوا عن السعادة
والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار
ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة
ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله
ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره
يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ
ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء
من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا
بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء
ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك
فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها
ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع

ابو الفرج

وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب
ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد وقرأ حمزة
والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده
وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة
فلا تك في مرية شك مما انزل عليك من مآل الناس مما يعبد هولاء
من عبادة هولاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم
ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه
يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف معناه
تعليل النهي عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة
الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك
ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل
في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا
لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كاباءهم او من الرزق فيكون عذرا
لتاخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية
فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هولاء
في القران ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة
لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك
لفي شك منه من القران مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين
المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع
وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى
موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت
ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم
وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية
ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما تعملون خبير فلا يفوت شيء عنه وان خفي
فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد
والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد
كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال
من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط
مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب

معك اي ومن تاب من الشرك والكفر وامن معك وهو عطف على المستكن
في استقم وان لم يوكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما
حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي
وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس
واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون
هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامتهم فتمسكم النار
بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك
بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه
والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول
ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال
عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه
وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه
وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال
ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم
وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون
منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر
على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة
وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه
قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة
صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر
وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء
وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة
كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة
الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا
اتى النبي عليه السلام فقال اني قد اصبت من امراة غير اني لم اتها فنزلت
ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين
عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع
اجر المحسنين عدل عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة
والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان
من القرون من قبلكم اولوا بقية من الراي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية
لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم

خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة
لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه
اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن
قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء
من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه
من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا
مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة
وهو فشو الظلم فيهم واتباع الهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله
واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع
الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا
جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده
تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون
فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته
في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل
الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان
من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق
وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك
الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه
ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة
او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحم وتمت كلمة ربك وعيده او قوله
للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين
او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبا نقص عليك من انباء الرسل
نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على
المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه
على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر
بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من
انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو
حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين
لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا
بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات

والارض خاصة لا تخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة
امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص ويرجع على البناء للمفعول فاعبده
وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه
انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه
وقرأ نافع وحفص وابن عامر بالتاء ههنا وفي آخر النمل عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح
ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله

سورة يوسف مكية وآيها	بسم الله الرحمن الرحيم	مائة واحدى عشرة

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب
اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة
لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا
لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف
فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل
اسم الجنس على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه
اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له
او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون
علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه
او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور
الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص
على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات
والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه
بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول
نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين
عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان
هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص
ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان
عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع
بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق
ابن ابراهيم وعنه عليه السلام الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب
ابن اسحاق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث

لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة
اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي
لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء
من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم
فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله
لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر
روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك
فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس
وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها
يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله
انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي رآهم عليها
فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن
صغره للشفقة او لصغر السن لانه ابن ثنتي عشرة سنة وقرأ حفص ههنا وفي لقمان
وفي الصافات بفتح الياء والباقون بكسرها لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه
ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا
كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التأنيث كالقربة والقربى
وهو انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها
انما يكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن
ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة
تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت
شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية
استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد
بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله ان الشيطان
للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يألو جهدا في تسويلهم
واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا
الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام
والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه
كانه قيل وهو يعلمك من تأويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث

الملك ان كانت صادقة واحاديث الشيطان ان كانت كاذبة او هي
تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع
للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل
نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل
على نبوتهم بضوء الكواكب ونسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم
بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم
من قبل من قبلك هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك
ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء كما ينبغي لقد كان
في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك
وقرأ ابن كثير آية للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة
وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته
ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين
ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي
وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا
وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله
بخلاف اخويه لان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة
والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة
والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا
لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان
احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف
المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا
يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر قال
لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون وقيل دان ورضي به آخرون او اطرحوه
ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت
كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم
فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا
جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف او الفراغ من امره
او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح
ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو
وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا

يوسف

يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابت الجب في قعره سمي بها لغيبته
عن اعين الناظرين وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين على الجمع
كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه يأخذه
بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي
او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك
لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه
ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم
والمشهورة تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام
لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع يتسع
في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال
وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه
وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف
وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء
وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة
مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت
مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره
وقرأ ورش والكسائي وابو عمرو بغير همز والباقون بالهمز واشتقاقه من
تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع
واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة
للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم
بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت
الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض
الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من ارض يعقوب وجواب لما
محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء
اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال
يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها
فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه
ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك
ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها
فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة
سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام

وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه
جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب
فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا
لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده
عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر
حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له
وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون
ذلك وجاؤا اباهم عشاء اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشا
بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع
بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال
والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا
بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف
وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون
وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين
وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على
اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع
النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقدمها على
المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال عن قميصه واخذه والقاه على وجهه
وبكى حتى خضب وجهه بدم قميصه وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا
اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا
اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء
فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل
الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال
ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح
وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب
وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء
ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب
ليملاها فتدلى بها يوسف فلما راه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى
بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له
ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وقرئ يا بشري
الى نفسه

بالادغام

بالادغام وهي لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد
واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم
بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بالطعام
فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا
فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال
اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة
والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم
وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس
مبخوس لزيفه ونقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا
يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين
وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا
ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه
والملتقط للشيء متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا
مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام
للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان
متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو
العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ
ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حيوته وقيل كان
فرعون موسى عاش اربعمائة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد
باحوال الاباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث
في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين وتوفي
وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول
فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة
وقيل ذهبا لامراته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما
اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا
ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه
من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي
قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رض وكذلك مكنا ليوسف
في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه
وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على

مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه
الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها
او يعبر المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها
قبل ان تحل كما فعله لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء
او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه
ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين
والاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم
المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تأويل الاحاديث
وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه
في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه
وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق
وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل
بني على الفتح كأين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بضم التاء
وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر برواية ابن ذكوان بفتح التاء
وكسر الهاء من غير همز كعيط وهو لغة فيه وقرأ هشام كذلك الا انه يهمز وقد
روي عنه ضم التاء وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ
وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان
ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك اكرمي
مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي
بان عطف على قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء
وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم
بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه
ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة
الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق
بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم
او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه
في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز
ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم
عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل وقيل

وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف
انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت
ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء
الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اذا كان في اوله الف
ولام اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب
فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها
ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته
من ورائه فانقد قميصه والقد الشق بالطول والقط الشق بالعرض والفيا
سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها
وتغييره على يوسف واغرائه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى
اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمؤاتاة
وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب الاليم ولو لم تكذب
عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها
صبيا في المهد وعن النبي عليه السلام تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام وانما القى الله الشهادة
على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت
وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها
او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته
والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها
شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه
كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل
فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق
وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد
وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى
قميصه قد من دبر قال انه اي ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا
او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها
او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب
واشد تأثيرا في النفس لانهن يواجهن الرجال والشيطان يوسوس مسارقة

يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا
اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين
من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال
نسوة هي اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله
وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر
او صفة لنسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب
الدواب امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها
اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة
شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها
حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها (بالعين المهملة) من شعف البعير
اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد
وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن
اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة
فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد واتت
كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن
يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن
بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين نسوة في ايديهن
الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب
ترفا (تنعما) ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من
قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ
متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا (بمعنى شيئ) وهو الاترج
او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ
وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه (قطعنه) عظمنه وهبن حسنه الفائق
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن
من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر
او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق
وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله
تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا

كما قراه

كما قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد
معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما
في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا
لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي
هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه
ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل
ليس لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي
اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق
والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال
البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك
العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره
ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك
موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع
طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة
عريكته ولئن لم يفعل ما آمره ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري
فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر
بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ وليكونن
وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف
وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح
على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مواتاتها نظرا
الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذاك مما تكرهه واسناد الدعوة
اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن
وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية
ولذلك رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على من كان يسأل الصبر
والا تصرف عني كيدهن وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي
وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن اميل الى اجابتهن
او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا
لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق
واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل
القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له
ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن

فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة
للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم
ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الشواهد
الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن
واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها
خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس
انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب
العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن
فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد
الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما
يعني الشرابي اني اراني اي ارى في المنام وهو حكاية حال ماضية اعصر
خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل
فوق راسي خبزا تاكل الطير منه تنهس منه نبئنا بتاويله انا نراك
من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا
ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين
الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما راينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما
طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام
يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى
التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالاه منه كما هو
طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد
فقدم ما يكون معجزة من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة
والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اي ذلك التاويل مما علمني ربي بالالهام
والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت
ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ
لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما في الاستماع اليه
والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه
وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا
ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك
اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس
ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون

لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا
وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون
بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن يا ساكنيه او يا صاحبي
فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ارباب متفرقون
شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار
الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما
ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها
من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل
على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم
ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار
ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق للعبادة بالذات
من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه
الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم
لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم
اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها
آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير
وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي
لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا
كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد به الخباز فيصلب
فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما
وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي
ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي
فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك
كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره فاضاف اليه
المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان
بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك
لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد
وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن
بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك

اى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه راى الملك
سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت
المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات
وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن
عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان
على المميز دون المميز لان التميز بها ووصف السبع الثانى بالعجاف لتعذر التميز
بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء
لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملاء افتونى فى رؤياى عبروها
ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهى الانتقال من الصور
الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور وهى المجاوزة وعبرت
الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل
لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل
يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام
اى هذه اضغاث احلام وهى تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات
وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان
كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام
بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تاويل عندنا
وانما التاويل للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتاويله
وقال الذى نجا منهما من صاحبى السجن وهو الشرابى وادكر بعد امة وتذكر
بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وقرئ إمّة بكسر الهمزة وهى النعمة
بعد ما انعم عليه بالنجاة وأمَه اى نسيان يقال أمِه يأمَه أمَها اذا نسى والجملة
اعتراض ومفعول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون اى الى من عنده علمه
او الى السجن يوسف ايها الصديق اى فارسل الى يوسف فجاء وقال
يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله
وعرف صدقه فى تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا فى سبع بقرات
سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اى
فى رؤيا ذلك لعلى ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده
او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها
او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع
فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دابا اى
على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله

اى تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقرا حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر
دأب فى العمل وقيل تزرعون امر اخرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم
فذروه فى سنبله كيلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة
الا قليلا مما تاكلون فى تلك السنين ثم ياتى من بعد ذلك سبع شداد
ياكلن ما قدمتم لهن اى ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز
تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة
ثم ياتى بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون
من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار
وقيل يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائى بالتاء على تغليب المستفتى وقرئ
على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبنى للفاعل منه
اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدى
بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين
مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع فى السنين المخصبة فى السنين
المجدبة ولعله علم ذلك بالوحى او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة
الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتونى به بعد ما
جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة
اللاتى قطعن ايديهن انما تانى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر
براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه
دليل على انه ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواقعها وعن النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم لو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال
فاساله ما بال النسوة اللاتى ولم يقل فاساله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على
البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة
للادب وقرئ النُسوة بضم النون ان ربى بكيدهن عليم حين قلن لى اطع
مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله تعالى عليه وعلى انه برى
مما قرف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن
ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف
عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله
ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امراة العزيز الان حصحص الحق
ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال حصحص فى صم الصفا
ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث

ظهر بشره رائه وقرئ على البناء للمفعول أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين
في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد إليه الرسول
وأخبره بكلامهن أي ذلك التثبت ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب بظهر الغيب
وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب
عني أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة وأن الله
لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين بكيدهم
فأوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد
لأمانته ولذلك عقبه بقوله وما أبرئ نفسي أي وما أنزهها تنبيها على أنه
لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة
والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه لما قال ليعلم أني لم أخنه قال له جبريل ولا حين
هممت فقال ذلك إن النفس لأمارة بالسوء من حيث إنها بالطبع مائلة
إلى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات
إلا ما رحم ربي إلا وقت رحمة ربي أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك
وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة وقيل الآية
حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف وأضرابه وقرأ قالون والبزي
بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الإدغام إن ربي غفور رحيم يغفر هم النفوس
ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه
ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي
أجعله خالصا لنفسي فلما كلمه أي فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء
قال إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روي
أنه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك
قال اللهم إني أسألك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه
ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف
سبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن أسمع
رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه
على السرير وفوض أمره إليه وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه
وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها أفرائيم وميشا قال اجعلني
على خزائن الأرض ولني أمرها والأرض أرض مصر إني حفيظ (بالأمانة) لها ممن لا يستحقها
عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة
آثر ما يعم فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية وإظهار أنه
مستعد لها والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة

الخلق

الخلق إلا بالاستظهار به وعن مجاهد أن الملك أسلم على يده وكذلك مكنا
ليوسف في الأرض في أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها
حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء
في الدنيا والآخرة ولا نضيع أجر المحسنين بل نوفي أجورهم عاجلا وآجلا
ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه
ودوامه وجاء إخوة يوسف روي أنه لما استوزره الملك أقام العدل
واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم
القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس إليه فباعهما أولا بالدراهم والدنانير
حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الأمر على الملك فقال الرأي رأيك
فأعتقهم ورد عليهم أموالهم وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد
فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
أي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم
إياه وتوهمهم أنه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة
تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم أصلحهم بعدتهم
وأوقر ركائبهم بما جاؤوا لأجله وأصل الجهاز ما يعد من الأمتعة للنقلة كعدد السفر
وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما تزف به المرأة إلى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر
قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم روي أنهم لما دخلوا عليه قال من أنتم وما أمركم
لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء
اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أحدنا إلى البرية فهلك قال
فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا عند أبينا يتسلى به من الهالك
قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة
وائتوني بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فأصابت شمعون وقيل كان يوسف
يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لأخ لهم من أبيهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به
ليعلم صدقهم ألا ترون أني أوفي الكيل أتمه وأنا خير المنزلين للضيف
والمضيفين لهم وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم
عندي ولا تقربون أي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو إما نهي أو نفي معطوف
على الجزاء قالوا سنراود عنه أباه سنجتهد في طلبه من أبيه وإنا لفاعلون
ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي
وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فإنه
وكل بكل رجل واحدا يعبي بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما

وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا
من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها
او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم
ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع
من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى
الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه
قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له
لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امره اليه وهو ارحم الراحمين
فارجوا ان يرحمني بحفظه ولا يجمع على مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا
في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ
خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا
يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا
وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول
ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب
وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا
استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت
الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا
وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية
فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي
لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا
استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال
لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه
الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير
لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون
موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله
لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم
الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من
اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل
على ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم

كقولهم

كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم
قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال
يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال
وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك يخاف عليهم ان يدخلوا
كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين
حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي
يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات
من كل هامة وعين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت
به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم
سوءا ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين
في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء
لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم
راي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب
فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب
الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني
شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم
لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء
ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر
ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل
روي انهم اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان
اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم
بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك
بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا
يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه
قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت تسقى بها الدواب
ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف
جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها
العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية والنداء
عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم

لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد
فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها
فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شي ضاع منكم والفقد غيبة الشي
عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا
قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين
وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم
كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل
قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم
لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة
التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه
فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في
ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد
في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له
او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي
خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله
فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف
لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية
او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة
كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا اليه ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ
دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك
فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى
واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم
عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم
لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام
فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة وانه لا فرق بينه
وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم
وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد انتزاعها منه فشدت المنطقة على وسطه

ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم
وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت
عناق او دجاجة فاعطاها السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها
ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية
بشريطة التفسير وتفسيرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى
قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع
مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون
الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون
قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر ذكروا له حاله
استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك
مستأنس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين
الاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده
فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم
هذا وان مراده ان الله تعالى اذن في اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته
ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف
واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزي استايسوا بالالف
وفتح الياء من همز والياقون بالهمز واسكان الياء من غير الف في اللفظ
واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله خلصوا انفردوا
واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق
وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم وهو روبيل في السن او في الراي
وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله
عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله تعالى موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد
من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه
وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول
تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وعلى اسم
ان وخبره في يوسف او من قبل والرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر
لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون
موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم
فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الرجوع اليه
او يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم
لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا

او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل وقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه
فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم
فمسه الآخر ذهب غضبه وقال رجل من هذا ان في هذا البلد لبزرا
من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم
فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سُرِّق
اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع
استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري
انه سرق او سُرِق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر
حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف
واسأل القرية التي كنا فيها يعني مصر او قرية من قربها لحقهم المنادي فيها
والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير
التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد ومحله القسم قال بل سولت
اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت
وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقدمتموه والا فما ادرى الملك ان السارق
يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله
ان يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم
بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف
منهم وقال يا اسفا على يوسف يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد
الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه
والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا
بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة
من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد عليه السلام الا ترى
الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفا وابيضت
عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل
ضعف بصره وقيل عمي من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء
عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه
عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم
لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه ولا يظهره
فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى
فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا تجرعه واصله كظم البعير

جرته قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال
تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا
يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي
حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض
وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف
وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما
اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله
لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته
فانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون
من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي
وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا
فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس
طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه
وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء
من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة
ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة او قليلة
ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت
دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط
وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا
او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة
الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه وعليهم السلام ان الله يجزي المتصدقين
احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه
صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب
من الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه
فعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا
بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال
ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم
لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له
ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان
فعلهم ذاك كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك

لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ
ابن كثير وقالون على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم وقيل
تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأى علامة بقرنه تشبه الشامة
البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي
وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما له وادخالا له في قوله قد من الله علينا
اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او
على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين
موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله
لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا
لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا بك قال لا تثريب
عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش
للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه
اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم
اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن
جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر
ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه ارسلوا
اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك
لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى
ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم
وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان
في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا اي ذا بصر
واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما
فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد
ريح يوسف اوجده الله تعالى ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه
يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان
عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي
وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا
اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب
قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير
يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه

القاه

القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه
فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم
من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام
مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا
يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح
عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا بالوقت الاجابة او الى ان
يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده
ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما
اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك
وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر
كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا
ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين
دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى
ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه
ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب
في قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه
والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف
المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان
في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
تحية وتكرمة فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله
سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه ولاخوته والرفع مؤخر عن الخرور
وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل
رأيتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني
من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية
لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني
وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها
على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا
وينفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير
الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته على وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف
طاف بابيه في خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك

اغفلك تح

عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال
او ما تسأله قال انت ابسط منى اليه فسأله فقال جبريل الله امرني بذلك
لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك
بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الاحاديث الكتب والرؤيا
ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل فاطر السموات والارض
مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى برأسه انت وليي ناصري
او متولي امري في الدنيا والآخرة او الذي يتولانى بالنعمة فيهما توفني
مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة
والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى
ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده
ثنتين وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله
طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في
صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا
شرعا فيه ثم نقله موسى عم الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد
له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب
ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدأ
من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم
وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك
لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابت الجب
وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك
ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره
في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا
وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم
بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن
من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين
عامة وكأين من آية وكم من آية والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة
على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون
عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون
الضمير لها اي عليها وبالنصب على ويطأون الارض وقرئ والارض يمشون
عليها اي يترددون فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في

في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار
اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك
وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا
ان تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة
بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها
قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل
بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة
غير عمياء انا تأكيد للمستتر في ادعوا وعلى بصيرة لانه حال منه او مبتدأ
خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين
وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء
ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء يوحى اليهم كما اوحي اليك
ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي هنا وفي النحل والاول في سورة
الانبياء ووافقه حمزة والكسائي في الحرف الثاني في سورة الانبياء وحمزة
والكسائي يميلانها على اصلهما من اهل القرى لان اهلها اعلم بذلك واحلم
من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا
المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة
او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون يستعملون
عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ ابن عامر ونافع وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على
قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل
غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا
حتى آيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين
متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم
بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن
المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم
والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر
وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا
ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب
على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل
التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم
فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا

فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء
النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان ينشاء
نجاتهم ولا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي
المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم
وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة
يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف
والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه
في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط
وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه عن
النبي عليه السلام علموا ارقاءكم واقرباءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها
وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الى قوله	بسم الله الرحمن الرحيم	ويقول الذين كفروا وآيها خمس واربعون

المرا قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب
السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن
والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب
عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء
وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص
المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس
وغيره مما نطق به المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم
بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدا وخبر ويجوز ان يكون
الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب
او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استئناف
للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان
ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في الحقيقة الجرمية واختصاصها
بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات
على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى
على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة
المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري

لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره
وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد
والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها ويبينها
مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا
فيها وتتحققوا كمال قدرته وتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها
قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت
عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت
من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل
او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال
اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين
اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود
والابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما
بعد ما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على
وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات
بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح
للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون
وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض
لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة
في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها
انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على جنات صنوان
نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص
بالضم وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل اي في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا
مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون
الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تاويل
ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من
انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على
انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة

على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال قدرته
وقبول المواد لانواع تصرفاته وإذا كنا ترابا إنا لفي خلق جديد بدل من قولهم
او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه أإنا لفي خلق جديد أولئك
الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث وأولئك الاغلال في اعناقهم
مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة وأولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا
بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات
امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة
بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه
المثال للقصاص وامتثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات
بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع
والمثلات بفتح الميم على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة
والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع
ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او أول المغفرة بالستر والامهال
وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي عليه الصلوة والسلام
لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات
المنزلة واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام انما انت منذر
مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك
من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات
من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر
على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات
ثم اردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها
على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد
دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم
بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله انه على اي حال
من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه
وما تزداد في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس
عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة رضي الله عنه روي ان الضحاك ولد

رد لما في الكشاف من تجويز ان يراد الكبائر بشرط التوبة ومن منع ذلك من اهل الاعتزال س

لسنتين

لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية
ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن
ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض
وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد وقال تعالى وازدادوا تسعا
فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على
المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه
كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال
معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق
وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في
هذه الاربعة الاحرف حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون
بغير ياء عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير
العظيم الشأن المتعال الذي لا يبرح عن علمه شيء المستعلي على كل شيء
بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول
في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبإ
من الليل وسارب بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو
عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب
يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية
متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب
معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء
على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه
او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات
جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى
القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم وما اخر
يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او
يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من
بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة
واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه
الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه
دليل على خلاف مراد الله تعالى محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه

ثم اكد كونه عالما بجميع المعلومات فقال سواء الخ

وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذو او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رض سئل النبي عليه السلام عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه الرسول عليه السلام وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة المكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة الرسول عم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم

في معالم التنزيل قال محمد بن علي الباقر رض الصاعقة تصيب المسلم ولا تصيب الذاكر وفيه قال ابن عباس رض من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته تمت

والذين

والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك الهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال الا في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤوا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والاصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه اولياء ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق

موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله
وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شي انزل من السماء ماء
من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت
اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه
واستعمل للماء الجاري وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها
اي بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر
فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون
عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون
بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي او متاع كالاواني والات الحرب
والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه
زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص
بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل
مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء
فيسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في
الارض بان يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون
والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة
ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما
وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء اي يجفاء به اي يرمي به السيل
او الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس
كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله
الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا
لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام
متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما
وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا
خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام
مبتدا لبيان مال غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه
بان يحاسب الرجل بذنبه ولا يغفر منه شي ومأويهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد
المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة
لانكار ان يقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر
اولوا الالباب ذوو العقول المبراة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم

الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين
قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق
بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله
به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج
في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون
سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين
صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه
لا لجزاء او سمعة او غيرهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم
بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية
لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة
بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة
الدنيا وما ينبغي ان يكون مال اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت
بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا
بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها
والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم
وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير
الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ
فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة
وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة
في دخول الجنة زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب
لا ينفع والملئكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من
ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر
فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون
والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون
عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار
والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم
وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة
الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه
ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة
الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب

وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجب به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارساله اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا او عيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير

وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المأيوس عنه لا يكون ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه عليه السلام كان لا يزال يبعث اليهم السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعل ما مصدرية او الخبر المحذوف للمبتدأ او لم يوحدوه وتقديره افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء له يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول

من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب
عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم
فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل
سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو وصدوا بالفتح اي
وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصدٌّ بالتنوين ومن يضلل الله
يخذله فما له من هاد يوفقه الى الهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل
والاسر وسائر ما يصيبهم من المصيبات ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه
وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد
المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه
اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة
قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها
الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة
اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس
تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين
النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين
اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب
كابن سلام واصحابه ومن امن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون
بما يوافق كتابهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة
ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه
وهو ما يخالف شرايعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله
ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله
واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف
شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام
وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعوا لا الى غيره واليه مآب
واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا
ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه
وكذلك اي مثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها
انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب
ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي
يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك

من

من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب
عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في الدين ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي
لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية تقترح عليه
وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه الملي بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت
وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحوا الله ما يشاء
ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب
ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء
ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رءاه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت
اخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ
اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك
البلاغ لا غير وعلينا الحساب المجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل
بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفرة
ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه
لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل الحق معقب لانه يقفو
غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك
كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه
وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعد ما عذبهم والاجلاء
في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا
اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم
ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين
حينما ياتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام
يدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما
عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد
عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز
او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى
بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيجزي

الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم	بسم الله الرحمن الرحيم	خمسون آيات

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سائله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او انه خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول مع صلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم

واحق

واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم تنزل ليبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقائعه التي وقعت على الامم الداثرة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا النعمة وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد به العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان

والعمل الصالح لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد
فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد
ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تاذن على انه يجري
مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا
من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود
يحمده الملئكة وينطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم
حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبؤا الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدا من الله
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم
عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله
ولذلك قال ابن مسعود رض كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم
الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء عليه كمن غلبه الضحك
او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت
من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء
يمنعونهم عن التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي
اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع
في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه
من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة
وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم أفي الله شك ادخلت
همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم
الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك
بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف
يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته
لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب
الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه
ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت
في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك
فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى

وجعله

وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون
بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان
مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة
كانهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا
ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه
عليهم وفيه دليل ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض
بمشيئة الله تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا
الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي بما اقترحتموه وانما
هو امر متعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر
للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا
ان لا نتوكل على الله اي اي عذر لنا ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي
بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت
ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم
بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على
ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين
اما اخراجكم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم
قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد
فاوحى اليهم اي الى الرسل ربهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء
مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ
ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولهم اقسم زيد ليخرجن ذلك
اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف
مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او
قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي
بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على اعدائهم
او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة بمعنى الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين

فانهم كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا
على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب
كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان
الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من
بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة
وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على
محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد
عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه
وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه
فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق
بسهولة وقبول النفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد
فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره
وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب
غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود
في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة
في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة
رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم
صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما
يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة وقوله اعمالهم كرماد وهي على الاول
جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت
به الريح حملته واسرعت في الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف
العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم
وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف
واعتاق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس
من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح
العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه
فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم
مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن
طريق الحق الم تر خطاب للنبي والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة
على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي
يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم

ويأت

ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا
للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف
عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق آخر
ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر
فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان
حقيقا بان يعبد ويؤمن به رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا
لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على
ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان
يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال
الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ
من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم
الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض
عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على
اضمار المضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء
من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول
اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو
بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية
مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين
استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع والاعتذار عما فعلوا بهم لو هدانا الله
للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه
لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم
كما عرضناكم له لكن سد دوننا طرق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب
من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت
ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده
ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون
تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان
لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه
ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل
وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل

تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط
فالجيكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويل
وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني
بوسوستي فان من صرح بالعداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم
حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك
على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون
لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم
بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل
في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلث
كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري
ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة
اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمون اي
كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرات منه
واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم
سبحان الله ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه
وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها
من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك منقول من
شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه
او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين
وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم
باذن الله وامره والمدخلون هم الملئكة وقرئ وادخل على التكلم فيكون قوله
باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي يحييهم الملئكة بالسلام باذن
ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة
اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون
كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة
وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع
على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها و
اعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ
الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول

على اصله

٢٤٩

على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها
كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله
الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه
تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل شجرة
خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لان
عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة
ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة
بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك
فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعاء الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان
على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا والشجرة
في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت اي الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم
في الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون
والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا
عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة وروي انه عليه السلام
ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه
في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله
وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي
فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون
في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين
من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله اي شكر نعمته كفرا
بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم
فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه
وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء
فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران
من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو
امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار
دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها
او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم

وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله
الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس
الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل
كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات
التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب
لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله
فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من آمر
مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على
انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي
قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا
مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك
فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح
تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك
كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا
وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط
وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا
سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال
اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان
الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر
ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك
خليلك او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما
ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدا وخبر
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو
يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه
ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر
لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته
الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم
وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات اي
وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما

سالتموه اي بعض جميع ما سالتموه يعني من كل شئ سالتموه شيئا فان الموجود
من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سالتموه ما كان
حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسال وما يحتمل ان تكون
موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل
بالتنوين اي واتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز
ان تكون ما نافية في موضع الحال اي واتاكم من كل شئ غير سائليه وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها
غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان
لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار
شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع
واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها
والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤل في الاول ازالة الخوف
عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني
واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما
على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة
الانبياء بتوفيق اياهم وحفظه لهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته
وزعم ابن عيينة ان اولاد اسماعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت
لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا
حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سالت
منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن
باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني
اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم
تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل
ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره
ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول
وهم اسمعيل ومن منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع
يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت
التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممتنعا يهابه الجبابرة او منع منه
الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ودعا بهذا الدعاء
اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر
كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فولدت منه اسماعيل فغارت

عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله تعالى
عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه
فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البانها ففعلت
ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم
بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك
المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصود بالذات من اسكانهم
ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم
باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها
فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض
ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم
ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة
ناس وقرأ هشام افئدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو
يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم فاعل
من أفدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وأفدة بطرح الهمزة
للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من أفد
تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووددا وقرئ تهوى على البناء للمفعول
من اهوى اليه غيره وتهوى من هوي يهوى اذا احب وتعديته بالى
لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه
لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه
ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم
باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا
ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك
وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك
وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجاء الى الله تعالى وما يخفى على الله
من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي تستوي نسبته
الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة
واظهارا لما فيها من الآية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل
لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء
لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة

عمل

عمل الفعل اضيف الى فاعله او مفعوله على اسناد السماع الى دعاء الله
على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله
حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة
معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض
لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار
ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي
ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما
آدم وحوى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام
على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف
واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب
لرسول الله والمراد به تثبيته على ما عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى
عليه خافية والوعد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم
غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم
انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين
الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال
على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم
شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء
خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان
قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء
وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم
العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان
لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب
اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا
وابقنا مقدار ما نؤمن بك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر
ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم
تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم
جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا
لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا
شديدا وأملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا
لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم

لايبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي
كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل
بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم
بما تشاهدون في منازلهم من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم
وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب
او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا
مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم
ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له
وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال
ومعدا وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان
الجبال مثل لامر النبي ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا
ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرايعه وقرا الكسائي
لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم
مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم
ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا
بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده
احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام
لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف
للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف
لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض والتقدير
والسموات غير السموات والتبديل يكون كقولك بدلت الدراهم بالدنانير
وعليه قوله بدلناهم غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا
اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية
تحتملهما فعن علي رض تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن
ابن مسعود وانس رض يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد
خطيئة وعن ابن عباس رض هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه
ما روى ابو هريرة رض انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد
مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول
ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني
ان يجعل الله تعالى الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا

ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا
من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين
للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا
مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم
في العقايد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او
مع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم
وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته
ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد
وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض
بساعد وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء
قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى
فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود
اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه
ونتن ريحه واسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت
بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية
والهيات الوحشية فتجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب
قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال
ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها
لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي
خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات
ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله يوم يسحبون
في النار على وجوههم ليجزي الله اي يفعل ذلك بهم ليجزي كل نفس
مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين
يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك
ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب
هذا اشارة الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه
من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به
عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام
متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف تقديره ولينذروا به
انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا

انما هو اله واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه والمنبهة
على ما دل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا
بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة
في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى
كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى
جعلنا الله من الفائزين بهما عن النبي عليه السلام من قرأ سورة ابرهيم
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي	بسم الله الرحمن الرحيم	تسع وتسعون آية

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة
والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا
كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة
وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وبالتاء
وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي
لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل
ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل
فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه
فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم
افاقة ما تمنوا ذلك والغيبة في حكايته ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله
ليفعلن ذرهم دعهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار
واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا
عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان
وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم
وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل
مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها
الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال
ادخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون
اي وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي
نزل عليه الذكر نادوا به النبي عليه السلام على التهكم الا ترى الى ما نادوه له

وهو قوله انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل عليك
الذكر اي القرآن لو ما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا للمعنيين امتناع
الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة
كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك
كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك
ما ننزل الملائكة بالياء مسند على ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل
الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة
في ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة
فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب
وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة
ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده
من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص
بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان
او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه
بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين
في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا
تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا
فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن
كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه السلام وما للحال لا يدخل الا مضارعا
بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه
في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط
والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل
في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله تعالى لا يؤمنون به له وهو
حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين
مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا
يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة
حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى
الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم
وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة

ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او
تصعد الملئكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق
انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه
قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرا سكرت
بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره
من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له
بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا
اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة
السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين
بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها
الا من استرق السمع بدل من كل شيطان رجيم واستراق السمع اختلاسه
سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة في الجوهر
او بالاستدلال من اوضاع الكواكب او حركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا
لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد عم
منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها
اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه
فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد
يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها
والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال
من كل شيء موزون مقدار بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من
قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعم والمنفعة
وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة
على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم
والمراد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا
فان الله يرزقهم واياكم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة
بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات
والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته
وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك
ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه

اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه
فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي
لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم
حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات
مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح
لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل
كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح
بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح
على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا
وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه
او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم
كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به
الناس فان طبيعة الماء يقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص
وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها
وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر
ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر
ومن خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد ومن تقدم في الاسلام
والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان
لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل
على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول
فازدحموا عليه فنزلت وقيل امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض
ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير
للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد
والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء
يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله
عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين
يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل
من حما طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال
اي كائن من حما مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبين

اي يصور كالجواهر المذابة تصب صورته في القوالب من السن وهو الصب
كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل
ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت
الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان
ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان
لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس
باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل خلق الانسان
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة
في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة
التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها
الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق
الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين
فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد
للجمع والاحياء واذ قال ربك اذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا
من صلصال من حما مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح
فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي
واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار
اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها
في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا واضافة
الروح الى نفسه لما مر في النساء فقعوا له ساجدين امر من وقع يقع
فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص
وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه
نظر اذ لو كان الامر كذلك لكان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل
منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى
وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل قال هل سجد
قال يا ابليس مالك ان لا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين
لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي
ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني لطيف خلقته من صلصال
من حما مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص
ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف
قال فاخرج منها اي من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود

من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد
يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد
الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء
وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر تنسى عنده
هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه
بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة
بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد
فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه
الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور
ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف
الاعتبارات فعبر عنه بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم
بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين
ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق
في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس
لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني
الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى باغوائك
اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض
وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا
الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لادم او بالاضلال
عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه
وتسليطه على اغواء بني ادم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون
على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا
لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب
ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم
المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي
وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا
نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه
والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من اغوائه او الاخلاص
على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج واضلال
وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من

ابتعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم
المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم
او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده
فان منتهى امره التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول
يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض
الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين والمتبعين اجمعين
تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف
ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب
يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم
ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد
لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية
والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم
افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني للنصارى والثالث لليهود
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين
وقرا ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي
ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه
او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم
ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات
وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها انهار من ماء غير آسن الاية وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام
وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين
ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض
فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفة والزوال
ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم
ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضه ارجو
ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة
ومراتب القرب اخوانا حال من ضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير
في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله
على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميرهم

لانه

لانه بمعنى متصافين او يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم
فيها نصب استيناف او حال بعد حال من الضمير في متقابلين
وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد
وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب
باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب
ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابرهيم على نبئ عبادي
تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك
سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا
بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس
لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله
ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف بمعنى التعليل
للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر
بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني
على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له ولد مع مس الكبر او انكار
لان يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة
تبشروني او فباي شئ تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة
بغير شئ وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القران على ادغام نون
الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا
لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك
بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق
وهي قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك
فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان
وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم عليه السلام باعتبار العادة دون
القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون
طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون وقرا ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر
وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي
فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود
ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى
بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة

الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان
منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين
كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به
وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين
وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به
القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى
خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء
من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف
الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا
قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر
قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علقت والتعليق من خواص افعال القلوب
لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا يجري مجرى قلنا لان التقدير
بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى
انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء آل لوط
المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني
بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله
بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به
فيمترون فيه واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون
فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان
بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل
في طائفة من الليل وقيل في آخره قال فتحي الباب والنظري في النجوم
كم علينا من ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم
وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول
ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه
العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وامضوا
حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى
وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه
اي واوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره
ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدلية منه وفي ذلك تفخيم للامر
وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم

حتى

حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من
الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء
وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال
ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه
فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون
بسببهم من الخزي وهو الهوان او ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء
قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم
كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة
الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة
بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما
اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي عليه السلام وقيل لوط
عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر
مختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم
لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب
الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير
لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة
وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا
عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة عليهم
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل
وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات
للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة
الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس
ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسوله وان كان
اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله
اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة المتكاثرة فانتقمنا
منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان
مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق
واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به
ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب
واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا
ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه واتيناهم

آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته
كالناقة وسقبها وشربها ودرّها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء
لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال تحميهم منه
فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت
الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلايم استمرار الفساد ودوام الشرور
فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هولاء وازاحة فسادهم من الارض
وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل
ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية
السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم
العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينهم او هو الذي خلقكم
وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اليق وفي مصحف عثمان وابي
هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك
سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها
الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل
التوبة وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل السبع صحايف
وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء
فان كل ذلك مثنى تكرر قراته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه
بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله تعالى بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه
الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القران او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض
والقران العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على
البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين
على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به
ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه
كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رض
من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر
عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام وافى باذرعات سبع قوافل
ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة
فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله
فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن

عليهم انهم لا يومنون وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمومنين
وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان
ان عذاب الله نازل بكم ان لم تومنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل
العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه
والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا
الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين
اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة
مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون
هم الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق
للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة
واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان
القران ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وقوله ولا تمدن الى آخره اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا
القران عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة
اذا جعلها اجزاء واعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث
لعن رسول الله العاضهة والمستعضهة وقيل اسحار وعن عكرمة العضه
السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول مع صلته صفة
للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون
من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا
من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم
بها جهارا او فارق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية
او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن
المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم
واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص
ابن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
يبالغون في ايذاء النبي عليه السلام والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله
امرت ان اكفيهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم
فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى
الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت
كالرحى ومات واشار الى انف عدي فامتخط قيحا فمات والى الاسود
ابن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب

وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي فصل عليه
الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين
ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القران
والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح
والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له
على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام
انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا
ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة الحجر كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام

سورة النحل مائة | بسم الله الرحمن الرحيم | وثمان وعشرون اية

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام
الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون
ان صح ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر
الموعود به بمنزلة الاتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا
وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون
تنزه عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء
على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على
ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله وثب
النبي عليه السلام ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل
الملائكة بالروح بالوحي او بالقران فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل
او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة
الى الطريق الذي به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة
لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل
وعن يعقوب مثله وعنه تنزل وقرا ابو بكر ينزل على المضارع المبني
للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده
ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا
اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون
او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا فاتقون وقوله فاتقون

رجوع الى مخاطبتهم وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول
او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة
من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله
التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى
الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والايات التي
بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد
لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك
لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما
على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته
تعالى عما يشركون منهما او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر
على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان
من نطفة جماد لا حس بها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل
فاذا هو خصيم منطيق مناظر مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه
قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى رسول الله
بعظم رميم وقال يا محمد اترى يحيي الله هذا بعد ما رم فنزلت والانعام
الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف
على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء
ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع
ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم
والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاي او لان الاكل
منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات
المأكولة فعلى سبيل التداوي والتفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون
تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة
الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين
اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة
الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون
وصف له بمعنى تريحون وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا من ان تحملوها على ظهوركم اليه
الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح
مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف
قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر

عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة
اي لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم
لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها
الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل
ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من احدى الضميرين اي
متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم
من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه
ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر
ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا
او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم
لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله
قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها
رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد
وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه
والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر
مائل عن القصد او عن الله تعالى وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله
ان يبين طرق الضلالة ولان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد
والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهداكم
اجمعين اي لو شاء هدايتكم لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء
هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب
اي ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها
يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله
فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني
الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال يعلفها اللحم
اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت
الماشية واسامها صاحبها واصله السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي
علامات ينبت لكم به الزرع وقرا ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض
كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء
حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة
وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان

من تامل ان الحبة تقع في الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فتنشق
اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وتنشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو
ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام
مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتاثيرات
الفلكية علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد
والانداد ولعل فصل الاية لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم بان هياها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعها بها
حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره
او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات
حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا
ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد
مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف
النوع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم
بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم
يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة
لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرا لكم
في الارض عطف على الليل اي وسخر ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات
مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية
لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع
حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة
لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه
عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف
لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف
وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث
الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ
والمرجان اي تلبسه نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها
لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها
من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله
من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله
فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام

من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعايش والقى
في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم
وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت
كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة
كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال
على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز
فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض
جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت
بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم
تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله تعالى وعلامات ومعالم يستدل
بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون
بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم
بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش
والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثير الاسفار للتجارة مشهورين
بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم
النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون
فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق
انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد
بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر
على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق
كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه
اولوا العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة
ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه
قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده
افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر
عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا
عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة
على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ماوراء ما عدد نعما لا تنحصر
وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم
في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة

على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم
وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله
اي والالهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ عاصم يدعون بالياء
لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق شيئا
لينتج انهم لا يشاركونه بين انهم لا يخلقون ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات
تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود
الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات
لا يعتريهم الحيوة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود
والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان
يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت
جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب
والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد
تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك
عدم ايمانهم بالاخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع
فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان
اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن
اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب
ولذلك رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه
لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله
واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم
او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل
اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او الفرض او على تقدير انه منزل
فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم
وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال
عن المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان
جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل
الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم

اي سوّوا المنصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد
فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف
من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان
بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله
الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار
لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي اضاف
الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة لتوبيخهم وقرا البزي بخلاف عنه
اين شركاي بغير همز والباقون بالهمز الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون
المؤمنين في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة
المؤمنين كمشاقة الله تعالى قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء
الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة
ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم
اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته ليكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم
الملئكة وقرا حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول
يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم
فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا
نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به
القول الدال على الاستسلام بلى فيجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم
بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الاية
استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز
الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين
سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله تعالى او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم
كل صنف بابها المعدلة له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين
فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا ونصبه دليل على انهم لم يتلعثموا
في الجواب واطبقوا على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي
ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر الرسول فاذا
جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الآخرة خير
اي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز

ان

ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا
ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن
خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري
من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي
تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة
كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول
الذين تتوفيهم الملئكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي
لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة
او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون
سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون
فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول
حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة
لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيمة
او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب
فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما
عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف وتسمية الجزاء باسمها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا
في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا
ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة
والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع فما الفائدة فيهما
او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها
لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه
لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين
كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله
فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر
في هدى من شاء الله هداه لكنه مؤد اليه على سبيل التوسط وما شاء الله
وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها ثم بين ان البعثة
امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه
وزيادة لضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي
ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله

واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم
من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة
اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه
من الدلالة على تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه
قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الاية الاخرى فسيروا فى الارض يا معشر
قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم
تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدى من يضل
من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين
لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم
بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف
على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث
مقسمين عليه زيادة فى البت على فساده وقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال
بلى يبعثهم وعدا مصدر موكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث
موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف فى وعده اولان البعث
مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكم التى جرت عادته بمراعاتها
واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين
فقال ليبين لهم اى يبعثهم ليبين لهم الذى يختلفون فيه وهو الحق
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة
الى السبب الداعى الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو المميز
بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا
لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره
ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المواد
والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة
ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائى ههنا وفى
يس فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا فى الله
من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر
بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون
بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم بلال وصهيب
وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله فى الله اى فى حقه
ولوجهه لنبوئنهم فى الدنيا حسنة مباءة حسنة وهى المدينة او تبوئة حسنة

ولاجر الاخرة اكبر مما يعجل لهم فى الدنيا وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه
كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال له خذ بارك الله لك فيه
هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ادخره لك فى الآخرة افضل لو كانوا يعلمون
الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقهم
او للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم الذين
صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع
على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم رد لقول قريش الله اعظم
من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة
العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة فى ذلك قد ذكرت
فى سورة الانعام فان شككتم فيه فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب
او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفى الاية دليل على انه تعالى
لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا
فمعناه الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين
بصورة الرجال ورد بما روى انه عليه السلام راى جبريل عليه السلام
على صورته التى هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم
بالبينات والزبر اى ارسلناهم بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب
كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا فى الاستثناء
مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا
بالسوط او صفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحى على المفعولية او الحال
من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فسئلوا اعتراض او بلا تعلمون
على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اى القران وانما سمى
ذكرا لانه موعظة وتنبيه للناس لتبين للناس ما نزل اليهم فى الذكر
بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه ومما تشابه عليهم والتبيين اعم
من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل
ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين
مكروا السيئات اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء
او الذين مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله
بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او ياخذهم فى تقلبهم اى متقلبين
فى مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف على مخافة

بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص
شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته
روي ان عمر رض قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من
هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك
في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها
تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر رض عليكم بديوانكم
لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني
كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما
خلق الله من شيء استفهام انكاري قد رأوا امثال هذه الصنائع فما لهم
لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة
بيانها يتفيؤا ظلاله اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة
وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو وتتفيؤا بالتاء عن اليمين والشمائل
عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة عن يمين
الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى
كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما
حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان
بالطبع او بالاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير
اذا طأطأ رأسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال
من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف
مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة
لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد
والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله
تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور
من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه
الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله
وهو الجانب الغربي المقابل فان الاظلال في اول النهار تبتدئ
من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ
من المغرب على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات
وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا
والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات
والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية

سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل
على الملائكة او عطف المجردات على الجسمانية وبه احتج ان الملائكة ارواح
مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له
اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء
كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من
تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم
يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله
وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له
وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون
من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون
بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد
مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان
الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة
على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة
من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة
في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي
فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين
الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه
وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء
اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون
ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله واي شيء
اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط
باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار
بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون
الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر
عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره
هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان
كأنه قال اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر
بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف
عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا
امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول

عطف على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد
للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اى لالهتهم التى
لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التى لا يعلمونها فيعتقدون
فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف
او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا
مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون
من انها الهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله
البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملئكة بنات الله سبحانه
تنزيه له عن قولهم وتعجب منه ولهم ما يشتهون يعنى البنين ويجوز
فى ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب بالعطف على البنات
على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل
والمفعول لشئ واحد لكنه لا يبعد تجويزه فى المعطوفات واذا بشر احدهم
بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكابة
والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو
كظيم مملو غيظا من المراة يتوارى من القوم يستخفى منهم من سوء ما بشر به
من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه على هون
ذل ام يدسه فى التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ
وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد
ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء صفة السوء
وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واشتهاء الذكور استظهارا بهم
وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى
وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات
المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها
من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشوم ظلمهم
وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن ادم
او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا فاذا جاء
اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا لا محالة
ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين
حتى الانبياء لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم

ويجعلون لله ما يكرهون اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء
فى الرياسة والاستخفاف بالرسل وارذال الاموال وتصف السنتهم
الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اى عند الله كقوله ولئن
رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة
للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم
مفرطون مقدمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته
وقرا نافع بكسر الراء على انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد
مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم فى الدنيا
وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان زين لهم او يوم القيمة
على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اى
زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغريهم
ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو ولى امثالهم والولى القرين والناصر
فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم فى القيمة
وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذى اختلفوا فيه
من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين
والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات
بعد يبسها ان فى ذلك لاية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف
وان لكم فى الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم
مما فى بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا
للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده
سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياس ومن قال
انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده
او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب
نسقيكم بالفتح هنا وفى المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق
من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء
الماكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس رضى الله عنه
ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا
واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة

ماوة اللبن واعلاه ماوة الدم الذي يغذي البدن فانهما لا يتكونان
في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقي
ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا
اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من
المرتين فتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء
بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان
الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة
على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب
ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية
البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان
واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة
فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته
ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية
كقوله سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه
الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه
على انه موضع عبرة خالصا صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة
الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا
للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات
النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استئناف
لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا وخبر لمحذوف
صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه
وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير
او لان الثمرات بمعنى التمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر
والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر
فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل
الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد
الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لاية
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات واوحى ربك
الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي
بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير

على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وفي كل شجر وكل ما يعرشون
من كرم او سقف ولا بد في كل مكان منها وانما سمي ما يبنيه لتتعسل فيه
بناء تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي
لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالآلات والانظار الدقيقة ولعل ذكره
للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون
بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها
فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته
النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل
العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا يتوعر عليك
ولا يلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله
وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به
يخرج من بطونها كانه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس
لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب
يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق
العطرة فيستحيل في باطنها ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط
بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها
في ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان عسلا فسر البطون بالافواه
مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب سن النحل والفصل
فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في
سائر الامراض اذ قل ما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه
مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان اخي اشتكى بطنه فقال
اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه
العسل فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ
فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن ولما بين الله من احوال النحل
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك
العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد من قادر
حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة
ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية
في نقصان القوة والعقل وقيل هو تسعون سنة وقيل هو خمس وسبعون

لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان
وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط
ويبقي الهم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا
بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان
ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم
على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم ومنكم موالي يتولون رزقهم
ورزق غيرهم ومنكم مماليك على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي
رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فانما يردون
عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك
سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون
واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون
بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما
انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له
شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه
من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها
والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم
وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا
بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة
والبنات يخدمن في البيت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات
وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين
ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق
في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم
او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم
يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم
الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على
الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا
منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يملكوه او لا استطاعة
لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة

ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون
شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له
مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال
ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة
عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته او عظم جرمكم فيما تفعلون
وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما اجترأتم عليه فهو تعليل للنهي
او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز
ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم يضرب الامثال وانتم لا تعلمون
ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه ضرب الله
مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو
ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشركون به بالمملوك العاجز
عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا
فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية
بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام
التي هي اعجز المخلوقات وبين الله تعالى الغني القادر على الاطلاق
وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك
للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون
وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك شيئا والاظهر
ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس
فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه
غيره فضلا عن العبادة لانه مولي النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون
نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم
ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير
لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره
اينما يوجهه حيث ما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول
ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي
لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن
هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس يحثهم على العدل الشامل
لمجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على صراط مستقيم
لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات
بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه لنفسه

وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله
غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب
فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة
فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة
وما امر قيام القيمة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف
من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون
في زمان نصف تلك الحركة بل في الان الذي يبتدئ فيه فانه تعالى
يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل
وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي
يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله
على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا
ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرا الكسائي
بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء
مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون
بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات
ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا
من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا
ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكرونه الم يروا الى الطير قرا ابن عامر
وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء
في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل
جسدها يقتضي السقوط ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها
ان في ذلك لايات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن
معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيها وامساكها في الهواء
على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم
من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة
من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر
والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق
عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها

ونقلها

ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم وضعها وضربها
وقت الحضر او النزول وقرا الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح
وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة
والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها
اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان
فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم
والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون
حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف
والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان
والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية
الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن
والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت
يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او
تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون
من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح
بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ
المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب
مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي
عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله تعالى ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم
عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام عرفوها بالمعجزات
ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون
الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل
او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه
يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة
شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين
كفروا في الاعتذار اذ لا عذر وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما
يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما
يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم
يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره
اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب

عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون
واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء
او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف
بانهم مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول
انهم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم
حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع
انطاق الله الاصنام حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا
والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان
آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم
عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون
بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم
يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء
على امتك ونزلنا عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد
تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل والاجمال بالاحالة
الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه
وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور
اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب
المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط
بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير
والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل
او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب
ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء
عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان
واشنعها والمنكر ما ينكر عن متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي
والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي
هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج

في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال
ابن مسعود رضي هي اجمع اية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام
عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الاية لصدق عليه
انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله
ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير
والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله
على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل
امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان
بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها
توثيقها بذكر الله ومنه أكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه
ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي
نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق
بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات
نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني
لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه
وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل
ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار
الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شانها متخذي ايمانكم
مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة
هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى
لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم
كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم
انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم
بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول الله
ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير
لاربى وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون
اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء
بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي

فتزل قدم اى عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم
انما وحدوا ونكر للدلالة على ان لكل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام
كثيرة وتذوقوا السوء العذاب فى الدنيا بما صددتم عن سبيل الله
بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة
وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم فى الاخرة ولا تشتروا
بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا
وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم
على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الاخرة
هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز
ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضى ويفنى وما عند الله
من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق ودليل على
ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة
واذى الكفار وعلى مشاق التكاليف وقرا ابن كثير وعاصم بالنون
باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات
او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين
دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب
وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب فلنحيينه حيوة طيبة فى الدنيا عيشا
طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة
والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فى الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان
معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص خوف الفوات ان يتهنا
بعيشه وقيل فى الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
من الطاعة واذا قرات القران اذا اردت قرائته كقوله اذا قمتم
الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسال الله ان يعيذك
من وساوسه لئلا يوسوسك فى القراة والجمهور على انه للاستحباب
وفيه دليل على ان المصلى يستعيذ فى كل ركعة لان الحكم المرتب
على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه
ايذان بان الاستعاذة عند القراة من هذا القبيل وعن ابن مسعود
قرات على رسول الله فقلت اعوذ بالله الحليم من الشيطان الرجيم
فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم
عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين
امنوا وعلى ربهم يتوكلون على اوليائه المؤمنين والمتوكلين عليه

فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور
وغفلة ولذا امروا بالاستعاذة وذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة
لئلا يتوهم ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه
والذين هم به مشركون بالله او بسبب الشيطان واذا بدلنا اية
مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما
والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة فى وقت يصير
مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الان فيثبته
مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اى الكفرة انما
انت مفتر متقول على الله تامر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب
اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على
فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام
ولا يميزون الخطاء من الصواب قل نزله روح القدس يعنى جبريل
واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرا ابن
كثير روح القدس بالتخفيف وفى ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله
مدرجا على حسب المصالح مما يقتضى التبديل من ربك بالحق ملتبسا
بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ
وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم واطمانت قلوبهم
وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت
اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرى
ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا
الرومى غلام عامر ابن الحضرمى وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف
بمكة ويقران التورية والانجيل وكان الرسول عليه السلام يمر عليهما ويسمع
ما يقرانه وقيل عائشا غلام خويطب ابن العزى قد اسلم وكان صاحب
كتب وقيل سلمان الفارسى لسان الذى يلحدون اليه لغة الرجل
الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرا حمزة
والكسائى يلحدون بفتح الياء اعجمى غير بين وهذا وهذا القران
لسان عربى مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان
لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام
اعجمى لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربى تفهمونه بادنى تامل فكيف
يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه
ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمى وهذا عربى والقران

كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي
في القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة
فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض كلمات اعجمية
لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة
دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يصدقون
انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة
ولهم عذاب اليم في الاخرة هددهم على كفرهم بالقران بعد ما اماط
شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه
واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون
اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب
ايات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم
الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت
مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدا خبره محذوف
دلت عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من
شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله الا من اكره على الافتراء
او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان
وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان
هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به
نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه
روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا
سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت
من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام
واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر
فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان
بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يمسح عينيه فقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت
وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل
ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال

فما تقول

فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد
قال رسول الله قال فما تقول في فقال انا اصم فاعاد عليه ثلثا
فاعاد عليه جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له
ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها عليها ان الله لا يهدي القوم
الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن
ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة
هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد
ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر
وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي
بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا
ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها
من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم
مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر
تجادل عن نفسها عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها
فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم
لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا
لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله نقمته او لمكة
كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا
واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر
واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة
عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون
عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي
هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له
وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني رداء عبد عمرو رويدك يا اخا

عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر
استعار الرداء السيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون
بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب وهم
ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب
الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل
لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل
والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة
واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم
انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله
غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداه
حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم ولا تقولوا
لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة
بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع
والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه
او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه
السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب
بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم
الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل
ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان
حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا
ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف
السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب
بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب
لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون
على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب
نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله
او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام

في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا
او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا
ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه
كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة
بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب
لغلبة الشهوة والسوء ليعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك
واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء
رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه
فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة في اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله
بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة
المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج
الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك
والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وسائر الناس
كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده
او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون
بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما
باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا
فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر
بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة
اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله وآتيناه
في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه
ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه
في الاخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقني بالصالحين
ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي
ابراهيم اتباع الرسول ملته او للتراخي ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا
في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة
مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين
انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين
اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا
للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه
من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد فيه الامر

عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا
فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموا اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا
لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل
فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام
بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة
الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة
الطالبين للحقايق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم
بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق
واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك
انفع لتسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول
الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين
والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بالمخالفة
ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها
تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلام
والحكم عليه بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما راى حمزة وقد
مثل به فقال والله ان اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك
فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني
وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم
وتصريحا على الوجه الاوكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي للصبر
خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر لرسوله لانه اولى
الناس لزيادة علمه بالله تعالى ووثوقه عليه فقال واصبر
وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على
المسلمين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم
وقرا ابن كثير في ضيق ههنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز
ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون
في اعمالهم باعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين
هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي عليه السلام من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما
انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

مائة وعشر آية	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة بني اسرائيل

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي
هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال
قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك
اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى
بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل
مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه ومن الليل فتهجد
من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه السلام قال بينا انا في الحجر
في المسجد الحرام عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل
بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به
ليطابق المبدا المنتهى لما روي انه لما كان نائما في بيت ام هانئ
بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال
مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا
منه استحالة وارتد ناس ممن امن به وسعى رجال الى ابي بكر رض
فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه
على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت
المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب
فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا
مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا
العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا فقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة
بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده
والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات
حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة
مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما
بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل
يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام
على ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله تعالى قادر
على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات

الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا
حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن
موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا
كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له
ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات
والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقواله البصير بافعاله فيكرمه
ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل
الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وقرأ ابو عمرو
بالياء على لان يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية
من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا
بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله
ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم
في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه اي نوحا كان عبدا
شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة
شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى وقضينا الى بني اسرائيل
واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التوراة لتفسدن في الارض
جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين
افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى
وقصد قتل عيسى ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله ولتظلمن الناس
فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر
عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب
من اهل نينوى اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد
فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها
للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد
والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع
وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابه لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة
اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله تعالى
في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسب بن
لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا
على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله

وامددناكم

وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل
من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون بالذهاب الى العدو ان احسنتم
احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها
وانما ذكر باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة
ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم وليجعلوها بادية آثار المساءة فيها
فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على
التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون
وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على
الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف
هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا
عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة بعد اخرى
فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل
دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا
دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ
الدم فقال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال
لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك
من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم
ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى
عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقصدوا قتله
فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين
هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج
منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي
هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر
بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف
على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم
او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه
بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير
مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر
عاقبته وقيل آدم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط وروي
انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت

من كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن
دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة عليه فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان
الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث
اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب له
فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار ايتين تدلان على
القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا اية الليل
اي الاية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد
الى المعدود وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصر
فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الايتان
الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل
والنهار ذوي ايتين ومحوا اية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها
مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل اية النهار التي
هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا
من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة
اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب جنس الحساب
وكل شيء تفتقرون اليه من امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا
غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه
من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر
وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد
في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله
او نفسه المنتقشة باثار اعماله فان الاعمال الاختيارية تحدث في النفس احوالا
ولهذا يفيد تكررها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف
وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقرئ
ويخرج اي الله يلقيه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقيه
صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقيه على البناء للمفعول
من لقيته كذا اقرا كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه
اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها
من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي
ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على
تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما

يضل

يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر
اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة
وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية
واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته
المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها
متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله
وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل
على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق ففسقوا فيها لقوله
امرته فقرا فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه
او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق
ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل كثرنا يقال
امرت الشيء وامرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة
ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده
قراءة يعقوب امرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا
من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم
ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر الى الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب
السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا
اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون
بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده
خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير
لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن
ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل
ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله لتطابق
المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الاية
في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم
في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله
ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر
والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية
والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة

فاولئك الجامعون للشرائط الثلث كان سعيهم مشكورا من الله اي
مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد
من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى
وجعل الانفة مددا للسالفة هولاء وهولاء بدل من كلا من عطاء ربك
من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا
من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق
وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
اي التفاوت في الاخرة اكثر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها وبالنار
ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول والمراد به امته
او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة
او فتعجز من قولك قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على
نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد
يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا
بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية
الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية
وبالوالدين احسانا وان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب
الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته
لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت
عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن
او بدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما
عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك
ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تضجر مما يستقذر منهما
ويستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو الضجر
وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرا
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم
للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر
انواع الايذاء بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير
ولذلك منع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو
في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما
ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما
بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل

تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح
قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما
وامره بخفضهما مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته
الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما
جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول
من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله
اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف
برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني
صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء
بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان ابواي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا في الصغر فهل قضيتهما قال لا
فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد
موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما
من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا
صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا
ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون
عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده
على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر
عليهم وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه حقهم ان كانوا محارم فقراء
ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول عليه السلام
والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه
على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي عليه السلام انه قال لسعد
وهو يتوضا ما هذا السرف فقال أفي الوضوء سرف فقال نعم وان كنت
على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة
فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف
والصرف في المعاصي روي انهم ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون
اموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات
وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فما ينبغي ان يطاع
واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل
حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه

او منتظرا له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء
موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم
قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال
القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد ونحس وقيل القول الميسور
الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف
المبذر نهي عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير
ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما
او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا
رسول الله عليه السلام اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال
من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي
تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه
وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك
ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه
بمشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضافة الا لمصلحتك
انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى
عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر
والظواهر واما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض
اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط
وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة
وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم
فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطاء كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه
من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم
اثما وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد
الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرا ابن كثير خطاء
بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ
في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب
وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا
ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا عن
ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء
سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي

الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا
بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن
معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه
الذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى
القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل
على ان القتل عمد عدوان فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل
في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه
بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي
فلا تسرفوا وقرا حمزة فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا
علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا
بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى
نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله
الولي اسرافا بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا
مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة
التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء
واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد
كان مسؤلا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤلا عنه
يسأل الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث
كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد
ان صاحب العهد كان مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه
وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح
ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم
في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة والكسائي
وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن تاويلا واحسن
عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف
من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به
علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه
ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا
او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي
وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله
في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب

ولا اقفو الخواص ان حقيقيا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي
كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة
على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم
جمع لذا وهو يعم القبيلتين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام
كان عنه مسؤلا في ثلثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه
يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف
او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم
والمعنى يسال صاحبه عنه وهو خطاء لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم
وفيه دليل على ان العبد مواخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفوا بقلب
الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح
وهو الاختيال وقرئ مرِحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من
صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك
ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال
حماقة مجردة ولا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة
الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها وعن
ابن عباس رضي انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي
فان المذكور مامورات ومناهي وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها
خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله
عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه
بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن
في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي
لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة باذن الله تعالى
ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي
هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه
على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن
قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه
اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فتلقى في
جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى افاصفيكم
ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى
افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات
لنفسه هذا خلاف ما في عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة

الاولاد

الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم
عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم اشرف
خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن
في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه
على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ
صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان
ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق
وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون ايها المشركون
وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول
ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان
الاولى مما امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه
عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء
للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل
الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم
لقوله سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا
متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه
واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من
خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن
وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع
الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع
القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون
لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح
على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ
والى ما لا يتصور وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ
ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما حين
لم يعاجلكم على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرأ
عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا
عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم
ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات
المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على

على الضلال كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول
دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون
مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه
وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ
والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك
في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله
يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع
التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم
بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك
ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع
حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به
ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به
فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب
مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن
والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا
الى طعن بوجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع
او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم
من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه
لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا
حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة
لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام
في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة
قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فيه فسيقولون من يعيدنا
قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون
اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو
قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر
او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم
مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء

والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار
للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته
كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم
وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم
الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم
لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي
احسن الكلمة التي هي احسن ولا تخاشنوا المشركين ان الشيطان
ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة تفضي الى العناد وازدياد
الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم
اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن
وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من
اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله
وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان
وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي
ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل شتم
عمر رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض
وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش
ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرء
عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاولاد والاتباع حتى داود
فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك قيل هو اشارة
الى تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وآتينا داود زبورا تنبيه
على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما
كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره
هنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول
كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس
او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور
فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه
كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر
عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون

الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من
هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم الالهة ان عذاب
ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملئكة والرسل وان من
قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها
عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح
المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا
عن ارسال الايات التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا
تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت
لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به
سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن
ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال واتينا ثمود الناقة
بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر
وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او ظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل
بالايات اي بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل
فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القران بعذاب الاخرة
فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موقع الحال
والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك
احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من
احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان
في المنام ومن قال انه في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين
راى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال راى بمكة وحكاها
حينئذ ولعله رؤيا راها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا
ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع
فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل
راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال
هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة
للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القران عطف
على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا
يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من

قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى
الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها
ولعنها في القران لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها
في الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مؤذية من قولهم طعام ملعون
لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن العاص
وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القران
كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا
متجاوز الحد واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد
لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون
حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي اسجد له واصله
طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت
علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول
والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني
عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتن
الى يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته
الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم
من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما
علم ان ذلك يتسهل له استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد
فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب
امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك
منهم فان جهنم جزاؤكم وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز
ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من
قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله
او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز
واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك
بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح
بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه
قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب
والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت
على قومه فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم
وقرا حفص ورجلك بالكسر وقرئ بالضم وهما لغتان كندس وندس

ومعناه وجمعك الرجل وقرئ رجالك ورُجّالك وشاركهم في الاموال
بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد
بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى
والتضليل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم
المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة
بطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده
والغرور تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين
وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين تخصصهم ليس لك
عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به
في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري
لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون
عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر
من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون
ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم
حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه
عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد
وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي
واعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض
افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم
فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق
قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه
وانتم عليه او يقلبه بسببكم وبكم حال او صلة ليخسف وقرأ ابن كثير
وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه
على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات
في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل
عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا
يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر
تارة اخرى بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم
قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب
بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم
نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف

ولقد كرمنا

ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة
والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى
اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من
الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية
الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه
ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رض وهو ان كل حيوان يتناول طعامه
بفيه فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن
من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم
الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل
بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء
او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم منه
عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد
اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف
لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعوا ويُدعى ويُدعو على قلب الالف
واوا في لغة من يقول افعو في افعى او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله
تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون
محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر
كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين
او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب
كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى
الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف
والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح
اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك
يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون
من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع
وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله
اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة
ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان
في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى لا يرى
طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان

الالة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد
الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك
لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه
في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف
لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية
وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وورش بين بين وان كادوا
ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا
نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا
فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة
وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك
فقل الله امرني بذلك وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر
حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى
ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي
اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك
واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم
بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى مرادهم والمعنى انك كنت على
صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا
فمنعت ان تقرب من الركون فضلا عن ان تركن اليهم وهو صريح
في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة
بتوفيق الله تعالى وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما
نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان
اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وضعفا في الممات بمعنى مضاعفا
ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف
موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة
عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا
يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك
ليزعجونك بمعاداتهم من الارض اي ارض مكة ليخرجوك منها
واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك
الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم هلكوا ببدر بعد هجرته

وقيل الاية

وقيل الاية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي عليه الصلوة والسلام
بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى
نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل
منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا
على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد
فان اذا لا يعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال
عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من
قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله
ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم
فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد
لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل
عليه قوله عليه السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى
بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان
الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح
ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك
عينه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلاث خلون
الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخرة وقران الفجر
وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به
على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها
مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على
الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا تشهده
ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء
والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه
ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك
بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد
بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت
ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشمس ومن الليل فتهجد به
وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقران نافلة لك فريضة زائدة
لك على الصلوات المفروضات او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه

وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه
عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه
فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما
او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر
مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا
ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخال مكة
ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه
سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل
ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على
معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله
فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق
الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج
ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام
دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد منها
فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل
من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واصلاح نفوسهم
كالدواء الشافي للمريض ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى
ان منه ما يشفي المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصري ننزل بالتخفيف
ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان
بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه كأنه
مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين
وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى
نهض وامال خلف فتحة الهمزة فيهما فقط وابو بكر فتحة الهمزة هنا واخلص فتحها
هناك وورش على اصله في ذوات الياء واذا مسه الشر من مرض او فقر
كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل يعمل
على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله
التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا
وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح
الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداع

الكائنة

الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامر ربي
وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله
تعالى بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف
وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي
وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين
وابهم من امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبرئيل وقيل خلق
اعظم من الملك وقيل القران ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم
من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف
النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك
قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا
من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته
الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على الجواب كما اقتصر موسى
في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام لما قال
لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما
اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة
تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء
فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الحق والخير ما تسعه القوة البشرية
بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية
لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه
النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن
المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده
مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده
عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته
غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان
عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل
لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران في البلاغة وحسن النظم
وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق
وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط
بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسألة يقول
لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به

ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا
وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس
في هذا القران من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه
موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك
ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز
القران وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر
بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من
نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان تشتمل على ذلك
او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله او نسقط عليهم كسفا
من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي
ويعقوب في جميع القران الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة
ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح
كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا
كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر
وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف في الخبر
في قوله ومن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب او جماعة
فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب
وقرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن
لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك
قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم
عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان
اي قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل
وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم
ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها علي هذا
هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في ايات اخر كقوله ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس
ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم عن الايمان بعد نزول الوحي
وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى

انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقران الا انكارهم ان يرسل الله
بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي
بنو ادم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
لتمكنهم الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك
والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا
يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذا بشرا والاول
اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله اليكم باظهار
المعجزة على وفق دعواه او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم
وشهيدا نصب على الحال انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة
منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن
يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونهم
ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي
انه قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم
قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر
وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا
بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس
ماويهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم
زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة
بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون
على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا
باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا
منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه
هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا جحودا
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم
مرفوع بفعل يفسره ما بعده لقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف
والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق
لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشي

فانما يؤثره لغرض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه
هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره
على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد اتينا
موسى تسع ايات بينات وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل
وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلثة الاخيرة وعن
صفوان ان يهوديا سال النبي عليه السلام عنها فقال ان لا تشركوا به
شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذي سلطان ليقتله
ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا
يوم السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام
العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من
يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم اليهود خاصة
ان لا تعدوا حكم مستانف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام
فسئل بني اسرائيل فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال
دينهم ويؤيده قراءة الرسول عليه السلام فسال على لفظ الماضي بغير همز
وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او بسال على هذه القراءة او فسئل يا محمد
عن بني اسرائيل عما جرى بين بني اسرائيل وبين موسى وفرعون اذ جاءهم
او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى
لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك
لان تظاهر الادلة توجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ
نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف
فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك
قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه
ما انزل هؤلاء يعني الايات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك
صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا
مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او
هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت
وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان
لاخالك يا فرعون مثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون
ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او من الارض

مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره
فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون او اغراقه
لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء
وعد الاخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيمة
جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينهم ونميز سعداءكم من اشقيائكم
واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي
وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق
الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة
وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به
نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع
بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار
وقرانا فرقناه اي نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف
الجار كما في قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل
في تضاعيف عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة
فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه
تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران
لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم
من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء
الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا
من الميز بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك
الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل
بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى
عليهم القران يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله
او شكرا لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
على فترة من الرسل وانزال القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف
الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون
للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر
وعند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين
من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام
فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران خشوعا كما يزيدهم علما
ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن
وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان
على ذات واحدة وان اختلفا باعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات
الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء
الى المقصود وهو اجوب لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء
في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو
للتخيير والتنوين في ايا عوض المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام
والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن
فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه
وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلوتك
بقراءة صلوتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها
ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك
سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور
محبوب روي ان ابا بكر رض كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم
حاجتي وعمر رض كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان
فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان
يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها
وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له
ولي في الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه
ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه
ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد
لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص
مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه
على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة والتحميد
ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام
كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه
الاية وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة بني اسرائيل
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة
والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مائة	بسم الله الرحمن الرحيم	واحدى عشر آية

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق
الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه
كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له
عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف
من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما
مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا
بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه
بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على
ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان
المعطوف فاصلا بين بعض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه
تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا
عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا
على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرا ابو بكر باسكان
الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون
لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم
استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به
من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول انهم يقولونه عن جهل مفرط
وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي
ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بابائهم
اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لاباءهم الذين يقولونه بمعنى
التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيه من التشبيه والتشريك
وايهام احتياجه تعالى الى الولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة
نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم صفة لها
تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء
الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس
وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع

نفسك قاتلها على آثارهم اذ ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد
على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم
وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن
اسفا للتاسف عليهم او متاسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب
وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية
انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها
لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما
يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع
نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا
بالارض ونجعله صعيدا املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت
ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حيوتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا
عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع
الفائتة للحصر على طبايع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين
من مادة واحدة ثم ردها اليها ليست بعجب مع انه من آيات الله كالنزر
الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي
فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها
الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف هجد او لوح رصاصي
او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم
قوم آخرون كانوا ثلثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا
الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل
حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم
فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم
فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقرة
فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا
لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا
اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى
راوا الضوء وقال آخر كان لي فضل فاصابت الناس شدة فجاءتني
امراة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت
وعادت ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك
فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت

مالك قالت اخاف الله فقلت خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها
واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى
تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان هرمان وكانت لي غنم وكنت
اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ابرح حتى امسيت
فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين
فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي في يدي حتى ايقظهما الصبح
فسقيتهما اللهم ان فعلت لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع
ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم
ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا
من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا
من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه
راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا
واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها
حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف
المفعول كما حذف في قوله بنى على امراته في الكهف سنين ظرفان
لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير
والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم
ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين
المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امدا
لزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدا واحصى
خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه
المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل
من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من المزلق
وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا
نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى
كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم
وقويناها بالصبر على هجران الوطن والاهل والمال والجراة على اظهار الحق
والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا
رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء
مبتدا قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار

في معنى انكار لولا يأتون بلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين
ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه
من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون
الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله
فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون
ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون
نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه
لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم
من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون
وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر
مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه
الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله او لكل احد اذا طلعت
تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان
جنوبيا او لان الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ
الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها
من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين
واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله
لقوله وهم في فجوة منه في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء
ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش
واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان
مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب
محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع
عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله اي شأنهم وايواؤهم
الى كهف كذلك واخبارك قصتهم او ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة
من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد به
الثناء عليهم والتنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من
وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له
وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم
وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض
ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى

وتقلبهم على المصدر منصوب بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم
هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله
فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة
من قرأ وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية
ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب
وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو
لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة
والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله تعالى من الهيبة
او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا
الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن
عباس رض ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت
ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي
ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم آية
على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع
بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به امر البعث ويشكروا
ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على
غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين
عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم
او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا
هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا
فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة الورق الفضة مضروبة كانت او غيرها
وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل
وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد المدغم
لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين
والمدينة طرسوس فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر
وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى
لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي
الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل
المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم اليها

كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا
اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم
لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله
بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت
ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيمة لا ريب في امكانها فان
من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت
ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر
ابدانهم فيردها عليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون
بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول
يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم
الله تعالى ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة
او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون
لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا
ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقولهم ربهم اعلم
بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين
او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله تعالى
بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق ذلك لهم
حكي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس
اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى ملك المدينة وكان نصرانيا موحدا فقص
عليهم القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس
فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم
ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم
رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل
لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل
فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا سيقولون اى الخائضون في قصتهم في عهد
رسول الله من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اى هم ثلثة رجال يربعهم
كلبهم في انضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران
وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم
وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه
واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين
اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون

باخبار الرسول لهم عن جبريل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم
بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم
بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد
رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان
اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة
الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق
الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رض
هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب
يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان
يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس
وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا
فلا تجادل في شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم
ما في القران من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا
ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة
عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤول عنه
وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله نهي تأديب من الله تعالى حين قالت اليهود لقريش
سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني
غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه
وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه
اني فاعل فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيته قائلا ان شاء الله
او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز
تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثناء
اعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقل ان شاء الله
كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط
منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث
ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك
لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر
ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول عليه
ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء
مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به

ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل
عسى ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا
واظهر دلالة على اني نبي من نبإ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك
كقصص الانبياء المتباعدة عنه اياهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة
في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي
ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا
على آذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم
اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم
ثلثمائة وتسع سنين وقرا حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على
وضع الجمع موضع الواحد وحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف
من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل
السنين من ثلثمائة قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض
له ما غاب فيها وخفي من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع
ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك
السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف
وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله تعالى ومحله الرفع على الفاعلية
والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل
الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء
كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور
وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة
ما لهم من دونه الضمير لاهل السموات والارض من ولي من يتولى امورهم
ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرا
ابن عامر وقالون ويعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل
اشتمال القران على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة
الى الرسول على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال
واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن
غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره
ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك
واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم
او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر
فتكون اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه رضا الله تعالى وطاعته

ولا تعد

ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه
معنى نبا وقرئ ولا تعد ولا تعدّ من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول
ان يزدري بفقراء المؤمنين ويعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة
زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة
ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
من جعلنا قلبه غافلا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن
مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي الى هذا الاستدعاء
غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف
بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة
لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته
كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا
كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر
اولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل
الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان
امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي
متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله تعالى
لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف ومن ربكم حالا
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من آمن وكفر من كفر
وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته
انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به
ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها
دخانها وقيل حائط من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل
كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم
يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال
من المهل والضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا
متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو في مقابلة قوله وحسنت
مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع
محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه لعموم من احسن عملا
كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من
احسن عملا لا يحسن على الحقيقة اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات

اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض
وعلى الاول استيناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور
من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها
لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون
ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق
مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين
نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم
للكافر والمؤمن مثلا رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين قيل هما اخوان
من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية
الاف درهم فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه
الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر
وهو الاسود بن عبد الاشد ومسلم وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب
من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا
النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم
اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقوله غشيته به وجعلنا بينهما
وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على
الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير
لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها
شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا
وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب
وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله
اذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون
بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام
من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا
لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها
وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له
غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى
او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره
قال ما اظن ان تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته

واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث
كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي
من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك
لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو
معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب
لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك
رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث
كفرا بالله لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار
على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه
لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة
او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية
بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ
لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله
والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر
بالله لكني مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت
جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله
كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب
محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء
ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله
وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي عليه السلام
من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن
انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول
الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله
وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك
في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك
حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى
الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح
صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها
او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع
له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه
صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه

واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية اي ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرا حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرا حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرا ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرا عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه ويفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها

لان

ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبها ينال بها في الاخرة ما كان يامل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوه ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به بل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات ما لهذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة للزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القران كان من الجن حال باضمار قد او استيناف

للتعليل كأنه قيل ماله لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج
عن امره بترك السجود والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة
وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة
افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته
اولاده واتباعه وسماهم ذريته على المجاز اولياء من دوني فتستبدلونهم بي
فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته
ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته
خلق السموات واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في
ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا ردا لاتخاذهم
اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع
الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير
ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم
خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون
فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين
لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين
على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد
من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا
شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء
على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم
للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم موبقا
مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله
تعالى عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق
وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة
ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها
ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القران
من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء يتأتى منه
الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا
من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقران المبين ويستغفروا
ربهم من الاستغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب
او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرأ

الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين
وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على
الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين
والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات
والسؤال عن اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال
الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم
للرسل ما انتم الا بشر مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا اياتي
يعني القران وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب هزوا
استهزاء وقرئ هزؤا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه
بالقران فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه
من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل
لاعراضهم ونسيانهم بانه مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه
وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون
ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله مالي لا
ادعوهم فان حرصه على الاسلام يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة
ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد
على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله عليه السلام بل لهم
موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا ملجأ يقال وأل
اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم
وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من
تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء
وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه
ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر
لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر
يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يعني يوشع بن نون
ابن افرائيم بن يوسف فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده
لا ابرح اي لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ
مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح
مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب

ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي
المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى
كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ
من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى
يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه
فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى
عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها
فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله تعالى اليه بل عبدنا خضر
وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر
وبقي الى ايام موسى وقيل سأل موسى ربه اي عبادك احب اليك قال الذي
يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى
قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة
تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه
قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به
قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت
الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما
ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه
ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حياته ووقوعه في البحر روي ان
موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى
او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش فوثب في الماء
وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله
في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار
وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول
الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين
قال لفتاه اتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل
لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه
الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة
قال ارايت اذ اوينا ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي
رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت
فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ

ان اذكره وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال
وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى
والفها قل اهتمامه بها ولعل نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب
شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الايات الباهرة وانما نسبه
الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها
باحدهما عن الاخر يعد من النقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا
وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر
فعله المضمر اي قال في اخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال
وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك
اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على اثارهما
فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان
اثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور
على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس اتيناه رحمة
من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم
الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط
ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد
وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول
تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له
مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي
نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين
فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين
وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه
واستاذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض
ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى استطاعة الصبر معه
على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه
بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما
اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك خبرا تمييز او مصدر
لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك
غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا
وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة
الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد بلا خلاف وفيه دليل

على ان افعال العباد واقعة بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسألني
عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته
حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرا نافع وابن عامر
فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة
حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع
لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء
فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرا حمزة والكسائي
ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما
من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره
قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته
بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض
النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي
لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام
والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري
بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول
ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين
فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه
وقيل ضرب راسه بالحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه
قتله من غير تردد واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية
بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس
عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط
والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة
لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا
فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف
ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية
قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل
وكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت
شيئا نكرا وقرا نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر
نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك
مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه
الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعوا بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار الثاني

قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فان سألت صحبتك
وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا
قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه
لابصر اعجب الاعاجيب وقرا نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء عن
نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون
واسكان الدال اسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية
قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها
فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا
واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال
فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة
كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني
عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض
انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه وافعل
من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت
السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده
فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على
اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راى
الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل
من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان
لتخذت اي لاتخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون
قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني
او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت
وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد
قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن
فيما لم تستطع الصبر لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك
شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها
كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها
اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه
واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى الازدي ياخذ كل سفينة غصبا

قوله وقيل ابلة بصرة هي احد الجنان الاربع الدنيوية وفي الكشاف هي البعد ارض الله من السماء اي اعمق

من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله
وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما قدم
للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك
رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم
وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين
فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا
او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ
كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا له
وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي عليه السلام عن قتل
الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك
ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز
ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما
خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق
الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها
نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو يبدلهما
بالتشديد وابن عامر وعاصم ويعقوب رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز
والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان تحته
كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله
والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق
وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن
يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت
لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله
محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان
لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظ فيه سبعة اباء وكان سياحا
واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الرأي
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة
او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت
ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر

للتعييب وثانيا الى الله تعالى والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله
تعالى بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان
الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف
في الالتفات الى الوسائط وما فعلته اي ما فعلت ما رأيته عن امري
عن رأيي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران
يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله
مختلفة ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء
تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعمله ولا يبادر الى انكار ما
لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي
الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره
ثم يهاجر عنه ويسألونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك
فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف
قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس
وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه
لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته
مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركوا
مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله
انا مكنا له في الارض اي انا مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء
فحذف المفعول واتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة
توصله اليه من العلم والقدرة والالة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب
فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء
حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت
البئر اذا صارت ذات حمأة وهي الطين الاسود وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين
او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط
فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل
كانت تغرب وقيل ان ابن عباس رض سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة
فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين
كذلك نجده في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم
جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم
او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي

بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرايع وقيل
خيره الله بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويويد الاول قوله
قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار
الدعوة فقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذي
هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الاخرة عذابا
منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا فله ما يقتضيه الايمان فله
في الدارين جزاء الحسنى الفعلة الحسنى وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص
جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر
لفعله المقدر حالا اي يجزى به جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان
تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدا والحسنى بدله ويجوز
ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب
واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه
ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له
من امرنا مما نامره به يسرا سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ
بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق وقرا الكوفيون
وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء وكذلك ما بعده حتى اذا بلغ مطلع الشمس
يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام
على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية
او لانهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه
في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار
ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم
مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه
من الجنود والالات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه
والمراد ان كثرة ذلك بلغ مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا
يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال
حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية
واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان
من ورائهما ياجوج وماجوج وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر
ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى
والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل

بالعكس

بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما
قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرا حمزة والكسائي
لا يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا
القرنين اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج
وماجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج
من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج
الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرا عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث
مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل
كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل
كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرا
حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض
والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا
وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير
ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة
لي اليه وقرا ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة
او بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر
من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع آتوني زبر الحديد
قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة
لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين
موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك
الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا
ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير
وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ
بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما
منعدل عن الاخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا
في الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء
قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني
من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني
لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرا حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة
الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرا حمزة

بالادغام جامعا بين ساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا
ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له
نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر
والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى
اعلى ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها
فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا
بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا
هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي
وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة
جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك
لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية وكان وعد ربي
حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد
يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون
ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة
فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها
واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر
اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي
لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم
اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار
ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم
او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد
مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اى افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه
مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل
او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم
وراءها من العذاب ما تستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز
وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم وآخرتهم ومحله الرفع
على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين
كفروا بآيات ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث

على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم
لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم
ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك اى الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم
جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والجملة خبره والعائد محذوف اى
جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر
بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اى بسبب ذلك ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله
ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم
والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون
اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان
البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج
لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه
قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرا حمزة والكسائي
بالياء ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهين
متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل
القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة
وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب ومدادا
وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي
الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك
فمن كان يرجو لقاء ربه يامل حسن لقائه او يخاف سوء لقائه فليعمل
عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه
اجرا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه احد سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك
فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلوة والسلام اتقوا الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما
التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قراها
عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون
عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة يتلالا الى البيت المعمور حشو ذلك النور
ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الكهف
من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

سورة مريم مكية الا آية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص امال ابو عمرو الها لان الفات اسماء التهجي يا آت وابن عامر
وحمزة اليا، والكسائي وابو بكر كليهما ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول
بالسورة او القران فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة
ربك او مبتدا حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكّر رحمة على الماضي
وذكّر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع
كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا
لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا
يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان
ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون
وخمس وسبعون وخمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني تفسير للنداء
والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه
اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس
وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلث واشتعل الراس
شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه
في الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الراس
الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى
باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد
ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما
سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته
معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب
من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا شرار بني اسرائيل فخاف
ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي بعد موتي
وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي
اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون الامر من ورائي وقرئ خفت
الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا من اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا
قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امرأتي عاقرا لا تلد
فهب لي من لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك
فاني وامرأتي لا نصلح للولادة وليا من صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب

صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة
الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان
حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام
وقيل كان يعقوب اخا زكريا او عمران بن ماثان من نسل سليمان
وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واو يرث
بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى
التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب
رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه
ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا
لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى
وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان
في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر
وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته قال رب انى
يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا
في المفاصل والاصل عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا
التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وانما استعجب الولد
من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط
عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له
كذلك الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك
وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ
وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو علي ذلك يهون علي
او كما وعدت وهو علي هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب
ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا
بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء قال رب
اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال آيتك الا تكلم الناس
ثلث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي
هنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس
والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب
من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم
على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار
ولعله كان مامورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه ويحتمل ان تكون

مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب
التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق واتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة
وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنبأه وحنانا
من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف
على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه
او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي
وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام
عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني ادم
ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيمة
واذكر في الكتاب في القران مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت
بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل
الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف
لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني
فيكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا في بيت المقدس او شرقي دارها
ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت
متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا فارسلنا اليها
روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض
محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت
وتعود اليه اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب
امرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها
الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت
تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله
اي فاني عائذة منك او فتعوذ بتعوذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون
للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن
كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك
غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية
لقول الله سبحانه ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب
بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى
سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر
ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا
فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك

بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين
اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة
او للنسب كطالق قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اي
ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لنبين
على طريقة الالتفات اية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا
ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به
قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى
ويفعل لكونه اية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها
وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود
وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة
وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت
وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في
موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار
فاجاءها المخاض فالجأها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه
خص به في الاستعمال كاتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر
مخضت المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة
لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت
نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وكانت الوقت شتاء والتعريف
اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس
ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من اياتها ما يسكن روعتها ويطعمها
الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا
استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرئ مت من مات يموت
وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح
وقرا حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة
وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث
لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها عيسى
وقيل جبرئيل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرا نافع
وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى
ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني اي بان لا تحزني
قد جعل ربك تحتك سريا جدولا كذا روي مرفوعا وقيل السيد
من السرو وهو عيسى وهزي اليك بجذع النخلة واميليه اليك والباء

مزيدة للتاكيد او افعلي الهز والامالة به او وهزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب
ودفع تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها
حمزة وقرا يعقوب بالياء وحفص تُساقِطْ من ساقطت بمعنى اسقطت
وقرئ تتساقط وتَسقط ويَسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا
تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان الوقت
شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها راسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك
لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن
يرتكب الفواحش والمنبهة لمن راها عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة
اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها
مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي
واشربي اي من الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره وقري
عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر وهو
لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه
من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة
ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه فاما ترين من البشر
احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبات بالحج
لتآخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا
وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم
انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل
اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء
بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن فاتت به مع ولدها قومها
راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم
لقد جئت شيئا فريا اي بديعا منكرا من فري الجلد يا اخت هارون
يعنون هارون النبي وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة
وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح
كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما راوا قبل من صلاحها او شتموها به
ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به
فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه
الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد
صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال
من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار

قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات وللرد على
من يزعم ربوبيته آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا
نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه
او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنباه طفلا
اينما كنت واوصاني وامرني بالصلوة والزكوة زكوة المال
ان ملكته وتطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي
وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به
او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة
بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط
تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا
كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن
على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده
عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب
على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم اي الذي تقدم نعته
هو عيسى ابن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه
على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله الموصوف باضداد
ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي
لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة
وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرا عاصم وابن عامر
ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو
بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره يشكون او يتنازعون فقالت
اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب
ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله
عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان
بان من اراد شيئا اوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة
في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرا ابن عامر فيكون بالنصب
على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق
تفسيره في سورة آل عمران وقرا الحجازيان والبصريان ان بالفتح
على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب
من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه
ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء

وملكائيه قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم
من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة او من وقت
الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد
عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وآرابهم بالكفر والفسوق او من وقت
الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم
وابصر تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا اي يوم
القيمة جدير بان تتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا او تهديد
بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد
ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع
وعلى الثاني في موضع النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين
اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا
الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين
وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيئ على اساءته والمحسن
على قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان
الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة
وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض
او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل
انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليهم ملك ولا ملك
او نتوفي الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه
والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان
صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله
واياته وكتبه ورسله نبيا استنباه الله اذ قال بدل من ابراهيم
وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء
معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما
يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف
حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع
او دفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده
برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه
الى عبادة ما لا يستخفه به العقل الصريح ويابى الركون اليه فضلا عن
عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام
العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان

العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشي لو كان حيا
مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل
القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه
مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع
ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما
لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت
اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا لا زيغ فيه
ولا ميل ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه
كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع
خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث
انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان استهجن ذلك وبين
وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله
ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص
وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته
وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن
فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن او العذاب تليه ويليك
او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله تعالى
اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او
لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته
لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته
لآدم وذريته منبه عليها قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم قابل
استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العنا وناداه باسمه
ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة
لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل
ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها والرغبة عنها لارجمنك
بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني
عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا
طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع
ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول
لك بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة
والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب

مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر
والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعوا
ربي واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع
السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس
والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجبتين وان ملاك الامر
خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام
وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة وقيل انه لما قصد
الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب
ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل
بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم
من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق
عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي
لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب
لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء
بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول
وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص
عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه واخلص نفسه عما سواه وقرا
الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق
فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب
الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى
او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة
وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا
حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روي
انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من
اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته
واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل
على تقدير ان تكون للتبعيض هرون عطف بيان له نبيا حال منه
واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه
المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك
انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله صابرا فوفى
وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة

فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة
والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب
الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر
اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء
آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب
ادريس وهو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق
ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة
قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين
صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان
صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل
الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة
من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنيوية
من النبيين بيان للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز
ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية
وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا مع نوح خصوصا وهم
من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم
الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان
منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات
من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هديناه الى الحق واجتبينا للنبوة
والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك
ان جعلت الموصول صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم
من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس
والزلفى من الله عز وجل وعن النبي عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا
فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ تتلى
بالياء لان التأنيث غير حقيقي فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء
بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون
اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب
الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي
رضي الله تعالى عنه واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب المنظور
ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة

وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها إلا من تاب وآمن وعمل
صالحا يدل على أن الآية في الكفرة فأولئك يدخلون الجنة وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من أدخل ولا يظلمون
شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ويجوز أن ينتصب شيئا
على المصدر وفيه تنبيه بأن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم
جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها أو منصوب
على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف وعدن علم لأنه المضاف إليه
في العلم أو علم للعدن بمعنى الإقامة كبرة ولذلك صح وصف ما أضيف إليه
بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب أي وعدها إياهم وهي غائبة عنهم
أو وهم غائبون عنها أو وعدهم بإيمانهم بالغيب إنه كان وعده الذي هو الجنة
مأتيا يأتيها أهلها الموعود لهم لا محالة وقيل من أتى إليه إحسانا أي
مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام إلا سلاما ولكن يسمعون
قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة أو إلا تسليم الملائكة عليهم أو تسليم
بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع أو على معنى أن التسليم إن كان
لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب أو على أن معناه الدعاء بالسلامة وأهلها أغنياء
عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وإنما فائدته الإكرام ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد
دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا
نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة
أقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب
بفسخ ولا استرجاع ولا يبطل برد وإسقاط وقيل يورث المتقون
من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا زيادة في كرامتهم
وعن يعقوب نورّث بالتشديد وما نتنزل إلا بأمر ربك حكاية قول
جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما سئل
عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب
ورجا أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل أربعين حتى
قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول
على مهل لأنه مطاوع نزّل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق
نزّل بمعنى أنزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت إلا بأمر الله على ما
يقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين أيدينا

وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحايين
لا ننتقل من مكان إلى مكان أو لا ننزل في زمان دون زمان إلا بأمره ومشيئته
وما كان ربك نسيا تاركا لك أي ما كان عدم النزول إلا لعدم الأمر به
ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه إياك كما زعمت الكفرة وإنما
كان لحكمة رآها فيه وقيل أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة
والمعنى وما ننزل الجنة إلا بأمر الله ولطفه وهو مالك الأمور كلها السالفة
والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان
ربك نسيا تقرير من الله لقولهم أي وما كان ناسيا لأعمال العاملين
وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والأرض وما بينهما
بيان لامتناع النسيان عليه فاعبده واصطبر لعبادته خطاب
للرسول مرتب عليه أي لما عرفت ربك بأنه لا ينبغي له أن ينساك
أو أعمال العمال فأقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بإبطاء الوحي
وهزء الكفرة وإنما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه
من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له
سميا مثلا يستحق أن يسمى إلها أو أحدا يسمى الله فإن المشركين وإن سموا
الصنم إلها لم يسموه الله قط وذلك لظهور أحديته وتعالي ذاته عن المماثلة
بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للأمر أي إذا صح أن لا أحد مثله
ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لأمره والاشتغال بعبادته
والاصطبار على مشاقها ويقول الإنسان المراد به الجنس بأسره
فإن المقول مقول فيما بينهم وإن لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا
والقاتل واحد منهم أو بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أبي بن خلف فإنه
أخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد أنا نبعث بعد ما نموت
أإذا ما مت لسوف أخرج حيا من الأرض أو من حال الموت وتقديم الظرف
وإيلاؤه حرف الإنكار لأن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه
بفعل دل عليه أخرج لا به فإن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا
مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله
للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال أولا يذكر الإنسان عطف
على يقول وتوسيط همزة الإنكار بينه وبين العاطف مع أن الأصل
أن تتقدمهما للدلالة على أن المنكر بالذات هو المعطوف وأن المعطوف عليه
إنما نشأ منه فإنه لو تذكر وتأمل أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا
بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فإنه أعجب من جمع المواد بعد التفرق

واتجاد مثل ما كان منها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر
على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا الى نبيه
تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول والشياطين عطف على هم
او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين
الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم
ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين
بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء
ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا
لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب
وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من
توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب
واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف
التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة
من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم
من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شاعت دينا
ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها
وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص
ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار
على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه
لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض
للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب
المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء
على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن
من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه
معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة
على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها
بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن
اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي نحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي
او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا
رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وان منكم

وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها
الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم
وعن جابر رضي الله عنه انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة
قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها
وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها
وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك
حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بانه وعد به
وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون
الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء
اي هنالك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل
على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة
الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان
الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم
او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام
او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا
مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا
عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا
والاستدلال على ان زيادة حظهم فيها يدل على فضلهم وحسن حالهم
عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا
فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه
وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم
واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي
ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما رئي كالطحن وقرأ نافع
وابن عامر ريا على قلب الهمزة واوا وادغامها او على انه من الري الذي
هو النعمة وابو بكر رييا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من
الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج
وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة
بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله
بطول العمر والتمتع وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي

ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما
وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون
غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير
حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود
فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا
واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون
من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه
وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية
بعد حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث
ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول
كانه لما بين امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين
ان قصور حظ المومن منها ليس لنقصه بل لان الله تعالى اراد به ما هو
خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل
من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية
والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل
فيها ما قيل من الصلوة الخمس وقول سبحان والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة
الفانية التي يفتخرون بها سيما ومالها النعيم المقيم ومال هذه الحسرة
والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير هنا اما لمجرد الزيادة
او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده
افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في العاص
ابن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال
لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني
فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الروية اقوى سند الاخبار
استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة
هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد
كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ
من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار
حتى ادعى ان يوتى في الاخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن
عهدا او اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به

الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح
فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه
مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا كقوله
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه
انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتاخر
عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له
من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهل او نزيد عذابه
ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر
دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد
وياتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا
ان يوتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا
من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة
الى الله وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم
سيجحد الالهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا كقوله اذ تبرا الذين
اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها كقوله ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يويد الاول
اذا فسر الضد بضد العز اي ويكونون عليهم ذلا او بضد لهم على معنى انها
تكون معونة في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي
يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى
الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه السلام
وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا
في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على
معنى كل هذا الراي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون
كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم
على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله
من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق
على ما نطقت به الايات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى
تستريح انت والمومنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم
انما نعد لهم ايام اجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم
الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن

الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن
ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين
لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك
منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم
الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش
او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد
المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع للعصاة
من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ اذنا فيها
لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير
الى فلان بكذا اذا امره ومحله الرفع على البدل من الضمير والنصب
على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل
الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس
جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة
في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر
والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي تكاد السموات
وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى
وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول
ابلغ لان التفعل مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر
وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور
بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها
او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد
قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب
على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر
باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف
تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد
للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على
المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب

الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ
ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل
ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا
يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن
ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات والارض
اي ما منهم الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية
والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم حصرهم واحاط
بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد
اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه
يوم القيمة فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من
ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض
منهم لاسبابها وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا احب الله
عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي
في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع
له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ
بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيمة
حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم
من الغل فانما يسرناه بلسانك اي بان انزلناه بلغتك
والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرناه معنى انزلناه
اي انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى
وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة آخذين في كل
لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا
قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول عليه السلام
على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه
او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت
الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب
طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر
حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر
الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

سوره طه مکیة وهی	بسم الله الرحمن الرحیم	مائة واربع وثلثون اية

طه فخمها قالون وابن کثیر وابن عامر وحفص ویعقوب علی الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقیل معناه یا رجل علی لغة عک فان صح فلعل اصله یا هذا فتصرفوا فیه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طه فی خلائقکم لا قدس الله اخلاق الملاعین ضعیف لجواز ان یکون قسما کقوله حم لا ینصرون وقری طه علی انه امر للرسول بان یطا الارض بقدمیه فانه کان یقوم فی تهجده علی احدی رجلیه وان اصله طا فقلبت همزته هاء او قلبت فی یطا الفا کقوله لا هناک المرتع وبنی علیه الامر وضم الیه هاء السکت وعلی هذا یحتمل ان یکون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء کنایة الارض لکن یرد ذلک کتبهما علی صورة الحرف وکذا التفسیر بیا رجل او اکتفی بشطری الکلمتین وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا علیک القران لتشقی خبر طه ان جعلته مبتدا علی انه مأول بالسورة او القران والقران فیه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادی له ان جعلته نداء واستیناف ان کانت جملة فعلیة او اسمیة باضمار مبتدا او طائفة من الحروف محکیة والمعنی ما انزلنا علیک القران لتتعب بفرط تاسفک علی کفر قریش اذ ما علیک الا ان تبلغ او بکثرة الریاضة وکثرة التهجد والقیام علی ساق والشقاء شائع بمعنی التعب ومنه اشقی من رائض المهر وسید القوم اشقاهم ولعله عدل الیه للاشعار بانه انزل علیه لیسعد وقیل رد وتکذیب للکفرة فانهم لما راوا کثرة عبادته قالوا انک لتشقی بترک دیننا وان القران انزل علیک لتشقی به الا تذکرة لکن تذکیرا وانتصابها علی الاستثناء المنقطع ولا یجوز ان یکون بدلا من محل لتشقی لاختلاف الجنسین ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا یتعدی الی علتین وقیل هو مصدر فی موضع الحال من الکاف او القران او مفعول له علی ان لتشقی متعلق بمحذوف هو صفة القران ای ما انزلنا علیک القران المنزل لتتعب بتبلیغه لمن یخشی لمن فی قلبه خشیة ورقة یتاثر بالانذار او لمن علم الله منه ان یخشی بالتخویف منه فانه المنتفع به تنزیلا نصب باضمار فعله او بیخشی او علی المدح او البدل من تذکرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا او معنی فلا لان الشیء لا یعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلی مع ما بعده

الی قوله له الاسماء الحسنی تفخیم لشان المنزل بفرض تعظیم المنزل بذکر افعاله وصفاته علی الترتیب الذی هو عند العقل فبدا بخلق الارض والسموات التی هی اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الی الحس واظهر عنده من السموات العلی وهو جمع العلیا تانیث الاعلی ثم اشار الی وجه احداث الکائنات وتدبیر امرها بانه قصد العرش فاجری منه الاحکام والتقادیر وانزل منه الاسباب علی ترتیب ومقادیر حسبما اقتضت حکمته وتعلقت به مشیئته فقال الرحمن علی العرش استوی له ما فی السموات وما فی الارض وما بینهما وما تحت الثری لیدل بذلک کمال قدرته وارادته ولما کانت القدرة تابعة للارادة وهی لا تنفک عن العلم عقب ذلک باحاطة علمه تعالی بجلیات الامور وخفیاتها سواء فقال وان تجهر بالقول فانه یعلم السر واخفی وان تجهر بذکر الله ودعائه فاعلم انه غنی عن جهرک فانه یعلم السر واخفی منه وهو ضمیر النفس وهو تنبیه علی ان شرع الذکر والدعاء والجهر فیهما لیس لاعلام الله بل لتصویر النفس بالذکر ورسوخه فیها ومنعها عن الاشتغال بغیره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلک انه المستجمع لصفات الالوهیة بین انه المنفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنی ومن فی ممن خلق صلة لتنزیلا او صفة له والانتقال من التکلم الی الغیبة للتفنن فی الکلام وتفخیم المنزل من وجهین اسناد انزاله الی ضمیر الواحد العظیم الشان ونسبته الی المختص بصفات الجلال والاکرام والتنبیه علی انه واجب الایمان به والانقیاد له من حیث انه کلام من هذا شانه ویجوز ان یکون انزلنا حکایة کلام جبریل والملائکة النازلین معه وقری الرحمن علی الجر صفة لمن خلق فیکون علی العرش استوی خبر محذوف وکذا ان رفع الرحمن علی المدح دون الابتداء ویجوز ان یکون خبرا ثانیا والثری الطبقة الترابیة من الارض وهی اخر ما تحت طبقاتها والحسنی تانیث الاحسن وفضل اسماء الله تعالی علی سائر الاسماء فی الحسن لدلالتها علی معان هی اشرف المعانی وافضلها وهل اتاک حدیث موسی قفی تمهید نبوته بقصة موسی علیه السلام لیاتم به فی تحمل اعباء النبوة وتبلیغ الرسالة والصبر علی مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل اذ رای نارا ظرف للحدیث لانه حدث او مفعول لاذکر قیل انه استاذن شعیبا علیه السلام فی الخروج الی امه فخرج باهله فلما وافی وادی طوی وفیه الطور ولد له ابن فی لیلة شاتیة مظلمة مثلجة وکانت

ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب الطور
نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم وقرا حمزة لاهله امكثوا ههنا وفي
القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها اني انست نارا
ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يونس به
لعلي اتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار
هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار
مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما
على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بانى
ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون
عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت
بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتاها اتى النار وجد نارا
بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا ربك فتحه
ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره الباقون باضمار القول واجراء النداء
مجراه وتكرير الضمير للتاكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم
قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال
انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء
وهو اشارة الى انه تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك
الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص
بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب
ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من
جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال انك
بالوادي المقدس تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين
طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتاويل المكان
وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين
او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا
اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى اليك او للوحي واللام تحتمل
التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل
مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم
والامر بالعبادة التي هي كمال العمل واقم الصلوة لذكري خصها
بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود
وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب

وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا ترائي بها
ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة
او لذكر صلاتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او
نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله يقول واقم الصلوة لذكري ان الساعة
اتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها
فلا اقول انها اتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار
لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة
بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق باتية
او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة
او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عليه السلام
عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته
السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون
راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه
ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة بقصر نظره عن غيرها فتردى
فتهلك بالانصداد بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه
فيها من العجائب بيمينك حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك
يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي
على لغة هذيل اتوكؤا عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس
القطيع واهش بها على غنمي واخبط الورق بها على رؤوس غنمي وقرئ
اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين
من الهس وهو زجر الغنم اي انحى عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب اخرى
حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها اداوته
وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر
الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها فكانه عليه السلام
فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى
اذا راها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى
خارقة للعادة مثل ان تشتعل بالليل كالشمع وتصير دلوا عند الاستقاء
وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب
بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك ايات
باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها
فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على انها من جنس العصا تنفع

ن فع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى
فالقاها فاذا هي حية تسعى قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ
العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة وثعبانا مرة باعتبار
المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة
الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان قال خذها ولا تخف
فانه لما راها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب سنعيدها
سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها
للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول
من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على
تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع
بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمانت نفسه حتى ادخل
يده في فمها واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت
العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي
الطير سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء كانها مشعة
من غير سوء من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة
لان الطباع تعافه وتنفر عنه آية اخرى معجزة ثانية وهي حال من
ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك
لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه آية او القصة
اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك
ومن آياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين وادعه
الى العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
لما امره بخطب عظيم وامر جسيم ساله ان يشرح صدره ويفسح قلبه بتحمل
اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث
الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه
بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة واحلل عقدة من لساني يفقهوا
قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها
فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ بلحيته ونتفها فغضب وامر
بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا
بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك
وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرا ثم لما دعاه
قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنه

واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت
سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد
يبين واجاب عن الاول بانه لم يسال حل عقدة لسانه مطلقا بل
عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني
يحتمل صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من اهلي
هرون اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر
لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجا لان الامير يعتصم برايه
ويلتجي اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة
فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزتها لقلبها في موازر
ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال
او لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي تبيين
كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون او مبتدا
خبره اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ الامر وقراهما ابن عامر
بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان
التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا
بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين
فيما امرتني به قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي مسؤولك فعل بمعنى
مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى
انعمنا عليك في وقت آخر اذ اوحينا الى امك بالهام او في منام او على
لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى
ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام
ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول
فاقذفيه في اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف
في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا
فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب
الحصول لتعلق الارادة جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امره واخرج الجواب
مخرج الامر والاولى ان يجعل الضماير كلها لموسى مراعاة للنظم فالمقذوف
في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض
ياخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول
باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت
قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان

فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان
فرعون جالسا على راسها مع امراته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج
ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال سبحانه
والقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب
بحيث لا يكاد يصبر عنك من راك فلذلك احبك فرعون ويجوز
ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب
وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله
فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع
على عيني ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف
على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل
معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم
على الامر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي وليكون عملك على عين مني
لئلا يخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع
او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم
على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم
متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم
فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه
اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن هي بفراقك او انت بفراقها
وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي
فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله او اقتصاص فرعون
بالمغفرة والامن فيه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء
او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء
كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما نال
في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر
وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين
في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين
على ثمان مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك
واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستاخر او على مقدار
من السن الذي يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقب ما هو
غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي
مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب

انت

انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا
بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري
والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا
اياه واخاه فلا تكرير وقيل اوحي الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع
بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك
الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله
الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل
كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل
عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت لعله يتذكر
او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما
انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة
في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة
وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الايات والتذكر
للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما
ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط
علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة
من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ
يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار
او خوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة بالعقاب
ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى او ان يزداد طغيانا فيتخطى
الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراته وقساوته واطلاقه من حسن الادب
قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجري بينكما
وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب
نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا
والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فاتياه فقولا له انا
رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف
الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم
في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان
بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان
ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك باية من ربك جملة مقررة
لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه

بيان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة
وتعددها ولذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية او لو جئتك بشيء مبين
والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين
او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب
وتولى ان عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح
بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق
قال فمن ربكما يا موسى بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف
لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين
وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف
ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير
من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء
من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى
خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لانه
المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا
وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول
الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف
يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو
جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على
مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى
وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك
بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه
قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة
قال علمها عند ربي اي هو غيب لا يعلمه الا هو وانما انا عبد مثلك
لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز
ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده
لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه
والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على
العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى
بالاشياء كلها وتخصيص ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك
يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم
وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم

فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده
لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر محذوف
او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون ههنا وفي الزخرف مهدا اي
كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد
كالفراش او جمع مهد ولم يختلفوا في الذي في النبأ وسلك لكم
فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري
تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء
مطرا فاخرجنا به عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية
لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة
وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيته وعلى هذا نظائره
كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها
امن خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فانبتنا به حدائق
الآية ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض
من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون
صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد
والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي متفرقا في الصور والاعراض
والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا
وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا
اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معدة لانتفاعكم بالاكل
والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول
الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم
فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم
بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتاليف اجزائكم
المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه
آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع او لشمول
الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة
بموسى او انه اراه آياته وعدّ عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب
موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل
على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر
ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل

بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف
لا يلايم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر
لا به فانه موصوف او انه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه
وعلى هذا يكون مطابقة الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة
من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس
في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو
على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر
في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا
واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء
او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق
ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار
وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على البناء
للفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون
على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة
والاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا
بان تدعوا اياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستاصلكم به وقرا
حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد
وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون
فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم
اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا
من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او
تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل
الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير
لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس
وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف
للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان
لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدا وخبر وفيهما ان اللام
لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير
وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرا ابو عمرو ان هذين
وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام

هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو
افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل
دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم
فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه
القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه
واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرا ابو عمرو فاجمعوا
ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول
بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين
وقيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة
واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو
اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى
اي بعد ما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده منصوب بفعل مضمر
او مرفوع بخبرية محذوف اي اختر القاءك او القاءنا او الامر القاؤك
او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم
واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر في شقهم وتغيير النظم
الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله
سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم وهي للمفاجاة
والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها
لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى
فالقوا ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك
بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس تخيل اليه انها تتحرك
وقرا ابن عامر رواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على اسناده
الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ
يخيل بالياء باسناده الى الله تعالى وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس
في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة
البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت
انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف
وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة
وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها

اي لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التي في يدك تعظيما لها
اي لاتحفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها
اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرته تعالى واصله تتلقف فحذف
احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل
الى السبب وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال او الاستيناف
وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته ان ما صنعوا
ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة
وهو مفعول صنعوا وقرا حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية
الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه
وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر
اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس
ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري
حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقى فتلقفت
فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من ايات الله ومعجزة من معجزاته
فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا
قالوا امنا برب هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروي الاية
او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره
فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روي انهم راوا
في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال امنتم له اي لموسى واللام لتضمن الفعل
معنى الاتباع وقرا قنبل وحفص امنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام
قبل ان اذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به
او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطاتم على ما فعلتم فلاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان
القطع ابتدا من مخالفة العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب
على الحال اي لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف
ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف
بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله
امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى
والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شي وقيل رب موسى الذي امنوا به
اشد عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا
موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات

والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت
قاضيه او صانعه او حاكم به انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه
او تحكم بما تراه في هذه الدنيا والاخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله
والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة
انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه
من السحر من معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى
نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل
سحره فابى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى
عقابا انه ان الامر من يات ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه
فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة مهناة ومن ياته
مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى
المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار
وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والايات الثلث
تحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم
من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله
في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما
وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ
يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب
وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلي حين ضمت حوالب
غرزا ومعاجيا عاء او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا
لا تخاف دركا حال من المامور اي امنا من ان يدرككم العدو او صفة
ثانية والعائد محذوف وقرا حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى
استيناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كقوله
وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فاتبعهم
فرعون بجنوده وذلك ان موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل فاخبر
فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده
فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء
للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى واتبعهم جنوده وذادهم خلفهم فغشيهم
من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي

غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرى فغشاهم ما غشاهم
اى غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه
الذى ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اى اضلهم فى الدين
وما هداهم وهو تهكم به فى قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم
فى البحر وما نجى يا بنى اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك
فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم على عهد النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم بما فعل باباءهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم
جانب الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدى
المواعدة اليهم وهى لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا
عليكم المن والسلوى يعنى فى التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم يعنى
من لذائذه او حلالاته وقرا حمزة والكسائى انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم
على التاء وقرى ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل حجر
ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدى
لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم
غضبى فيلزمكم عذابى ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه
ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع فى الهاوية
وقرا الكسائى يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل وانى لغفار
لمن تاب عن الشرك وامن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم
اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك
يا موسى سوال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة
فى نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فلذلك اجاب
موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثرى
ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة فلا يعتد بها عادة وليس بينى وبينهم الا مسافة
قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان
المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك قال
فانا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك
من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف فما نجا من
عبادة العجل منهم الا اثنى عشر الفا واضلهم السامرى باتخاذ العجل
والدعاء الى عبادته وقرى واضلهم اى اشدهم ضلالة لانه كان ضالا
ومضلا وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها
بايامها اربعين قالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب

كان له عند مقدمه اذ ليس فى الاية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله
له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشى ان يكون
فى علمه ومقتضى مشيته والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل
يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل جرجايا
واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى قومه بعد ما استوفى
الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال
يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها هدى ونور
افطال عليكم العهد اى الزمان يعنى زمان مفارقته لهم ام اردتم
ان يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل فى الغباوة
فاخلفتم موعدى وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما
امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اى فوجدتم
الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب
على الترديد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا
موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامرى
لما اخلفناه وقرا نافع وعاصم بملكنا بالفتح والكسائى بالضم وثلاثتها
فى الاصل لغات فى مصدر ملكت الشى ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم
احمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر
باسم العرس وقيل استعاروا العيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج
مخافة ان يعلموا وقيل هى ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه
ولعلهم سموها اوزارا لانها اثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا
مستامنين وليس له ان ياخذ مال الحربى فقذفناها اى فى النار فكذلك
القى السامرى اى ما كان معه منها روى انهم لما حسبوا ان العدة
قد كملت قال لهم السامرى انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم
وهو حرام عليكم فالراى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا
فيها ففعلوا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف
فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلى المذابة له خوار صوت العجل فقالوا
يعنى السامرى ومن افتتن به اول ما راه هذا الهكم واله موسى فنسى
اى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسى السامرى اى ترك
ما كان عليه من اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع
اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرى يرجع بالنصب
وفيه ضعف لان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك لهم ضرا

ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل
من قبل رجوع موسى او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين
طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر الى تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل
وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات على الدين
قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع
الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هرون اي قال له
موسى لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعني
ان تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تاتي عقبي
وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله ما منعك الا تسجد افعصيت امري بالصلابة
في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا
وقيل انه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتي
ولا براسي اي بشعر راسي قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط
غضبه لله وكان عليه حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك
حين راهم يعبدون العجل اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني
في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدماء والمداراة لهم
الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برايك قال فما خطبك يا سامري
اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اي ما طلبك له وما الذي
حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به
وقرا حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت ما لم تعلموه وفطنت
لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره
شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان جبريل جاءك على فرس الحياة
قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل
يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه
والقبضة المرة من القبض واطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد
والاول للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم
والقضم والرسول جبريل عليه السلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل
او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور
فنبذتها في الحلي المذابة او في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي
نفسي زينته وحسنته الي قال فاذهب فان لك في الحيوة عقوبة
لما فعلت ان تقول لا مساس خوفا ان يمسك احد فتاخذك الحمى

ومن مسك فتتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي
النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا اي
موعدا في الاخرة لن تخلفه لن يخلفكه الله وينجزه لك في الاخرة بعدما
عاقبك في الدنيا وقرا ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الوعد
اياه وستاتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الوعد
ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون
على حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت
على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل
حركة اللام اليها لنحرقنه اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد
على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم
لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا
فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار
غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي
لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء
علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان
حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما
على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهور لكنه فاعل في المعنى
فلما عدي الفعل بالتضعيف الى مفعولين صار مفعولا كذلك مثل
ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق
من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك
وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد اتيناك
من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر
والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس
من اعرض عنه عن الذكر الذي هو القران الجامع لوجوه السعادة
والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة
على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة
احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه
في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ
وساء لهم يوم القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص
بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك
ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام

ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرا ابو عمرو بالنون
على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على
ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك
وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين
يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك
لان الزرقة اسوء الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا
اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد
اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزرق يتخافتون
بينهم يخفضون اصواتهم لما يملا صدورهم من الرعب والهول والخفت
خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون
مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا
من الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار
واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى اخر الايات
نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رايا
او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم
ويسالونك عن الجبال عن مال امرها وقد سال عنها رجل من ثقيف
فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها
فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها
كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها
على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت
فيها بالقياس الهندسي وثلثها احوال مرتبة فالاولان باعتبار الاحساس
والثالث باعتبار القياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني
والامت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى استيناف مبين للحالين يومئذ
يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا
ثانيا من يوم القيمة يتبعون الداعي اي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل
يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه
لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن
خضعت لمهابته فلا تسمع الا همسا الا صوتا خفيا ومنه الهمس لصوت اخفاف
الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن له
او من اعم المفاعيل اي الا من اذن له في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه

فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن
يحتمل ان يكون من الاذن ومن الاذن ورضي له قولا اي رضي لمكانه
عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شانه او قوله
لاجله في شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم
وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته
وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع
ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت
وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهره
يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة
ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما
لاجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات
وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعة وقبول الخيرات فلا يخاف
ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان الجزاء
ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي
وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال ومثل هذه الايات
المتضمنة للوعيد انزلناه قرانا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه
من الوعيد مكررين فيه ايات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فيصير التقوى
لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فتثبطهم عنها
ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القران فتعالى الله
في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته
ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده
الحق في ملكوته يستحقه لذاته والثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقران
من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي
عن جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل
الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه وقل
رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي
اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه
واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف
وانما عطفت قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان
اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل
من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك

ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم راي وثباتا
على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع
تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق
شريها واريها وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو وزنت احلام
بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما
على الذنب لانه اخطا ولم يتعمد ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم
فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما
او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر اي اذكر حاله
في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات
فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان ما
منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود
المدلول بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا آدم
ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكون سببا لاخراجكما
والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة
فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام
شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او المراد
بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك
ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير
لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري
والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى
ان ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر
عنها وقرا نافع وابو بكر وانك لا تظما بكسر الهمزة والباقون بفتحها والعاطف
وان ناب عن ان لكنه نائب من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف
تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس اليه
الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد
الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد لانه سببه
بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما
سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق
على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة
فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة
او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي

من غوى

من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية
مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه
وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت
على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته
لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة
قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحوى او له ولابليس ولما كانا
اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لامر المعاش
كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من
النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى
كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى
في الآخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي
الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك
يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع
همه ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها
خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى
قد يضيق بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا الآيات
وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ
بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة
فانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى البصر او القلب ويؤيده الاول
قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة والكسائي
لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول راس آية
ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت
ثم فسره فقال اتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها
وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك
في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات
والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذب بها وخالفها
ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي والنار بعد ذلك
اشد وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال
عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها افلم يهد لهم
مسند الى الله تعالى او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون

اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق مجرى
مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون
اثارهم ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن
التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتاخير عذاب
هذه الامة الى الاخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما
لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه
كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة بتاخير العذاب
واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لكان العذاب
لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز
عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته
وتوفيقه او نزهه عن الشرك وعن سائر ما يضيفون اليه من النقائص
حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها قبل طلوع الشمس
يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في آخر النهار او العصر وحده
ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع إنى بالكسر والقصر او اناء بالفتح والمد
فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل
فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه
احمز ولذلك قال سبحانه ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا
واطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه
بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر
بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخر
وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار
لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال
عند الله ما به ترضى وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك
ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا له
ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا
من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم
زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا
او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة
والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف
لهم بانهم زاهر والدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد

لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك
وما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم
في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وامر اهلك بالصلوة امره بان يامر اهل بيته
او التابعين له من امته بالصلوة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة
بها على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة
واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك
نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة
للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه السلام كان اذا اصاب اهله
ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا ياتينا باية من ربه باية
تدل على صدقه في ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات
او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات
واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم
والعمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه
قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه من
من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم ياتهم بينة ما في الصحف
الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله
على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي
لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته
برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك
بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف وقرأ نافع
وابو عمرو وحفص اولم تاتهم بالتاء والباقون بالياء ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان
او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة
قل كل منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا
فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد
والسوء اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة
ومن في الموضعين للاستفهام ومحلهما الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف
الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان
العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	وهي احدى عشرة اية

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى مامضى او عند الله تعالى كقوله
انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله
وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اولان لان كل ما هو آت
قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة
واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب
للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة
معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران
للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما ياتيهم
من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة
لياتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا
على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه
لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم
يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين
بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو
يلعبون وقرئت بالرفع على خبر اخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها
او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو واسروا للايماء
بانهم ظالمون فيما اسروا او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة
المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا
على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر
وانتم تبصرون بامره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا للقول
مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم
ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق
كالقران سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاوروا في استنباط ما
يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء
والارض جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به فهو آكد من قوله قل انزله
الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله
واسروا النجوى وقرا حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول
وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا

اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر
الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر
ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم
في شان الرسول وما ظهر عليه من الايات الى تقاولهم في امر القران
والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه
الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل
الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله
تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى
لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو
من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى
لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا
لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فلياتنا باية كما ارسل الاولون
اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء
الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالاية ما امنت
قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الايات لما جاءتهم
افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه دليل على عدم الاتيان
بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال
كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسألوا
اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة لتزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم
اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا
وقرا حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا
خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا
ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي
في الاسواق وما كانوا خالدين تاكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام
من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه
مصدر في الاصل او على حذف مضاف او تاويل الضمير بكل واحد وهو جسم
ذو لون فلذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو
تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد

فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن
هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب عن الاستيصال واهلكنا
المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني
القران فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم
او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون
فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم
كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها
وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشانا بعدها بعد اهلاك اهلها
قوما اخرين مكانهم فلما احسوا باسنا فلما ادركوا شدة عذابنا
ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون
يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم
لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال
او المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه
من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم
لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات
العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا
يا ويلنا انا كنا ظالمين لما راوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك
لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه
فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء
يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم
فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل
ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية
والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك
لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول
الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة
الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار
وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش
والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها
سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه
من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات

لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف
وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل
الزوجة والمراد الرد على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه
الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف
بالحق على الباطل اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب
بل شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي
من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو
الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ
بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به
ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم
والحق بالحجاز فاستريحا وهو وجه مع بعده الحمل على المعنى والعطف
على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح
المجاز ولكم الويل مما تصفون تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال
وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا
وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين
عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه
اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء
والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها
ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ
من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها
ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون
حال من الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله
ام اتخذوا الهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة لالهة
او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم
ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا بذلك لزم ادعاؤهم لها الالهية
فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم
وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان
فيهما الهة الا الله غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول
ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الالهة فيهما دونه والمراد
ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها
ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون

في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف
والتمانع فانهما ان توافقتا في المراد تطاردت عليه القدر وان
تخالفتا فيه تعاوقتا عنه فسبحان الله رب العرش المحيط
بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير عما يصفون
من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسئل عما يفعل لعظمته
وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسئلون
لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد ام اتخذوا من دونه
آلهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا
لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون
لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة
لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم
فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده
عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك
اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف
وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي
من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد
والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل
وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي
الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال
وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وبعد ومهما
بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق
بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتاكيد بين السبب والمسبب
فهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسل من اجل ذلك وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم
بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص
بالموجودين بين اظهرهم وهو الكتب الثلثة وقرأ حفص وحمزة والكسائي
نوحي اليه بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا
باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد
لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد

المؤدبين

المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل
القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين
على الله سبحانه وتعالى ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا
وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته
اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يامرهم به يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة
لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم
ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه
وهم من خشيته من عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية
خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء
فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس
ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين
بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك
وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو
ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم
والالتحام كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز
او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت
افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها
طبقات واقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا
لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات
سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها
مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به
نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بواسطة او استفسارا
من العلماء ومطالعة من الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد
جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا
رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي
وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه
اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي
بسبب الماء لا يحيا دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان
والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الآيات

وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا اذا ثبت ان تميد بهم
كراهة ان تميد بهم وتضطرب وقيل لئلا تميد فحذف اللام ولا لامن
الالتباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك
واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين
خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها
للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم
وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال
الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم عن اياتها
احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته
التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون
غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض
تلك الايات كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه
والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون
على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال
من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع
باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به
ريب المنون وفي معناه قوله وقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون
كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك
كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما
انكروه ونبلوكم نعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم
فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما
يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء
والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا راك الذين كفروا
ان يتخذونك الا هزوا الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر الهتكم
اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم
بذكر الرحمن بالتوحيد وارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة
عليهم او بالقران هم كافرون منكرون فهم احق ان يهزا بهم وتكرير
الضمير للتاكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان
من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد
من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له

الذكر

ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال
الوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحرث حين استعجل ساريكم
اياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الاخرة عذاب النار فلا تستعجلون
بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها
ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيمة ان كنتم صادقين
يعنون النبي واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول
يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد
وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها
ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم
ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا او لعلموا بطلان ما هم
عليه حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما
اوجب لهم ذلك بل تاتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجاءة
مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ
الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون
ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة او الحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون
للنار او للبغتة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وعده له بان ما يفعلونه
يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل
يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن
من باسه ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على انه لا كالئ غير رحمته العامة
وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا
ان يخافوا باسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه
ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل الهم الهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا
او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على
الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه
ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف
ابطال ما اعتقدوه فان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله
كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا
ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتع بما قدر لهم من الاعمار

او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم
بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك
وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امر كاذب افلا يرون
انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين
عليها وهو تصوير لما يجريه الله على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله
والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء
وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم
للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون
منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار والمبالغة
في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات
ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء
والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به
ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا
عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل يوزن بها صحائف الاعمال
وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب
الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة
ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة ولاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون
من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان مثقال حبة
من خردل اي وان كان العمل او الظلم مثقال حبة ورفع نافع مثقال
على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء
فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء
واثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة
وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا او على عدلنا ولقد آتينا موسى
وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا
بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا
يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر
وقيل فلق البحر وقرئ بغير واو على انه حال من الفرقان الذين يخشون
ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال
من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون
وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن

مبارك كثير خيره انزلناه على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا ابراهيم رشده
الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له
شأنا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون او محمد عم
وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال اني وجهت وكنا به
عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال
وفيه اشارة الى ان فعله سبحانه وتعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات
اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات
رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشأنها
وتوبيخ لاجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام
للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون
العكوف لها ويجوز ان يأول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب لما لزم الاستفهام
من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم
في ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم
استناد الفريقين الى دليل والتقليد وان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة
انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كانهم لاستبعادهم
تضليل اباءهم ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا اجد تقوله ام تلعب
قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا
باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل
في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم اي المذكور من التوحيد
من الشاهدين من المحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء
وحققه وتالله وقرئ بالباء على الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها
وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء
من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا
عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا
فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة
او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا
جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه
لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده
واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم

يرجعون الى الكبير فيسالون عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع
اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده
عند تحقق عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه
لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها
او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله
ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى يصححه لان يتعلق به السمع وهو ابلغ
في نسبة الذكر اليه يقال له ابراهيم خبر محذوف اي هو ابراهيم ويجوز
ان يرفع بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فأتوا به على اعين الناس
بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب
لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا أأنت فعلت هذا
بآلهتنا يا ابراهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم
ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة
تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت
على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق
انت كتبت هذا فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل
انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى
او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا ابتداء وخبر ولذلك وقف على بل فعله
وما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابراهيم ثلث كذبات
تسميته للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم
وراجعوا عقولهم وقالوا بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال
او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين
ثم نكسوا على رؤوسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة
شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا على اعلاه وقرئ
نكّسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون من دون الله
ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها
جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية اف لكم ولما تعبدون
من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر
ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون قبح صنيعكم
قالوا اخذا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول
ما يعاقب به وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ان كنتم

ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه
هيون وخسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات
جعل النار المسخرة بقدرته مأمورة مطيعة واقامة كوني ذات برد
مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل
نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى
وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له
جبريل هل لك حاجة قال اما اليك فلا فقال سل ربك قال حسبي
من سؤالي علمه بحالي فجعل الله سبحانه وتعالى ببركة قوله الحظيرة روضة
ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب
الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك
ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه
هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه
سبحانه وتعالى دفع عنه اذاها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله
على ابراهيم وارادوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين
اخسر من كل خاسر عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم
على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام
وبركاته العامة ان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا فيه وانتشرت
في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية
وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه نزل بفلسطين ولوط
بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
عطية فهو حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص
بيعقوب ولا بأس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين
بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم
ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك
وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات
ليحثهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات
ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء
الزكوة وهو من عطف الخاص على العام للتفصيل وحذفت تاء الاقامة
المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا

عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا
اتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما مما ينبغي علمه للانبياء
ونجيناه من القرية قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة
وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه
ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه
في رحمتنا في اهل رحمتنا او جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم
منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله سبحانه على قومه بالهلاك
من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله
من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد
ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا
باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين
تكذيب الحق والانهماك في الشر لم يجتمعا في قوم الا اهلكهم الله تعالى
وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت
عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين
لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة
او للفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث
فقال سليمن عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما
فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واشعارها
والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا
ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني
مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا
عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب
ليلا وهكذا قضى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا
وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية
حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم جرح العجماء جبار وكلا اتينا حكما وعلما دليل
على ان خطاء المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو
مخالف لمفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله
ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله
سبحانه وتعالى فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال واستئناف

ببيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا او يسبحن والطير عطف على الجبال
او مفعول معه وقرئ على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا
فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجبا عندكم وعلمناه
صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة
لبوسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلم او صفة
للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير
لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس
على تاويل الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم
شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمن
وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان
نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه
الريح عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة
كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت
رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية
او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها
الى الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين
فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار
ويخرجون نفائسه ومن عطف على الريح او مبتدا خبره ما قبله وهو نكرة
موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر
كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء
من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا
على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر بانى مسنى الضر
وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر
وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه
بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا
في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق عليه السلام استنباه وكثر اهله
وماله وابتلاه الله باستهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض
في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة او سبعا او سبعة اشهر وسبع ساعات
روي ان امراته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف
قالت له لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال
استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له

فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه أهله ومثلهم معهم بأن ولد له
ضعف ما كان أو أحيى ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى
للعابدين رحمة على أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر
فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا العابدين فإنا نذكرهم بالإحسان ولا ننساهم
وإسمعيل وإدريس وذا الكفل يعني إلياس وقيل يوشع وقيل زكريا
سمي به لأنه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل منه أو ضعف عمل أنبياء زمانه
وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل من الصابرين
على مشاق التكاليف وشدائد النوب وأدخلناهم في رحمتنا يعني النبوة
أو نعمة الآخرة إنهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء
فإن صلاحهم معصوم عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت
يونس بن متى إذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم
وشدة شكيمتهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم
لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك
وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب
عندها وقرئ مغضبا فظن أن لن نقدر عليه لن نضيق أو لن نقضي عليه
بالعقوبة من القدر ويعضده أنه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا
وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن يقدر عليه في مراغمته قومه
من غير انتظار لأمرنا أو خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسمي ظنا
للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا
فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو ظلمات بطن الحوت والبحر
والليل أن لا إله إلا أنت بأن لا إله إلا أنت سبحانك أن يعجزك
شيء إني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة إلى المهاجرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له فاستجبنا له
ونجيناه من الغم بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان
في بطنه وقيل ثلاثة أيام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك
ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص وفي الإمام نجي ولذلك
أخفى الجماعة النون الثانية فإنها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر
وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت
التاء الثانية في تظاهرون وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من
حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فإن الداعي
إلى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الإدغام وامتناع الحذف في تتجافى

لخو

لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند إلى ضمير المصدر وسكن آخره
تخفيفا ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن
آخره وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني
وأنت خير الوارثين فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به فاستجبنا له
ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه أي أصلحناها للولادة بعد عقرها
أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة إنهم يعني المتوالدين أو المذكورين
من الأنبياء كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون إلى أبواب الخير
ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب أو راغبين في الثواب راجين للإجابة
أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية وكانوا لنا خاشعين
مخبتين أو دائمي الوجل والمعنى أنهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال
والتي أحصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى
فيها أي أحييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح
الذي هو بأمرنا وحده أو من جهة روحنا جبريل وجعلناها وابنها
أي قصتهما أو حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين فإن من تأمل
حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى إن هذه أمتكم أي ملة التوحيد
والإسلام ملتكم التي يجب عليكم أن تكونوا عليها أمة واحدة غير
مختلفة فيما بين الأنبياء أو لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ
أمتكم بالنصب على البدل وأمة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على أنهما
خبران وأنا ربكم لا إله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا أمرهم
بينهم صرفه إلى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا
أمره قطعا موزعة بتقبيح فعالهم إلى غيرهم كل من الفرق المتحزبة
إلينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله
ورسوله فلا كفران فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير
الشكر لإعطائه ونفى لنفي الجنس للمبالغة وإنا له لسعيه كاتبون
مثبتون في صحيفة لا تضييع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على أهلها
غير متصور منهم وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وحرم بكسر الحاء وإسكان الراء
وقرئ حرم أهلكناها حكمنا بإهلاكها أو وجدناها هالكة أنهم لا يرجعون
رجوعهم إلى التوبة أو الحياة ولا صلة أو عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ
خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه وتقديره توبتهم
أو حياتهم أو عدم بعثهم أو لأنهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف أي
وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام

عزم موجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج
متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر
الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها
وهو فتح سد ياجوج وماجوج وهي حتى التي يحكى الكلام بعدها والمحكي
هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم
يعني ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض
وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذئب
وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيمة فاذا هي
شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد
مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها
تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد هذا والضمير للقصة او مبهم يفسره
الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول
قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا
بالاخلال بالنظر والاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله
يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم
لما روي انه عليه السلام لما تلا الاية على المشركين قال له ابن الزبعرى
قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا
المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله سبحانه وتعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون
ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا
شيء لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال صلى الله تعالى
عليه وسلم بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين
بيانا للتجوز او التخصيص تاخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به
اليها ويهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون
الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب
جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم
لاجلها لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها
وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس
شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون
الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل

لا يسمعون

لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى
وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها مبعدون
لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا خطب وقرا هذه الاية فقال
انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن
ابن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول
لا يسمعون حسيسها وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق
للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت
انفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص
والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ
في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض او الانصراف الى النار
او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم
مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون
في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال
مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد النشر او المحو من قوله
اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني ادم فاذا انتقلوا
قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتاب
طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة
حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل
السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما
لغتان فيه كما بدانا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدا اعادة
مثل بداتنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا بين الاجزاء المتبددة
والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان
الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة
او مصدرية واول مفعول لبدانا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف
متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيده مثل الذي بداناه واول خلق
ظرف لبدانا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر لفعله تاكيدا
لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه
انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور كتاب داود
من بعد الذكر اي التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة
وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة

يرثها عبادي الصالحون يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها او امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ان في هذا اي فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا
لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم
وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف
والمسخ وعذاب الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد
اي ما يوحى الي الا انه لا اله الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي
من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس
فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحي المصدق بالحجة
وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا
عن التوحيد فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم
بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم
اني على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري
اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين
او البعث لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون
به من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد
للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري
لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان
لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر
تقتضيه مشيئته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة
بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ
حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقرئ ربُّ بالضم وربي احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام
وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه
المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم
وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان
حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله صلى الله تعالى
عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم
وقرئ بالياء وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ
اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران

سورة الحج مكية — بسم الله الرحمن الرحيم — وآيها خمس وسبعون

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء
على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة
معنوية بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى
المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها
الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى
بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع
بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب
بتذهل وقرئ تُذهِل وتُذهَل مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول
الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت
التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما مصدرية او موصولة
وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى
وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله
بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ تُرى من اُريتك قائما
او رُئيتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب الفاعل وتأنيثه
على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر
انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر
مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر
ابن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين
ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله
كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان
انه من تولاه تبعه والضمير للشيطان فانه يضله خبر لمن او جواب له
والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير
فشأنه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر
في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه
ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس
ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعَث
كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا

خلقناكم من تراب بخلق آدم منه او الاغذية التي تتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة او ساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه اخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف وقرئ بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والاية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء وانه يحيي الموتى يقدر على احيائها والا لما احيا النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها

وان الساعة آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحي او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري الضروري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الاستخفاف وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرئ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلالة وانه من حيث مؤداه كالغرض له له في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيمة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجاز لهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اقلني فقال الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والاخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن القصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا يدعو لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعو

من حيث انه بمعنى زعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة
الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى
استضراره به او مستانفة على ان يدعوا تكرير للاول ومن مبتدا خبره
لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل
ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان
يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار والمعنى
ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن خلاف ذلك
ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه
بان يفعل كل ما يفعله الممتلي غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى
سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه
وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه
فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه فلينظر فليتصور في نفسه
هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه
ما يغيظ غيظه والذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين
استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك
ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات واضحات
وان الله يهدي ولان الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد
هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم
يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم على المبطل والجزاء فيجازي
كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من
طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله
الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته
ولا يتابى عن تدبيره او يدل بذله على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم
اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك
منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين
وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد
من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الاخر الى اخر

فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدا خبره
محذوف يدل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر
اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره
وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين
بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده
وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له
من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل
ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اي فوجان مختصمان
ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون
والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود
والمؤمنون فقال اليهود نحن احق بالله اقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم
وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا
فصل لخصومتهم وهو المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
قطعت لهم قدرت لهم على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب
من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم
الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به
ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تاثيره في ظاهرهم
فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم
وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون
بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا
منها من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار
اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج
وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون
فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان
احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون فيها من حليت المراة اذا
لبست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة مفعول
محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له
ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد

المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل
ويؤتون وروى حفص بهمزتين وقرئ لولوا بقلب الثانية واوا
ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء وليليا بقلبهما يائين ولول
كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير
ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول
وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد
المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى
وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به
حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منه كقولهم فلان يعطي ويمنع
ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان
محذوف دل عليه اخر الاية اي معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم
الله وخصه بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف
فيه والباد اي المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو
مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر
دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه
ويكون للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص
على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه
بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول
وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق
وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له
اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام نذقه من عذاب اليم
جواب لمن واذ بوانا لابراهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيناه وجعلنا
له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه قيل
رفع البيت الى السماء وانطمس ايام الطوفان فاعلمه الله ابراهيم مكانه
بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم ان لا تشرك بي شيئا
وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوانا من حيث
انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة
بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار
لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على
ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ
يشرك بالياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بالامر به وروي

انه

انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله
من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب
ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ياتوك رجالا مشاة جمع راجل
كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخففة الجيم ومثقلة ورجالى كعجالى
وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر
فهزله ياتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ ياتون صفة للرجال
والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق
عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا
ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من
المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا
والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك
عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله في ايام معلومات
هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم الله من بهيمة الانعام
علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها
على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما
عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم
وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي اصابه
بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول
ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط
والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل
مواجب الحج وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء
التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت
وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه
ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط
عليه ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله تطلق للفصل
بين الكلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه والحرام
او ما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام
والشهر الحرام والمحرم فهو فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم
الانعام الا ما يتلى عليكم اي المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض
كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرم الله كالبحيرة والسائبة

فاجتنبوا الرجس من الاوثان الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب
الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها
واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور
كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه
من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم
بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عليه الصلوة والسلام قال عدلت
شهادة الزور الاشراك بالله ثلثا وتلى هذه الاية والزور من الزور
وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب
منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به
وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه
سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء
المردية توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد
فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب
او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه
بالتوبة لكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى
ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك
ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه والهدايا
لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها
حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم
اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر
اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب
فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات
والعايد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما
لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها
منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية
البيت اي ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة
اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها
وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد
على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت
ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذي ترفع اليه الاعمال او يكون فيها
ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات

في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة
بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا
متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اي موضع
نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل
به تنبيها على ان المقصود من المناسك ذكر المعبود على ما رزقهم
من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون
نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه
بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات
صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله
عليها والصابرين على ما اصابهم من الكلف والمصائب والمقيمي
الصلوة في اوقاتها وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم
ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم
وقد قرئ به وانما سميت به الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة
ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلوة
والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها
شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم
ومن رفعه جعله مبتدأ من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله
لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا
عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف
قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس
اذا قام على ثلث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى
يديها فتقوم على ثلث وصوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق
عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن
الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها
سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع
الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة او السائل من قنعت اليه
قنوعا اذا خضعت له في السؤال وقرئ القنع والمعتر والمعترض بالسؤال
وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما
وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها
منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها
لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله

لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها
ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله
التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم
الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية
اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون
فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله
اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء
وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم ارشدكم الى طريق
تسخيرها وكيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة
بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتونه ويذرونه
ان الله يدفع عن الذين امنوا غائلة المشركين وقرا نافع وابن عامر
والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه
ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب
الى الاصنام بذبيحته فلا يرضى فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرا
ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله
للذين يقاتلون المشركين والماذون فيه محذوف لدلالته عليه
وقرا نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون
بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه من بين مضروب
ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى
هاجر فانزلت وهي اول اية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف
وسبعين اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد
بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق
بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين
منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل
الملل وقرا نافع دفاع ولهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهابنة
وبيع وبيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود وسميت بها لانها
يصلى فيها وقيل اصله صلوتا بالعبرانية فعربت ومساجد ومساجد
المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها

تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط
المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم
ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل
على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين
وقيل بدل من من ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه
وفيه تاكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له بان قومه
ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم
قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول لان قومه
بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع واياته
كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين امهلتهم حتى انصرمت اجالهم
المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة
والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها
وقرا البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية
على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت
سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء
عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر
اي هي خالية وهي على عروشها اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت
الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة
فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كاين
بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة
عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها
بهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد
مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية
على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل
بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان
من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا
في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين
فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فيكون لهم

قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم
من الاستبصار والاستدلال او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع
من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا اثارهم فانها الضمير للقصة
او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار
اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى
والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه
على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن
كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى
افاكون في الاخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به
ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به
ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر
المدد الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام
الشدائد مستطالة وكاين من قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام
مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو
لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها
من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تاخر لعادته تعالى
امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب
والي المصير والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير
مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب
وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المومنين
وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله
والذين سعوا في اياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين
مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه
اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الاخر
عن اللحوق به وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين على انها حال مقدرة
اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة

يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعث لتقرير شرع سابق كانبياء
بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ولذلك شبه
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول
ويدل عليه انه عليه الصلوة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف
واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جما
غفيرا وقيل من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول
من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له
ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان
في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله تعالى
عليه وسلم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة
فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه
والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله اياته ثم يثبت اياته الداعية الى
الاستغراق في امر الاخرة والله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله
بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان
قومه ان ينزل عليهم ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم
فنزلت سورة والنجم فاخذ يقراها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس
اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى تابعوه بالسجود لما سجد
في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مسلم ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل
فاغتم به فعزاه الله بهذه الاية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء
يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرا كقوله تمنى
كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء
الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون
انه من قراءة النبي وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القران ولا يندفع
بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم اياته لانه ايضا يحتمله والاية
تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان
علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق
والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم
المشركين وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم
قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمومنين
وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ان القران هو الحق

النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر
من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن ادم فيؤمنوا به
بالقران او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي
الذين امنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما
هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القران
او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير
ثم ارتد عنه حتى تاتيهم الساعة القيامة او الموت او اشراطها بغتة
فجاءة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به
لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين
ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا
او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ سحابا ولم تلقح شجرا
او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد بالساعة
غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه
ينوب عن الجملة التي دلت عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم
يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله
فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفاء في خبر الثاني
دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى
وان عقاب الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب
ولم يقل هم في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد
او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من
قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد
واصل العمل كان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هولاء الذين قتلوا
قد علمنا ما اعطاهم الله من الجنة ونحن نجاهد معك كما جاهدوا
فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق
بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه
وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة
ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص
وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه
ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله
لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب اليه

بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث
على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان
يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه تعالى قادر على العقوبة
اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر
بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله
قادر على تغليب الامور بعضها على بعض جار عادته على المداولة
بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الاخر
بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار
بتغيب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول
المعاقِب والمعاقَب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف
بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته
وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدا لكل ما
يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من
كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو
لما فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية
وان الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء
اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام
تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب
جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني
والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء
اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما جل
ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما
في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء
الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم
ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما
او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال
منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة
ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه
الا بمشيته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية
لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها

ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال
وفتح لهم ابواب المنافع ودفع عنهم ابواب المضار وهو الذي احياكم
بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجالكم ثم يحييكم في الآخرة
ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا
منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه
فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين او النسائك
لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع
وقيل المراد نهي الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة
المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء
او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز في افعال
المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم
تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على
تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته
اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم
طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة
فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها
وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين
بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات
فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء
والارض فلا يخفى عليه شيء ان ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه
فلا يهمك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك ان الاحاطة به واثباته
في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل
المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة
تدل على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل
او استدلاله وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير
يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن
بينات واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف
في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل
اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا
موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم

على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم
النار اي هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ
خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر
بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها
وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة
او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثلا في استحقاق العبادة
فاستمعوا له للمثل استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون
من دون الله يعني الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا
للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا
لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة
على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب
وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له لخلقه وهو بجوابه المقدر في موضع الحال جيء به
للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف
اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد
بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها
لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على
مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه
من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب
فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب
عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب
والصنم يطلب الذباب منه السلب والصنم والذباب كانه يطلبه
ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات
ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا
باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق
الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء والهتهم التي يعبدونها عاجزة
عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون
بينه وبين الانبياء ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون
اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه
غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم
والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات

لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه ترجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا في صلوتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تاتون وتذرون كنوافل الطاعات وكصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير مستيقنين له واثقين على اعمالكم والاية اية السجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراهما وجاهدوا في الله اي لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع عن تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتبيكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم منتصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ابراهيم او على الاغراء او الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر

العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة وفي هذا وفي القران والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القران وان لم تكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم المسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصر الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية والنصر بل لا ناصر ولا مولى سواه في الحقيقة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المومنون مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	وايها مائة وتسع

قد افلح المومنون قد فازوا باامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المومنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرا ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من القول والفعل معرضون لما بهم من الجد ما يشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا

مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في غرض
غير غرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك
بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام
على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب
المروة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل
يفعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف
والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ
على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج
او التسري وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك
اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون
لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين
الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم
او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى
فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم
وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون
قائمون بحفظها واصلاحها وقرا ابن كثير لامانتهم على الافراد لامن
الالباس او لانها في الاصل مصدر والذين هم على صلوتهم يحافظون
يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة
من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا
لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير
الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون
لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم
الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها
تفخيما لها وتاكيدا وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم
وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار
منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا
في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم الجنة
او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت
من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او بسلالة
او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان

ادم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات
جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين ادم خلق منه والسلالة
نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه
منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول
او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهي في الاصل صفة
للمستقر وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة
علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة
فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام
لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف
العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة
وقرا ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع
وقرئ بافراد احدهما وجمع الاخر ثم انشاناه خلقا اخر هو صورة البدن
او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت
واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه
ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته
وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين
عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك
ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم
يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق
سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه
مثله فهو طريقة او لانها طرق الملئكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا
عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات
غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها
حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسب ما اقتضت الحكمة وتعلقت
به المشيئة وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره
او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا
في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد والتصعيد والتعميق
بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما انا قادرون على انزاله وفي
تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل
ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين
فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات

فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات ثمارها وزروعها
تأكلون تغذيا أو ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل
من حرفته ويجوز أن يكون الضميران للنخيل والأعناب أي لكم في
ثمرتهما أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير
والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة عطف على جنات
وقرئت بالرفع على الابتداء أي ومما أنشأ لكم به شجرة تخرج
من طور سيناء جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال
له طور سينين ولا يخلو من أن يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة
أضيف إليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف
والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف لأنه فيعال كديماس
من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال
كعلباء إذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين
والشامي ويعقوب فإنه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء لا فعلال
إذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن أي تنبت
ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز أن تكون الباء معدية لتنبت
كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في
رواية تنبت وهو إما من أنبت بمعنى نبت كقول زهير رأيت
ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل أو على
تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالأول
وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصبغ
للآكلين عطف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء
على الآخر أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج
منه وكونه إداما يصبغ فيه الخبز أي يغمس فيه للائتدام وقرئ
وصباغ كدباغ في دبغ وإن لكم في الأنعام لعبرة تعتبرون بحالها
وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الألبان أو من العلف
فإن اللبن يتكون منه فمن للتبعيض أو للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة
في ظهورها وأصوافها وشعورها ومنها تأكلون فتنتفعون بأعيانها
وعليها وعلى الأنعام فإن منها ما يحمل عليه كالإبل والبقر وقيل
المراد الإبل لأنها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فإنها
سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه
كالضمير في وبعولتهن أحق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر

والبحر ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله إلى آخر
القصص لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما
حاق بهم من زوالها ما لكم من إله غيره استئناف لتعليل الأمر بالعبادة
وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ أفلا تتقون أفلا تخافون
أن يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته إلى عبادة غيره
وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الأشراف الذين كفروا
من قومه لعوامهم ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم أي
يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله أن يرسل رسولا لأنزل
ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون نوحا أي
ما سمعنا به أنه نبي أو ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي إله غيره
أو من دعوى النبوة وذلك إما من فرط عنادهم أو لأنهم كانوا في
فترة متطاولة إن هو إلا رجل به جنة أي جنون ولأجله يقول
ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه
قال بعد ما يئس من إيمانهم رب انصرني بإهلاكهم أو بإنجاز ما وعدتهم
من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم إياي أو بسببه فأوحينا إليه
أن اصنع الفلك بأعيننا بحفظنا نحفظه أن تخطئ فيه أو يفسده عليك
مفسد ووحينا وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع فإذا جاء أمرنا بالركوب
أو نزول العذاب وفار التنور روي أنه قيل لنوح إذا فار الماء من التنور
اركب أنت ومن معك فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب ومحله
في مسجد الكوفة عن يمين مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام
وفيه وجوه أخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه
وسلك غيره قال تعالى ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من
كل أمتي الذكر والأنثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كلٍ بالتنوين
أي من كل نوع زوجين واثنين تأكيد وأهلك وأهل بيتك أو من
آمن معك إلا من سبق عليه القول منهم أي القول من الله بإهلاكه
لكفره وإنما جيء بعلى لأن السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا
في قوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين
ظلموا بالدعاء لهم بالإنجاء إنهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالإشراك
والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد أمره بالحمد
على النجاة منهم بإهلاكهم بقوله فإذا استويت أنت ومن معك
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم

الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة
او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ
منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق
لدعائه امره بان يشفعه له مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده
بالامر والمعلق به ان استويت هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا
بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك
فيما فعل بنوح وقومه لايات يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار
والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين
عبادنا بهذه الايات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشانا
من بعدهم قرنا اخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو
هود او صالح وانما جعل القرن موقع الارسال ليدل على انه لم ياتهم
من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله
مالكم من اله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول
اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملا من قومه الذين
كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول
قوم نوح وحيث استونف به فعلى تقدير سوال وكذبوا بلقاء الاخرة
بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث
واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا
الا بشر مثلكم في الصفة والحال ياكل مما تاكلون منه ويشرب
مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف
او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم
فيما يامركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط
وجواب للذين قاولوهم من قومهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا
وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث
او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال
الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدا خبره الظرف المقدم
او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم
اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا
لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات
هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون
واللام للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد

قيل فما له هذا الاستبعاد فقالوا لما توعدون وقيل هيهات
بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير
وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر
على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي
الا حيوتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام
الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها
مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حيوة
الا هذه الحيوة لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة
على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا
يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو
الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من رسالة وفيما يعدنا من البعث
وما نحن له بمومنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي
منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان
قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين
على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح
عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان
القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل
من الله كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصادق فجعلناهم
غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به
الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء
وبعدا مصدر بعد اذا هلك وبعدا من المصادر التي تنصب بافعال
التي لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر
موضع ضميرهم للتعليل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين يعني
قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت
الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستاخرون الاجل
ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد
والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتانيث لان الرسل
جماعة وقرا ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى التواتر وقع حالا كلما
جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل
ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدؤه الامر منه والمجيء
الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم

احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع
احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون باياتنا بالايات التسع وسلطان مبين وحجة
واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات
وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته
السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها
ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات
وبالايات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها ايات للنبوة وحجة بينة
على ما يدعيه النبي عليه السلام الى فرعون وملائه فاستكبروا
عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن
لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق
للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر
وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة
قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده
يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت
في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى
في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة تمكن ان يكون
في طرف الزيادة اغنياء عن التفكر والتعلم في اكثر الاشياء واغلب
الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه
اشار بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقومهما
يعني بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد
فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد اتينا
موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير
الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف
والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس
فالاية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد
وظهر منه معجزات اخر وامه اية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى
لدلالة الثانية عليها واويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس فانها
مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقراء
ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار
مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها

يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن
الماء اذا جرى فاصله الابعاد في الشئ او من الماعون وهو المنفعة
لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك
بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب النزهة وطيب
المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء
لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على
معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تهيئة اسباب التنعم
لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا
على الرهبانية في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما
الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له
ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل
الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى
فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود
منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فيجازيكم عليه وان هذه
اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه
معطوف على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر
على الاستيناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة
في العقائد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان
والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون
في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم امر دينهم وجعلوه
اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض
او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا
جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة
وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن
معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا
من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل
كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون
معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء
الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم
حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به ان ما
نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له

فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليهم اعتقادهم ان ذلك خير لهم
مجزه نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون
ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون
بل هم كالبهايم لا فطنة ولا شعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد
استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك
يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا
للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون
حذرون والذين هم بايات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون
بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا
والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا من الصدقات وقرئ
ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا من الطاعات وقلوبهم وجلة
خائفة ان لا تقبل منهم وان لا تقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به
انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم وهو يعلم
ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات
اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة
على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا
فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها
فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة
او سابقونها اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا
كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها
يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس
ولدينا كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق
لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب
او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة
غامرة لها من هذا من وصف به هولاء او من كتاب الحفظة
ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية
عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى
اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر
او الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجارون

فاجاوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتداه بعد
حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجاروا اليوم فانه مقدر بالقول
اي قيل لهم لا تجاروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجاروا
فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا
قد كانت اياتي تتلى عليكم يعني القران فكنتم على اعقابكم تنكصون
تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص
الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم
وافتخارهم بانهم قوامه اغنى عن سبق ذكره او لاياتي فانها
بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان
استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا
اي يسمرون بذكر القران والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء
على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر
بفتح الهاء اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القران
او تهذون في شانه او الهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون
من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اي القران
ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم
ما لم يات اباءهم الاولين من الرسول والكتاب او من الامن
من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل
واعقابه فامنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم
بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير
ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون دعواه لاجل هذه الوجوه
اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر
امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن
فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون
انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون
لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر
لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة
فطنته وعدم فكرته لا كراهة الحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان
في الواقع الهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن
كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل
لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى

اولو اتبع الحق الذي جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اهواءهم
وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة واهلك العالم من فرط غضبه او لو
اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي
لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو
على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم
اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا
من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه
ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة
فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه
ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه
الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار
بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ
ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة
وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب
اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلل في هذه الايات
بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا
كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط
الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه فان خوف الاخرة اقوى البواعث
على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني
القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم في افراطهم
في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون
عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك
بعثت رحمة للعالمين قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت
ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم
وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكان استفعل من الكون
لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت
فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى
اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من القتل
والاسر اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك

اغناهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار
لتحسوا بها ما نصب من الايات والافئدة لتتفكر فيها وتستدل بها
الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون تشكرونها
شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان
لمانحها من غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو الذي ذرأكم في الارض
خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة
بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار
ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس
حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الاخر
افلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم
الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب
السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون
اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون استبعادا ولم يتاملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا
فخلقوا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب
والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك
فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي
الواضح والزاما بما لا يمكن لمن فيه مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر
عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح
قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي بعد ما قالوه
افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء اقدر
على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ
تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله قرأ ابو عمرو ويعقوب
بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون
عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته
قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه
وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث احد
ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون

سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون
مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد
بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد
لتقدسه من مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية
اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم
وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون
لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك
الاخرين ووقع بينهم التجاذب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا
فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء
وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد سبحان الله
عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده
عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر
وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل اخر على نفي الشريك
بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون
بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون
للتأكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والاخرة رب فلا تجعلني
في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان
شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة
ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد
من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون
او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم
استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي
احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث
لم تؤد الى وهن وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك او هي الامر
بالمعروف والسيئة المنكر وهي ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه
من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به
او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز
النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض

الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه
واعوذ بك رب ان يحضرون يحوموا حولي في شيء من الاحوال
وتخصيص حال الصلوة وقراءة القران وحلول الاجل لانها احرى
الاحوال بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق
بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله
من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم
لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع
على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل
لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت
في الايمان الذي تركته اي لعلي اتي بالايمان واعمل فيه وقيل
في المال او في الدنيا وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا عاين المؤمن
الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان
بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب
الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى اخره
والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة
لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل
بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع
الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه
الى حيوة تكون في الاخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة
بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب
بينهم ينفعهم لزوال التعاطف والتراحم لفرط الحيرة واستيلاء الدهشة
بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون
اليوم ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو
لا يناقض قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك
بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار فمن ثقلت موازينه
موزونات عقائده واعماله اي ومن كانت له عقائد واعمال صالحة
يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة
والدرجات ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن
وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا
انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها
لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك

تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها
كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان
وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم
الم تكن فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب
لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا
مودية الى سوء العاقبة وقرا حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح
كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق
ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون
لانفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست
مقام سوال من خسات الكلب اذا زجرته فخسا ولا تكلمون
في رفع العذاب او لا تكلمون راسا وقيل ان اهل النار يقولون
الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون
الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فيقولون
الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا
اخرنا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون
اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشان
وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل
الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا
وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرا نافع وحمزة والكسائي
بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين
المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد حتى انسوكم
ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي
وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم
انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مرادهم مخصوصين به وهو ثاني
مفعولي جزيتهم وقرا حمزة والكسائي بالكسر استينافا قال
اي الله او الملك المامور بسوالهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر
للملك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احياء وامواتا
في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا
لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم
وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فسئل
العادين الذين يتمكنون من عد اياما ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه

من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون
اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة
فانهم يقولون ما يقول والعاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا
يستقصرون قال وفي قراءة الكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا
لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم
عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم
تلهيا بكم فانما خلقناكم لنعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على
البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرا
حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء فتعالى الله الملك الحق الذي
يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض
من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه
عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات
الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين
وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها اخر يعبده
لا برهان له به صفة اخرى لاله لازمة فان الباطل لا برهان به جيء
بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع
فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك
فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون
ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح
بدا السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر
رسوله بان يستغفره ويسترحمه وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن
النبي عم من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه
عند نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت الي عشر من اقامهن دخل الجنة ثم
قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها واخرها من
كنوز الجنة من عمل بثلث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية | بسم الله الرحمن الرحيم | اياتها اربع وستون

سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها
ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك
ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو

لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها
ايات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم
وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا وانزلنا حكمهما
وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ
بالنصب على اضمار يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة
لاجل الامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون
بتعريضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة
اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل
على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي رحمه الله تعالى عليه تغريب الحر سنة
لقوله عليه الصلوة والسلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس
في الاية ما يدفعه لينسخ احدهما الاخر نسخا مقبولا او مردودا وله في
العبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة
في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه صلى الله
تعالى عليه وسلم يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن
اذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رافة
في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك
قال عليه الصلوة والسلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها
وقرا ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الاخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد
في اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة
فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلثة وقيل
واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية
او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان المائل
الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء
فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق
وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك
لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الاية نزلت
في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن
عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم

ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب
لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر
عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة
على ظاهرها والحكم بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا
الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم
سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال
وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية
والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات
يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب
الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر
يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان هنا بالحرية والبلوغ
والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى
وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب
واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا تعتبر شهادة زوج
المقذوفة خلافا لابي حنيفة رحمه الله تعالى وليكن ضربه اخف من ضرب
الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم
شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف
ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر
بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب
بينهما فيترتبان عليه كيف وحاله قبل الحد اسوأ مما بعده ابدا ما لم يتب
وعند ابي حنيفة الى اخر عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم
الا الذين تابوا عن القذف من بعد ذلك واصلحوا اعمالهم
بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال من المقذوف والاستثناء
راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به
كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى
النصب على الاستثناء وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل من هم
في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع
متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين
يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية
راى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا

بمعنى غير فشهادة احدهم اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم
او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة
والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لانها
اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به
من الزنا واصله على انه فحذف الجار وعلق العامل وعوض عنه اللام
تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان
من الكاذبين في الرمي وقرا نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين
ورفع اللعنة والغضب هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه
وحصول الفرقة بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه الصلوة والسلام
المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة
ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المراة لقوله
ويدرا عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله
انه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة ان غضب الله عليها
ان كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء
وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على
اربع وقرا نافع ان غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم
بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب
وهو الصرف لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة
رضي الله تعالى عنها وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم استصحبها
في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء
الحاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع
ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه وظن الذي كان يرحلها انها
دخلت الهودج فرحله على مطيها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد
ثم احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل
السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فاناخ راحلته
فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم
وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي
وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
ومن ساعدهم وهي خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف
والخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وابي بكر وعائشة وصفوان

رضي الله تعالى عنهم والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب
العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثماني عشرة اية في برائتكم
وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن
بكم خيرا لكل امرء منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما
خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرا يعقوب بالضم
وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بداه واذاعه
عداوة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او هو وحسان ومسطح
فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم
في الاخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا
بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا
هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين
منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه
من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان
يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين
عنهم كما يذبونهم عن وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف
لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه
ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التخصيص على
ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع
على الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء
فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا
فان ما لا حجة عليه كذب عند الله اي في حكمه ولذلك رتب الحد
عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لولا هذه
لامتناع الشيء لوجود غيره فالمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا
بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الاخرة بالعفو
والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم خضتم فيه عذاب
عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه
بالسنتكم ياخذ بعضكم من بعض بالسؤال عنه تلقى القول وتلقفه وتلقنه
وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر
حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه
من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته
فوجدته وتقولون بافواهكم اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه

بلا مساعدة من القلوب ما ليس لكم به علم لانه ليس تعبيرا عن علم به
في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه
هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب
فهذه ثلثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك
بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله
عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم
بهذا يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى
نوعه فان قذف احاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة
ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبحانك
تعجب من ذلك واصله انه يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى
من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب وتنزيه لله من ان يكون
حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف
كفرها فيكون تقريرا لما قبله هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه
فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا
لمثله كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء
مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج
وتقريع ويبين الله لكم الايات الدالة على الشرائع ومحاسن
الاداب كي تتعظوا وتتادبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم
في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها ان الذين
يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة في الذين امنوا
لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة الحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم
ما في الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر
والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة ولولا
فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة
على عظم الجريمة ولذا عطف وان الله رؤف رحيم على حصول فضله
ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه لذكره مرة يا ايها الذين
امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح
الطاء وقرا نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها
ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان
لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب

وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا
اخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها
والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم ولا ياتل ولا يحلف افتعال من الالية
او ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتال وانه نزل في
ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته
وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم في الدين والسعة
في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا
او في ان يؤتوا وقرئ بالياء على الالتفات اولي القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا
جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت
مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا
بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم
الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه
روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قراها على ابي بكر فقال بلى احب
ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفائف
الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن
وطعنا في الرسول والمؤمنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والاخرة
لما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف
ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات القران
لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم
من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرا حمزة والكسائي
بالياء للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور اثاره عليها
وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم
المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت
بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب
والعقاب سواه او ذو الحق البين اي العادل الظاهر عدله ومن كان
هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اي الخبائث
يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله

اولئك اي اهل بيت النبي او الرسول وعايشة وصفوان مبرؤن
مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم تقرر عليه وقيل
الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير
في يقولون للآفكين اي مبرؤن مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات
اي مبرؤن من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعني
الجنة وقد برا الله تعالى اربعة باربعة برا يوسف بشاهد من اهلها
وموسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق
ولدها وعايشة بهذه الايات مع هذه المبالغات وما ذلك الا
لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان
الا باذن حتى تستانسوا تستاذنوا من الاستيناس بمعنى
الاستعلام من انس الشي اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال
مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الذي
هو خلاف الاستيحاش فان المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له
فاذا اذن له استانس او تتعرفوا هل ثم انسان من الانس وتسلموا
على اهلها بان تقولوا السلام عليكم ا ادخل وعنه عليه الصلوة والسلام
التسليم ان يقول السلام عليكم ا ادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل
والا رجع ذلكم خير لكم اي الاستيذان او التسليم خير لكم من ان تدخلوا
بغتة او من تحية الجاهلية كان الرجل اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم
صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف
وروي ان قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال
انها ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب
ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف
اي انزل عليكم وقيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم
فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى
ياتي من ياذن فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات
فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير
بغير اذنه محظور واستثني ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر
ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع
اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة
وترك المروءة والنفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم

ما تاتون

ما تاتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح
ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها
متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة
والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت
المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا
لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي
ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض
بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك
ازكى لهم انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير
بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك
جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن
النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر والتحفظ عن الزنا
وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب
والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدي له الا ما ظهر
منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا
وقيل بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية
والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا
في الصلوة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم
النظر الى شي منها الا بالضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن
بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن ولا يبدين زينتهن كرره
لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم
المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره
او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن
او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن
الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم بما في الطباع من النفرة
عن مماسة القرايب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة
وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط
ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهن او نسائهن يعني
المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء

كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء
والعبيد لما روي انه عليه الصلوة والسلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها
وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت
رجليها لم يبلغ راسها فقال انه ليس عليك باس انما هو ابوك
وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المراة كالاجنبي او التابعين
غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ
الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين
يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء
وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل الذين
لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع
او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس
وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال
فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة
وادل على المنع من رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون
اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا
عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم
عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين
وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى
يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة
المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بامر النكاح الحافظ له
والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية
والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المراة والعبد لا يستبدان به
اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى
جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا قال فان
تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم وتخصيص الصالحين
لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح
والقيام بحقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع
من النكاح فالمعنى لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة
فان في فضل الله تعالى غنية فانه غاد ورائح او وعد من الله تعالى
بالاغناء لقوله عليه الصلوة والسلام اطلبوا الغنى في هذه الاية لكن

مشروطة بالمشية لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله ان شاء والله واسع لا تنفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته عليم
يبسط الرزق ويقدر ما تقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة
وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح
ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا
ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة ان يقول الرجل
لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه
اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتاجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان
العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم
عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدا خبره فكاتبوهم او مفعول
لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند
اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها
واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق
لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد
عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف
وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر
لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز واتوهم
من مال الله الذي اتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم
وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي
اقل ما يتمول وعن علي رضي الله تعالى عنه يحط الربع وعن ابن عباس
الثلث وقيل ندب الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل
امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل
للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه صدقة كالداين والمشتري
ويدل عليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث بريرة هو لها
صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم امائكم على البغاء على الزنا
كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن
الضرائب فشكى بعضهن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت
ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل
شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي
بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء
كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله

من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن او له ان تاب والاول
اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن لهن
غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة
لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره
القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات
يعني الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام
والحدود وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر لانها واضحات
تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين
او لانها بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا
من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة
رضي الله عنها فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين يعني
ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل
المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات
والارض النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها
سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة
المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير
مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز بمعنى منور السموات
والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عنها
من الانوار او بالملائكة والانبياء عليهم السلام او مدبرها من قولهم
للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور
او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود
كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه
او الذي به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة
لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة
لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات
والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف
فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست بذاتها والا
لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى
ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب منه
قول ابن عباس معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته
اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية

وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما
مثل نوره صفة نوره العجيبة الشأن واضافته الى ضميره سبحانه دليل
على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكوة كصفة مشكاة وهي الكوة
الغير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة
في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة في
قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب دري مضيء متلألئ مثل
كوكب كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق
من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه
الا انه قلب همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل
وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا
توقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء توقد المصباح من شجرة الزيتون
المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها
بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر
وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر
بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد
بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع الزيادتين وهو غريب
لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع
عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها
تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل
في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق
الشمس عليها دائما فتحرقها او مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا
وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار
لتلألؤه وفرط وبيصه نور على نور متضاعف فان نور المصباح
زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته
وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه
الآيات البينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة
المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس
وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه
اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله تعالى به قلب المؤمن
من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده

قراءة الى مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله تعالى عباده من القوى
الدراكة الخمس المترتبة التي بها المعاش والمعاد وهي الحاسة التي
تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك
المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعلمية التي
تدرك الحقايق الكلية والمفكرة وهي التي تولف المعقولات لتستنتج
منها علم مالم تعلم والقوة القدسية التي يتجلى فيها لوايح الغيب
واسرار الملكوت المختصة بالانبيا والاوليا المعنية بقوله تعالى
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة
المذكورة في الاية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت
فان الحاسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لاتدرك
ماوراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في
صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل
عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات
الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتاديتها الى
ثمرات لانهاية لها والزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصابيح
التي لاتكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها
بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة
القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف
من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها
في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش
بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل
النظريات فتصير كالزجاجة متلالئة في نفسها قابلة للانوار وذلك
التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان
بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء
لانها تكاد تعلم وان لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار
من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث
تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها
كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء
فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله
الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا
والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا

وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق
بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت او توقد في بيوت فيكون تقييدا
للممثل به بما يكون كالتحبير او مبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون
اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولاينافي جمع البيوت
وحدة المشكاة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة
او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لايذكر لانه من صلة ان
فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت المراد بها المساجد
لان الصفة تلايمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله
ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره
حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو
والاصال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو
مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل
وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرا ابو عمرو وعاصم
يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما يدل
عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده
الى اوقات الغدو رجال لاتلهيهم تجارة لاتشغلهم معاملة رابحة
ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق
المعاوضة او بافراد ما هو اهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع
ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالتجارة الشراء فانه اصلها ومبداها وقيل
الجلب لانه الغالب فيها ومنه تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم
تجار واقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين
الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكوة
ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه
من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير
من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب مالم تكن تفقه وتبصر
الابصار مالم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف
الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله
متعلق بيسبح او لاتلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا
الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم
ولم يخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة
وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان والذين

كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك
فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله تعالى يجدونها لاغية
مخيبة في العاقبة كسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها
وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع
وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرى بقيعات كديمات
في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به
في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء
او موضعه لم يجده شيئا فيما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته
او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا او مجازاة والله
سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة
ابن ربيعة تعبد في الجاهلية والتمس في الدين فلما جاء الاسلام كفر
او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية
لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة
من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت
حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار
وقتين فانها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الاخرة في بحر لجي
في عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر موج
من فوقه موج اي امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج
الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر
ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرا ابن كثير ظلمات بالجر
على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها اذا اخرج يده وهي
اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها
كقوله اذا غير الهجر المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
والضمير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له
نورا ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور
خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة
في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال ان الله يسبح له من في السموات
والارض ينزه ذاته من كل نقص وآفة اهل السموات والارض
ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال
او دلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر
والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام

الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها
من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطفه في تدبيره
كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه اي قد علم الله
تعالى دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون
او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع
على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله تعالى
الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد
يهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما
ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة
الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله
يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد
ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضها الى بعض وبهذا الاعتبار
صح بينه اذ المعنى بين اجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض
فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال
في جبل وقرى من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك
فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها
او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا
من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية
او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة
وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع
يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة فبلغت
الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان
لم يشتد البرد تقاطر مطرا فان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية
قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا
فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد
وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة
لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به
من يشاء ويصرفه عمن يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه
وقرى بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء
وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع
يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك

اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد وقرئ
يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما
او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغير احوالهما بالحر والبرد والظلمة
والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة
لاولي الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته
واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها
لمن يرجع الى البصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض
وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته
او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من
الحيوانات ما لا يتولد عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة
لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية والحوت وانما سمي الزحف
مشيا على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالطير
والانس ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له
اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير
لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة
والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر
ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات
والحركات والطبايع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى
مشيته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات
مبينات للحقايق بانواع الدلايل والله يهدي من يشاء بالتوفيق
للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام
الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول
نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف
وهو يدعوه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مغيرة بن وايل
خاصم عليا رضي الله تعالى عنه في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم واطعنا اي واطعناهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول
حكمه فريق منهم من بعد ذلك من بعد قولهم هذا وما اولئك
بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى
بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق المتولي
منهم وسلب الايمان منهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا
بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون عليه

واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي فانه الحاكم ظاهرا
والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله
تعالى اذا فريق منهم معرضون فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق
عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن
لهم الحق اي الحكم لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه
يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم
مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان رأوا منك تهمة فزال
ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة
بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم
الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني
اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته
وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم
الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه
انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا
سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع
ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول
بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى
ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يامرانه او في الفرايض والسنن
ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره
وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء
وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف فاولئك
هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع
عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب
لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة اي
المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين النفاقية المنكرة او طاعة معروفة
امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة
ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم
فان تولوا فانما عليه اي على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما حمل
من التبليغ وعليكم ما حملتم به من الامتثال وان تطيعوه في حكمه
تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح

لما كلفتم به وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم
فعليكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم والامة او له ولمن معه ومن للبيان
ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف
الملوك في ممالكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم واقسم ليستخلفنهم
او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم
يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن لهم
دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم
من بعد خوفهم من الاعداء امنا منهم وكان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا
الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده
فاظهرهم على العرب كلهم وفتح الله لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل
على صحة النبوة بالاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء
الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل
الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الذين
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي
للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي
يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك
بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون
في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة
العظيمة واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر
ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد
على المامور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة
بها او المندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى
لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض لا تحسبن يا محمد الكفار
معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين ولا تحسبن
الكفار في الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه
او لا يحسبوا هم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين
لشيء واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرا ابن عامر وحمزة
بالياء وهو كالاول في الاحتمالات وماواهم النار عطف عليه
من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين وماواهم النار

لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس
المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم
الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ
عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام
وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال
والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرثد
دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو
عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال لوددت ان الله عز وجل
نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن
ثم انطلق معه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد انزلت عليه
هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا
من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلث مرات
في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من
المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا
من ثلث مرات او الرفع خبر المحذوف اي هي من قبل صلوة الفجر وحين
تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين
ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف
باللحاف ثلث عورات لكم اي هي ثلثة اوقات يختل فيها
تستركم ويجوز ان يكون مبتدا خبره ما بعده واصل العورة الخلل
ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرا حمزة والكسائي بالنصب بدلا
من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات
في ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان فينسخها
لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين
طوافون عليكم اي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص
في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على
تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وغيرها بانها
عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم
على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات اي الاحكام
والله عليم باحوالكم حكيم فيما يشرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم

في الاوقات كلها واستدل به على استيذان العبد البالغ على
سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك
فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره
للتاكيد ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء
العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا
لا يطمعون فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن
اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان في القواعد معنى
اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر
باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار
ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث
يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه خص بتكشف المراة
زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه
ابعد من التهمة والله سميع لمقالهن للرجال عليم بمقصودهن
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
نفي لما كانوا يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم اكلهم
من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو
وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او من
اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة
ان يكونوا كلاً عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن
او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد
وهو لا يلايم ما قبله ولا ما بعده ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم
من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد
لان بيت الولد كبيته لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انت ومالك
لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه
او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم
او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية
وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به
وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى
بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا

كله انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك
خصص هؤلاء فانهم يعتادون التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ
فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم
جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في
بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده
او قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او قوم
تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل
وزيادة بعضهم على بعض في القذارة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه
البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية
من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه طلب
الحيوة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى
بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه السلام
قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم
يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم
الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو
المقتضي لذلك وهذا انما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في
الامور انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من صميم
قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور
ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله
فياذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق
فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله بغير اذنه ولذلك
اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك
فاذا استاذنوك لبعض شانهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق
للامر فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى راي الرسول عم واستدل به على ان
بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه
فكان المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان
ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد
رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا
دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع
بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه

وتسمية كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم
مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم
كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه
كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه موجب قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا
ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه
وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون
امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض
او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف
المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى فان الامر له
حقيقة او للرسول عليه السلام فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا
او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل
على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل
على حسنه المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله
ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة
والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم
يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا
بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه
والله بكل شيء عليم لا يخفى خافية عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	وآيها سبع وسبعون

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير
او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة
وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام
من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه
ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما
سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه
او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وامته كقوله ولقد انزلنا اليكم او الانبياء عليهم السلام على ان الفرقان

اسم جنس الكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس
نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة
لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات
والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا
كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له
الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه
فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته
كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا
فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان
للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة
الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق
لمجرد الايجاد والاحداث من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى
واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة
لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون
لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حياة
ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك
فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه
على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا
ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه
قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته
وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاءوا ظلما
جعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء
منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين
ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول
لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار
اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه
فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب
او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم
عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة
لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما

فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها
واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا
الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما نأكل ويمشي
في الأسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى إن صح دعواه فما باله لم يخالف
حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فإن تميز الرسل
عمن عداهم ليس بأمور جسمانية وإنما هو بأحوال نفسانية كما أشار إليه تعالى
إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد لولا أنزل إليه ملك فيكون
معه نذيرا ليعلم صدقه بتصديق الملك أو يلقى إليه كنز فيستظهر به ويستغني
عن تحصيل المعاش أو يكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل التنزل أي
إن لم يلق إليه كنز فلا أقل أن يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير
فيتعيش بريعه وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم
بالظلم فيما قالوه إن تتبعون ما تتبعون إلا رجلا مسحورا سحر فغلب
على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة أي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك
الأمثال أي قالوا فيك الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال النادرة
فضلوا عن الطريق الموصل إلى معرفة النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا
خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا إلى القدح في نبوتك أو إلى الرشد
والهدى تبارك الذي إن شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك
مما قالوه لكن أخره إلى الآخرة لأنه خير وأبقى جنات تجري من تحتها الأنهار
بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر
وأبو بكر بالرفع لأن الشرط إذا كان ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله
وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز أن يكون
استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على أنه جواب بالواو
بل كذبوا بالساعة فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا أن الكرامة
إنما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك أو فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن
الفاسدة أو فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله
تعالى لك في الآخرة أو فلا تعجب من تكذيبهم إياك فإنه أعجب منه وأعتدنا
لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون
صرفه باعتبار المكان إذا رأتهم إذا كانت بمرأى منهم كقوله صلى الله
عليه وسلم لا تتراءى ناراهما أي لا يتقاربان بحيث تكون إحداهما
بمرأى من الأخرى على المجاز والتأنيث لأنه بمعنى النار أو جهنم من مكان
بعيد هو أقصى ما يمكن أن يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ

شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه
هذا وإن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله تعالى
فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل إن ذلك لزبانيتها فنسب إليها
على حذف المضاف وإذا ألقوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم
فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فإن الكرب مع الضيق والروح
مع السعة ولذلك وصف الله تعالى الجنة بأن عرضها كعرض السموات
والأرض مقرنين قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل دعوا
هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا أي يتمنون الهلاك وينادونه
فيقولون تعال يا ثبوراه فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا
أي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لأن عذابكم أنواع كثيرة كل
نوع منها ثبور لشدته أو لأنه يتجدد كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب أو لأنه لا ينقطع فهو في كل وقت
ثبور قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون الإشارة إلى العذاب
والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم أو إلى الكنز والجنة والراجع
إلى الموصول محذوف وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح أو للدلالة على خلودها
أو للتمييز عن جنات الدنيا كانت لهم في علم الله تعالى أو اللوح أو لأن
ما وعده الله تعالى في تحققه كالواقع جزاء على أعمالهم بالوعد ومصيرا
ينقلبون إليه ولا يمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم
مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لأنهم في مقابلتهم طائفة
على ما يليق برتبته إذ الظاهر أن الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي
وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة خالدين حال من
أحد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسؤولا الضمير في كان لما يشاؤون
والوعد الموعود أي كان ذلك موعودا حقيقا بأن يسأل ويطلب أو مسؤولا
سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة
بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع
الخلف في وعده ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز فإن تعلق الإرادة بالموعود
مقدم على الوعد الموجب للإنجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين
وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم
كل معبود سواه واستعمال ما إما لأن وضعه أعم ولذلك يطلق لكل شبح
يرى ولا يعرف أو لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم أو لتغليب الأصنام
تحقيرا أو اعتبارا لغلبة عبادها أو يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال

والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تتكلم بلسان الحال كما قيل
في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب
وقرا ابن عامر بالنون أانتم اضللتم عبادي هولاء ام هم ضلوا السبيل
لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع
وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام
المقصود بالسوال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه
العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل
لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء واشعارا
بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده
او تنزيها لله تعالى عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ
من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو
غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي
له مفعولان كقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء
ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولكن متعتهم وآباءهم
بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك
او التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه
بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله تعالى فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه
فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد
كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى
فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة او هولاء اضلونا
والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم
بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون
وقرا حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم
وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم
منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من كفر
او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط
بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق الا رسلا انهم فحذف الموصوف
لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم
ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول

يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي تمشيهم حوائجهم
او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك
ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة
وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما قالوه
بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا
او حث عليهم الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب
فيما يبتلي به وغيره وقال الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم
بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول
الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد منه الوصول الى جزائه
ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبرونا
بصدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل فيكونون رسلا الينا
او نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم
اي في شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم
اكمل خلق الله تعالى في اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا
الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات
القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح
النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة
حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس
ابأنا بها كليبا علت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة
ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى
يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير
او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او بشرى
ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول
حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين
حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص وضع موضع
ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب
لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقول الكفرة
حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى ان يمنع لقاءهم وهي
مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما
محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص

بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر
ناصبه ووصفه بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم
كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط
اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم
الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثر والهباء غبار يرى في شعاع
الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار منثورا صفته شبه به
عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتثاره بحيث
لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول
ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه اكثر الاوقات للتجالس والتحادث
واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له
من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك اذ لا نوم في الجنة
وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين
ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم
اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا
او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب
في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
ويوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع
وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور
في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرا ابن كثير
وننزل وقرئ ونزلت وانزل ونزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة
الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى
الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه
متأخر او صفته والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا
شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليد واكل البنان
وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها
والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه حتى
ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فقال صبأت

فقال

فقال لا ولكن ابى ان لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه
فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطا قفاه وتبزق في وجهه
فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلوة والسلام
لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر
عليا بقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول
يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو
طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل
ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام
كما ان هن كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله تعالى
او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه
وكان الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة
الرسول عليه السلام او كل من تشيطن من جن وانس للانسان خذولا
يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال
الرسول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ او في الدنيا بثا الى الله تعالى
يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القران مهجورا بان تركوه وصدوا
وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من تعلم القران وعلق مصحفه لم يتعاهده
ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني
مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر
واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون
بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا اشتكوا
الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر
والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا
لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران اي انزل عليه كخبر بمعنى
اخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض
لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع ان للتفريق
فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه
مفرقا ليقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى
وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القي جملة
تعيا بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتاتى الا شيئا فشيئا
ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا

نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه
ولانه اذا نزل به جبريل صلوات الله عليه حالا بعد حال يثبت به فواده
ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القراين الحالية الى الدلالات
اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة
الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القران جملة ويحتمل
ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة
الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا
وقراناه عليك شيا بعد شي على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث
وعشرين سنة واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا ياتونك
بمثل سوال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك
الا جئناك بالحق الدافع له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا
او معنى من سوالهم او لا ياتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله
الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت به
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة
قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف
على الاقدام وصنف على الوجوه وهو منصوب او مرفوع او مبتدا خبره
اولئك شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير
مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا
وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل
بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد اتينا موسى الكتاب
وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي
ذلك مشاركته لان المتشاركين في الامر متوازران عليه فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا يعني فرعون وقومه باياتنا فدمرناهم تدميرا
اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاختصر على حاشيتي القصة اكتفاء
بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرى فدمرتهم فدمراهم فدمرا بهم
على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا
ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل

اولبعثة

اولبعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا
اغراقهم وقصتهم للناس اية عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل
التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمودا
عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين
وقرى وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهي البير
الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة
كان فيها بقايا ثمود فبعث الله اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود
وقيل بير بانطاكيه قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان
النبي ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء
لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض
على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها
حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم
ورسوه اي دسوه في بير وقرونا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة
وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة الى ما ذكر
كثيرا لا يعلمها الا الله تعالى وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص
العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال
وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة
وكل الاول منصوب بما دل ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ ولقد اتوا
يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت مطر السوء
يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليهم الحجارة افلم يكونوا
يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من اثار عذاب الله تعالى
بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة
فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا ياملون نشورا كما
يامله المومنون طمعا في الثواب او لا يخافون على اللغة التهامية واذا راوك
ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزو او مهزوا به اهذا الذي
بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله
رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزا
ولولاه لقالوا اهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا ان كاد انه كاد
ليضلنا عن الهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء
الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج او معجزات

لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله
تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين
يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا
فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه
لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى
عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به
افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا
فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار ام تحسب
بل أتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الايات
او الحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق
بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من امن ومنهم من
عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام
في عدم انتفاعهم بقرع الايات اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا
من الدلايل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها
تنقاد الى من يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهولاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون
احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع
ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا
ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هولاء ولان
جهالتها لا تضر باحد وجهالة هولاء يؤدي الى تهييج الفتن وصد الناس
عن الحق ولانها غير متمكنة عن طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم
وهولاء مقصرون ومستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك
الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف
مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه
وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك
فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك
الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب
الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس
يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء
لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل
الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر

للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت
الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشمس موقعه
لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه
الذي هو معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم
بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في
الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها وقيل
مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها
ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا
عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه
فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
شيئا فشيئا الى ان تنتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة
بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظلة عليها وهو الذي جعل لكم
الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا راحة
للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا لقوله وهو الذي
يتوفاكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا
ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث
الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي
ارسل الرياح وقرا ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نشرا
ناشرات للسحاب جمع نشور وقرا ابن عامر بالسكون على التخفيف
وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا
بتخفيف بشرا جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر
وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به
كالوضوء والوقود لما يتوضا ويوقد به قال صلى الله تعالى عليه وسلم
التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل
سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب
في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم
كالذنوب وتوصيف الماء به يكون اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة
فيما بعده فان الماء الطهور اهنى وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته
وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك
اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد

ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه
مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا
ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون
بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء
وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان
مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظيم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة
والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها
ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب
لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له
سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان
على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا
هذا القول بين الناس في القران وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان
المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل
وغيرهما وعن ابن عباس ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك
بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية او في الانهار والمنابع ليذكروا
ليتذكروا وليعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره
او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران
النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ومن
لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها
من خلق الله تعالى والانواء وسائط او امارات بجعله تعالى ولو شئنا
لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة
لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر
الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق
فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين
وجاهدهم به بالقران او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى
انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة
باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف
او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه
جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين
خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا
خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح

اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد
في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا
كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك
كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد
بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول
بينهما من الارض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان
مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت
في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة ادم وجعله
جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيات بسهولة
او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا
ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا
ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق
من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم
ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل
بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة
والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده
من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل
ما اسالكم عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا
من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب
اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر
من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا
لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص
عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه
بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في
استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه
دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم
وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال
طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها

وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان امنوا او كفروا الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن قد سبق
الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث
انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر
فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء
على تؤدة وتدرج والرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ وللمحذوف ان جعلته
صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسأل به
خبيرا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى
او جبريل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن
والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل
الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ
والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء
لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا انه
اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بسجوده او
لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء
على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بالسجود للرحمن نفورا عن الايمان
تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به
وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه
من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا
وقرأ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا
مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون
بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي
ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة
من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر الاء الله تعالى
ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد
او اراد شكورا ان يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين
للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الاخر وقرأ
حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه
وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون

على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون
في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا
مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول
يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه اية القتال لتنسخه فان المراد
هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل
احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري
مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان
غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم
مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله تعالى
في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم
انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره
المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة والجملة تعليل للعلة
الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتمل الحكاية والابتداء من الله تعالى
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا
تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب
وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون بضم الياء ولم يقتروا من اقتر وقرئ بالتشديد
والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا عدلا سمي به لاستقامة الطرفين
كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها
ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك
لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف
لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون
مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم
قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون
نفي عن هؤلاء امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات
اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك
وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال
ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثاما باضمار الجزاء وقرئ اياما
اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب
يوم القيمة بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا

تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرا ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال
وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر
بالرفع وابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف
العذاب مضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب
وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم
او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد
ما سلف منه او بان يثبت له كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا رحيما
فلذلك يعفوا عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب
عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او
خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله تعالى
متابا مرضيا عند الله تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا
الى الله تعالى الذي يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله تعالى
والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون
الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان
مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح
مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه
ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن
التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم بالوعظ او القراءة لم يخروا
عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها
كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون
راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما
وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا
هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة
الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله تعالى سرهم قلبه
وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة
ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت منك اسدا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد
اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما
يقتدون بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على
الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد

واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم
وقيل جمع ام كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك
يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات
امنون والقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق
من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية
وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم
بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل افة وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون فيها ولا يخرجون حسنت مستقرا
ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤا بكم ربي
ما يصنع بكم من عبات الجيش اذا هياته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا
عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر
الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة وما ان
جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبا بكم
فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم
كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون
منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب
فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة
او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل
والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر
وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات
والثبوت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة
الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة اتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	مائتان وست وعشرون اية

طسم قرا حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود
الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده
تلك ايات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة
او القران على ما مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك
واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك
اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي

اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة
ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية دلالة ملجئة الى الايمان
او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله
فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر
على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم
وقيل المراد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس
لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف واكن على
فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة
من القران من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير
وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا عنه واصرارا
على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه
بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم
اي اذا مسهم عذاب الله تعالى يوم بدر او يوم القيمة انباء ما كانوا به
يستهزؤن من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم
قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها
كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل
ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة
وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره
وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك اي في انبات تلك الاصناف
او في كل واحد لاية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة
والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله تعالى وقضائه فلذلك
لا ينفعهم امثال هذه الايات العظام وان ربك لهو العزيز الغالب
القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه
ممن كفر الرحيم لمن تاب وامن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر
او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت القوم الظالمين
بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول
او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى
بذلك الا يتقون استيناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم
في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا
عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم
من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث

على التقوى لمن تدبره وتامل موارده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن
ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا
قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني
فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في الامر
على الامور الثلثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد
الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث
لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب
منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك
تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد
عذره وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون
فيكونان من جملة ما خاف عنه ولهم على ذنب اي تبعة ذنب فحذف
المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا
اختصار قصته المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة
وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك
استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة
للطلبتين بوعده لدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال
والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي
يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي
طلبته انا معكم يعني موسى وهرون وفرعون مستمعون سامعون
لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم
استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة في الوعد بالاعانة
ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك
الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه
مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة
او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل معنا
بني اسرائيل اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول
والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام قال اي فرعون لموسى بعد ما
اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به
لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم

ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت
يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ
فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي
حيث عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الان فانه عليه السلام
كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما
مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او
من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين
من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه
او من الخاطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز اراد به
التأديب او الناسين من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم
لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين رد اولا
بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح
برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة
نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت
بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة
تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي
اليك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك
نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف
او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة
الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله
لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال
فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه
لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار
عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه
باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال
واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين الاشياء
محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها
وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لابد وان يكون
مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد

الواجب

الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب
لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه
لاستحالة التركب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سألته
عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة
لذاتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم
ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك
في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل
قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن
آخر وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون
كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم
الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات
ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك
لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم
قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد
عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على
ادعائه الالوهية وانكاره الصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة
الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره
بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام في من المسجونين للعهد
اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى
يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين
اي أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها
الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته
فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت به ان كنت
من الصادقين في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لابد له
من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق
الثعبان من ثعبت الماء وانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي
بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها
فاخرج يده قال فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي
الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع
موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من
ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية

الى مؤامرتهم واستمارتهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره
واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث
في المداين حاشرين شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم
يفضلون عليه في هذا الفن وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم
معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة
وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا
على مبادرتهم اليه كقول تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا
او عبد رب اخا عون بن مخراق اي ابعث احدهما سريعا
لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا
والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا
موسى عليه السلام لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية
لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى عليه السلام فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين
التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا اذا على ما يقتضيه
من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به
امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به
الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم
واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي
تلقف تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه
عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى
او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله
لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا
لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل
ما قبله ويدل على انهم لما راوا ما راوا لم يتمالكوا انفسهم كانهم اخذوا فطرحوا
على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا آمنا
برب العالمين بدل من القى بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى
وهارون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم
ما اجراه على ايديهما قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي
علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم على ذلك

وتواطأتم عليه واراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن
بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وروح أأمنتم بهمزتين
فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك
انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب
للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت والقتل
انفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لان كنا
اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى
تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط
لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت
اليك فلا تنس حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد
سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا
الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف
من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده
وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعكم مصبحين كان لكم
تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم
حين تلجون البحر فيدخلون مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون
حين اخبر بسراهم في المداين حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء
لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة
وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته
سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي
وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل وانهم
لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون وانا لجمع من
عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع
اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب
التيقظ في شانهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى اهل المداين كيلا يظن به
ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون والاول للثبات
والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر
لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال
احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر او تاموا
السلاح فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا

داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم يعني منازل الحسنة والمجالس السنية كذلك مثل ذلك
الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه
صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبر المحذوف واورثناها بني اسرائيل
فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث يرى كل منهم الاخر وقرئ تراءت
الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون وقرئ لمدركون
من ادرك الشيء اذا تتابع يعني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم
قال كلا لن يدركوكم فان الله تعالى وعدكم الخلاص منهم ان معي ربي
بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم روي ان مؤمن ال فرعون
كان بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك
ال فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى
ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق
وصار اثني عشر فرقا بينهما مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم
كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب
وازلفنا وقربنا ثم الاخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم
مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة
الى ان عبروا ثم اغرقنا الاخرين باطباقه عليهم ان في ذلك لاية
واية اية وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها
احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة
يعبدونها واتخذوا العجل وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه
الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركي العرب نبأ ابراهيم اذ قال لابيه
وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة
قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم وشرح احوالهم
تبجحا وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار
دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف
ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم اي يسمعونكم الجواب عن
دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ حكاية الحال الماضية استحضارا لها
او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من اعرض عنها قالوا بل وجدنا
اباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر
او نفع والتجأوا الى التقليد قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم

الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا
فانهم عدو لي يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من
جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغري لعبادتهم اعدى
اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع
في النصح من التصريح واشعارا بانها النصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى
الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين
استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من
ابائهم من عبد الله تعالى الذي خلقني فهو يهدين لانه يهدي كل مخلوق
لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية
مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار
مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث
من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية
ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون
اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني
ويسقين على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان
بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات
مستقلة باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني
ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب
يتبعان الماكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان المقصود
تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه
لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل
الكمال وصلة الى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحيوة الدنيوية وخلاص
من انواع المحن والبليات ولان المرض في غالب الامر انما يحدث
بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان
من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال
المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحييني
في والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه
وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم
ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على
كلماته الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم هي اختي ضعيف لانها معاريض
وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل استعد به خلافة

خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل
لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذي لا يشوب صلاحهم
كبير ذنب ولا صغيرة واجعل لي لسان صدق في الاخرين جاها
وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة
الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني
ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه
واجعلني من ورثة جنة النعيم في الاخرة وقد مر معنى الوراثة فيها
واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان انه كان من الضالين
طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان
يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار
للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة
بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او
بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان
او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون
او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
اي لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر
آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل الخير
وارشد بنيه الى الحق وحثهم على البر وقصد بهم ان يكونوا عباد الله تعالى
مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون
اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة من اتى الله
بقلب سليم ينفعه وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف
فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها
مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح
لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اين الهتكم
الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم
او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم والهتهم يدخلون النار كما قال
فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب
لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر
في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون
تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده او للضمير وما عطف عليه وكذا
الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله

ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين على ان الله تعالى
ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله اذ نسويكم برب
العالمين اي في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضمائر للعبدة
كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم
في مبدا ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها
وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة
والانبياء عليهم السلام ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء
واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع
ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق او لان الصديق
الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو
لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمن للرجعة
واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف جوابه
فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر
فنكون ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابراهيم عليه السلام لآية
لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها لغزارة علمه لما فيها
من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته
للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصور الامر في نفسه
واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون
ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين
به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال
لكي يؤمنوا هم او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم
مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين
اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون فتتركوا عبادة غيره
اني لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون
فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما اسالكم عليه على ما انا
عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجري الا على رب العالمين
فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته
وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا قالوا
انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع ارذل على
الصحة وقرا يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد وتبع

كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رايهم على الحطام الدنيوية
حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه
ودليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة
وانما هو لتوقع مال ورفعة ولذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون
انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم
الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على الله تعالى فانه المطلع عليها
لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون
وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم
وتوقيف ايمانهم عليه حتى جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير
مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر
والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء
لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح
فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول
لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة
قال رب ان قومي كذبون اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق
لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم
من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم او شوم عملهم
فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملو ثم اغرقنا بعد بعد انجائه
الباقين من قومه ان في ذلك لاية شاعت وتواترت وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين
انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تصدير القصص بها
دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب
المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء عليهم السلام متفقين
على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية
والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض
لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون
بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون
اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع
ماخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون

بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين
غاشمين بلا رافة ولا قصد تاديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك
هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي
امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله تعالى اياهم بما يعرفونه من
انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه
بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول
عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث
على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم
فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانه
كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي
عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا
خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا
الا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرا نافع وابن عامر
وعاصم وحمزة خلق بضمتين اي ما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين
كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين
وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت
الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه
فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون
فيما ههنا امنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية
الله تعالى اياهم في اسباب تنعمهم امنين ثم فسره بقوله في جنات
وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او
لان النخل انثى وطلع اناث النخل الطف وهو ما يطلع منها كنصل
السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد
النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار
وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة
وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب وقرئ فرهين وهو
ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة

التي هي الناقة والمأمور لامتثال الامر ولسب حكم الآمر الى امره مجازا
الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف
ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت
من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوي السحر
وهي الرئة اي من الاناسي فيكون ما انت الا بشر مثلنا تأكيدا له
فأت باية ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة
اي بعد ما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب
نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ
بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في
شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم
عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر
الى كلهم لان عاقرها انما عقر رضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا
نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب
ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي
الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو امن اكثرهم او شطرهم
لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من امن
منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين
اي اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم
فيه غيركم او اتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث
فيهم كانهن قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح
وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم
من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد
العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك
بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة
حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي
وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم
هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا وتقبيح
امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا

يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين
من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ
من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم مشهور
بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤمه وعذابه
فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من
بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امرأة لوط في الغابرين
مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها
لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت
في القرية فانها لم تخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم
وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم
فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه
فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة
المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين
يسكنها طائفة فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام كما بعث
الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون
ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم
وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما
كتبت ههنا وفي ص بغير الالف اتباعا للفظ اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق
الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي
وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين
والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا
الناس اشياءهم لا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الارض
مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم
والجبلة الاولين وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق
قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو
للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه
وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء

قطعة منها والعلة جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقراء
حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين في دعواك قال ربي
اعلم بما تعملون وبعذابه المنزل عليكم مما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر له
لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان
سلط الله تعالى عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم واظلتهم سحابة
فاجتمعوا تحتها وامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم
عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم هذا اخر القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب
على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة
به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم
لا مواخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على
قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القران ونبوة محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون
الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به
العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح
ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ
فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبريل عليه السلام فانه امين الله
تعالى على وحيه لتكون من المنذرين عما يودي الى عذاب من فعل
او ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا
نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن
انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد
صلى الله عليهم وسلم وانه لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه
لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم اية على صحة القران او نبوة محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه
بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرا ابن عامر تكن بالتاء
واية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل
وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة واية خبر ان
يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة
في اعجازه او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مومنين لفرط عنادهم
واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين

جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه
في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا مومنين
فتدل الاية على انه بخلق الله تعالى وقيل للقران اي ادخلناه فيها
فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يومنوا به عنادا لا يومنون به حتى يروا العذاب
الاليم الملجئ الى الايمان فياتيهم بغتة في الدنيا والاخرة وهم
لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتاسفا
افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة فاتنا بما تعدنا
وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة افرايت ان متعناهم سنين
ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم
تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب
على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار والرفع على انها صفة منذرين
باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة
اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار
وما تنزلت به الشياطين كما زعمت المشركون انه من قبيل ما يلقي
الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم وما يصلح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون
وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط
بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور
الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقران
مشتمل على حقايق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملئكة فلا تدع مع الله
الها اخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر
المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام
بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا ونادى فخذا فخذا حتى اجتمعوا
اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم
قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك
من المومنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد
ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين وغيره او للتبعيض
على ان المراد من المومنين المشارفون للايمان او المصدقون فان عصوك
ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل
على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر
من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل على الابدال

من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم الى التهجد وتقلبك
في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ
فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون
حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع من دندنتهم
بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع
والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحالته التي بها
يستاهل ولايته بعد وصفه بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه
تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع لما تقوله العليم بما
تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم
لما بين ان القران لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك
بان بين ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصلح لان ينزلوا عليه من
وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان
من الغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلوات الله
وسلامه عليه على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم
كاذبون اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم
ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم
اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها
في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلوات الله وسلامه
عليه فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر
بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء
قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضماير للشياطين اي
يلقون السمع الى الملا الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض
المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم
كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة
لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون
واتباع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل
كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم
خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار
وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل
ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون
ما لا يفعلون وكانه لما كان اعجاز القران من جهة المعنى واللفظ وقد

وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من
جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القران لهما ومضادة
حال الرسول لحال اربابهما وقرا نافع يتبعهم بالتخفيف وقرئ بالتشديد
وتسكين العين تشبيها لتبع بعضد الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين
الصالحين الذين يكثرون ذكر الله تعالى ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد
والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار
ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت
والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن
كعب بن مالك انه عليه السلام قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد
من النبل وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما
سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي
اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد
تلاها ابو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت
ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون
ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه
الانفلات عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة الشعراء كان
له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح
وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم

سورة النمل مكية — بسم الله الرحمن الرحيم — وهي اربع وتسعون اية

طس تلك ايات القران وكتاب مبين الاشارة الى اي السورة
والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه
للناظرين فيه وتاخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار
الوجود او القران وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته
باعجازه كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ
كتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى
وبشرى للمؤمنين حالان من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة
او بدلان منها او خبران اخران او خبران لمحذوف الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة

وهم بالاخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف
وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه
او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات
هم الموقنون بالاخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة
والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين
لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم زين اعمالهم القبيحة بان جعلها
مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم
ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون
ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر
يوم بدر وهم في الاخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوت
المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القران لتؤتاه من لدن
حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة
لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل وللاشعار بان علوم القران
منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار
عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال موسى
لاهله اني آنست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم
سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان
صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على
بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس
شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه قد يكون قبسا وغير قبس
ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له
لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما
بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم
احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع حرمانين
على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار
العظيمة فلما جاءها نودي ان بورك اي بورك فان النداء فيه
معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة
والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه
دعاء وهو مخالف لغيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها
من في مكان النار وهو البقعة المباركة في قوله تعالى نودي من
شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر

انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام
الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وكفاتهم احياء واموتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى
عليه السلام وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب
بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام
وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من
سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى
لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة
مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان له
ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد من
الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير والق
عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك من في النار
وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان
يا موسى اني انا الله بتكرير ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كانها
جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب
من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل
اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان في ذلك لامر اريد به ويدل عليه
قوله يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله
اني لا يخاف لدي المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق
فانهم اخوف الناس اي من الله تعالى او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة
فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم
استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن
كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها
ما يبطلها ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة فانه لا يخاف
ايضا وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل
مستانف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة
وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب
القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص
في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم
والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخرين

واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع
ايات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه
وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما فاسقين
تعليل للارسال فلما جاءتهم اياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة
بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار
بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما تبصر او ذات تبصر من حيث انها
تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها
وتامل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيها التبصر قالوا هذا سحر
مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم
وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان
وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرى ولقد اتينا داود
وسليمن علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم
وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به
في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما
او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا
على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك
الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله تعالى على ما اتاه
من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل
عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام
مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس
علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله تعالى
وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم
منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في التعارف
كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما
يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق
والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها
تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت
باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان عم
مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض

الذي نوخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال
يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال
انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع
وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتالم قلب
والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك
لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك
فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين
الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس
والطير فهم يوزعون يحبسون يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا
حتى اذا اتوا على وادي النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه
بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم
اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ اخره كانهم ارادوا النزول الى اخريات
الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت
بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم
ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان يخلق الله فيها العقل والنطق
لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف
بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر
لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم
يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء عليهم السلام
عن الظلم والايذاء وقيل استئناف اي فهم سليمن والقوم لا يشعرون
فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها واهتدائها الى مصالحها
او سرورا بما خصه الله تعالى من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك
سال توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر اجعلني ازع شكر
نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ادرج ذكر والديه تكثيرا للنعمة
او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما
سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر واستدامة للنعمة
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير
وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان
من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر
او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب

عن ذلك واخذ يقول امر غائب كانه لبيان عن صحة مالاح له
لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل
ياكله او جعله مع ضده في قفص اولاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه
او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة
على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع
احد الامور الثلثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما فمكث غير بعيد
زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه فقال احطت
بما لم تحط به يعني حال سباء وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له
على ان في ادنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر
اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء
باطباق وبغير اطباق وجئتك من سباء وقرأ ابن كثير وابو عمرو
غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة بنبإ يقين بخبر محقق
روي انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى
الحرم واقام بها ماشاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا
فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء
وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء ففقده لذلك فلم يجده
اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه
فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى
ولعل في عجايب قدرة الله تعالى وما خص به من خاصة عباده
اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها
اني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل ابن مالك
ابن الريان والضمير لسباء او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليه
الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها
وقيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين
من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس
من دون الله كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم
عبادة الشمس وغيرها من مقابح افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل
الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله فصدهم لان
لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم ولا يهتدون
الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف
على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا

كقوله وقالت الايا اسمع يعظك بخطة فقلت سميعا فانطقي واصيبي
وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله تعالى او من سليمان
عليه السلام والوقف على لا يهتدون وكان امرا بالسجود وعلى
الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة
لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا
تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم
ما تخفون وما تعلنون وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق
السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على
من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم
اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه
اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان
والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته
الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها
والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون بعيد قال سننظر سنعرف
من النظر بمعنى التأمل اصدقت ام كنت من الكاذبين اي ام كذبت
والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم
ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا
يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعد ما
القي اليها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله
او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة
الابواب فدخل الهدهد في كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به
انه من سليمان استئناف كانه قيل لها ممن هو وما هو
فقالت انه اي الكتاب او العنوان من سليمن وانه اي المكتوب
او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل بسم الله الرحمن
الرحيم ان لا تعلوا علي ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر
محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل كتاب واتوني
مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال
الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع
وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر
بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل
اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب

اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملاء افتونى
فى امرى اجيبونى فى امرى الفتى واذكروا ما تستصوبون فيه
ما كنت قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم
بذلك ليمالؤها على الاجابة قالوا نحن اولو قوة بالاجساد والعدد
واولو بأس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك موكول فانظرى
ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رايك قالت
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما احست منهم من الميل
الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى
الصلح مخافة ان يتخطى سليمان عليهم خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه
من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها وجعلوا
اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك
من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم
وتقرير بان ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله
عز وجل وانى مرسلة اليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه للمصلحة
والمعنى انى مرسلة بهدية ادفعه بها عن ملكى فناظرة بم يرجع المرسلون
من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت منذر بن عمرو
فى وفد وارسلت معهم غلمانا على زى الجوارى والجوارى على زى الغلمان
وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا
ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك
فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شانه تقاصرت
اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل عليه السلام
بالحال فطلب الحق واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت
فى الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت فى الجزعة
ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى
ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية
فلما جاء سليمن اى الرسول او ما اهدت اليه وقرى فلما جاؤا
قال اتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل
على تغليب المخاطب وقرا حمزة ويعقوب بالادغام وقرى بنون
واحدة وبنونين وحذف الياء فما اتانى الله من النبوة والملك
الذى لا مزيد عليه خير مما اتيكم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها
عندى بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من

الحيوة

الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه
افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال وتعليله
الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم فى قصور الهمة
بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة بمقاومتها على مقابلتها وحرى
بهم ولنخرجنهم منها من سبا اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز
وهم صاغرون اسراء مهانون كما يأتون قال يا ايها الملاء
ايكم يأتينى بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله تعالى
من العجائب الدالة على عظم القدرة فى دعوى النبوة ويختبر عقلها
بان تنكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان يأتونى مسلمين
فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال عفريت خبيث
مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه
وكان اسمه ذكوان او صخرا انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك
مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وانى عليه على حمله
لقوى امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذى عنده علم
من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبريل او ملك
ايده الله تعالى به او سليمن نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة
على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطاه
فقال له ذلك او اراد اظهار معجز فى نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه
يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب
جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية
والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان
الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله وكنت اذا
ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد
الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شىء
فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل
فيه فلما رآه اى العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال
تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى هذا
من فضل ربى تفضل به على من غير استحقاق والاشارة الى التمكن
من احضار العرش فى ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه

او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في اية الاسراء ليبلوني أأشكر
بان اراه فضلا من الله تعالى بلا حول مني ولا قوة او اقوم بحقه ام اكفر
بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلهما النصب على
البدل من اليا. ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب لها
دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران
ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا
قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ
بالرفع على الاستيناف اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون
الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله
اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه
الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة
في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كأنه هو
ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها
واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت
انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت واوتينا العلم
بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم
من الايات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه
من الدلالة على ايمانها بالله تعالى ورسوله حيث جوزت ان يكون
ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثم من المعجزات التي لا يقدر
عليها غير الله ولا تظهر الا على الانبياء عليهم السلام اي واوتينا العلم
بالله تعالى وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه
لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله تعالى عليهم
من التقدم في ذلك شكرا له وصدها ما كانت تعبد من دون الله
وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها
بالتوفيق للايمان انها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على
الابدال من فاعل صد على الاول اي صدها نشوها بين اظهر الكفار
او التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما رأته
حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي انه امر قبل قدومها فبني
قصر صحنه من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه حيوانات
البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا
فكشفت عن ساقيها وعن ابن كثير ساقيها بالهمز حملا على جمعه

سؤوق واسوق قال انه ان ما تظنينه ماء صرح ممرد مملس من قوارير
من الزجاج قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادتي الشمس وقيل
بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة واسلمت مع سليمان
لله رب العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها
او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم
صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها
الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام
فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم
لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة
قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العذاب فانهم كانوا يقولون
ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم
ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك
وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدائد ووقع بيننا الافتراق منذ
اخترعتم دينكم قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله
وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم قوم تفتنون تختبرون
بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذي هو
مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط
تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر
انه من الثلثة او السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة يفسدون
في الارض ولا يصلحون اي شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح
قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع بدلا
او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة
والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا
خبر ثم لنقولن فيه القراءات الثلث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله
فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك
في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح
فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال
انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا
ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلا
بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا
لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد

في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ منه
ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة
حيالهم وطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون
في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان جعلت نا قصة مخبرها كيف
وانا دمرناهم استيناف او خبر محذوف لا كان لعدم العايد
وان جعلتها تامة فكيف حال وقرا الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم
بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال
فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوي البطن اذا خلا او ساقطة
منهدمة من خوي النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم
ان في ذلك لاية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين امنوا
صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة
ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه
اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على الثاني اتاتون الفاحشة
وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبايح
من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون
بها فيكون افحش ائنكم لتاتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم
للفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة
في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي
خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من جهل قبحها
او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه
لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان جواب قومه الا ان قالوا
اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا
او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امراته قدرناها
من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم
مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى امر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما قص عليه
القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شانه وما خص به رسله من الايات
الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من
عبيده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه من احوالهم وعرفانا لفضلهم

وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك
كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة
من الهلاك آلله خير اما يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرايهم
اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوا راسا حتى يوازن بينه وبين
من هو مبدا كل خير وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء امن
بل امن خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات
ومبادي المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم
لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل عن الغيبة
الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق
البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر
عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق
وهي البساتين من الاحداق وهي الاحاطة أإله مع الله اغيره
يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ الها
باضمار فعل مثل تدعون وتشركون وبتوسط مدة بين الهمزتين واخراج
الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد
امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات وجعلها قرارا
بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتاتى استقرار الانسان والدواب
عليها وجعل خلالها وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا
تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين
العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا وقد مر بيانه في الفرقان
أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به امن يجيب
المضطر اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجاء الى الله
من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق
فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه
ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها
ممن قبلكم أإله مع الله الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما
تذكرون تذكرون الاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم
او الحقارة المزيحة للفائدة وقرا ابو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي
وحفص بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم في ظلمات البر والبحر
بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي واضافتها الى
البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء

التي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانحسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل المسبب أاله مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق امن يبدؤا الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية أاله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والتميمة للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وان وقرئت بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في الاخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والايات وهو ان القيمة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في الامر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الاخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصله تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآأدرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلي ادرك

وبلي آادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلي فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا أاذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى والتاء كالتاء في عاقبة وعافية الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح والقضاء

على الاستعارة ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي
هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير
والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان ربك
يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته
ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة
ما يقضيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال معاداتهم انك على الحق المبين
وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله تعالى ونصره انك لا تسمع
الموتى تعليل اخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن متابعتهم
ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى
عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
فان اسماعهم في هذه الحالة ابعد وقرا ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر ان تسمع
اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن باياتنا من هو في علم الله تعالى
كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع القول
عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب
اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها ستون
ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب
ولا يدركها طالب وروي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن مخرجها
فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام
وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم
سليمن فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض به وجهه وبالخاتم
في انف الكافر نكتة سوداء فيسود به وجهه ان الناس كانوا باياتنا
خروجها وسائر احوالها فانها من ايات الله تعالى وقيل القران لا يوقنون
لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله تعالى او علة خروجها
او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل امة فوجا يعني يوم القيمة
ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان
امة كل نبي في كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس
اولهم على اخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم
حتى اذا جاؤا الى المحشر قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال
اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها
حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب بها

وعدم القاء الاذهان لتحققها اما ذا كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملونه
بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون
ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود
وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب
بايات الله تعالى فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا
ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان النور والظلمة
على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على
ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان
وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو
مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم
والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من
احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
لدلالتها على الامور الثلثة ويوم ينفخ في الصور في الصور او القرن وقيل انه
تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات
ومن في الارض من الهول عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله
ان لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور
والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام لانه صعق مرة
ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية
او راجعون الى امره وقرا حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه على التوحيد
للفظ كل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة
ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار
اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه
وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذي اتقن كل شيء احكم خلقه
وسواه على ما ينبغي انه خبير بما يفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم
عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس
والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها
وهو الجنة وهم من فزع يومئذ امنون يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول
ما يلحق الانسان من الهيبة لما يرى من الاحوال العظام ولذلك يعم الكافر والمؤمن
وقرا الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وامن
يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك
فكبت وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه

انفسهم كما اريدت بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم هل تجزون الا ما كنتم
على الالتفات او باضمار القول اي قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد
رب هذه البلدة الذي حرمها امر الرسول عليه السلام بان يقول لهم ذلك
بعد ما بين المبدا والمعاد وشرح احوال القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد
كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص
مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها وقرئ التي حرمها وله كل شئ
خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة ابراهيم
وان اتلو القران وان اواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته
شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه
اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل
بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين فلا علي وبال من ضلاله شئ
اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة
او على ما علمني ووفقني للعمل سيريكم اياته القاهرة في الدنيا
كوقعة وخروج دابة الارض او في الاخرة فتعرفونها فتعرفون
انها ايات الله تعالى ولكن لا تنفعكم المعرفة وما ربك بغافل
عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ
بالياء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة طس كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به
وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	وهي ثمان وثمانون آية

طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك نقرأه بقراءة جبريل
ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبا موسى وفرعون بعض نبائهما
مفعول نتلوا بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون
علا في الارض استيناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل
اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته
او اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى
بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل
والجملة حال من فاعل جعل او صفة شيعا او استيناف وقوله يذبح ابناءهم
ويستحيي نساءهم بدل منه وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود

في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك من غاية حمقه فانه لو صدق
لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك
اجترا على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن
على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من باسه
ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعا
تفسير النبا او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة
للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به تعلقا استقباليا
مع ان منة الله تعالى بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع جاز ان يجري
مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدارين ونجعلهم الوارثين
لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام
واصل التمكين ان يجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر
ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون
من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون
وهامان بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه
ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر
يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه
اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين روي
انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل
فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت
مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته ثلثة اشهر
ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له
تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه
وقرا حمزة حزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شئ
فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم
ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم
فالجملة اعتراض لتاكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ
خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطا وقالت امرات فرعون
اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك هو قرة
عين لنا لانهما لما راياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت لهما
ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت

برصها بريقه فبرئت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو
لك لهداه الله تعالى كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم
عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت
من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه
ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او
من القائلة والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطاء في التقاطه
او في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس
اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا
صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه
في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده
انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر او من الهم لفرط
وثوقها بوعد الله تعالى او سماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه
ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط
الضجر او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات
لتكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله تعالى او من الواثقين
بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة في جار الواو
مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب
لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره
وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب
وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه المراضع
ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع وهو المرضعة او مرضع وهو الرضاع او موضعه
وهو الثدي من قبل من قبل قصها اثره فقالت هل ادلكم على
اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه
وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر
بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان
تأتي بمن يكفله فأتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله
فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد
ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى
بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها
وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه
ولتعلم ان وعد الله حق علم المشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعده

حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه
تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون
ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلثين
الى اربعين فان العقل يكمل حينئذ روي انه لم يبعث نبي الا على راس
اربعين واستوى قده او عقله اتيناه حكما نبوة وعلما بالدين
او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل
ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لان استنباءه بعد الهجرة في المراجعة
وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين
على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل
منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها
في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة
وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر
من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي
من شيعته على الذي من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك
عدي بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه
وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله فانهى
حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان
لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم
ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه
ظلما واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم
انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب اني ظلمت نفسي بقتله
فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده
الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم
بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين
او استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت
معاونته الى جرم وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى
وقيل بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في
مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة
فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ
قال له موسى انك لغوي مبين مبين الغواية لانك تسببت لقتل رجل

والقاتل اخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى
والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل
قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلي
لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي وكانه توهم من قوله
انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد ما تريد
الا ان تكون جبارا في الارض تطاول على الناس ولا تنظر العواقب
وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي
هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه
فهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال
وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه
اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة ليجاء لان تخصيصه بها يلحقه
بالمعارف قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون
بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر
ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة
للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة
خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين
خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين
قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن
في سلطان فرعون وكان بينهما وبين مصر مسيرة ثمان قال
عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله تعالى وحسن ظن به
وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق فاخذ باوسطها وجاء الطلاب
عقيبه فاخذوا في الآخرين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر
كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس
جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان
اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما عن الماء لئلا
تختلط باغنامهم قال ما خطبكما ما شانكما تذودان قالتا لا نسقي حتى
يصدر الرعاء تصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال
وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى
السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اي ينصرف وقرئ
الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن
لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة

عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة
رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة
القدم وقيل كانت بئر اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها
ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي اي شيء انزلت
الي من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل
ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير الدين
صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض اظهار التبجح
والشكر على ذلك فجاءته احداهما تمشي على استحياء مستحيية متخفرة
قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورا او صفراء وهي
التي تزوجها موسى عليه السلام قالت ان ابي يدعوك ليجزيك
ليكافئك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى عليه السلام
انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر وروي
انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع
ديننا بالدنيا حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من
ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه
وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد
فرعون وقومه قالت احداهما يعني التي استدعته يا ابت استأجره
لرعي الغنم ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل شائع
يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل
خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امين مجرب معروف
روي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر
وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني
اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر نفسك
مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من آجرك الله ثماني حجج ظرف على الاول
ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج فان
اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا
لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى
على معينة وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفي الآخر ان تيسر له
قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في
ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة
في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق

فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورايك
في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة
ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي
ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما
او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا يعتدى علي
بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة
على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم
علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء
من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله
تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره
واي الاجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اي اي الاجلين
جردت عزمي لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة
وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامرأته روي
انه قضى اقصى الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشرا اخر ثم عزم على الرجوع
آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله
امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة
عود غليظ سواء كان في راسه نار او لم يكن قال باتت حواطب
ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر والقى على قبس
من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله
من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم
تصطلون تستدفئون بها فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي
الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة
متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل
الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى
اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل في اللفظ
فهو طبقه في المقصود وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي فالقاها
فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كأنها جان في الهيئة
والجثة او في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب
ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك
من الآمنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك
يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم

اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع
بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب
فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار
جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات
عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطير فانه اذا خاف
نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب من اجل
الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء
وقرئ بضمهما وبالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة
الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان
حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من
قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء
وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا الى فرعون وقومه
انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب
اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هرون هو
افصح مني لسانا فارسله معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان
كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق
وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني
لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه
لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة
يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد
عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد
على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد
ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او
حجاج بآياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا بآياتنا او بنجعل اي
نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون
او بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه
صلة لما بينه او صلة على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم
موسى بآياتنا قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل
مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء
كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة

في اباءنا الاولين كائنا في اباءهم وقال موسى ربي اعلم
بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرء
ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف
ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد
ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار
الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة
والمقصود منها بالذات الثواب والعقاب بالعرض وانما قصدت
بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء انه لا يفلح الكافرون
لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال
فرعون يا ايها الملاء ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله
غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك
امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله فاوقد لي
يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه
توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه
من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب
فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد
بنفي العلم نفي المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية
فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك
العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه
على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من التعظيم ولذلك نادى هامان
باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده فنبذناهم في اليم
كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشان الآخذ واستحقار للماخوذين كانه
اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها
وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية
كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف
الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي
ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة طردا عن الرحمة ولعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون

ويوم القيمة

ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم
ولقد اتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام بصائر للناس انوارا
لقلوبهم تتبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرايع
التي هي سبل الله تعالى ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله تعالى
لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة
وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي او الطور فانه
كان في شق الغرب من مقام موسى عليه السلام او الجانب الغربي
منه والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اي ما كنت حاضرا
اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت
من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون المختارون
للميقات والمراد ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات
التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشانا
قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحينا اليك انا انشانا قرونا
مختلفة بعد موسى عليه السلام فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار
وتغيرت الشرايع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه
وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم
تقرأ عليهم تعلما منهم اياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين
اياك مخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به
وقت ما اعطاه التورية وبالاول حين ما استنباه لانهما المذكوران في
القصة ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة من ربك
لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك
لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى عليه السلام وهي خمسمائة وخمسون سنة
او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى مختصة ببني اسرائيل
وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت
ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية
والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها
لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على بالفاء المعطية معنى السببية
المنبهة على ان القول هو المقصود وبان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به
وانه لا يصدر عنهم حتى يلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم
اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا

رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك
اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فنتبع اياتك
يعني الرسول المصدق بانواع المعجزات ونكون من المومنين
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى
من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا
بما اوتي موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الراي والمذهب
وهم كفرة زمان موسى عليه السلام او كان فرعون عربيا من اولاد
عاد قالوا ساحران يعنون موسى وهرون او موسى ومحمد عليهما
السلام تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين
وقرا الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة
او اسناد تظاهرا الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرى
اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل
الانبياء عليهم السلام قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما
مما نزل على موسى وعلي واضمارهما لدلالة المعنى وهو يويد ان المراد
بالساحرين موسى ومحمد عليهما السلام اتبعه ان كنتم صادقين
انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام
والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا
لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول
للعلم به ولان فعل الاستجابة يتعدى بنفسه الى الدعاء وباللام
الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداع
دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم
انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل
ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع
الحال للتوكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله
لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى
ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل
التذكير او في النظم لتتقرر الدعوى بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح
بالعبر لعلهم يتذكرون فيومنون ويطيعون الذين اتيناهم الكتاب
من قبله هم به يومنون نزلت في مومني اهل الكتاب وقيل
في اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة
وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقران كالمستكن في

واذا يتلى عليهم قالوا امنا به اي بانه كلام الله تعالى انه الحق
من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله
مسلمين استيناف اخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه
حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم
على دين الاسلام قبل نزول القران وتلاوته عليهم باعتقادهم صحته
في الجملة اولئك يوتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم
ومرة على ايمانهم بالقران بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين
او على الايمان بالقران قبل النزول وبعده او على اذى المشركين
ومن هاجر من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون
بالطاعة المعصية لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اتبع الحسنة السيئة
تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه تكرما وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه
لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي
من احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي
من يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين
لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله
كلمة احاج بها لك عند الله تعالى قال يا ابن اخي قد علمت انك
لصادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت وقالوا ان نتبع
الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج نزلت في الحرث بن عثمان
ابن نوفل بن عبد مناف اتى النبي عم فقال نحن نعلم انك
على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن
اكلة راس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله تعالى عليهم بقوله
اولم نمكن لهم حرما امنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت
الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم امنون فيه يجبى اليه يحمل اليه
ويجمع فيه وقرا نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء
من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة
الاصنام فكيف نعرضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت
حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون
ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون

فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره
وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات
لتخصيصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا
من باس الله تعالى على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية
بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالهم في الامن
وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله تعالى عليهم وخرب ديارهم فتلك
مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم الا قليلا من السكنى اذ لا
يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا
من شوم معاصيها وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف
تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض
او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف
اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما
كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث في امها في اصلها التي هي
اعمالها لان اهلها تكون افطن وانبل رسولا يتلو عليهم اياتنا
لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون
بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية
وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة
وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي
هو ادنى بالذي هو خير وقرى بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن
وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود
فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه
بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي
هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع
ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي
في الزمان او الرتبة وقرا نافع في رواية والكسائي ثم هو بسكون
الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الاية كالنتيجة للتي قبلها
ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة
او منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي
الذين هم كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام
عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه

وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات
الوعيد ربنا هولاء الذين اغوينا اي هولاء الذين اغويناهم فحذف
الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا غيا
مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم
لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم
الخبر لاجل ما اتصل به فافاده زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة
لكنه صار من اللوازم تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى
منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا
ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم
وقيل ما مصدرية متصلة بتبرانا اي تبرانا من عبادتهم ايانا وقيل
ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم
عن الاجابة والنصرة وراوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون
لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما راوا العذاب وقيل
لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم
المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسال اولا عن اشراكهم به ثم
عن تكذيبهم الانبياء عليهم السلام فعميت عليهم الانباء يومئذ
فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء
لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه
من خارج فاذا اخطاه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء
ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب
عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك
بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون
لا يسال بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله
فاما من تاب من الشرك وامن وعمل صالحا وجمع بين الايمان
والعمل فعسى ان يكون من المفلحين عند الله تعالى وعسى تحقيق
على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح
وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان
لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم
راسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى
منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه
ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل

في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل
ما موصولة مفعولة ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذي
كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه
احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة
ما يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق
للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة
لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المومنون في كما حمدوه في الدنيا
بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده
ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء
واليه ترجعون بالنشور قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة
باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله
ياتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة
وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار
قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها
في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله ياتيكم
بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف
الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك
الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون
وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من
استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم
تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله تعالى في ذلك فتشكروه عليها ويوم
يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع
للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله تعالى من الاشراك به والاول
لتقرير فساد رايهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض
تشهي وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم
بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا
حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم
غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم موسى

كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي وكان ممن آمن به فبغى عليهم
فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك
حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي انه قال لموسى
لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر وآتيناه
من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع
مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء
بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى
وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا
اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له
قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا
لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها
من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتيكم وعلل
النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين
اي بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه
فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس
ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك
او تاخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك
فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك
بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض بامر يكون علة للظلم والبغي
ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم فضلت به
على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في
موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل هو علم الكيمياء وقيل
علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف عم
عندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني
واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو
اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله
مع علمه بذلك لانه قراه في التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد
لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم
الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل
عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة

فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله
ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن ما يخصهم
بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج
على قومه في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان
وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد
انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال
الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرضى
ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي
قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير فيه للكلمة التي
تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة
او للايمان والعمل الصالح فانهما بمعنى السيرة والطريقة
الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره
الارض روي انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت
وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد
فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل
ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى
خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن
زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال
ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاستحضرت
فناشدها موسى ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على
ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا عنه الى ربه فاوحى اليه
ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبته
ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه
ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه
الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا
فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني مرة واحدة لاجبته ثم قال
بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله
فما كان له من فئة اعوان مشفقة من فاءت رأسه اذا ميلته
ينصرونه من دون الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين

الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه فامتنع
واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب
يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب
القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه
والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك
وان تقديره ويك اعلم ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا
ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله ويكأنه
لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون رسله وبما وعد لهم من
ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كأنه قال تلك التي
سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون
وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله تعالى
من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا وصفة ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا
لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل
ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة
في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته
وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود
الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على انها
من العادة رده اليها يوم الفتح كأنه لما حكم بان العاقبة للمتقين
واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى
في الدارين روي انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده
ومولد آبائه فنزلت قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه
من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو في ضلال
مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين
وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب
اي سيردك الى معاد كما القى الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك
ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه
قال وما القى اليك الكتاب الا رحمة فلا تكونن ظهيرا للكافرين
بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله

عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصد
وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم
ولا تدع مع الله الها اخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين
عن مساعدته لهم لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان
ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ
في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة طسم القصص كان له من بعد من صدق موسى وكذب
ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

وهي تسع وستون اية	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة العنكبوت مكية

الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله
بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين
الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين
او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون
فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعوليه
وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب
او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم امنا بل يمتحنهم الله بمشاق
التكاليف والمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات
وانواع المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق
والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي
الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي
غير الخلاص من الخلود في العذاب روي انها نزلت في ناس
من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله
وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمي بسهم
يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامراته ولقد فتنا الذين من قبلهم
متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية
في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به
الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم
ولذلك قيل والمعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام

اي وليعرفنهم الناس او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة
كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر
والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا
ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد
مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان
ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس
الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان
يرجوا لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله تعالى الوصول الى
ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على
تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع
سيده على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط
لما سخطه منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لات
لجاء واذا كان وقت اللقاء اتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر
الى ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب به القربة والرضا
وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد
نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما يجاهد
لنفسه لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة به
الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر
بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي
كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه
حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه
ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له
احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير
قول مفسر للتوصية اي قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو وفق
لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا
وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم بالاهيته عبر عن نفيها
بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم
يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر من قبل
الي مرجعكم مرجع من امن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن

عن فأنبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والاية نزلت في سعد
ابن ابي وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت
ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلثة
ايام كذلك وكذا الذي في لقمن والاحقاف والذين امنوا
وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والكمال في الصلاح
منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين صلوات الله
عليهم او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من يقول امنا بالله
فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس
ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف
عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم
في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعيف ايمانهم
فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس الله باعلم
بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله
الذين امنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين
وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه
في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث
ومواخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع
مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم
ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى
للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم
وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم
واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي من
غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيمة سؤال
تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما
بعد المبعث اذ روي انه بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة
وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة
للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد تطلق على ما يقرب منه
ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود
تسلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتثبيته على ما يكابده

ومن الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم
الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام
او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة
ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية
وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي
السفينة او الحادثة اية للعالمين يتعظون ويستدلون بها وابراهيم
عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير
ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا
اي ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس
او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم
عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر
او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون
من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا في تسميتها الهة
وادعاء شفاعتها عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها وهو استدلال
على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من
خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب
او نعت بمعنى ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل
ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق
وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه
واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم
بشكره ومستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء
وان تكذبوا وان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل
فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب
فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي زال معه الشك
وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالاية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم
الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شأن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم
توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها للتسلية للرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم والتنفيس عنه بان اباه خليل الرحمن صلوات الله عليه
كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال

ابراهيم في قومه أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة وغيرها
وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ
ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على أولم يروا لا على
يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان تأول الاعادة بان ينشئ
في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار
ونحوهما ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى
ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء قل سيروا
في الارض حكاية كلام الله تعالى لابراهيم او محمد صلى الله عليهما وسلم
فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله
ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة
نشأتان من حيث ان كلا اختراع من العدم والافصاح باسم الله
تعالى مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه
للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة
على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام
في العطف ما مر وقرئ النشاءة كالرأفة ان الله على كل شيء قدير
لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر
على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء
تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم
بمعجزين ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من
قضائه بالتواري في الارض والهبوط في مهاويها والتحصن في السماء
او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان
امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء
ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه
ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها
يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او يئسوا في الدنيا لانكار
البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه
قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه
او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون
اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه في النار فانجاه الله
تعالى منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها

لآيات هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير
وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها
والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في
الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها
وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون المفعول بتقدير مضاف
او بتأويلها بالمودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها
نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير
وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ
محذوف اي هي مودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا
او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول
الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع
بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على
تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا ومأواكم النار وما لكم من
ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن اخته واول من آمن به
وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي
الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي
الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى
من سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها
الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب
ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر
اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به
الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا
باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء
اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين
لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابراهيم او على ما عطف عليه
اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم
بها من احد من العالمين استئناف مقرر لفحشها من حيث انها
مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها
لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون
للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون

سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتاتون
في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر
كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبايح عدم مبالاة بها
وقيل الحذف ورمي البنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا
ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك او في
دعوة النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال العذاب
على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم
بذلك مبالغة في استنزال العقاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل
لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة
قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى
على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم
في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض
عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي
بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء
مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل
بمن عداه واهله او تاقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تاخير البيان
عن الخطاب الا امراته كانت من الغابرين الباقين في العذاب او القرية
ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة
ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما وضاق
بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت
يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع
ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما راوا فيه اثر الضجرة لا تخف
ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين
وقرا حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف
ووافقهم ابو بكر في الثاني وموضع الكاف على المختار الجر ونصب اهلك
باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل
هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب
من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد
بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة هي حكايتها
الشائعة او اثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها باقية بعد
وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار

والاعتبار وهو متعلق بتركنا او باية والى مدين اخاهم شعيبا فقال
يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه
فاقيم السبب مقام المسبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا
في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل
صيحة جبريل صلوات الله عليه لان القلوب ترجف لها فاصبحوا في
دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين
على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار اذكر او فعل
دل عليه ما قبل مثل اهلكنا وقرا حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير منصرف
على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم
او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم
الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي
الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار
ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم
ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفون على
عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات
فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله تعالى
من سبقه طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا
رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم
من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون
وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم
اوليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض
للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا
ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا او مثلهم بالاضافة الى الموحد
كمثله الى رجل بنى بيتا من حجر وجص فيما نسجه من الوهن والخور
بل ذلك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما والعنكبوت يقع على الواحد
والجمع والمذكر والمونث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب
وعناكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
لا بيت اوهى واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون
الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يكون
المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى

وان او هن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه
من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرا البصريان
ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون
ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول
يدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون
عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين
وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة
اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر
القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم
وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل
ونظايره نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها
ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء
على ما ينبغي وعنه عليه الصلوة والسلام تلا هذه الاية فقال العالم
من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات
والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات
من خلقها افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله
ان في ذلك لاية للمومنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك
من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا
لمعانيه فان القارئ المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له
اول ما قرع سمعه واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها
وغيرها من حيث انها تذكر الله تعالى وتورث النفس خشية منه روي
ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال
ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة
اكبر من ساير الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها
على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات
او لذكر الله تعالى اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم
ما تصنعون منه ومن ساير الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي
احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح

وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه اخر الدوا
وقيل المراد به ذوو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء
والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من المجادلة بالتي هي
احسن وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب
ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم
وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب
وحيا مصدقا لساير الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين اتيناهم
الكتاب يومنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم
عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الكتاب ومن هولاء
ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
من الكتابيين من يومن به بالقران وما يجحد باياتنا مع ظهورها
وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم
به يمنعهم عن التامل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشار اليه بقوله وما كنت
تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب
الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي ما يعرف بالقراءة والتعلم
خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي التجوز في الاسناد
اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط ويقرا لقالوا لعله
تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم
او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل
لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون
ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو القران ايات بينات
في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه
وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة
بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه
اية من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومايدة عيسى عليهم السلام
وقرا نافع وابن عامر والبصريان وحفص ايات قل انما الايات
عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها فاتيكم بما تقترحون وانما انا

نذير مبين ليس من شأني الا الانذار والابانة بما اعطيت من
الآيات أولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية
ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق
ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك في ذلك
الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة
وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت
وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم
ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله
بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغ ما ارسلت
اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات
والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين آمنوا بالباطل وهو
ما يعبد من دون الله تعالى وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون في
صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر
علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب
عاجلا وليأتينهم بغتة فجأة في الدنيا كوقعة بدر والآخرة عند نزول الموت
بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين
ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي
التي توجبها واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة
او للجنس فيكون استدلالا بالحكم الجنسي على حكمهم يوم يغشاهم العذاب
ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم
من جميع جوانبهم ويقول الله تعالى او بعض ملائكته بامره لقراءة ابن كثير
وابن عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي
الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم تتسهل لكم
العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم
ذلك وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض
ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما الصلوة
والسلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم
تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت
تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد

في الاستعداد له والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم
من الجنة غرفا علالي وقرئ لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون
انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف
الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين
وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا
على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق
وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله تعالى وكأين من دابة
لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة
عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم
واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان الرزق الكلي
بالاسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوه على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا
بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت
وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر
في العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فأنى يؤفكون
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا
على ان القبض والبسط على التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير
موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم
يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء
فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد
للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته
الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه
الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون
حيث يقرون بان المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون
ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي
لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان
يجتمعون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي لهي الحيوة
الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر
حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة
لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا

لو كانوا يعلمون لم يوثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها
عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم
اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين
كائنين في صورة من اخلص دينه من المومنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون
سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدايد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
فاجاوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه لام كي اي يشركون
ليكونوا كافرين لشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم
عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون
عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون
اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما امنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي
امنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا
اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل بعد هذه النعمة المكشوفة
وغيرها مما لا يقدر عليها الا الله يومنون بالصنم والشيطان وبنعمة الله يكفرون
حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام والاختصاص على طريق المبالغة
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه
يعني الرسول عم او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتاملوا قط حين جاءهم
بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم
كقوله الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل
هذا الكذب على الله تعالى وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب ولا جترائهم اي الم يعلموا
ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراة والذين جاهدوا فينا في حقنا
فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا
سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا
لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصر والاعانة قال عليه السلام من قرا سورة
العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المومنين والمنافقين

الا قوله فسبحان الله او تسع وخمسون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة الروم مكية وهي ستون اية

الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض
المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم
من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب

سيغلبون في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم
باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس
فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم
والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم
ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن
الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل
بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلايص من كل واحد منهما وجعلا
الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر ومادة في الاجل فجعلاها مائة
قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ
ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار
الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والاية من دلائل النبوة لانها
اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه
ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم في السنة التاسعة
من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا تكون اضافة
الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين
وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم
غالبين اي اولا حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه
وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا
اي اولا واخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم على فارس يفرح المومنون
بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاول
وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم
وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المومنين باظهار صدقهم او بان ولى
بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هولاء تارة وهولاء
اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل
عليهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد
لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الاخرة التي هي

غايتها والمقصودة منها هم غافلون لا يخطر ببالهم وهم الثانية تكرير
للاولى او مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين
مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة
من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور
ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقايقها
وصفاتها وخصايصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها
وكيفية التصرف فيها ولذلك قال ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى
الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لا فرق بين
عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم
اولم يحدثوا التفكر فيها او ولم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم
من غيرها ومرآة يتجلى فيها للمستبصر ما يتجلى له في الممكنات باسرها
ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها من قدرته على ابدائها ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف
يدل عليه الكلام واجل مسمى ينتهي عنده ولا تبقى بعده وان كثيرا
من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى
او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان
الاخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى اثار المدمرين
قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض قلبوا وجهها
لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها
وعمروا الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير
ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا
مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط
على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن
الى واد لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات
فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان
عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة
فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان تكون تلك عاقبتهم
وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث اسوء كالحسنى او مصدر كالبشرى
نعت بها ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف

بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم
كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات
واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها
والخبر محذوفا للابهام والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة
اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول
وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا
على الوجوه المذكورة الله يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه
ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ ابو عمرو
وابو بكر وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
يسكتون متحيرين ايسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس
من ان يحتج ومنه المبلاس الناقة التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه
اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله تعالى شفعاء
يجيرونهم من عذاب الله تعالى ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم
كافرين يكفرون بالهتهم حين ييئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين
بسببهم وكتب في المصحف شفعوا وعلموا بالواو والسوآى بالالف
اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات انهار وازهار يحبرون
يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا
ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض
وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه
في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما
يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز
من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان
اثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو اخر النهار
من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم
فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله له الحمد
في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رض ان الاية جامعة
للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر
وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها

مدينة لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت
وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه السلام
من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون
الآية وعنه من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله
وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته
في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه
يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج
الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب الحيوة الموت وبالعكس
ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج
تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة الموت وقرا حمزة والكسائي
بفتح التاء ومن اياته ان خلقكم من تراب اي اصل الانسان لانه
خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا
منتشرين في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان
حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال
او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها
وتألفوا بها فان الجنسية علة الضم والاختلاف سبب التنافر وجعل
بينكم اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة
بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما
لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون
المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن
الولد لقوله رحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون
ما في ذلك من الحكم ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف
السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغة او الهمه وضعها واقدره عليها
او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين
في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء
وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث يقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين
مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان
في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين لا يكاد يخفى
على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله
وما يعقلها الا العالمون ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم
من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى

الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار
فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا
من الزمانين وان اختص باحدهما صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر
الآيات الواردة فيه ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم
واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن اياته يريكم البرق مقدر بان
كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت
مخلدي او الفعل منزل فيه منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من
ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله فما الدهر
الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة
او للمسافر وطمعا في الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور
فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم اوله على تقدير المضاف نحو ارادة خوف
وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقوله فعلته رغم الشيطان
او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد
فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها
ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن اياته ان تقوم السماء والارض
بامره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزيهما المعينين من غير
مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة
ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم
على تأويل مفرد كانه قيل ومن اياته قيام السموات والارض ثم خروجكم
من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد
تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج
الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما
لتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادي
فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله واذا الثانية للمفاجأة
ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى وله من في السموات والارض
كل له قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق
ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل
بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك
قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان
الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة

والحكمة البالغة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية
الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات والارض يصف به
ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته
الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم
منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم
من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء
فتكونون انتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة
لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام
الجاري مجرى النفي تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم
كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات
نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم
بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه
فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين
يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا
فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه
والاهتمام به فطرة الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر بما دل عليه
ما بعده التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم الحق وتمكنهم
من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها
وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد
ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة الى الدين المأمور باقامة
الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي
لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم
منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل
منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب لفطرة الله
او في اقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلوة
ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له من الذين
فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف
اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به
وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون
مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر

من الذين

من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه
راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة
اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجأ فريق منهم الاشراك بربهم الذي عافاهم
ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله
فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون
عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا
حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة لقوله
كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته
او بالامر الذي بسببه يشركون والوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة
من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة
بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجأوا القنوط
من رحمته اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا
ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به
الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل
ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون
وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب
الى الله تعالى لا جهة اخرى اولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم
النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها
مزيد مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا ليربو
في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو
عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا
ذا ربا وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا
فاولئك هم المضعفون ذو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف
المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم
ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما
للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب الملائكة وخواص الخلق
تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون
والراجع فيه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به
او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم

ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له
لوازم الالوهية ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها
موكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق
ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكونوا له شركاء فقال سبحانه
وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم
والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان
شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي
وكل منها مستقلة بتاكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب
والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات
وكثرة المضار والضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى
والبحور بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياها وقيل
الفساد في البر قتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة
غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الاخرة واللام
للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم
يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه
كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان
لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي
في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان
ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بياتي
ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة
بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق
في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل
صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين
للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله
علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه
المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه
اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم
من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له وقوله من فضله دال على
ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول
عن الظاهر ومن اياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها

فانها رياح الرحمة فاما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع
التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي
هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار
المعنى او الجملة باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا
من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا النعمة الله فيها
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا
من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار
بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم
وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان
حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه
متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا
تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق
من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى
قرا ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به
فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به
من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون لمجيء
الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير
للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وقيل
الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لايسين فانظروا
الى اثر رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار
ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض
بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني
الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه
احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض
بعد موتها احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل
ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت
من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته
الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا فراوا الاثر
او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا

لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده
يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات
ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم
وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه
بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا
الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا بالاستبشار
وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه
فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم
المقبل وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئا وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار
او لعمي قلوبهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي
اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون
لما يأمرهم به الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف
اساس امركم كقوله خلق الانسان ضعيفا وخلقكم من اصل ضعيف هو
النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم
الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم
وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر قرأتها على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان
كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء
من ضعف وقوة وشيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال
المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيامة
سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع
بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب يقسم المجرمون ما لبثوا
في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم
وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات
والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم
في الآخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق
كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان
من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه
لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث

ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه
ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف
تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم
فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة
بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون
لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة
كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني
فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم
فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين
يوم القيامة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون من الانتفاع بالمعذرة
والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول
ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم
وقساوة قلوبهم ان انتم الا مبطلون يعنون الرسول والمؤمنين مزورون
كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون
العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق
ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار
دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك
على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون
ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ
لا يستحقنك اي لا يزيغونك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
كل ملك سبح لله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية وقيل الا الآية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف فانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وهي اربع او ثلث وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة
للمحسنين حالان عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما
حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلاثة

من شعبه لفضل اعتدادها او تكرير الضمير للتاكيد ولما حيل منه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشترى لهو الحديث ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير التى لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت فى النضر ابن الحرث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وكان يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح اليا بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القران ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائى ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق لاستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبا بها كان لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا مثابها من فى اذنيه ثقلا لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن فى ولى او مستكبرا والثانية بدل عنها او حال من المستكن فى لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لامحالة وذكر البشارة على التهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اى لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير فى لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره فان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذى لا يغلبه شئ فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذى لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها قد سبق فى الرعد والقى فى الارض رواسى جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضى تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم

ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون فى ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد اتينا لقمن الحكمة يعنى لقمان ابن باعورا من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت فى يدى غيرى وانه امره بان يذبح شاة ويأتى باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتى باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فساله عن ذلك فقال هما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او اى اشكر فان ايتاء الحكمة فى معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غنى لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماتان وهو يعظه يا بنى تصغير اشفاق لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على وهن اى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتزايد ضعفها والجملة فى موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وفصاله فى عامين وفطامه فى انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لى ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال فى البين اعتراض مؤكد للتوصية فى حقها خصوصا ومن ثمه

قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قال له من أبرّ أمك ثم أمك
ثم أمك ثم قال بعد ذلك وأباك إلى المصير فأحاسبك على شكرك
وكفرك وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه
الإشراك تقليدا لهما وقيل أراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك
وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم
واتبع في الدين سبيل من أناب إلي بالتوحيد والإخلاص في الطاعة
ثم إلي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فأنبئكم بما كنتم تعملون بأن أجازيك
على إيمانك وأجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف
وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال وقد وصينا
بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فإنهما مع أنهما تلو
الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز أن يستحقا في الإشراك
فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن أبي وقاص وأمه مكثت لإسلامه
ثلثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من أناب إليه أبو بكر فإنه أسلم بدعوته
يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل أي إن الخصلة من الإساءة
أو الإحسان إن تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال
على أن الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لإضافة المثقال إلى الحبة
كقول الشاعر كما شرقت صدر القناة من الدم أو لأن المراد به الحسنة
أو السيئة فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض في أخفى مكان
وأحرزه كجوف صخرة أو أعلاه كمحدب السموات وأسفله كمقعر الأرض
وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر إذا استقر في وكنته يأت بها الله
يحضرها فيحاسب عليها إن الله لطيف يصل علمه إلى كل خفي خبير
عالم بكنهه يا بني أقم الصلاة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه
عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما أصابك من الشدائد سيما في ذلك
إن ذلك إشارة إلى الصبر أو إلى كل ما أمر به من عزم الأمور مما عزمه
من الأمور أي قطعه قطع إيجاب مصدر أطلق للمفعول ويجوز أن يكون
بمعنى الفاعل من قوله فإذا عزم الأمر أي جد ولا تصعر خدك للناس
لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد
داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وحمزة والكسائي ولا تصاعر
وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه وأعلاه وعالاه ولا تمش في الأرض
مرحا أي فرحا مصدر وقع موقع الحال أو تمرح مرحا أو لأجل المرح وهو البطر
إن الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر

خدّه والمختال للماشي مرحا ليوافق رؤوس الآي واقصد في مشيك
توسط فيه بين الدبيب والإسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشي
تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله تعالى عنها كان إذا مشى
أسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامي
إذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر
إن أنكر الأصوات أوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما
نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الأذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع
بصوته ثم إخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت
لأن المراد تفضيل الجنس في النكير دون الآحاد أو لأنه مصدر في الأصل
ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات بأن جعله أسبابا محصلة لمنافعكم
وما في الأرض بأن مكنكم من الانتفاع به بوسط أو بغير وسط وأسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه
وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ وأصبغ بالإبدال وهو جار
في كل سين اجتمع مع الغين أو الخاء أو القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع
وأبو عمرو وحفص نعمه بالجمع والإضافة ومن الناس من يجادل في الله
في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع إلى رسول
ولا كتاب منير أنزله الله بل بالتقليد كما قال وإذا قيل لهم اتبعوا
ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا وهو منع صريح من التقليد
في الأصول أولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل أن يكون الضمير لهم
ولآبائهم إلى عذاب السعير إلى ما يؤول إليه من التقليد أو الإشراك
وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للإنكار والتعجيب
ومن يسلم وجهه إلى الله بأن فوض أمره إليه وأقبل بشراشره عليه
من أسلمت المتاع إلى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي
باللام فلتضمن معنى الإخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك
بالعروة الوثقى تعلق بأوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل
بالطاعة بمن أراد أن يترقى في شاهق جبل فتمسك بأوثق عرى الحبل
المتدلي منه وإلى الله عاقبة الأمور إذ الكل صائر إليه ومن كفر
فلا يحزنك كفره فإنه لا يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك
من أحزن وليس بمستفيض إلينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا
بالإهلاك والتعذيب إن الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه فضلا
عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا أو زمانا قليلا فإن ما يزول بالنسبة

الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام
الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره
بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف
بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم
لله ما في السموات والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله
هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما
وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه
من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعموليها ويمده حال
او للابتداء على انه مستانف والواو للحال ونصبه البصريان بالعطف
على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ يمده ويمده بالياء والتاء
ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة
للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء
حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود سالوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسالوه عن قوله
وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان
عن شان لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية
كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع
يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض
فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه
الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر
السنة والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله
لاجل مسمى ان الاجل هاهنا منتهى الجري وثم غرضه حقيقة او مجازا
وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه
ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع
واختصاص الباري بها بان الله هو الحق بسبب انه الثابت
في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الالهية وان ما يدعون

من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته ولا يوجد ولا يتصرف الا
بجعله او الباطل الالهية وان الله هو العلي الكبير مترفع على كل شيء
ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه
في تهيئة اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال نعمته
وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل
وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون
ليريكم من اياته دلائله ان في ذلك لايات لكل صبار على المشاق
فيتعب نفسه بالتفكر في الافاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف
مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر
واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب
او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين
له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم
من الخوف والشدائد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم
على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره
بعض الانزجار وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري
ولما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس
اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ
لا يجزئ من اجزا اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه
ولا مولود عطف على والد او مبتدا خبره هو جاز عن والده شيئا
وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع
من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الاخرة ان وعد الله بالثواب
والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله
الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجرئكم على المعاصي ان الله
عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحرث بن عمرو
اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني
قد القيت حبا في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتي ذكرا او انثى
وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس
وتلا هذه الاية وينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه
وقرا نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام اذكر
ام انثى تام او ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير وشر
وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت

كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر علي سليمان
عليه السلام فجعل ينظر الي رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل
من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني
وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه
اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله
والدراية للعبد لان فيها معني الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل
علي انه ان اعمل حيلته وابعد فيها وسعه لم يعرف ما هو الصق به من
كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقري باية
ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم
يعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلوة و
السلام من قرا سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة و
اعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهي عن المنكر

مكية وهي ثلثون تسع وعشرون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة السجدة آية وقيل

الم ان جعل اسما للسورة او القران فمبتدا خبره تنزيل الكتاب علي ان
التنزيل بمعني المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف
او مبتدا خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير
في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب
فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده
قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق
من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام علي هذا انه اشار اولا الي اعجازه ثم
رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه
ثم اضرب عن ذلك الي ما يقولون فيه علي خلاف ذلك انكارا له وتعجبا منه
فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الي اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود
من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اذ كانوا
اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوي علي العرش مر بيانه
في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم
رضي الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي
يتولي مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم علي ان الشفيع متجوز به للناصر

فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله تعالي
يدبر الامر من السماء الي الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملئكة
وغيرها نازلة اثارها الي الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت
في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان
متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر
باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة
لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض
مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك
ثم يعرج بعد الالف لالف اخري وقيل يدبر الامر الي قيام الساعة ثم يرجع
اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السماء
الي الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة
لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقري يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب
والشهادة فيدبر امرها علي وفق الحكمة العزيز الغالب علي امره الرحيم
علي العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي
احسن كل شيء خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به علي وفق الحكمة
والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله
قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرا نافع والكوفيون
بفتح اللام علي الوصف فالشيء علي الاول مخصوص بمنفصل وعلي الثاني
بمتصل وبدا خلق الانسان يعني ادم عليه السلام من طين ثم جعل
نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء
مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه علي ما ينبغي ونفخ فيه من روحه
اضافه الي نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما
الي الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون
اي تشكرون شكرا قليلا وقالوا اءذا ضللنا في الارض اي صرنا
ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقري ضللنا بالكسر
من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرا ابن عامر اذا علي الخبر
والعامل فيه ما دل عليه اءنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقنا
وقرا نافع والكسائي ويعقوب انا علي الخبر والقائل ابي بن خلف
واسناده الي جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث وتلقي ملك
الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم

لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان
كثيرا كالتقصيه واستقصيته وتعجله واستعجله ملك الموت الذي وكل بكم
بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي ربنا
قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك
فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا
وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني
والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر
لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر
ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول او لكل احد ولو شئنا لاتينا
كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له
ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم
المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل
ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله
فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضية
له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استيناف
وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد
بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله
بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة
والتفكر فيه دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا
الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله
وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له
شكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان
والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع
الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه
وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في تفسيرها قيام
العبد من الليل وعنه عليه الصلوة والسلام اذا جمع الله الاولين والاخرين
جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من
اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع
فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله

في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة
ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون المغرب
الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به
عيونهم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه
اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرا حمزة
ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ يخفي واخفى والفاعل للكل
هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها وما موصولة واستفهامية
معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء واخفي للجزاء
فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا فاخفى الله ثوابهم افمن
كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان في الشرف والمثوبة
لا يستوون تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها المأوى الحقيقي والدنيا
منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق
في ال عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين
فسقوا فمأواهم النار مكان جنة المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار
الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب
الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر
دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون
يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت
هذه الايات ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر
وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب
السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة
يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف ممن كان
اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن في مرية
في شك من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القران
فانا اتيناك من الكتاب مثل ما اتيناه منه فليس ذلك ببدع مما لم يكن قط
حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه
الصلوة والسلام رايت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا ادم طوالا

جعله كانه من رجال سنوة وجعلناه اي المنزل على موسى عليه السلام
هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكمة
والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا وقرا الكسائي وروبس
لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وكانوا باياتنا يوقنون
لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضي فيميز الحق
من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين
اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل
عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية
او ضمير الله بدليل القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في
متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشّون بالتشديد ان في ذلك لايات افلا يسمعون
سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها
اي قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه
من الزرع انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون
فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة
من قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين
كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل
بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم
ايمانهم حال القتل ولا يمهلون والطابقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما
عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما منع
الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف
وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى
انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا
ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

ثلث وسبعون اية	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة الاحزاب مدنية

يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان
التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله
ولا تطع الكافرين والمنافقين اي فيما يعود لوهن في الدين روي
ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه

في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير
وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك
فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة
واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون
خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرا ابو عمرو
بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها
عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا فيه
الامور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف
لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الانساني اولا ومنبع
القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل ازواجكم اللائي تظهرون
منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة في
امراة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم
من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او جميل بن اسد
الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه
ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله ابن محمد
او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين
لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه
الى تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل
الزوجة والدعي الذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه الذين بينهما وبينه
ولادة وقرا ابو عمرو اللاي بالياء وحده على ان اصله اللائي بهمزة فخففت
وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل تظهرون
تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون
بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر
وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور
ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر
باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان
طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة
كما عدي الى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي
هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا
يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي على الشذوذ
فكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر

اولى الاخر قولكم بافواهكم لاحقيقة له فى الاعيان كقول الهادى
والله يقول الحق ماله حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدى السبيل
سبيل الحق ادعوهم لاباءهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود
من اقواله الحقة وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر
ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل
ومعناه البالغ فى الصدق فان لم تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم
فاخوانكم فى الدين فهم اخوانكم فى الدين ومواليكم واولياؤكم فيه
فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به
ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى او بعده على سبيل
او سبق اللسان ولكن تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت
قلوبكم او ولكن ما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه
عن المخطى واعلم ان التبنى لاعبرة به وعند ابى حنيفة يوجب عتق مملوكه
ويثبت النسب المجهوله الذى يمكن الحاقه به النبى اولى بالمومنين
من انفسهم فى الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم
ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم
من انفسهم وامره انفذ فيهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها
روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج
فقال اناس نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرى وهو اب لهم
اى فى الدين فان كل نبى اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة
الابدية ولذلك صار المومنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات
منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات
ولذلك قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لسنا امهات النساء
واولوا الارحام وذو القرابات بعضهم اولى ببعض فى التوارث
وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة فى الدين
فى كتاب الله فى اللوح او فيما نزل وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما
فرض الله من المومنين والمهاجرين بيان لاولى الارحام او صلة لاولى
اى اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المومنين بحق الدين
والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء
من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية
او منقطع كان ذلك فى الكتاب مسطورا كان ما ذكر من الايتين ثابتا
فى اللوح او القران وقيل فى التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم

مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم
ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر لانهم
مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا
عظيم الشان او موكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسال
الصادقين عن صدقهم اى فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيمة الانبياء
الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم
او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادقين صادق
او المومنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم
عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من ان بعثة
الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المومنين او على ما دل عليه ليسال كانه
قال فاثاب المومنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان
ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا
ريح الصبا وجنودا لم تروها الملئكة روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم
لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلثة الاف
والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لاحرب بينهم
الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة
شاتية فاخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم واطفات نيرانهم وقلعت
خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملئكة فى جوانب العسكر
فقال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجاء
فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرأ
البصريان بالياء اى مما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا
رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادى
من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادى من
قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها
حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرئة تنتفخ من
شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم
مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن
وظن المومنون الثبت القلوب ان الله منجز وعده فى اعلاء دينه
وممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب
والمنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل

بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف
ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك
ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل
وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح
واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله
ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب
ابن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز
فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي
واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة
في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه
مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى
لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام
لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستأذن فريق منهم
النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل
ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ
بها وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا اي ما يريدون
بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم
من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء
المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم
المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها
وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة
او باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل ما لبثوا بالمدينة
بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار
يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد
حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسئولا
مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم
من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في
وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا
قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع
الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم
سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر

الكلام

الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في
العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم
ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم
من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام
ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم
يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون
الا قليلا كقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي
اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء
عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها
على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم
ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه
او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة
سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم
سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط
بقهر باليد او اللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده
قراءة الرفع وليس بتكرار لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا
اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل
او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا
لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي
هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى
داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون
في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب
يسألون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم
ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا
الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد
او هو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا
اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله تعالى ونعيم الآخرة او ايام الله
تعالى واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله والرجاء

يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل
من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء
كثرة الذكر المؤدية بملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول من كان كذلك
ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة
لكم عليهم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم سائرون اليكم بعد تسع
او عشر وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله او صدقا
في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم
فيه ضمير لما رأوا او الخطب او البلاء الا ايمانا بالله تعالى ومواعيده
وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه من الثبات مع الرسول عليه السلام والمقاتلة لاعلاء الدين
من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه
فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير
وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة
كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد
ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام
اوجب طلحة الجنة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرضى القلب بالتبديل وقوله
ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم
تعليل للمنطوق والمعرض به فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء
كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة
بتوبتهم او المراد به التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب
ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا
غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال
بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل
شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب
يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصن به
ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم
الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وقرئ
بضم السين روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال انزع لامتك والملائكة
لم يضعوا السلاح ان الله تعالى يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد
اليهم فأذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم
احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون
على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم
وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر سبعمائة
واورثكم ارضهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم
روي انه عليه الصلوة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار
فقال انكم في منازلكم فقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما
جعلت هذه لي طعمة وارضا لم تطؤها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل
كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر على
ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة
والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة
واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار روي انهن سألنه ثياب الزينة
وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها فخيرها فاختارت
الله ورسوله ثم اختار الباقيات اختيارها فشكر الله لهن ذلك فانزل
لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها
قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها
لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن علي ويؤيده
قول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخترناه ولم
يعد طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق
وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة
رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه
ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستئناف وان كنتن
تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا
عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن
محسنات يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهر
قبحها يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه
لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه
ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم

وقرا البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبنا الفاعل
ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف
كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم
على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم او لقوله وتعمل صالحا
نوتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرا حمزة والكسائي
ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويوتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى
واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن كاحد
من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه
المذكر والمونث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات
النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضى رسوله
فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات
فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل النهي
على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع وقلن
قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر
وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من رائي اقررن ونقلت
كسرتها الى القاف فاستغني به عن همزة الوصل ويويده قراة نافع
وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار
اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيتكن تبرج الجاهلية الاولى
تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين ادم
ونوح عليهما السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم عليه السلام
كانت المراة تلبس درعا من اللولو فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها
على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل
الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق
في الاسلام يعضده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لابي الدرداء ان فيك
جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلاة واتين
الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركم به ونهاكم عنه انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن
ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء
او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية
والتصريح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي

وابنيهما رضي الله عنهم لما روي انه عليه الصلوة والسلام خرج ذات
غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه
ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك
على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب
ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة من الكتاب الجامع
بين الامرين وهو تذكير بما انعم الله عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة
ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص
على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا
خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم
من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات
الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله في القول والعمل والمومنين
والمومنات بما يجب ان يصدق به والقانتين والقانتات المداومين
على الطاعة والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين
والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات
المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب
في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم
والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم
اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغاير لانهن مكفرات واجرا عظيما
على طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه
الخصال روي ان ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قلن يا رسول الله
ذكر الله الرجال في القران بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل
فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث
على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين
لتغاير الوصفين وليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات
مومنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات
وما كان لمومن ولا مومنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه
قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت
عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد بن حارثة

فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت
نفسها للنبي فزوجها من زيد ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا
من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله
ورسوله وجمع الضمير الاول لعموم مومن ومؤمنة حيث انهما في سياق
النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرا الكوفيون يكون بالياء ومن يعص الله
ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول
للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه
وانعمت عليه بما وفقك الله وهو زيد بن حارثة امسك عليك
زوجك زينب وذلك انه عليه الصلوة والسلام ابصرها بعد ما انكحها
اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت
زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها
فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي
فقال مالك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها
لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها
فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو
نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به
والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة
على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس
واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت
او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها
ولم يبق له فيها حاجة وطلقها او انقضت عدتها زوجناكها وقيل
قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها
وقيل والمعنى انه امر بتزوجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده
انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله
تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها
وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكيلا يكون على المومنين
حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو
دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر الله
امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم
فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله سن

ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم
فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا
الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب
او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض
بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان
لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت
بينه وبينه ما بين الوالد والولد من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض
عمومه بكونه ابا للطاهر والقسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال
ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته
لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم
وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر
محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله اب
من غير وراثة اذ لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين واخرهم الذي ختمهم
او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه
ان يكون نبيا كما قال عليه الصلوة والسلام في ابراهيم حين توفي
لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل
كان على دينه مع ان المراد انه اخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما
فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين
امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله
من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا
اول النهار واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما
على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار
لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح
الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم
والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم
وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوي
ماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع
والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمومنين ترحم عليهم وهو سبب الرحمة
من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر
والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمومنين رحيما حتى اعتنى
بصلاح امرهم واناقة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحببهم

من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه
عند الموت او الخروج عن القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة
عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم
لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم
وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وتوحيده
وما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره واطلق له من حيث انه
من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة
من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة
ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا
كبيرا على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف
مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له
على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به
او ايذاءك اياهم مجازاة او مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ
وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال
كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه
فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له
وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار
والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج
المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا
بان يكتفى به عن غيره يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن
فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم
فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة
على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها
مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون
فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات
والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا للنطفة
وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة
كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها
فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة ويجوز ان

ان يأول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب
فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم
اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز
تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول
بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال باعطائها معجلة
لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها
مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة
لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرايب بكونها مهاجرات
معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات
خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة
ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له
لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها
للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد
بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك
حل امراة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك
نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت
الحرث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة
ابنة حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك
اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول
في استيجاب الحل فان هبتها نفسها لا توجب له الا بارادته نكاحها
فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي
مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان
بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به
اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد
خص عليه الصلوة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب
النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال
ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت
او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم
في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطي حيث لم يسم

وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم
اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة
للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد
التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة
والعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة
في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها
وتؤوي اليك من تشاء منهن وتضم اليك وتضاجعها او تطلق
من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء
والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة
فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك
اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن
فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت
بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن
بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيد لنون يرضين وقرئ
بالنصب تأكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه
وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق
بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقي وقرأ
البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا
او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان
تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة
لتأكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة
وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله
في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الآية محكمة
او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء
على ان الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى
لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن
لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك
استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع يا ايها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم
او الا مأذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى

للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما
اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل
لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير
من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي
اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا
فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون
طعام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخلون ويقعدون
منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته
بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستأنسين لحديث
لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين
او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين ان ذلكم اللبث
كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشغاله فيما لا يعنيه
فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان
اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم
بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء
واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسألوهن المتاع
من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله
يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت
وقيل انه عليه الصلوة والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت
يد رجل يد عائشة فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن
من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله
ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته
او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج
المستعيذة في ايام عمر فهم برجمها فاخبر بانه صلى الله تعالى عليه وسلم
فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح
نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب
لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا
كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما
فيعلم ذلك فيجازيكم وفي التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل
ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن
ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم

لما روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب
يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم
والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله اباءك
ابراهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا
لابنائهما ولا نسائهن يعني نساء المومنات ولا ما ملكت ايمانهن
من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله
فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية
ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك
وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك
ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والاية تدل على وجوب الصلوة
والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله صلى الله
تعالى عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله
من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلوة
على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعار الذكر الرسل
ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا ان الذين
يوذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يوذون
رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله
للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين
باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والاخرة
واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يوذون المومنين
والمومنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا ظاهرا انها نزلت في المنافقين يوذون عليا
وقيل في اهل الافك وقيل في زناة يتبعون النساء وهن كارهات
يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن
من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن
لحاجة ومن للتبعيض فان المراة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض
ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات فلا يوذين
فلا يوذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف
رحيما بعباده حيث راعى مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته
المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان

وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين وفجورهم والمرجفون
في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافها
واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذبة لكونه
متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما
يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك
وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين
نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك
الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين
خلوا من قبل مصدر موكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو
ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه
اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها او لا يقدر احد
ان يبدلها يسالك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء
وتعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا
وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة
عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة
في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين ان الله
لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين فيها ابدا
لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب
وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او
من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب
وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم
الكفر وقرا ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة
فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا اتهم ضعفين من العذاب
مثلي ما اتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كثيرا كثير العدد
وقرا عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم
يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امراة على قذفه
بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل هرون

لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملئكة ومروا بهم حتى رأوه
غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببرائته او قذفوه بعيب في بدنه
من برص او ادرة لفرط تستره حيا فاطلعهم الله على انه برئ منه
وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة منه وقرئ وكان عبدا
لله وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا
عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد
سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم
اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها
ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن
يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش
في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء
والمعنى انها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام
وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم كان الراعي لها
والقائم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع
حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل
المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وعرضها استدعاؤها
الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها
الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها
لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنها اتيانا بما يمكن ان يتاتى منه
والظلم والجهالة الخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام
خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني
فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة
ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق ادم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك
فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل
المراد بالامانة العقل والتكليف وعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى
استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد
وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه
من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان

فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة
الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات
تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتاديب للضرب في ضربته تاديبا
وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم
عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب
بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام من سورة الاحزاب
وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

اربع وخمسون اية	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة سبا مكية

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد
في الدنيا لكمال قدرته على تمام نعمته وله الحمد في الاخرة لان ما في الاخرة
ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف يدل
على انه المنعم بالنعم الدنيوية فقيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص
فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك
نعم الاخرة وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين الخبير بواطن الاشياء
يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ في موضع وينبع في اخر والكنوز
والدفائن والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات والفلزات
وماء العيون وما ينزل من السماء كالملئكة والكتب والمقادير والارزاق
والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملئكة واعمال العباد والابخرة
والادخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الاخرة
مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تاتينا
الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى رد للكلام
واثبات لما نفوه وربي لتاتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم
مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر
غير مرة وقرا حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر
ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقرا الكسائي لا يعزب بالكسر
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب
ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع

على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف
لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت
في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل
عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة
ورزق كريم لا تعب فيه ولا منّ عليه والذين سعوا في آياتنا
بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا
وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك
لهم عذاب من رجز من سيء العذاب أليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب
وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولو العلم من الصحابة ومن
شايعهم من الامة او مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك
القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدأ والحق خبره والجملة
ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولي العلم
على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي
ليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا
ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس
التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب
اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد انكم تنشؤون خلقا بعد ان
تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف
للدلالة على البعد والمبالغة وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما
قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق
يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب
وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقيل بمعنى
مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة
جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء
غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر
لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب
بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد رد من الله
عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال
البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب

وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم
والبعد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به للاسناد المجازي
افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه
مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء
حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما
احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي
وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد
ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء
لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ان في ذلك النظر والفكر
فيهما وما يدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه
يكون كثير التأمل في امره ولقد آتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبياء
وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك
والصوت الحسن يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح على الذنب
او النوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح
اذا تأمل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب
اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا
باضمار قولنا او قلنا على القولين والطير عطف على محل الجبال ويؤيده
القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب
او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف
على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال
والطير فبدل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه
وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته
فيها وألنا له الحديد جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير
احماء وطرق بالآلة او بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة
او مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو
اول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث تتناسب حلقها
او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان
دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه
لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح
اي وسخرنا له الريح وقرئ الريح والرياح بالرفع اي ولسليمان الريح

سخرة غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي
كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب
اسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا
وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح
ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدا وخبر باذن ربه بامره ومن
يزغ منهم ومن يعدل منهم عن امرنا عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ
يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الاخرة يعملون له
ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها
يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء
على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم
وحرمة التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه
ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا
قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض
الكبار جمع جابية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات
ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا ال داود شكرا
حكاية عما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اي اعملوا له واعبدوه شكرا
او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل
من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه
اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا اخر
لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه
الموت اي على سليمان ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل اله
الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو
تاثر الخشبة من فعلها ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا
مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته
عصاه من نسات البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم
وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين
بين ومنساته على مفعالة كميضاة في ميضاءة ومن سأته اي طرف
عصاه مستعار من سية القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة
فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون
كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى اخر

اذ ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس
في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان
عليهما السلام فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله واعلم به فاراد
ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب
فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك
حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا
الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه
منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة
وابتدا عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبا
لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه
ابن كثير وابو عمرو ولانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا
ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب في مساكنهم في مواضع
سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث
وقرا حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ
من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع المختار
فانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة
للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمن عليهما السلام جنتان
بدل من اية او خبر محذوف تقديره الاية جنتان وقرئ بالنصب
على المدح فالمراد جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة
عن يمين بلدتهم وجماعة عن شمالها كل واحد منها في تقاربها وتضامها
كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كلوا
من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة
بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استيناف
للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم
الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل
بالنصب على المدح وقيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها
عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر
العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه
وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم
سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار

ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي
الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى
ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط
مر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر
لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل
معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا
بالنصب على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب
اكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم
ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه
بعث اليهم ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص
وهل يجازي الا الكفور وهل يجازي بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران
او الكفر وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور
بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها
وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة
متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل
الغادي في قرية ويبيت الرايح في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها
على ارادة القول بلسان المقال او الحال ليالي واياما متى شئتم من ليل
ونهار امنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا
امنين وان طال مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما
لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وبطروا
وملوا العافية كبني اسرائيل فسالوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز
ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله تعالى
بتخريب القرى المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو بعّد ويعقوب ربنا
باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم
الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرا ربنا بعُد او بعّد
على النداء واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة
او لم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب
مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم
غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة
والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لايات لكل صبار عن المعاصي

شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه
او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه
كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق
ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد
بمعنى وجد ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله
اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك ما ظنه بسبا حين راى
انهماكهم في الشهوات وببني ادم حين راى اباهم ضعيف العزم او ما ركب فيهم
من الشهوة او سمع من الملئكة اتجعل فيها فقال لاضلنهم لاغوينهم فاتبعوه
الا فريقا من المومنين الا فريقا هم المومنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة
الى الكفار والا فريقا من فرق المومنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون
وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء
الا لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك
تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المومن من الشاك او ليومن من قدر ايمانه
ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم متعلقه مبالغة وفي نظم
الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان
متاخيتان قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله اي زعمتموهم الهة وهما
مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته
مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما
ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع
او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا
بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير
او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي
او لان الهتهم بعضها سماوية كالملئكة وبعضها ارضية كالاصنام او لان
الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان
حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم
من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا تنفعهم شفاعة
ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له اذن له
ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت واللام على الاول
كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد حتى اذا فزع
عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن اي
يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع

لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر
ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ
الزاد اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة
قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى
وهم المومنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو
والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم
من السموات والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب
سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام
فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
اي وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية
بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية
لعلى احد الامرين من الهدى والضلال الموضح وهو بعد ما تقدم
من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال
ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب
ونظيره قول حسان اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء وقيل
انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا
ينظر الاشياء ويطلع عليها او ركب جوادا يركض حيث يشاء والضال
كانه منغمس في ظلام من قبل انه لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة
لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل
عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند
الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة
ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين
النار وهو الفتاح الحاكم للفصل في القضايا المتعلقة العليم بما
ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة
الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد
الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال
المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة
والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمون بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة
راسا والضمير لله او للشأن وما ارسلناك الا كافة للناس الا ارسالة
عامة من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا
جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز

جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم
متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا
ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والمومنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان واضافته الى اليوم
للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار اعني
لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجأكم وهو جواب تهديد
جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين
كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه
من الكتب الدالة على البعث قيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب
عن الرسول فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك
وقيل الذي بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول
يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع
للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن
الايمان لكنا مومنين باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين
استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين
انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا
انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار
على الاسم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار
اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا
ونهارا حتى اغرتم علينا راينا اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا
والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع
وقرئ مكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما راوا العذاب واضمر
الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه
مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات
والسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا
اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم
هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم
وتعديته يجزى اما للتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا
في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم مما مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لانه الداعي المعظم
الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة
بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التفاخر الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به
كافرون مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى
بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه
اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ولذلك تختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص
والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته
ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف
والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم والاولاد
او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اي بالشيء الذي
يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال
والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله
ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف
المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف ان يجازوا الضعف الى عشر
فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل
وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز والمصدر
لفعله الذي دل عليه لهم بما عملوا وهم في الغرفات آمنون من المكاره
وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرا حمزة في الغرفة على ارادة الجنس
والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين سابقين
لانبيائنا او ظانين انهم يفوتونا اولئك في العذاب محضرون
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه
تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق
في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا
او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال رزقه لا حقيقة
لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين ثم يقول
للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا
لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم
والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدا الشرك واصله قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا

وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم عن الرضى بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك
ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين
حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون ويخيلون اليهم
انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس
او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض
نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف
على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون
القرآن الا افك لعدم مطابقة ما في الوقوع مفترى باضافته الى الله
سبحانه وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او للقرآن
والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر
مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين
من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت
تمهيدا للقول انكار عظيم له وتعجب بليغ منه وما آتيناهم من كتب
يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير
يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين
لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرايهم ثم هددهم فقال
وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ
هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ
اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف كان
نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم
فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني
للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء
قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه
ان تقوموا لله وهو القيام من مجلس رسول الله او الانتصاب في الامر
خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى متفرقين
اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول
ثم تتفكروا في امر محمد عليه الصلاة والسلام وما جاء به لتعلموا حقيقته
ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعني

ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك والاستيناف منه على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ولو ثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اي شيء به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة قل ما سالتكم من اجر اي شيء سالتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال فانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سالهم بقوله ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي قل ان ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني والغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشور وبالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب قل جاء الحق اي الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدي خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي اي وبال ضلالي عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرايت فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليب والعطف

على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا امنا به والى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرا ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمتها او انه من نأشت الشيء اذا طلبته قال رؤبة اقحمني جار ابي الجاموش اليك نأش القدر النؤوش او من نأشت اذا تاخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول من بعد وقد كفروا به بمحمد او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبه التي تمحلوها في امر الرسول او حال الاخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله عليه الصلوة والسلام من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

وهي خمس واربعون اية	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة الملائكة مكية

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم اثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون

بها نحو ما كلفهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد
خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم
راى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء
استيناف للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيته ومؤدى حكمته
لا امر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول
ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال
والاية متناولة زيادات الصور والمعنى كملاحة الوجه وحسن الصوت
وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله على كل شيء قدير وتخصيص
بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة ما يفتح الله
للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة
كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك
فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة
والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت
غضبه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء
ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان لما بين انه
الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس
بشكر انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها
بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك
مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء
والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد
الى الكفر باشراك غيره ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف
او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي
حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة للخالق او استيناف
مفسر له او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا
من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
اي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء
بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية
والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر
والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله حق بالحشر والجزاء لا خلف فيه
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخرة والسعي لها
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية

فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم احتمالا على
دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو
عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقايدكم وافعالكم وكونوا على حذر
منه في مجامع احوالكم انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير
لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون
الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع
للاماني الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن
زين له سوء عمله فراه حسنا تقرير له اي افمن زين له سوء عمله بان غلب
وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رايه فراى الباطل حقا والقبيح حسنا
كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها
على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم
حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه
ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب
والفاءات الثلث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة
دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم
او كثرة افعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر
لا تتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون
فيجازيهم والله الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية استحضار تلك الصورة البديعة
الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك
اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر
فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب
لذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا بعد موتها
بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما
فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اي مثل احياء الموات نشور الاموات
في صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه
وذلك لا مدخل فيها وقيل في كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء
من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق من كان
يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا اي فليطلبها من عنده

فان كلها له فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح
وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن
في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل
او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه
من الكلفة وقرئ يُصعَد على البناء للمفعول والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به
او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القران
وعنه عليه الصلوة والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن
فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل والذين يمكرون السيئات المكرات
السيئات يعني مكرات قريش للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دار الندوة
وتداربهم الراي في احدى ثلث حبسه وقتله واجلائه لهم عذاب شديد
لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ
لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب
بخلق ادم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر وما
يمد في عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان
يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا
والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة
بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة
والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح
مثل ان يكون فيه ان حج فعمره ستين سنة والا فاربعون وقيل المراد
بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما
وعن يعقوب على بناء الفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح او الصحيفة
ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص وما يستوى
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل
للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره
والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيّغ بالتشديد والتخفيف وملح
على فعِل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها
استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما
انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا

يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده
وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما
في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية
العظمى وهي بقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الاخر او تفضيل
للاجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع والمراد بالحلية اللالى
واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر تشق الماء بجريها
لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز
ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك
وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره
او منتهاه او يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه
الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبات الاخبار المترادفة
ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدا في قران والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير
لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على
سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم
منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم يقرون
ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك
بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه فانه الخبير به على الحقيقة
دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ونفي ما يدعون لهم
يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء
للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان
افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق
الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على اطلاق المنعم على سائر
الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد
بقوم اخرين اطوع منكم او بعالم اخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز
بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى
واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم
يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها
شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة نفس اثقلها الاوزار الى حملها
الى بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل

عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر
المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرى ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى
من جعل كان التامة فانها لا تلايم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون
ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا
عنهم عذابه واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف
الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما يتزكى
لنفسه اذ نفعه لها وقرى ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض موكد
لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكى والى الله المصير فيجازيهم
على تزكيتهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمومن وقيل هما مثلان
للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق
ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتاكيد نفي الاستواء
وتكريرها على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم
وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء
ولا الاموات تمثيل اخر للمومنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك
كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه
لفهم اياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح
لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت
الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك لا حيلة لك اليه
في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا
مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد
الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير
من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة
سيما وقد قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود والاهم من البعثة
وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر وبصحف ابراهيم وبالكتاب
المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد
بها واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف
كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا
منها ذو اصناف مختلفة او هيآتها من الصفرة والخضرة ونحوهما
ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرايق ويقال جدة الحمار

للخطة السوداء على ظهره وقرى جدد بضمتين جمع جديدة بمعنى الجدة
وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة
والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل
ومن الجبال ذو جدد مختلف اللون ومنها غرابيب متحدة اللون
وهو تاكيد مضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد للاسود ومن حق
التاكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمومن
العايذات الطير وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار
والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك
كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية
معرفة المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه
ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اني اخشاكم بالله واتقاكم له ولهذا
اتبعه بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود
حصر الفاعلية ولو اخر لانعكس الامر وقرى برفع الله ونصب العلماء
على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله
عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر
على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله
يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد
بكتاب الله القران او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم
بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة
والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان
لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم
اجورهم علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وينفق عند الله ليوفيهم
بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امثالهم نحو ذلك ليوفيهم
او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور
لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة
او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب
يعني القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا
لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال موكدة
لان حقيقته تستلزم موافقته اياه في العقايد واصول الاحكام ان الله
بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في احوالك

ما بينا في النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار
على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور
الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه
بالماضي لتحققه او ورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين
والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا
من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم
فان الله اصطفاهم على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل
ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد
المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح
بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة
وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اما الذين سبقوا فاولئك
يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون
حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر
ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه
لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة
والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث
او الاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير
للثلثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة
عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول
يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة
فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين
ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب
في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل اساور ولباسهم فيها
حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة
او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن
ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة
من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب
تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع
نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى
عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان

وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك مثل
ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو
يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم
يصطرخون فيها يستغيثون يفتعل من الصراخ وهو الصياح بجهد
استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور
للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم
لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والان تحقق لهم خلافه اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر
فيه يتناول كل عمر يمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين
العشرين الى الستين وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه
الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه
قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب
او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم
ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى خافية فلا يخفى عليه احوالهم
انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي
اخفى ما يكون كان اعلم بغيره هو الذي جعلكم خلائف في الارض يلقي اليكم
مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف
فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا
ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء
الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه
والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة قل ارأيتم
شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم
جعلوهم شركاء لله او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض
بدل من ارأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني عن هؤلاء الشركاء
اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات
ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية
ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة
منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون
هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر

ويعقوب وابو بكر على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطر لا بد فيه
من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير
الاسلاف الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون
لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة ان
تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا
لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد
من بعده من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد
الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا
حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم اى الامم الف لفة
وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله
اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم
اى من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي
يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة
فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ما زادهم اى النذير
او مجيئه على التسبب الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض
بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيئ واصله وان مكروا المكر السيئ
فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر
ثم اضيف ولا يحيق لا يحيط المكر السيئ الا باهله وهو الماكر وقد
حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اى لا يحيق الله فهل ينظرون
ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن
تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله
غير التعذيب ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد
عليه بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار الماضين
وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته
في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها
ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض
من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة

الانس

الانس وحده ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيمة
فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي
عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الملئكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اى باب شئت

سورة يس مكية وعنه عليه السلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين
والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة وايها ثلث وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على
ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل في من الله
في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على
اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث
او اعرابا على هذه يس واماله الياء حمزة والكسائي وحفص وروح
وادغم النون في واو والقران الحكيم ابن عامر والكسائي ويعقوب
وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين
على صراط مستقيم لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد
والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من
المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا
وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف
والمصدر بمعنى المفعول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب
باضمار اعني او فعله على انه اصله وقرئ بالجر على البدل عن القران
لتنذر قوما متعلقا بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر اباؤهم قوما
غير منذر اباؤهم يعني اباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فتكون
صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر به
اباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذارا اباؤهم على المصدر
فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اى لم ينذروا فبقوا غافلين
وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اى ارسلتك اليهم لتنذرهم
فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم
بحيث لا تغني عنهم الايات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم

فهي الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطاطؤن
فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون
لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطؤن رؤسهم له وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
وبمن احاط بهم سدان فغطي ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم وراءهم
في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الايات
والدلائل وقرا حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل
ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرى
فاعشيناهم من العشا وقيل الايات في بني مخزوم حلف ابو جهل
ان يرضخ راس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه وهو يصلي ومعه
حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها
بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب
فاعماه الله وسواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون سبق
في البقرة تفسيره انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر
اي القران بالتامل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه
قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن
منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث
او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة
واثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل
وتاسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ
واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال
واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية
على حذف مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر
على واحد ويجعل المقدر بدلا عن الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها
بدل من اصحاب القرية المرسلون رسل عيسى الى اهلها واضافته الى نفسه
في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس
وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرا ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه
وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث
هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل اليهم عيسى اثنين فلما قربا من المدينة رايا حبيبا النجار يرعى غنما
فسالهما فاخبراه فقال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص

وكان له ولد مريض فمسحاه فبرا فامن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما
خلق كثير وبلغ حديثهما الى الملك فقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم من
اوجدك والهتك قال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون
فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استانسوا به واوصلوا خبره
الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت
ما يقولانه قال فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما فقالا الله الذي خلق
كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
قال ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله
حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين
ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا
حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع
ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام
مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني ادخلت سبعة اودية من النار
وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا
يشفع لهذه الثلثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فلما راى
شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن في جمع ومن لم يومن صاح عليهم
جبريل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم
بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن
من شيء وحي رسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا
يعلم انا اليكم لمرسلون استشهد والعلم الله وهو يجري مجرى القسم واللام
المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين
بالايات الشاهدة بصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة
قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له
وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب
اليم قالوا طائركم معكم سبب شومكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم
وقرئ طيركم ائن ذكرتم وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم
او توعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان
بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان وان بغير استفهام وقرئ واين ذكرتم
بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم
عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثمة جاءكم الشوم او في الضلال ولذلك
توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به وجاء من اقصى المدينة

رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن امن بمحمد عليه الصلوة والسلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله
فلما بلغه خبر الرسل اظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم
اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي لا
اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه
وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة الله
الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد
الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر
لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصر
والمظاهرة اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا
بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى
على عاقل اني امنت بربكم الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا ايماني
وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم
قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه
من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله
رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول
دون المقول له لانه معلوم والكلام استيناف في حيز الجواب عن السؤال
عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه ولذلك قال يا ليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله
عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة
عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ
والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم في امره وانه كان
حق وقري من المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون
او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي باي شيء غفر
يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده
من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر
والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء
بتعظيم الرسول عليه الصلوة والسلام وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا
ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا
لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي ومما كنا
منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت

ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل وقرئت
بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا
الى ان الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد وما المرء الا
كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد
تعالي فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل
عليها ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فان المستهزئين
بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسر ويتحسر
عليهم وقد تلهف على احوالهم الملئكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون
تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم
ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار
فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول
ويا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو
معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها
وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل
من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم
وقرئ بالكسر على الاستيناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة
للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ
ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل
بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون واية لهم الارض الميتة وقرأ
نافع بالتشديد احييناها خبر للارض والجملة خبر اية او صفة لها اذ لم يرد بها
معينة وهي الخبر او المبتدأ والاية خبرها او استيناف لبيان كونها اية
واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على
ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل
واعناب من انواع النخيل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب
لان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع
وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها
بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح
والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا
من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة
اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار

وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه
كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم
ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن
من غيرها افلا يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان
الذي خلق الازواج كلها الانواع والاصناف مما تنبت الارض
من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا
مما لا يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته واية لهم الليل نسلخ
منه النهار نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام
في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري
لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع سيره
او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة
قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على مخصوص والمنتهى
مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين
مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما
الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها
اي لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك
الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن احصائها تقدير
العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم
والقمر قدرناه سيره منازل او سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون
الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف
الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب
الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة
في واحدة منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في اخر منازله وهو الذي
يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون كالشمراخ
المعوج فعلول من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان
كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس
ينبغي لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك
يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في اثاره ومنافعه او مكانه بالنزول
الى محله او سلطانه فيطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة
على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار

يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما اياتهما وهما النيران وبالسبق
سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك
بالسبق لانه الملايم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض المضاف اليه
والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما
في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون
فيه بانبساط واية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى
تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن
لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارها في السفن اشق وتماسكهم
فيها اعجب في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله
ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم
وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز
وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفاين
البر او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث
لهم يحرسهم عن الغرق او فلا اغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون
ينجون من الموت الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع بالحيوة الى حين
زمان قدر لاجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقايع
التي خلت والعذاب المعد في الاخرة او نوازل السماء ونوائب الارض
كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب
الدنيا وعذاب الاخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم
ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله
وما تأتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قال
واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل
لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع
يعني معطلة كانوا بمكة للذين امنوا تهكما بهم من اقرارهم وتعليقهم الامور
بمشيئة الله انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش
حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم
ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب
منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ان انتم الا في ضلال
مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله
لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة

هي النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم
ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون
واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين
وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير بفتح الخاء على القاء حركة
التاء اليه وابو عمرو به مع الاختلاس وعن نافع الفتح والاسكان
وكأنه جوّز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ يخصمون
من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا الى
اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم ونفخ في الصور
اي مرة ثانية وقد سبق فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث
وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا
وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه
اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط
عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على الجار والمصدر
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة
محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره
محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم
وقيل جواب من الملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه
تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث
دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل
اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنون فانه ليس ببعث النائم فيهمكم
السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت
ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على
كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك
تهويل امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها
فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله
ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة
وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه
اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة
وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ

فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفكهين على الحال من المستكن
في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم
في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي
في ظلل على الارائك متكئون وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارائك
جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد
للضمير في في شغل فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم
عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلثة وفي ظلال حال من المعطوف
والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم
يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وحمل لنفسه او ما يتداعونه
كقوله ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادّع عليّ ما شئت بمعنى
تمنه عليّ او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة
مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز
ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام
وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من
رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله
يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم
ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا
عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير وتفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا
ينفرد به لا يرى ولا يُرى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان
من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم
من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره
وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد
بكسر حرف المضارعة واحهد واحّد على لغة بني تميم انه لكم عدو مبين
تعليل للمنع من عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف
على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته
فالجملة استيناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الآخر والتنكير
للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان
معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل
ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي

بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضم وسكون مع التخفيف
والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال
هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها
اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم اي نمنعهم من الكلام
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها
ودلالتها على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون
فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا
اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي
اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار
او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون
الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم
وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم
فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه
للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم
الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى
انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان نفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل
لشمول الرحمة واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه
في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس
ما كان عليه بدء امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس
اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه
مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر
اي ما علمناه الشعر بتعليم القران فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه
ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوهما وما ينبغي له وما يصح
له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة
وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف ولا قصد منه الى ذلك
وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور
من الرجز شعرا هذا وقد روي انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع
وسكن الثانية وقيل الضمير للقران وما يصح للقران ان يكون شعرا ان هو
الا ذكر عظة وارشاد من الله وقران مبين وكتاب سماوي يتلى

في المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القران
او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا
عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله فان الحيوة الابدية
بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول وتجب كلمة العذاب
على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعار
بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة اولم يروا انا
خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر
الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد
بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع
فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف
فيها بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس
البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم
وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم
اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اي يأكلون
لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب
من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر افلا يشكرون نعم الله
في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل
هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به في العبادة
بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها
لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس
لانه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون
لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم في النار فلا يحزنك فلا يهمك
وقرئ بضم الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب
والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك
ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو قرئ بالفتح
على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو
خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر
وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث تعجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا
ومنافاة الجحود والقدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة
التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق
والتكذيب روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال عليه الصلوة
والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين
فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في
نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى والتشبيه
بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا اياه قال من يحيي العظام
وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل
بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول
من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حيوة فيؤثر فيه الموت كسائر
الاعضاء قل يحييها الذي انشأها اول مرة فان قدرته كما كانت
لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو
بكل خلق عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم
اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق
تمييزها وضم بعضها الى البعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى
التي كانت فيها او احداث مثلها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ
والعفار نارا بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء
فتنقدح النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار خرجت منه
فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة
لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي
وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون او ليس الذي
خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما بقادر على ان يخلق
في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في اصول الذات وصفاتها
وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر
بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات
انما امره انما شأنه اذا اراد شيئا ان يقول له كن اي تكون فيكون
يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور
من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة
الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي
عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب
عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شيء واليه ترجعون
وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت
لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه عليه السلام

ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك
الموت سورة يس نزل بكل حرف فيها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا
يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون
عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت
ولم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة
فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره
وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	مائة وثمانون آية

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا قسم بالملائكة
الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها الفيض عليهم الانوار
الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير
المأمور فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن
التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف
الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر
القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون
او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق
بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين
في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة
العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود
كقوله يا لهف زيابة للحارث فالصابح فالغانم فالآيب فان الصف
كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة
او الرتبة كقوله عليه الصلوة والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه
لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما
يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا ان الهكم لواحد
جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف
من كلامهم واما التحقيق فبقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق
فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على
وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر
ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه

والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة
وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك
اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل
انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء
الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان
ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين فيه وجر الكواكب
على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب
فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت
مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل
او بان زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة
الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء
الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها
جواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا
منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا
خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد خارج
من الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ
لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان
فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ
على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل
باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه
وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد
من التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون
ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده
دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان
او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به
ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول
او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب اي عذاب اخر واصب دائم
او شديد وهو عذاب الاخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون
ومن بدل منه فاتبعه شهاب والخطف الاختلاس والمراد اختلاس
كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء

ومكسورها واصلهما اختطف واتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا
انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف
ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا
السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل
في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى
كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشياطين
يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي
صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف
في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة
وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال
ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان
الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت
على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم
فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني ادم اهم اشد خلقا ام من خلقنا
يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب
والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد
ذلك وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب
فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد
اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم
سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية
هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان
قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما
لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة ادم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات
منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة
الفاعل ومن قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة
اليها سيما ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت
من قدرة الله وانكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك
للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة
خلائقي الى تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان
ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله
اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة

تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل
يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به
او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم
واذا رأوا آية معجزة تدل على صدق القائل يستسخرون يبالغون
في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها
وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته أإذا متنا
وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية
بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا
بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من
قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب
بطرح الثانية أوآباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها او على
الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد
لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم
داخرون صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه
وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله او الرسول
ونعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي
اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية
من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها فامرها بالاعادة كامر كن في الابداء
ولذلك رتب عليها فاذا هم قيام ينظرون من مراقدهم احياء يبصرون
او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي
نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به
تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض
والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا
امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف
وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم
وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله وكنتم ازواجا ثلثة او نساءهم اللاتي
على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله
من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله
ان الذين سبقت لهم الحسنى الاية وفيه دليل على ان الذين ظلموا
المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها
وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسؤولون عن عقايدهم واعمالهم

والوا

والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان موقفهم متعدد ما لكم لا تناصرون
لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتعريض وتقريع بل هم اليوم
مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام
طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم
على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون
يسال بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم
تاتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او الخير كانكم
تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي
هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح
او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا
يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم
من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم
بانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن
لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان
فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا
ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم
عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا
ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان
كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين
يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك
مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل
لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه
ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من
التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب
الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الاصل
وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين
استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون
استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا
بهذا الاعتبار اولئك رزق معلوم خصائصه من الدوام وتمحض اللذة

ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي
والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل
فكانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير
تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها
الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك
على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في
مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمين يطاف عليهم
بكأس باناء فيه خمر او خمر كقوله وكأس شربت على لذة من معين
من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة الماء
من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان
ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة
وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكأس
ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل
قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها
غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول
ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف
اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطف على ما يعمه لانه من عظم فساده كانه
جنس رأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي من انزف الشارب
اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله
ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف اي قصرن ابصارهن
على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون
شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض
المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض
يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على
الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام
والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم
عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم
في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول أئنك لمن المصدقين
يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل
هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله

او بعض الملئكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم
ذلك القرين وقيل فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم فاطلع عليهم وعن
ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه
جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ادب المجالسة تمنع الاستبداد به
او خاطب الملئكة على وضع المتصل موضع المنفصل لقوله هم الآمرون
الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فرآه اي قرينه
في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ
لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة
لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف
اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شأنه الموت وقرئ
بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر
بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء
المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة
الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين
بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون
كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن
من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل
العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا
يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار
وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم
لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام
وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق مرة تكون بتهامة
سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا في الآخرة
وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار
تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق يعيش في النار ويلتذ بها فهو
اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل
الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها حملها
مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل والطلوع من الشجر كانه رؤس
الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق
في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف
ولعلها سميت بها لذلك فانهم لآكلون منها من الشجرة او من طلعها

فمالئون منها البطون من غلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها
اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون
ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق
او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به
والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها
او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم
خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها
وبين حميم ان يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم
ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم
يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدايد بتقليد الاباء في الضلال والاهراع
الاسراع الشديد كانهم يزعجون على اثرهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى
ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين
ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين
تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه
والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم سمعوا اخبارهم وراوا
ولقد نادينا نوح شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا
حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اي فاجبناه احسن الاجابة فوالله
لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه وجعلنا ذريته
هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة اذ روي
انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه في الاخرين
من الامم سلام على نوح هذا الكلام جيئ به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه
تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين
متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين
جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له
على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة
قدره واصالة امره ثم اغرقنا الاخرين يعني كفار قومه وان من شيعته
ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة لابراهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع
او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان
هود وصالح اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى المتابعة او بمحذوف
هو اذكر بقلب سليم من افات القلوب او من العلايق خالص لله او مخلص له

وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه
جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف
لجاء او سليم أئفكا الهة دون الله تريدون اي اتريدون الهة دون الله
افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل
ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به والهة بدل منه على
انها افك في نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا
بمعنى افكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين
حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا
فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه
على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فراى مواقعها
واتصالاتها او في علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك
حين سالوه ان يعيد معهم فقال اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم
كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان
اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب
لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد
الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة
جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى
فراغ الى الهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل
بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء الا تاكلون يعني الطعام الذي
كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا
والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ
عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ويقيده
باليمين للدلالة على قوته فان قوة الالة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين
بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابراهيم
بعد ما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه
في قوله من فعل هذا بالهتنا الاية يزفون يسرعون من زفيف النعام
وقرا حمزة على بناء المفعول من ازف اي يحملون على الزفيف ويزفون
اي يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون
من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون
ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه
فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم

فبا قداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيه من حذف ومجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التاجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانهم لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويونسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه فبقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا يتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من قيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق بالاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه ولانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه راى ذلك وانه راى ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسماعيل لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه الصلوة والسلام انا ابن الذبيحين فاحدهما

جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل فخرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمه ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت فانظر ماذا ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المامور به والاضافة الى المامور ولعله فهم من كلامه انه راى انه يذبحه مامورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله فلما اسلما استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلها سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق بما لم يوفق غيرهما بمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام

كان مامورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء
المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة
الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل
عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي به الله نبيا ابن نبي
واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا
اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات
حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابراهيم وانما قال وفديناه
لانه المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء والاسناد واستدل به الحنفية
على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا
عليه في الآخرين سلام على ابراهيم سبق بيانه في قصة نوح عليه السلام
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء
بذكره مرة في هذه القصة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته
مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود
المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة
تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا
فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين
ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون
خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما
يوجد ومن فسر الذبيح باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح
بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل
بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق
بان اخرجنا من صلبه انبياء من بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب
عليهم السلام او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما
محسن في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي
مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال
وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا
على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية
ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغذيب فرعون او الغرق
ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه
وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة وهديناهما
الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما

في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما
من عبادنا المؤمنين سبق مثل ذلك وان الياس لمن المرسلين
هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى بعث بعده وقيل ادريس
لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ابليس
اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون
الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له
الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول
وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي
للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم
لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء منه بالقرينة او لان الاحضار
المطلق مخصوص بالشر الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو
لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على ال ياسين
لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين
لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف
ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
على اضافة ال الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين
ابا الياس وقيل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم او القرآن او غيره
من كتب الله تعالى والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس
وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين
ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على
منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين
في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا او ليلا ولعلها وقعت قريب
منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس
فيكم عقل تعتبرون به وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق
هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه
حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان
من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام
الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله
فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه

فقال انا الابق ورمى بنفسه في فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة
وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح
مبنيا من ليم فهو مليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين
الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث
في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر
وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذه بيده عند الضراء فنبذناه
بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر
او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس
ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم
وقيل ثلثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم
مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه
مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم
على ساقه تفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت
الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي
شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه ويستظل باغصانه
ويفطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم
اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم
او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا نظر قال هم مائة الف او اكثر والمراد
الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او فجددوا الايمان به
بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط
بما ختم به سائر القصص لتفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولي العزم
من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في اخر السورة
فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة
امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره
جارا لما يلايمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم باستفتائهم عن وجه
القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملئكة بنات الله
وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز البنات على الله تعالى
فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه
حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملئكة حيث

انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله
مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار
ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما
مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم
ام خلقنا الملئكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان امثال
ذلك لا تعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل
الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به
كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم
ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله
اي الملئكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ
صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام
بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اولد الله
من ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه
عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء
بان الملئكة بناته فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين
في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملئكة ذكرهم باسم جنسهم
وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت
الملئكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة
او الانس والجن ان فسرت بغير الملئكة لمحضرون في العذاب سبحان الله
عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء
من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض
او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله
بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا من
سبق في علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم
غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه
من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم والهتكم قرناء لا تزالون
تعبدونها ثم قال ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريقة
الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صالُ بالضم على انه جمع
محمول على معنى مَن ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل
على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به

باله فان اصلها بالية كعافية وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملئكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملئكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزه فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من النبي والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيمة وانا لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اي مشركوا قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اي لما جاءهم من الذكر هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التاييد والنصرة والثواب في الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثر فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت اخر وتول عنهم

حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى التاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من انبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى اخر السورة وعن النبي عليه السلام من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	ثمان وثمانون اية

ص وقرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل انه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القران بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر على تاويل الكتاب والقران ذي الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة خبر المحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظمة او الشرف والشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه

كم أهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا
فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين
حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد
كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين
وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب
باضماره اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدا محذوف
الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر
كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان
لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام
لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله
اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما
من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن
ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء
كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه
ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره
الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون
زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا
ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون
وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم
جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقول
على الله اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت لهم
لواحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه
اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة
وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رض شق ذلك
على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت
ما فعل هولاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال هولاء قومك يسالونك السواء
فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه الصلوة والسلام ماذا يسالونني قالوا
ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم
ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك

وانطلق الملا منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب
بعد ما بكتهم رسول الله ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا
واثبتوا على الهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة
لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق
الاندفاع في القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه
الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وتمشون ان اصبروا ان هذا لشيء
يراد ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا
الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب
والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم
ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة الاخرة في الملة التي ادركنا عليها
اباءنا او في ملة عيسى التي هي اخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون
حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة
المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه ءانزل عليه الذكر من بيننا انكار
لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا
نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدا
تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك
من ذكري من القران او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل
وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق
بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى
انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم
خزائن رحمة ربك بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها
من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى
ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه
العزيز اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء
لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما كانه
لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية
لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو
جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب
جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل
بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من
يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد

بالاسباب السماوات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم
مكسور عما قريب فمن اين لهم تدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية
او فلا تكترث بما يقولون وما زائدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما
وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلايم ما بعده وهنالك الى حيث وضعوا
انفسهم من الانتدابات بمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها
بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البيت المطنب
باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد
يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه
اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب
الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب يعني المتحزبين
على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان
لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد ليكون
تسجيلا على استحقاقهم العذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما
مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هولاء
وما ينظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم
في علم الله الا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف
مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فان فيه يرجع اللبن
الى الضرع وقرا حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا
عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به او الجنة التي تعد
للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة
من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم
الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا
داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاص
بعظايم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل منزلته ووبخه الملئكة بالتمثيل
والتعريض حتى تفطن واستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان
او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على
اهمال عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد القوة يقال فلان ايد وذو
ايد واد وآياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل
للايد ودليل على ان المراد به القوة في الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما

ويقوم نصف انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال
وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح
حالا بعد حال بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس
اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال
شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هاني انه صلى الله تعالى عليه وسلم
صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت
صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم
يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا
وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب كل واحد من الجبال
والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح فالفرق بينه وبين ما قبله انه يدل
على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منها ومن داود
مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود
وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل ان رجلا ادعى بقرة على اخر وعجز عن البيان
فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه
غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته واتيناه الحكمة النبوة
او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق
عن الباطل او الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير
التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف
والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه
يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب
القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف
كلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك
نبا الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم
في الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا
سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف
اي نبا تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبا على ان المراد به الواقع في عهد
داود عليه السلام وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة
نبا الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول
عليه الصلوة والسلام لم يكن حينئذ اذ دخلوا على داود بدل من الاولى
او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب
والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه السلام

جزاء زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال
بخاصته فتسور عليه ملائكة على صور الانسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف
خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى
بعضنا على بعض على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور
فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط
والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه
وهو العدل ان هذا اخي بالدين او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي
نعجة واحدة هي الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المراة والكناية
والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بكسر النون فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني
اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي نصيبي وعزني في الخطاب
وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده وفي مخاطبته
اياي في الخطبة يقال خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني
في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف غزيت
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به
المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه
او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته
الى مفعول اخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء
الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدي بعضهم على بعض وقرئ
بفتح الياء على تقدير نون الخفيفة وحذفه كقوله اضرب عنك الهموم
طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم
وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب وامتحناه بتلك الحكومة
هل تنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود
ركوعا لانه مبداه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي
الاستغفار واناب ورجع الى الله تعالى بالتوبة واقصى ما في هذه القصة
الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله تعالى
بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امراة
فعشقها وسعى حتى تزوجها وولد منها سليمان ان صح فلعله خطب
مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى
الانصار والمهاجرين بهذه وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا

وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هزاء وافتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه
من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته
مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم
وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله تعالى له فاستغفر ربه
مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا
لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن ماب مرجع في الجنة يا داود انا
جعلناك خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك
خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس
بالحق بحكم الله تعالى ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد
ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الاخر قبل مسالته
فيضلك عن سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين يضلون
عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم
وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه
او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى
الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين
كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين
كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية
بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي
في قوله ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين
والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون
تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين اخرين يمنعان التسوية من الحكيم
الرحيم والاية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان
يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه او في غيرها
وذلك يستدعي ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه
اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا اياته
ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني

المستنبطة وقرئ لتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك
وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو
كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل
فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به
العقل ولعل التدبر للاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمن نعم العبد
اي نعم العبد سليمن اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب
رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب
او لنعم والضمير لسليمان عليه السلام عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات
الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات
المحمودة في الخيل لا تكاد تكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود
وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل جمع جيد روي
انه عليه السلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها
ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت
الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها
تقربا الى الله تعالى فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت
ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته
وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اي برك وحب الخير
مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها
خيرا لتعلق الخير بها قال صلى الله تعالى عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير
الى يوم القيمة حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس شبه غروبها
بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها ردوها علي
الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ بمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق
اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه
وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤوق
على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسؤوق كما في سؤسي
وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمن
والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه
قال لاطوفن على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله
ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة جاءت بشق رجل
والذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن
فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب

فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله
تعالى وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة
فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها
صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها يسجدن لها كعادتهن
في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة باكيا
متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه
وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر
واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه
في كل شئ الا فيه وفي نسائه وغير سليمن عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم
فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت يتكفف حتى
مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف
الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به
وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه
لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ
التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة
لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح
لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال
على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة
وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب
تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة انك انت الوهاب المعطي ما تشاء
لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح
تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته
كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطا
الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه
وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة
استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض
في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن
تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد
وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط المنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا
صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة هذا اي

الذي أعطيناك من الملك والبسطة والتسليط على ما لم يسلط به غيرك
عطاؤنا فامنن أو أمسك فأعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب
حال من المستكن في الامر أي غير محاسب على منّه وامساكه لتفويض التصرف
فيه اليك أو من العطاء أو صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جمّ
لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك
اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له
من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا أيوب
هو ابن عيص بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه بدل
من عبدنا وأيوب عطف بيان له أني مسني بأني مسني الشيطان
بنصب بتعب وعذاب ألم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاه
لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل
بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله أو استغاثه مظلوم فلم يغثه وكانت
أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه أو لسؤاله امتحانا
لصبره فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة للادب أو لانه وسوس الى اتباعه
حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم أو لان المراد من النصب والعذاب
ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة
ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين
وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما
اجيب به أي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب أي
أي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل أي ماء تغتسل به وتشرب منه
فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل
من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له أهله بان جمعناهم عليه بعد
تفرقهم أو احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له
ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا
لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى الله تعالى فيما يحيق بهم وخذ بيدك
ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه
فاضرب به ولا تحنث روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة
بنت افرايم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برأ
ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود
انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه
الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء

مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه أو قومه في الدين نعم العبد أيوب
انه أواب مقبل بشراشره على الله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق
ويعقوب وقرأ ابن كثير عبدنا على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له
واسحق ويعقوب عطف عليه أولي الايدي والابصار أولي القوة في الطاعة
والبصيرة في الدين أو أولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي
عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها أقوى
مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم
بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار
تذكرهم للآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم
فيما يأتون ويذرون جوار الله تعالى والفوز بلقائه وذلك في الآخرة
واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع
بخالصة الى ذكرى للبيان أو لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين
عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خيّر وخير على تخفيفه كاموات
في جمع ميت أو ميت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه
الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام كما في قوله رأيت الوليد
ابن اليزيد مباركا وقرأ حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من
ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف
في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل
بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل أي وكلهم
من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم أو نوع
من الذكر وهو القرآن ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال
وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن مآب
وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده
وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما في
للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو انهما
خبران لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب
حالان متعاقبان أو متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل
والاظهر ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره
وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب لداتهن
فان التحاب بين الاقران اثبت أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه

من التراب فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب
لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء
ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اي الامر هذا
او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق
يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد المهد والمفرش مستعار من فراش
النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا
فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان
يكون مبتدا خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اي هو حميم
والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها
واخر اي مذوق او عذاب اخر وقرا البصريان أُخَر اي ومذوقات او انواع
عذاب من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير
على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر
وهي لغة ازواج اجناس خبر لاخر او صفة له او للثلثة او مرتفع بالجار والخبر
محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين
اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة
والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج
او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا رحبا وسعة انهم صالوا النار
داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اي الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم
بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا
قدمتم العذاب او الصلي لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتم من العقائد الزائغة
والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع ايضا
ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اي اضعف
وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقولهم ربنا آتهم ضعفين من
من العذاب وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم
من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم
اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة
الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لهم في الاستسخار منهم وقرا نافع
وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين ام زاغت
مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد
نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم
على القراءة الثانية اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان

زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم او مقطوعة والمراد
الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم
وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد
ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق
او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين
انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة
والكثرة في ذاته القهار لكل شيء رب السموات والارض وما بينهما منه
خلقها واليه امرها العزيز لا يغلب اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء
من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد
للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو اليه هو
الانذار قل هو اي ما انبأتكم به من اني نذير من عقوبة من هذه صفته
وانه واحد في الالوهية وقيل ما بعده من نبأ آدم عليه السلام نبأ عظيم
انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف
وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لي
من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى
بينهم على ما وردت في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور
الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى ان يوحى
الي الا انما انا نذير مبين اي لان ما كانه لما جوز ان الوحي ياتيه بين
بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع
باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملائكة
اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي
دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم عليه السلام
واستحقاقه الخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء
بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل ما حاق ابليس على استكباره على آدم عليه السلام
هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى
بما يعم الله تعالى والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته
بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا
له ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد الملائكة كلهم
اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين باستكباره
عن امر الله تعالى او استكباره عن المطاوعة او كان منهم في علم الله تعالى قال

يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام
والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار
عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث به في تركه وهو
لا يصلح للمانعية اذ للسيد ان يستخدم لبعض عبيده سيما وله مزيد اختصاص
استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا
واستحق التفوق وقيل استكبرت الان ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ
استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه
ابداء للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام
فيه قال فاخرج منها من الجنة والسماء او من الصورة الملكية فانك رجيم
مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب
فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه
في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الضلالة
او اخلصوا قلوبهم لله تعالى على اختلاف القرائتين قال فالحق والحق اقول
اي فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف
حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملئن جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب
محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول
على الابتداء اي الحق يميني او قسمي او الخبر اي انا الحق وقرئا مرفوعين
على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار
حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو
سائغ فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثاني
وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد
منك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له
او للضميرين قل ما اسألكم عليه من اجر اي على القران وتبليغ
الوحي وما انا من المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله
على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة والتقول القران ان هو الا ذكر
عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد
والوعيد او صدقه باتيان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم
القيمة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي عليه السلام من قرأ سورة ص كان له
بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	خمس وسبعون آية

تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم
وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة
او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القران
وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره
وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء
وقرئ برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر
لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه
مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص
اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة فانه المتفرد
بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين اتخذوا
من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة
وعيسى عليهم السلام والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين
من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله يحكم بينهم وهو متعين
على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة
وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا
حكاية لما خاطبوا به الهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه
يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة
ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم
ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار
فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق
ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق لقيام الدلالة على امتناع
وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين
ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله
سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب
المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان

كل واحد من الشيئين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية
المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى ثم استدل على ذلك
بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار
على الليل يغشى كل واحد منهما الاخر كانه يلف عليه لف اللباس
باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا
متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن
الغالب على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما
في الصنايع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل
منها زوجها نوع استدلال اخر بما اوجده في العالم السفلي مبدوا به
من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلث
دلالات خلق ادم اولا من غير اب وام ثم خلق حوا من قصيراه ثم
تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة
نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها
زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الايتين فان الاولى عادة
مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه حواء
وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من
حيث كتب في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب
والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر
والضان والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر
من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غير انه غلب
اولي العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصود خلقا من بعد خلق حيوانا
سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ
من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم
والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم اي الذي هذه افعاله
الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا
تشاركه في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى
الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده
الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب
فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي باشباع
ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو

ويعقوب

ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم
مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم
بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان
ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدا
الكل منه ثم اذا خوله وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان
يدعوا اليه اي الضر الذي كان يدعوا الله الى كشفه او ربه الذي كان
يتضرع اليه وما مثله الذي في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل
من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرا ابن كثير
وابو عمرو وورش بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة
جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا
امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهي لا سند له واقناط للكافرين
التمتع في الاخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل
الاستيناف للمبالغة امن هو قانت قائم بوظائف الطاعات
اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت
او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن هو بضده وقرا الحجازيان وحمزة
بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل له اندادا ساجدا وقائما
حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين
الصفتين يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه في موقع الحال او الاستيناف
للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي
لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار القوة العملية
على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه
اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون
انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام
قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين احسنوا
في هذه الدنيا حسنة اي للذين احسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة
حسنة في الاخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة
والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر
عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه
انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة
الاوطان لها اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب
وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة

والحج فيوفون بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر
صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله
مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت
بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان قصب السبق
في الدين بالاخلاص ولانه اول من اسلم وجهه لله من قريش
ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة
والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان
يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبق في الدين ويجوز ان
يجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص
والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت
ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب
يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار
عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه
مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا
لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه
تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الذين
خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين
يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم
لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا
من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك
هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير
بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم
ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار
هي ظلل للآخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي
يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عبادي فاتقون ولا تتعرضوا لما
يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان
فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت
ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها
بدل اشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه
لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه
الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد
في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل
اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب
العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان
الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب
افانت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه
الكلام تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه
فكررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع من في النار
موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه
لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول في دعائهم الى الايمان سعي
في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستانفة
للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم
غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت
بناء المنازل على الارض تجري من تحتها الانهار اي من تحت تلك
الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى الوعد
لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله محال الم تر ان الله
انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في الارض هي عيون
وانهار كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع
فنصبها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه
من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم
جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من
يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد
من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل للحيوة الدنيا فلا تغتر بها لاولي
الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام
حتى تمكن فيه تيسر عبرته عن خلق نفسه شديد الاستعداد لقبوله عن
معاينة عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق
للنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء
الى الحق وعنه عليه السلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل
فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب
للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم

من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من
لان القاسي من اجل الشي اشد اباء من قبوله من القاسي عنه
بسبب اخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهولاء بالامتناع
ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه
اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادي نظر والاية نزلت في حمزة
وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القران
روي ان اصحاب رسول الله ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت
وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تاكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل
واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن او حال منه
وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة
على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف به
كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران سور وايات والانسان عظام
وعروق واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا
حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما
فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه
من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب
قمطر من القمط وهو الشدة ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة
وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته
سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان
وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها او الكاين نحو
من الخشية والرجا الى ذلك اي الكتاب هدى الله يهدي به
من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه
من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله درقة يقي به نفسه لانه يكون
مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب
يوم القيمة كمن هو امن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره
وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم
واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله
والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها
فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل
والسبي والاجلاء ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا

يعلمون لو كانوا من اهل النظر والعلم لعلموا ذلك واعتبروا به
ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل يحتاج اليه الناظر
في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرانا عربيا حال من هذا
والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاء زيد رجلا صالحا او مدح له
غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما وهو ابلغ من المستقيم واخص
بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله وقد اتاك يقين غير ذي
عوج من الاله وقول غير مكذوب تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم
يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا للمشرك
والموحد فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل مثل المشرك
على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته
ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في
مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد من اخلص لواحد ليس
لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس
والتشاخس الاختلاف وقرا نافع وابن عامر والكوفيون سلما
بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون العين وثلاثتها مصادر
سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل سالم اي وهناك رجل سالم
وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا
ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع
او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان
التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على
الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم
لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون
فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون
لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيمة
عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد
وكانوا على الباطل في الشرك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا
في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا
اباءنا وقيل المراد به الاختصام العام تخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار
بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه
وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عليه السلام اذ جاءه من غير توقف
وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة

لا عما لهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة
فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجاه
ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به
للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون
وقيل هو النبي والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا موسى
الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق هو
ابو بكر وذلك يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به
بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا
بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق على البناء للمفعول لهم
ما يشاؤن عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم
ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر
كان غيره اولى بذلك وللاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون
انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم
ويجوز ان يكون بمعنى السيئ لقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان
وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي
كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه
لفرط اخلاصهم فيها أليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي
مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة
والكسائي عباده وفسر بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه يعني
قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا لعيبك اياها وقيل انه
بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها ان لها شدة فعمد
اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر له بما خوف
عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع
ولا يضر فما له من هاد يهديهم الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل
اذ لا راد لفعله كما قال أليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم
من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل أفرأيتم ما تدعون من دون
الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارأيتم بعد ما تحققتم ان
خالق العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبني ضرا هل يكشفنه
او ارادني برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكها عني وقرأ ابو عمرو
كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته

قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر
الذي لا مانع لما يريده من خير او شر روي ان النبي عليه السلام سألهم
فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها
من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم ان
الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير
كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرأ ابو بكر مكاناتكم اني عامل
اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار
بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم
بكونه منصورا عليهم بالدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل
عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب
للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق
ملتبسا فمن اهتدى فلنفسه اي نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل
عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم
لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان بان يقطع
تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا
لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن
وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع
ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت
المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس
فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحيوة فيتوفيان
عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك
من التوفي والامساك والارسال لآيات على كمال قدرته وحكمته وشموله
لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت
وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة
في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي آجالها ام اتخذوا
بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون ايشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم
جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به

وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة
كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال
له ملك السموات والارض فانه مالك الملك كلها لا يملك احد ان يتكلم
في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك
له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين
لا يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين من دونه يعني
الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله
ولقد بالغ في الامرين حتى ذكر الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه
سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم
وجهه والعامل في اذا المفاجاة قل اللهم فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في امرهم وضجرت
في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال
كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك
تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وعيد شديد واقناط كلي
لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة
فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيئات
ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق بهم
ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا
اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده
بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله
وحده ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره
دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم
ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به
قال انما اوتيته على علم على علم مني بوجوه كسبه او باني سأعطاه لما لي
من استحقاقه او من الله لي واستيجابي والهاء لما ان جعلت موصولة
والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان له ايشكر
ام يكفر وهو رد لما قاله وتانيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ
بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس
قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم عندي لانها كلمة
او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله

ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه
سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك
والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض
سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم
قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين بفائتين
اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم
الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد
تخصيصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا من رحمة الله
لا تيأسوا من رحمة الله ومغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب
جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على
اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك الآية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة
الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما
في عبادي من الدلالة على الذل والاختصاص المقتضي للترحم وتخصيص
ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا
عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله
موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد
بالجميع وما روي انه عليه السلام ما احب ان لي الدنيا وما فيها بها
فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن
اشرك ثلاث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد
الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا
الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد في جماعة فتنوا
فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له
من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول
لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص
في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا احسن ما انزل اليكم
من ربكم القرآن او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص
او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة

على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه
فتتداركون ان تقول نفس كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القايل
بعض الانفس او للتكثير كقوله ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم
ينفض الراس مغضبا يا حسرتا وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت
بما قصرت في جنب الله في جانبه اي في حقه وهو طاعته قال سابق
البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع
وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة والندى في قبة
ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل
في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت
لمن الساخرين المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه
قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق
لكنت من المتقين الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب
لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على
انه لا يخلو عن هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك
اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه
لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه
يفرق القراين وتاخير المجدد يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر
بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله
في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب
على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيمة ترى الذين كذبوا
على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة كائنا لهم
من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى
من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى مقام
للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله
الذين اتقوا وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها
بالنجاة تخصيصها باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها
على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه
والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير
وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات
والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية

عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزاين
لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد
من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير
وعن عثمان رضي الله تعالى عنه انه سال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده
استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن
بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه
الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم به
اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي
الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على
افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله
وفي هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد
قضية الكرم او بما يليه والمراد بايات الله دلايل قدرته واستبداده بامر السموات
والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذو حظ من رحمة
من الثواب قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي افغير اعبد
بعد هذه الدلايل والمواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به
عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم
ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني
على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله احضر الوغى
ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تامرونني باظهار النونين
على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك
والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل
واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد
واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط
يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد
بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب
على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم
على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليه
وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا

عظمته في انفسهم حتى تعظيمه حيث جعلوا له شركا وصفوه بما لا يليق به
وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها
الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون
شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين
حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض
اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر
او بتقدير ذات قبضته وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت
بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع
ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات
معطوفة على الارض منطوية في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون
ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته من اشراكهم او ما يضيفون اليه
من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الاولى فصعق من في السموات
ومن في الارض خر ميتا او مغشيا عليه الا من شاء الله قيل
جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وحملة العرش ثم نفخ فيه
اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول ونفخ في الصور نفخة
واحدة كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام
قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون
وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين
او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل
سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث
الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها
بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه ووضع الكتاب الحساب
والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال
في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به
الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين
وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وزيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس
ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم ثم فصل
التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها
في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع

الجمع

الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو
عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة حتى
اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرأ
الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا
الم يأتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه
لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ
الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله
بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر
فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها
ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس
والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار
لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم
فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله اذا
خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال
اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار
حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة اسرع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب
بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا
جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم من الكرامة
والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين
وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم
بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين
الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع
دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه
على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف
فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ
كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات
معنوية لا يتمانع واردها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين

محفوفين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف
يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى
ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات
العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق
اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم
في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على قضائه
بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم
عن النبي عليه السلام من قرا سورة لم يقطع الله رجاه يوم القيمة واعطاه الله
ثواب الخائفين وعنه عليه السلام كان يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية — بسم الله الرحمن الرحيم — خمس وثمانون آية

حم امال ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش
وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين او نصب
باضمار اقرا ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل
وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في
القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب
والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة حقيقية على انه لم يرد بها
زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام
للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم
وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة
او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر
هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب
كمن لا ذنب له فان التوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل
بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة
دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير
فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما حقق
امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق واما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه
وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك

قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه
على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم
وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم ماخوذون عما قريب
بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم
والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت
كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته
بما ارادوا من تعذيب وقيل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل
بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهمهم
فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه
تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين
كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال
على ارادة المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات
الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له
او كناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره
يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام
وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به
اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به
بقوله ويستغفرون للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش
في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة
والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب
النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما
قال انما المؤمنون اخوة ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون
او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن
اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة
لانها المقصود بالذات هنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم
عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا
وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم
وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم معهم هؤلاء ليتم سرورهم
او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد
انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه

حكمته ومن ذلك الوفا بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات
وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا كقوله ومن
تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في
الاخرة لانهم طلبوا السبب بعد سالوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم
يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة
فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم
انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه
المقت الاول لا له لانه اخبر عنه وقد فصل بينه وبين اذ خبره اكبر فلا يجوز
ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الى
ان يول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد
قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا
عند انقضاء اجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة ابتداء او كالتصغير
والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير
فاختيار الفاعل احد مفعوليه تصيير وصرف له عن الاخر واحييتنا اثنتين
الحياة الاولى وحياة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية
في القبر بعد الاحياء للسوال والاحيا اما في القبر والبعث والمقصود اعترافهم
بعد المعاينة بما غفلوا عنها ولم يكترثوا به ولذلك تسبب قوله فاعترفنا
بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم البعث فهل
الى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما
يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم الذي انتم فيه
بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده متوحدا او توحد وحده فحذف الفعل
واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك
فالحكم لله المستحق للعبادة العلي الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره
حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة
بالعذاب السرمد هو الذي يريكم اياته الدالة على التوحيد وساير ما يجب
ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر
مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالايات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها
المعقول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى الا من ينيب يرجع
عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه
فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم
وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران اخران للدلالة على علو صمديته

من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفعت
درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم
الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات
او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع
بالنصب على المدح يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده خبر رابع
للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار اثارها وهو الوحي
وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه لانه بالخير
او مبتدأ والامر هو الملك المبلغ يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية
لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب
يويد الثاني يوم التلاق يوم القيمة فان فيه تتلاقى الارواح والاجسام
واهل السموات والارض والمعبود والعباد والاعمال والعمال يوم هم
بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء او ظاهرة
نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء
من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم
في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسال عنه في ذلك
اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب
وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد
والاعمال هيئات توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق
تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم
بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان
عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الازفة اي القيامة
سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة الازفة وهي مشارفتهم النار وقيل
الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم
فلا تعود فيروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال من اصحاب
القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها في لدى وجمعه
كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين
او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق
ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضماير ان كانت للكفار وهو الظاهر
كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه
لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم

واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفي الصدور من الضمائر والجملة
خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي
بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه والذين
يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي
او لا يقضي وقرا نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله
هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولونه
ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل
قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل
وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول
اللام عليه وقرا ابن عامر اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع
والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم
الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك
الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والاحكام الواضحة
فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب
لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني المعجزات
وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين
او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان عاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم
بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين
آمنوا معه واستحيوا نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون اولا لي
يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع
ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون
ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو
ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه
سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف منه او ظن انه لو حاوله
لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه
اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادتي
وعبادة الاصنام لقوله ويذرك والهتك وان يظهر في الارض الفساد
ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية

وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير
وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال
موسى اي لقومه لما سمع كلامه اني عذت بربي وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان السبب
المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ
والتربية واضافته اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح
من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة
ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
عذت فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن
من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل
اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله
ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتامل في امره
ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات
المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم
بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم
بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه
وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي
يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهارا
للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم
من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم
وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض
النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو
مسرف كذاب احتجاج ثالث بعلة ذات وجهين احدهما انه لو كان
مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان
من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول
وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب
لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين
غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا
اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا
منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليريهم
انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم

الا ما ارى واستصوبوا به من قبله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت
من الصواب او قلبي ولساني متواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب
وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد
او من رشد بالكسر كالعواد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة
الى الرشد كعواج وثبات وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم
في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني
وقايعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب قوم نوح
وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دايبا من الكفر وايذاء الرسل والذين
من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب
ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد
من حيث ان النفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة
او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار
كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض
كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين
عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه
ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب
على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد او سبط
يوسف بن ابراهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات
بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة
من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ
ألن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال
يضل الله في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات
لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في ايات الله بدل
من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد
او شبهة داحضة اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا فيه ضمير من
وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدا وخبره على حذف مضاف اي
وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان كذلك اي كبر مقتا
مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استينافا
للدلالة على الموجب لجدالهم وقرا ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين

على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقوله رات عيني وسمعت اذني او على
حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان
ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب
الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم
لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على
ابلغ وقرا حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا
في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل
على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه او ان يرى
فساد قول موسى بان اخباره من اله موسى يتوقف على اطلاعه ووصوله
اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان
وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة
وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل
سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ زين
بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرا الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد
على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات
والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وقال الذي
امن يعني مؤمن ال فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعوني اهدكم بالدلالة
سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه
فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير
لسرعة زوالها وان الاخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى
الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل
صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه
ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء اسمية مصدرة باسم الاشارة
وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة
على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة
واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه
على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف
على الاول فان ما بعده ايضا يفسر لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او
على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية

بالتعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم
والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان
وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة
والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة
على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق
وفاعله انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة اي
حق عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي
ما له ههنا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم
بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له
بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى
القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع
لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا
ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا
الى الله بالموت وان المسرفين في الضلال والطغيان كالاشراك
وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر
بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض
امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم وكانه
جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم
وقيل الضمير لموسى وحاق بال فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم
عن ذكره للعلم انه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل
فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم
سوء العذاب الغرق والقتل او النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
جملة مستانفة او النار خبر محذوف ويعرضون استيناف للبيان
او بدل ويعرضون حال منها او من الال وقرئت منصوبة على الاختصاص
او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم
بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم
لما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة
وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه دليل
على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت
الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا ال فرعون يا ال فرعون
اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم

وقرا نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم
النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه
على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا
اتباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول
لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين
استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن
انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض المضاف اليه
ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة
كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم
بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه
وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير
للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون ابعد دركاتها من قولهم بئر
جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب
شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب
بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم للحجة
وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا
بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن في الدعاء لامثالكم وفيه
اقناط لهم من الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب
انا لننصر رسلنا والذين امنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة
في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض ذلك
بما كان لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد
جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة
على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن
لهم فيعتذرون وقرا غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة
ولهم سوء الدار جهنم ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين
من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا
عليهم من بعده من ذلك التوراة هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا
ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين

ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر
لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام
بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك بالنصر واظهار الامر وسبح
بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل
صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا
ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان عام في كل مجادل
مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا
بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر ويسير معه الانهار
ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة
الرياسة او ان النبوة والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات
او المراد فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها
اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان
لتمسك ما يجادلون فيه من امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط غفلتهم واتباعهم لهواهم وما يستوي
الاعمى والبصير الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء
والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما
بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له
من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه
الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل
وما يتذكرون اي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ
الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة
ان الساعة لآتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع
الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها
لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني
استجب لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعا بالسؤال كان الاستكبار
الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعا فانه من ابوابها
وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى
ضعف الحركات وهدء الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد

الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله
لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل
ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم
وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية
للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة
تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص
فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى
تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره
كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي كما افكوا افك
عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتاملها الله الذي جعل لكم الارض
قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم
فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء
والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات
اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب
مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المنفرد بالحياة الذاتية لا اله الا هو
اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه
مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين
قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني
البينات من ربي من الحجج والآيات او من الآيات فانها مقوية
لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له
واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم
ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا
وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع
وابو عمرو وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيوخا بالكسر وشيخا
كقوله كفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد
ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيامة ولعلكم تعقلون
ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا
اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة
والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي
قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون في

ايات الله اي يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد
المجادل او المجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقران
او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب
او الوحي والشرايع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم
ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ الماضي لتيقنه
والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدا خبره يسحبون في الحميم والعائد
محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون
بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول والسلاسل بالجر حملا على المعنى
اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمار الباء ويدل
عليه القراءة به وعطف الفعلية على الاسمية ثم في النار يسجرون يحرقون
من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه يسجر بالحب اي
والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض
ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا
وذلك قبل ان تقرن بهم الهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم
بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا
بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك
مثل ذلك الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم
في الاخرة او يضلهم عن الهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال
بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك
والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب
للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم
خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان
مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود
سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار حق كائن
لا محالة فاما نرينك فان نرينك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك
لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل
والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم
باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك
ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا
نعذبهم في الاخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع
في هذا العرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك

ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون
الفا والمذكور قصتهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن
الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم
اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله
بالعذاب في الدنيا والاخرة قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب المبطل
وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الايات بعد ظهور ما يغنيهم
عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان من
جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها
منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال
على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز
الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها
قد تكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة
ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته فاي ايات الله
اي اي اية من تلك الايات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار
وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء
اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة
واثارا في الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوها وقيل اثار اقدامهم
في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية
او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات
فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم
الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الاخرة وهو قولهم
لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم
تهكما بهم او من علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء
وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم
فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم
واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا
بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا

لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى
لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما
جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيات لان رؤية البأس مسببة
عن مجيء الرسول وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية
سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي
من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم
البأس اسم مكان استعير للزمان عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة حم السجدة مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	اربع وخمسون آية

حم ان جعل مبتدأ خبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته
تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره
كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر محذوف ولعل افتتاح هذه السور
السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم
والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح
الدينية والدنيوية فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ
فصلت اي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت
بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت
وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون العربية او اهل العلم
والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى
لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع
على الصفة لكتاب او الخبر المحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله
فهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر
ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب
مبتدئ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه
تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم له
وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على دينك او في ابطال
امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا

ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة
في العمل وقد يدل عليه دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا
في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل
واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال
وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون
الزكاة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه
دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي
انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون حال مشعرة
بان امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن
واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى
والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في مقدار يومين او بنوبتين خلق
في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل
من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا
ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته
وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض
في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها
وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج
عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للناظر ما فيها من وجوه الاستبصار
وتكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها
انواع النبات والحيوانات وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين
لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل
قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة
اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر
ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين
والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام
ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها
وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف وتقديره هذا الحصر
للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات
للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى

الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم
لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك
دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني
ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت فيها فقال لها
وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التاثير والتاثر وابرزا ما اودعتكما
من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق
السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء
حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او لتات
كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة واتيا
من المواتاة اي لتوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها
شئتما او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات
الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا
طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تاثير قدرته فيهما
وتاثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع
كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب
انما يتصور على الوجه الاول والاخر وانما قال طائعين على المعنى باعتبار
كونهما مخاطبين كقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين فقضاهن
سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى
او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل
خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء
امرها شانها وما يتاتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى
الى اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى
كانها تتلالا عليها وحفظا وحفظناها من الافات او من المسترقة حفظا
وقيل مفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة
وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا
عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم
عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة
مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا
فصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله
صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم
من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي

بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم
في الاخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم وقد بلغهم
خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتاخرين داعين لهم الى الايمان
بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى ياتيها رزقها
رغدا من كل مكان الا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا
قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به
على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا
من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل
ينزع الصخرة فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم
قوة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه
غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف
على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها
من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير
في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرا الحجازيان
والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر
قيل كن اخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء
لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو
الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الاخرة اخزى وهو في الاصل
صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة
وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم
على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر
يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى
فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة
من السماء فاهلكتهم واضافها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة
بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين امنوا وكانوا
يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ نحشر
على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرا نافع نحشر بالنون مفتوحة
وضم الشين ونصب اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم لئلا
يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاءوها اذا حضروها وما
مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم

وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها اثارا تدل على
ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
سوال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله
الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق
كل شيء او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول
الجواب والنطق بدلالة الحال لبقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم
اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون
استينافا وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم
اي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة
وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم بما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان
المومن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم
ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم
اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم
خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارديكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين
اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين
فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا
يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين
اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ
وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم
فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخوانا
من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر
وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم
من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الاخرة وانكاره
وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله ان اك
على احسن الصنعة مافوكا ففي اخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور
قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا
خاسرين تعليل لاستحقاقهم والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وعارضوه بالخرافات وارفعوا
اصواتكم بها لتشوشوا على القاري وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال
لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذا لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته
فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هولاء القائلون او عامة

الكفار ولنجزينهم اسوأ اسباب اعمالهم وقد سبق قبله الذي كانوا يعملون
اشارة الى الاسوأ ذلك جزاء اعداء الله جزاء النار عطف بيان للجزاء
او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك
في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة
جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي
هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن
والانس يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان
وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر
ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ في فخذ وقرأ الدوري
باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندسهما انتقاما منهما وقيل
نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين
قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل
وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة ولانها
عسير قلما يتبعه الاقرار وما روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة
من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فبيان لها
تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف
والحزن او عند الموت او الخروج من القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه
ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم
في الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كان الشياطين تفعل
بالكفرة وفي الاخرة بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم
ولكم فيها في الاخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون
ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم
حال مما تدعون للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر
ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته
وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين تفاخرا به واتخاذا
للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والاية عامة لمن
استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي عليه السلام وقيل في المؤذنين
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية
مزيدة لتاكيد النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك
بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا

او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف
على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك
صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي يلقى هذه السجية
وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها تحبس النفس
عن الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل
الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به
وسوسته لانها تبعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوأ وجعل نازغا على طريقة
جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره
ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك
ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما
مخلوقان مامووران واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة
والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار
ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود
عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة اخر الاية الاخرى لانه من تمام المعنى
فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له
بالليل والنهار اي دائما لقوله وهم لا يسامون اي لا يملون ومن اياته
انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى
التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت
بالنبات وقرئ ربأت اي زادت ان الذي احياها بعد موتها
لمحيي الموتى انه على كل شيء من الاحياء والاماتة قدير ان الذين
يلحدون يميلون عن الاستقامة في اياتنا بالطعن والتحريف والتاويل
الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم افمن يلقى
في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيمة قابل الالقاء في النار بالاتيان
امنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد
انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
بدل من قوله ان الذين يلحدون في اياتنا او مستانف وخبره محذوف
مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القران وانه لكتاب
عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتاتى ابطاله وتحريفه لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات
او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الاتية تنزيل من حكيم اي حكيم

حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اي ما يقول
لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار
قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه
وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول بمعنى
ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة
ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب لقولهم هلا نزل القران بلغة العجم والضمير للذكر
لقالوا لولا فصلت اياته بينت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي كلام
اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه
والكلام وهذه قراءة ابي بكر وحمزة والكسائي وقرا قالون وابو عمرو بالمد
والتسهيل وورش بالمد وابدال الثانية الفا وابن كثير وابن ذكوان
وحفص بغير المد بتسهيل الثانية وهشام اعجمي على الاخبار وعلى هذا
يجوز ان يكون المراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم
وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه
المحذور والدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت في الايات كيف جاءت
قل هو للذين امنوا هدى الى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك
والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدا خبره في اذانهم وقر على تقدير
هو في اذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم
عما يريهم من الايات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على للذين
امنوا هدى اولئك ينادون من مكان بعيد اي منهم تمثيل لهم في عدم
قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد اتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القران
ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ
او تقدير الاجال لقضي بينهم باستيصال المكذبين وانهم وان اليهود
او الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التورية او القران مريب
موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها
ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله اليه يرد
علم الساعة اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرة
من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرا نافع وابن عامر وحفص
من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية
ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون موصولة معطوفة على الساعة
ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع بمكان الا بعلمه

الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائي
بزعمكم قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة
اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد
يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من يشهد لهم
بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل
لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن
معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير
من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة
فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية
والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا
من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحقه لما لي
من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة تقوم
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ولئن قامت على التوهم
كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه
من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم
بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم
من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا على الانسان
اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد
عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار
بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين
فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل ارأيتم اخبروني ان كان
القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل
ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة
شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما
اخبرهم به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل
الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب
على وجه خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في
بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق
الضمير للقرآن او الرسول او التوحيد او الله اولم يكف بربك اي اولم يكف ربك

والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع
كفى انه على كل شيء شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى
على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق
سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او ولم يكف الانسان
رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية الا انهم في مرية
شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه
بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء
منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة الشورى مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	ثلث وخمسون آية

حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان
كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك
يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اي مثل ما في هذه السورة
من المعاني او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر
بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي
وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ
ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله
مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقرران لعلو شأن
الوحي به كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون
والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف
مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن
يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد وقرأ البصريان وابو بكر
ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهو مطاوع فطر وقرئ تتفطرن
بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ الانفطار
من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الآيات وادلها
على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن
بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي
مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة

وذلك في الجملة يعم المومن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما
يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمومنين فالمراد
به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ
من رحمة الله والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة
على تقديسه مما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة
الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه
اولياء شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم
فمجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكول بهم او بموكول اليه
امرهم وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا الاشارة الى مصدر يوحي
او الى معنى الاية المتقدمة فانه مكرر في القران في مواضع جمة فيكون الكاف
مفعولا به وقرانا عربيا حالا منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي
مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع فيه
الخلايق والاشباح والعمال والاعمال وحذف ثاني مفعولي الاول
واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرى لينذر بالياء والفعل
للقران لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير
اي بعد جمعهم في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم والضمير
للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وينذر
يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب
والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين
ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون
ما لهم من ولي ولا نصير اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل
المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا
من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولي جواب شرط محذوف
مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله الولي بالحق وهو يحيي الموتى وهو على
كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار
فيه من شيء من امر من امور الدين والدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه
يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه
من تاويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي
عليه توكلت في مجامع الامور واليه انيب ارجع في المعضلات
فاطر السموات والارض خبر اخر لذلكم او مبتدا خبره جعل لكم وقرئ
بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا

تشاء ومن الانعام ازواجا اي وخلق الانعام من جنسها ازواجا
او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء
وهو البث وفي معناه الذرو والذر فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس
والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس
كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله
ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه
فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره
قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر
لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله
غير انه اكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع
البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيته
انه بكل شيء عليم فيفعله فيما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى اي
شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرائع
وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو
الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب على البدل
من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك
المشروع او الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا
في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلف كما قال لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد
الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين
ويهدي اليه من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل
اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول
او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليهما
بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك
بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة او اخر اعمارهم المقدرة لقضي
بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين
اوتوا الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول
او المشركين الذين اورثوا القران من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا

لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان
او من القران مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك
التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق الى الملة
الحنيفية او الاتباع الى ما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى
لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله
ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب
يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض
وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة
الى كمال القدرة النظرية وهذا اشارة الى القدرة العملية الله ربنا
وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وكل مجازى
بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق
للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة
واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الاية ما يدل على متاركة
الكفار راسا حتى تكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون في الله
في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس
ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر
او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به
حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب لمعاندتهم ولهم
عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب
بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام
والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس
او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن اوحى باعدادها وما يدريك
لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب
على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى
جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة
بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين آمنوا
مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب ويعلمون
انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون
فيها من المرية او من مرية الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب
لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة
لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات

ومن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه الله لطيف بعباده
برهم بصنوف من البر لا تبلغها الافهام يرزق من يشاء ان يرزقه كما
يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي
الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة
ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك
قيل الدنيا مزرعة الاخرة والحرث في الاصل القاء البذر في الارض يقال
للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطه بالواحد عشرا الى سبعمائة
وما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له
وما له في الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ام لهم
شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا لهم
بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا
وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع
اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم لما تدينوا به وصورة من سنه لهم
ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصل
يكون يوم القيمة لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين والمشركين وشركائهم
وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطف على كلمة الفصل
والتقدير عذاب الظالمين في الاخرة وفي الدنيا فان العذاب الاليم غالبا
في عذاب الاخرة ترى الظالمين في القيامة مشفقين خائفين مما كسبوا
من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا
والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها
وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم
ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما
لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ذلك الثواب الذي يبشرهم به الله عباده فحذف الجار ثم العائد او ذلك
التبشير الذي يبشر الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي
يبشر من بشره قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة
اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا
قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة
وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في اهلها
او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله
روي انها لما نزلت قيل يا رسول من قرابتك من هولاء قال علي وفاطمة

وابناءهما وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في
تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف
حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب ال الرسول وقيل نزلت
في ابي بكر ومودته لهم نزد له فيها في الجنة حسنا بمضاعفة الثواب
وقرئ يزد اي يزد الله حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن
اطاع الله بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل يقولون
افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوة النبوة او القران فان يشا الله
يختم على قلبك استبعاد للافترا عن مثله بالاشعار على انه انما يجترى
عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا البصيرة ومعرفة
فلا وكانه قال ان يشا الله خذلانك يختم على قلبك لتجترى بالافترا عليه
وقيل يختم على قلبك يمسك القران والوحي عنه او يربط عليه بالصبر
فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم
بذات الصدور استيناف لنفي الافترا عما يقوله فانه لو كان مفترى
لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعده
بمحق باطلهم واثبات حقه بالقران او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو
من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى
الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة
وعن علي رضي الله تعالى عنه هي اسم يقع على ستة معان على الماضي
من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس
في الطاعات كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها
حلاوة المعصية والبكا بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها
وكبيرها لمن يشا ويعلم ما يفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة
وقرا حمزة وحفص والكسائي ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين امنوا
وعملوا الصالحات اي ويستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في
واذا كالوهم والمراد اجابة الدعا والاثابة على الطاعة فانها كدعا وطلب
لما رتب عليه ومنه قوله عليه السلام افضل الدعا الحمد لله او يستجيبون له
بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سالوا واستحقوا
واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمومنين
من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلا واستعلا

وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتصار فيما يتحرى كمية او كيفية
ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشا ما اقتضته مشيئته انه بعباده خبير
بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شانهم
روي ان اهل الصفة تمنوا الغنا فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا
تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي
يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرا نافع وابو عمرو وعاصم
ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرئ بكسر النون وينشر
رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي
الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك
ومن اياته خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على
وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او خلق
من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض
وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشا
في اي وقت يشا قدير متمكن منه واذا كما يدخل الماضي يدخل المضارع
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء
لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما
في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها
والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها
تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي
عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير
يدفعها عنكم ومن اياته الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام
كالجبال قالت الخنسا وان صخرا لتاتم الهداة به كانه علم في راسه نار
ان يشا يسكن الريح وقرا نافع وحده الرياح فيظللن رواكد
على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في ايات الله والتفكر
في الائه او لكل مومن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد
اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه
على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق
ناسا بذنوبهم وينجي ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستيناف
ويعلم الذين يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم

ويعلم او على الجزاء ونصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا
غير واجب وقراء نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم
عطفا على يعف فيكون المعنى او الجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير
آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل
فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة حياتكم وما عند الله
من ثواب الآخرة خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه وما الاول موصولة
تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها
في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله
تعالى عنه تصدق ابو بكر بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم
يغفرون بما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع
وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاحقاء بالمغفرة حال الغضب
وقراء حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة
نزلت في الانصار دعاهم رسول الله الى الايمان فاستجابوا له وامرهم
شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه
وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور
ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم
ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة
بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران
فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز
محمود وعن التغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي عقب وصفهم
بالانتصار للمنع عن التعدي وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمي الثانية
سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح بينه وبين
عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب
الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر
بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل
بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم
بالاضرار او يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض
بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى
وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف
كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له

من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله تعالى اياه وترى الظالمين
لما رأوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل
الى مرد من سبيل اي الى رجعة الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها
على النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل متذللين
متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ
نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف
وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
بالتعرض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا
او لقال اي يقولون اذا رأوهم على تلك الحال الا ان الظالمين
في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من
اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل
الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله
لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتي اي من قبل ان يأتي
يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ مفر وما لكم من نكير انكار
لما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم
فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك
الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد
بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان
كفور بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل سببها
وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه
وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث
انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه
ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم
بكفران النعمة لله ملك السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية
كيف يشاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
من غير لزوم ومجال اعتراض او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء
عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد
مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى
او الصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل
او لان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشية الله تعالى
لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب

تعدهن بلاء ولتطيب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لأنه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج إليه الرابع لإفصاحه بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة ﴿إنه عليم قدير﴾ فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار ﴿وما كان لبشر﴾ وما يصح له ﴿أن يكلمه الله إلا وحيا﴾ كلاما خفيا يدرك بسرعة لأنه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله ﴿أو من وراء حجاب﴾ عليه يخصه بالأول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الإلهام والإلقاء في الروع أو الوحي المنزل به الملك إلى الرسل فيكون المراد بقوله ﴿أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ أو يرسل إليه نبيا يبلغ وحيه كما أمره وعلى الأول المراد بالرسول الملك الموحى إلى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لأن من وراء حجاب صفة كلام محذوف والإرسال نوع ~~من الكلام~~ ... وعلى هذا ... ~~...~~ ... ﴿من وراء حجاب﴾ ظرف وقعت حالا وقرأ نافع ﴿أو يرسل﴾ برفع اللام ﴿إنه علي﴾ عن صفات المخلوقين ﴿حكيم﴾ يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط إما عيانا وإما من وراء حجاب ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ يعني ما أوحي إليه وسماه روحا لأن القلوب تحيى به وقيل جبرائيل والمعنى أرسلناه إليك بالوحي ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ أي قبل الوحي وهو دليل على أنه لم يكن متعبدا قبل الوحي بشرع وقيل المراد هو الإيمان بما لا طريق إليه إلا السمع ﴿ولكن جعلناه﴾ أي الروح أو الكتاب أو الإيمان ﴿نورا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ بالتوفيق للقبول والنظر فيه ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ هو الإسلام وقرئ لتهدي أي ليهديك الله ﴿صراط الله﴾ بدل من الأول ﴿الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ خلقا وملكا ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون عليه

آياتها تسع وثمانون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة الزخرف مكية

﴿حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول أبي تمام ~~وثناياك إنها إغريض~~ ولعل إقسام الله بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث إنه معجز مبين طريق الهداية وما يحتاج إليه من الديانة أو بين للعرب يدل على أنه تعالى صيره كذلك ﴿لعلكم تعقلون﴾ لكي تفهموا معانيه ﴿وإنه﴾ عطف على إنا ﴿في أم الكتاب﴾ في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية وقرأ حمزة والكسائي أم الكتاب بالكسر ﴿لدينا﴾ محفوظا عندنا عن التغيير ﴿لعلي﴾ رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة أو محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لأن وفي أم الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه أو حال منه ولدينا بدل منه أو حال من أم الكتاب ﴿أفنضرب الذكر عنكم صفحا﴾ أفنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف أي أنهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فإن تنحية الذكر عنهم إعراض أو مفعول له أو حال بمعنى صافحين وأصله أن تولي الشيء صفحة عنقك وقيل إنه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده أنه قرئ صفحا وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد إنكار أن يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ﴿أن كنتم قوما مسرفين﴾ أي لأن كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الإعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي إن بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء ﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون﴾ تسلية لرسول الله عن استهزاء قومه ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا﴾ أي من القوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى الرسول مخبرا عنهم ﴿ومضى مثل الأولين﴾ وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأولين ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ لعله لازم مقولهم أو ما دل عليه إجمالا أقيم مقامه تقريرا لإلزام الحجة عليهم فكأنهم قالوا الله كما حكي عنهم في مواضع أخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز أن يكون مقولهم وما بعده استئناف ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا﴾ فتستقرون فيها وقرأ الحرميان وأبو عمرو وابن عامر مهادا ﴿وجعل لكم فيها سبلا﴾ تسلكونها ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا إلى مقاصدكم أو إلى حكمة الصانع بالنظر في ذلك ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ بمقدار ينفع ولا يضر ﴿فأنشرنا به بلدة ميتا﴾ مال عنه الماء وتذكيره لأن البلدة بمعنى البلد والمكان

كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء والذي خلق الازواج كلها اصناف
المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب
المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة
او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال
لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم
اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها
وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن
الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف
وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع رجله
في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان
الذي سخر لنا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله
بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله ولانه
مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده
جزا متصل بقوله ولئن سالتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف
من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزا كما سمي بعضا
لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرا
ابو بكر جزا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك
نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه ام اتخذ
مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب
من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له من مخلوقاته جزا حتى جعلوا اخس ما اختير
لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به كما قال
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد
لا بد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية
لما يعتريه من الكابة وهو كظيم مملو قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات
على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد
على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا اومن ينشو
في الحلية اي او جعلوا له او اتخذوا من تربى في الزينة يعني البنات
وهو في الخصام في المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان
العقل وضعف الراي ويجوز ان يكون من مبتدا محذوف الخبر اي ومن هذا
حاله ولده في الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت

وقرا حمزة والكسائي وحفص ينشا اي يربى وقرئ ينشا اي ينشا يقال نشا وانشا
ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالى بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
كفر اخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله
انقصهم رايا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرا الحجازيان وابن عامر ويعقوب
عند على تمثيل زلفاهم وقرئ اناثا على جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا
خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم
بهم وعن نافع اوشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين واشهدوا
بمدة بينهما رواية قالون ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة
ويسالون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ ستكتب وسنكتب
بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزا وان له بنات وهن الملائكة
ويسالون من المسائلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء
عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيته عدم العبادة
على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشية ترجيح بعض
الممكنات على بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم
فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز
ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدا وجوه فسادها وحكى
شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه
الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام اتيناهم كتابا من قبله
من قبل القران او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك
الكتاب متمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مهتدون اي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى
تقليد ابائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئ
بالكسر وهي الحالة تكون عليها الامم اي القاصد ومنها الدين وكذلك
ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على اثارهم مقتدون تسلية لرسول الله ودلالة على ان
التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه
وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد
قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين
اهدى من دين ابائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير او خطاب لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ويويد الاول انه قرا ابن عامر وحفص قال وقوله
قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذير منه

من أن ينظروا أو يتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر كيف
كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم وإذ قال إبراهيم واذكر وقت
قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل أو ليقلدوه إن لم
يكن لهم بد من التقليد فإنه أشرف آبائهم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون
بريء من عبادتكم أو معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد
والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام إلا الذي فطرني
استثناء منقطع أو متصل على أن ما يعم أولي العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون
الله والأوثان أو صفة على أن ما موصوفة أي إنني براء من آلهة تعبدونها
غير الذي فطرني فإنه سيهدين سيثبتني على الهداية أو سيهديني إلى
وراء ما هداني إليه وجعلها وجعل إبراهيم عليه السلام أو الله كلمة التوحيد
كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم أبدا من يوحد الله ويدعو إلى
توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه أي فيمن عقبه
لعلهم يرجعون يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء
هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا
بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على أنه تعالى اعترض به
على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق
دعوة التوحيد أو القرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات
أو مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم
قالوا هذا سحر وإنا به كافرون زادوا شرارة فضموا إلى شركهم معاندة
الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول
وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من إحدى القريتين
مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود
الثقفي فإن الرسالة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم ولم يعلموا أنها رتبة
روحانية تستدعي عظيم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية
لا التزخرف بالزخارف الدنيوية أهم يقسمون رحمة ربك إنكار فيه
تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحياة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة أمرهم في دنياهم
فمن أين لهم أن يتدبروا أمر النبوة التي هي أعلى المراتب الإنسية
وإطلاق المعيشة يقتضي أن يكون حلالها وحرامها من الله ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم

تألف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في
المقتر ثم إنه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما أعلى
منه ورحمة ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام
الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا أن يكون الناس أمة واحدة
لولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج
وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا
ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال أو علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف
وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون
أي أبوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا أو ذهبا عطف
على محل من فضة وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا إن هي المخففة واللام
الفارقة وقرأ عاصم وحمزة و[illegible] بخلاف عنه بالتشديد بمعنى إلا وإن نافية
وقرئ به مع إن وما والآخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة
على أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا وإشعار بما لأجله لم يجعل ذلك
للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الإيمان وهو أنه تمتع قليل بالإضافة إلى ما
لهم في الآخرة مخل به في الأغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها
كما أشار إليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط
اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح أي يعم
يقال عشي إذا كان في بصره آفة وعشا إذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ
يعشو على أن من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه
دائما وقرأ يعقوب بالياء على إسناده إلى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو
ينبغي أن يرفعه وإنهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه
أن يسبل وجمع الضميرين للمعنى إذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له
ويحسبون أنهم مهتدون الضمائر الثلاثة الأول له والباقيات للشيطان
حتى إذا جاءنا أي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر جاءانا
أي العاشي والشيطان قال أي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب وثني وأضيف البعد إليهما فبئس
القرين أنت ولن ينفعكم اليوم أي ما أنتم عليه من التمني إذ ظلمتم
إذ صح أنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا بدل من اليوم أنكم في العذاب مشتركون
لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركون

فی سببه ویجوز ان یسند الفعل الیه بمعنی ولن ینفعکم اشترا ککم فی العذاب
کما ینفع الواقفین فی امر صعب معاونتهم فی تحمل اعبائه وتعشیهم بمکابدة
عنائه اذ لکل منکم مالا یسعه طاقته وقری انکم بالکسر وهو یقوی الاول
افانت تسمع الصم او تهدی العمی انکار تعجب من ان یکون هو الذی
یقدر علی هدایتهم بعد تمرنهم علی الکفر واستغراقهم فی الضلالة بحیث صار
عشاهم عمی مقرونا بالصمم کان رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم
یتعب نفسه فی دعا قومه وهم لا یزیدون الا غیا فنزلت ومن کان
فی ضلال مبین عطف علی باعتبار تغایر الوصفین وفیه اشعار بان الموجب
لذلک تمکنهم فی ضلال لا یخفی فاما نذهبن بک ای فان قبضناک قبل
ان نبصرک عذابهم وما مزیدة مؤکدة بمنزلة لام القسم فی استجلاب النون
المؤکدة فانا منهم منتقمون بعذاب فی الدنیا والاخرة او نرینک الذی
وعدناهم او ان اردنا ان نریک ما وعدناهم من العذاب فانا علیهم
مقتدرون لا یفوتوننا فاستمسک بالذی اوحی الیک من الایات
والشرایع وقری اوحی علی البناء للفاعل وهو الله تعالی انک علی صراط
مستقیم لا عوج له وانه لذکر لک لشرف لک ولقومک وسوف
تسألون ای عنه یوم القیمة وعن قیامک بحقه واسئل من ارسلنا
من قبلک من رسلنا ای واسئل اممهم وعلماء دینهم وقرا ابن کثیر
والکسائی بتخفیف الهمزة اجعلنا من دون الرحمن الهة یعبدون هل
حکمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فی ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد
باجماع الانبیاء علی التوحید والدلالة علی انه لیس ببدع ابتدعه فیکذب
ویعادی له فانه کان اقوی ما حملهم علی التکذیب والمخالفة ولقد ارسلنا
موسی بایاتنا الی فرعون وملائه فقال انی رسول رب العالمین یرید
باقتصاصه تسلیة الرسول ومناقضة قولهم لولا انزل هذا القران علی رجل
من القریتین عظیم والاستشهاد بدعوة موسی علیه السلام الی التوحید
فلما جاءهم بایاتنا اذا هم منها یضحکون فاجاوا وقت ضحکهم منها ای
استهزوا بها اول ما راوها ولم یتاملوا فیها وما نریهم من ایة الا هی اکبر من اختها
الا وهی اقصی درجات الاعجاز بحیث یحسب الناظر فیها انها اکبر مما
یقاس الیها من الایات والمراد وصف الکل بالکبر کقولک رایت رجالا
بعضهم افضل من بعض وکقوله من تلق منهم تقل لاقیت سیدهم
مثل النجوم التی یسری بها الساری اوالا وهی مختصة بنوع من الاعجاز
مفضلة علی غیرها بذلک الاعتبار واخذناهم بالعذاب کالسنین

والطو

والطوفان والجراد لعلهم یرجعون علی وجه یرجی رجوعهم وقالوا
یا ایها الساحر نادوه بذلک فی تلک الحال لشدة شکیمتهم وفرط حماقتهم
او لانهم یسمون العالم الباهر ساحرا ادع لنا ربک ای تدع لنا
فیکشف عنا العذاب بما عهد عندک بعهده عندک من النبوة او من
ان تستجیب دعوتک او ان یکشف العذاب عمن اهتدی او بما عهد
عندک فوفیت به وهو الایمان والطاعة اننا لمهتدون فلما کشفنا عنهم
العذاب اذا هم ینکثون فاجاوا نکث عهدهم بالاهتداء ونادی فرعون
بنفسه او بمنادیه فی قومه فی مجمعهم وفیما بینهم بعد کشف العذاب عنهم مخافة
ان یؤمن بعضهم قال یا قوم الیس لی ملک مصر وهذه الانهار انهار النیل
ومعظمها اربعة نهر الملک ونهر طولون ونهر دمیاط ونهر تنیس تجری
من تحتی تحت قصری او امری او بین یدی فی جنانی والواو اما عاطفة
لهذه الانهار علی ملک فتجری حال منها وهذه مبتدا والانهار صفتها وتجری
خبرها افلا تبصرون ذلک ام انا خیر مع هذه المملکة والبسطة من هذا
الذی هو مهین ضعیف حقیر لا یستعد للریاسة من المهانة والقلة
ولا یکاد یبین الکلام لما به من الرتة فکیف یصلح للرسالة وام اما منقطعة
والهمزة فیها للتقریر اذ قدم من اسباب فضله او متصلة علی اقامة المسبب
مقام السبب والمعنی افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انی خیر منه
فلولا القی علیه اساورة من ذهب ای فهلا القی الیه مقالید الملک
ان کان صادقا اذا سوروا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب
واساورة جمع اسوار بمعنی السوار علی تعویض التاء من الیاء اساویر وقد قری به
وقرا یعقوب وحفص اسورة وهی جمع سوار وقری اساور جمع اسورة
والقی علیه اسورة واساور علی البناء للفاعل وهو الله تعالی او جاء معه
الملائکة مقترنین مقرونین یعینونه او یصدقونه من قرنته به فاقترن
او متقارنین من اقترن بمعنی تقارن فاستخف قومه فطلب منهم
الخفة فی مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فیما امرهم به انهم
کانوا قوما فاسقین فلذلک اطاعوا ذلک الفاسق فلما اسفونا ای
اغضبونا بالافراط فی العناد والعصیان فنقول من اسف اشتد غضبه
انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعین فی الیم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم
من الکفار یقتدون بهم فی استحقاق مثل عذابهم مصدر نعت به او
جمع سالف کخدم وقرا حمزة والکسائی بضم السین واللام جمع سلیف
کرغیف او سالف کصبر او سلف کخشب وقری سلفا بابدال ضمة اللام

فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة سلفت ومثلا للاخرين وعظة او قصة
عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب
ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله في قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى
اهل الكتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله فالملائكة اولى
بذلك على قوله واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد
ان نعبده كما عبد عيسى اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون
يضحكون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به وقرا نافع وابن عامر
والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه
وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا الهتنا خير ام هو اي الهتنا
خير عندك ام عيسى فان كان في النار فلتكن الهتنا معه او الهتنا الملائكة
خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت الهتنا اولى بذلك
او الهتنا خير ام محمد فنعبده وندع الهتنا وقرا الكوفيون االهتنا بتحقيق الهمزتين
والف بعدهما ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة
لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج
ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل امرا عجيبا
كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء
لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب وجعلنا بدلكم
ملائكة في الارض يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى
وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة
مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا
فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وانه وان
عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها
او لان احياءه الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اي علامة ولذكر
على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة
والناس في صلاة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع
والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به وقيل الضمير للقران فان فيه
الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعوني
واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله هذا
هو الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه وقرا ابو عمرو فاتبعون

ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته
بان اخرجكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات
او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل
او الشريعة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين
لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام
انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو
ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد
والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين وهو
تتمة كلام عيسى واستئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك
فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى واليهود
والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين
من عذاب يوم اليم وهو يوم القيامة هل ينظرون الا الساعة الضمير
لقريش او للذين ظلموا ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون
الا اتيان الساعة بغتة فجاءة وهم لا يشعرون غافلون عنها
لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم
لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون
له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله تعالى تبقى
نافعة ابد الاباد يا عبادي لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون حكاية لما
ينادى به المتقون والمتحابون في الله يومئذ قرا ابن كثير وحمزة والكسائي
وحفص بغير الياء الذين امنوا باياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين
حال من الواو في الذين امنوا مخلصين غير ان هذه العبارة اكد وابلغ
ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا
يظهر حباره اي اثره على وجوههم او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة
او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم
بصحاف من ذهب واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب
وهو كوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهي الانفس وقرا نافع وابن عامر
وحفص تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد
تخصيص ما يعدم اللذات في التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان
كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر
في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها
شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه عامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة

وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك
والتي خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بمحذوف
ولا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها
ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن
وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة
ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين
بالآيات وحكي عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبر ان
او خالدون خبره والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت
عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب
مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
من مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم
مكسورا ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ
بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربك
ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار
وتمني للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا بغيره
لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان في قال
ضمير الله والا فجواب منه وكانه تعالى تولى جوابهم بعد جواب الملك ولكن
اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وآداب الجوارح
ام ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا
في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوأ من كراهتهم او
ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث انفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى
نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازم لديهم يكتبون ذلك
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم بالله وبما
يصح له واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم
من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد
نفيهما على ابلغ الوجوه لقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثم
مشعرة بانتفاء الطرفين وان هنا لا يشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية
بل الانتفاء معلول لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره
للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل
ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الآنفين منه

او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وما كان له ولد فانا
اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم وسكون اللام
سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد
فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر
الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم
ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي القيامة وهو دلالة
على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه
بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع
مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له
لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر لا اله مبتدأ محذوف يكون به جملة
مبينة للصلة دالة على ان في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة
السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه
وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم
بالساعة التي تقوم القيامة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو
وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء
متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل
ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت العابدين او المعبودين ليقولن الله
لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون من عبادته الى عبادة غيره
وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ
خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم
منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير قيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه
فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة
فسوف يعلمون تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه
من المأمور بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال
له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

آياتها تسع وخمسون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة الدخان مكية

حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا
فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر او ليلة البراءة

ابتدا فيها انزاله او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل
على الرسول عليه السلام نجوما وبركتها لذلك فان نزول القران سبب
للمنافع الدينية والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة
الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا منذرين استيناف
يبين به المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها
مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل القران الذي
هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض
وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح
فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل اي يفرقه
الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا
من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان حالا من كل
او امرا او ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهي
وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من
احد ضميري انزلناه بمعنى امرين او مامورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك
بدل من انا منذرين اي انا انزلنا القران لان من عادتنا ارسال الرسل
بالكتب على العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار
بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا
ورحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان
من شاننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسم الارزاق وغيرها
وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة
انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق
لربوبيته او انها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض
وما بينهما خبر اخر او استيناف وقرا الكوفيون بالجر بدلا من ربك
ان كنتم موقنين اي كنتم من اهل الايقان في او ان كنتم موقنين في
اقراركم اذا سالتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم
مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت
كما تشاهدون ربكم ورب ابائكم الاولين قرئا بالجر بدلا بل هم في شك
يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان
مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان
من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار
ولان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب

وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم
ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي انه عليه السلام لما قال
اول الايات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين
تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما
وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج
من منخره واذنيه ودبره او يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين يغشى
الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف
عنا العذاب انا مومنون مقدر بقول وقع حالا وانا مومنون وعد
بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف
يتذكرون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها
في ايجاب الاذكار من الايات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم
مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال اخرون
انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فانه دعى فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من
اعمارهم انكم عائدون الى الكفر عقيب الكشف ومن فسر الدخان بما هو
من الاشراط قال اذا جاء الدخان عود الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم
بعد اربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيامة اوله بالشرط
والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيامة او يوم بدر ظرف
لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان يحجزه عنه او بدل
من يوم ياتي وقرئ نبطش اي نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل
الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع
الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول
كريم على الله او على المومنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه
ان ادوا الى عباد الله بان ادوهم الي وارسلوهم معي او بان ادوا الي حق الله
من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان يكون ان مخففة ومفسرة
لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة اني لكم رسول امين غير متهم
لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر
وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسله وان
كان الاولى في وجوههما اني اتيكم بسلطان مبين علة للنهي ولذكر الامين

مع الاداء والسلطان مع العلا شان لا يخفى واني عذت بربي وربكم
التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني ضربا او شتما
او ان تقتلوني وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت بالادغام وان لم
تؤمنوا لي فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي
بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه
ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما
استوجبوه ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر
بعبادي ليلا اي فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرأ
ابن كثير ونافع بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون
وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة
او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغيره
ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا
كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة
ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ
فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك
واورثناها عطف على الفعل المقدر يعني تركوا قوما آخرين ليسوا منهم
في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم
السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث والاعتداد بوجودهم لقولهم
بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه ما روي
في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه وموضع عبادته ومصعد عمله
ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا
منظرين ممهلين الى وقت آخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب
المهين من استعباد وقتل ابنائهم من فرعون بدل من العذاب
على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين
بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر
ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين في العتو
والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا
اي كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني اسرائيل
على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون في
بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء منهم او على عالمي زمانهم
وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى

ما فيه

ما فيه بلاء مبين نعمة جلية واختبار ظاهر ان هؤلاء يعني كفار قريش
لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في
الاصرار على الضلالة والانذار على مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا
موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة
الدنيوية ولا قصد منه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة
الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما
تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي
من شأنها كذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا
بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل والمؤمنين ان كنتم صادقين
في وعدكم ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع الحميري
الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها كان مؤمنا
وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه السلام ما ادري اكان تبع
نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل للملوك الاقيال
لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استئناف
بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد
او خبر من الموصول ان استؤنف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع
المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين
وقرئ بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء
وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من
الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم
ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او
فصل الرجل عن اقاربه واحبابه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ
ميقاتهم بالنصب على الاسم اي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل
يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه
الفصل لا له للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى
كان شيئا من الاشياء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول
باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه
ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر
من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ
بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام
والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار

حتى يذوب وقيل دردي الزيت تغلي في البطون وقرا ابن كثير وحفص
ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة
حال من احدهما كغلي الحميم غليا مثل غليه خذوه على ارادة القول
والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشي وجره
بقهر وقرا الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهو لغة الى سواء الجحيم
وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق
روسهم الحميم فقيل يصب من فوق روسهم عذاب هو الحميم للمبالغة
ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب
بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك
استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرا الكسائي انك بالفتح
اي ذق لانك او عذاب انك ان هذا اي ان هذا العذاب
ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام في موضع
اقامة وقرا نافع وابن عامر بضم الميم امين يامن صاحبه عن الآفة
والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جي به للدلالة على
نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من الماكل والمشارب يلبسون
من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار والمجرور
او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه
معرب او مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستانس بعضهم
ببعض كذلك الامر كذلك او اتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور
عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحور البيضاء والعيناء عظيمة
العين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة
يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شي منها
بمكان ولا زمان آمنين من جهة الضرر لا يذوقون فيها الموت الا
الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة
والموت اول احوالها او الجنة والمومن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكانه
فيها والاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكانه قال لا يذوقون فيها
الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ
ووقاهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ
بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب
فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم
يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم

انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي عم من قرا حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	سبع وثلثون آية

حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدا خبره تنزيل الكتاب احتجت
الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدا
خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته
وجواب القسم ان في السموات والارض لآيات للمومنين وهو يحتمل
ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله
وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور
بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه
لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم
يوقنون محمول على محل ان واسمها وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء
من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها
يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرا حمزة والكسائي
وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف
على عاملين في والابتداء وان الا ان يضمر في او ينصب آيات على الاختصاص
او يرفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلثة لاختلاف الآيات
في الدقة والظهور تلك آيات الله اي تلك الآيات دلائله نتلوها عليك
حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فباي حديث
بعد الله وآياته تومنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة
والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن
لقوله الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف
لتغاير الوصفين وقرا الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يومنون بالياء
ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله
تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالآيات وثم
لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها
كان لم يسمعها اي كانه فخفف وحذف ضمير الشان والجملة في موضع الحال
اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة
على الاصل والتهكم واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شي من آياتنا

وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزء والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او للشيء لانه بمعنى الآية اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه اجالهم ولا يغني عنهم لا يدفع ما كسبوا من الاولاد والاموال شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع الميم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والصيد وغيرهما ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منه على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنايعه قل للذين آمنوا يغفروا حذف المفعول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقايعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقايعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزى الخير او الشر والجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذات وفضلناهم

على العالمين حيث آتيناهم ما لم يؤت غيرهم وآتيناهم بينات من الامر ادلة من امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة على طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقوى واتباع الشريعة هذا اي القرآن بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف والمفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استيناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة كما استووا في الرزق والصحة في الحيوة او استيناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان لمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسميته ذلك ظلما

ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار
افرايت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى
فكانه يعبده وقرئ الهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده
فاذا راى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله على علم
عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي
بالمواعظ ولا يتفكر في الايات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر
بعين الاستبصار والاعتبار وقرا حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه
من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا
ما هي ما الحيوة الدنيا او الحال الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها
نموت ونحيى اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك او نموت
بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا او يصيبنا الموت
والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه
عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان
وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك
من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها
على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل
لهم عليه فانهم قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات
له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا
باباءنا ان كنتم صادقين وانما سمي حجة على حسبانهم ومساقهم او على
اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء
حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج
ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على
الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق
بالايات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان باباءهم لكن الحكمة
اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض
تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
اي يخسر يوم تقوم الساعة ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية
مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ
جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى

الى كتابها صحيفة اعمالها وقرا يعقوب كل على بدل الاول وتدعى
صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول
هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها
اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان
انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة
ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما الذين
كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم ياتكم رسلي افلم تكن
اياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء
بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين عادتكم
الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن
هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرا
حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي
شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل
حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال
ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله
وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم
تحيروا بين ما سمعوا من اباءهم وما تليت عليهم من الايات
في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما
كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم
نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم
عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه
ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم
ايات الله هزوا استهزاتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا
فحسبتم ان لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء
وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات
اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اذ كل نعمة منه الدال على
كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيها اثارها وهو العزيز
الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن
النبي عليه السلام من قرا حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

آيها خمس وثلثون	بسم الله الرحمن الرحيم	سوره الاحقاف مكيه

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة
وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه
مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيامة
او كل واحد وهو اخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا
من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون
لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله
اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروا
عن حال الهتكم بعد تامل فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل في انفسها
في خلق شيء من اجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك
بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية
ايتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القران فانه
ناطق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من
علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به
ان كنتم صادقين في دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما
نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيه عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة
فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات
الثلث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث
اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل
ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل
من المشركين حيث تركوا عبادة المجيب السميع القادر الخبير الى عبادة
من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي
مصالحهم الى يوم القيامة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون
لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر
الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين
مكذبين بلسان الحال والمقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله
ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات مبينات

قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شانه والمراد به الايات ووضعه
موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها
بالحق عليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين ما جاءهم من
غير نظر وتامل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتراه اضراب
عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب
قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله
بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض
نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما
تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في اياته كفى به شهيدا بيني
وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد
بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن
واشعار بحلمه عليهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا
منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان
بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه
كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في
الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتاكيد النفي المشتمل على ما
يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل
اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي اي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم
الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا
من اذى المشركين وما انا الا نذير عن عقاب الله مبين مبين
الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل ارايتم ان كان
من عند الله اي القران وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان يكون
الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني
اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو
عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما في التورية
من مبعث الرسول على مثله مثل القران وهو ما في التورية من المعاني
المصدقة للقران المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله
فامن اي بالقران لما راه من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم
عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر بان
كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف
مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم لو كان

خيرا الايمان او ما اتى به محمد ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم
فقراء وموالي ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد
واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم
ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم
وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير
الاولين ومن قبله ومن قبل القران وهو خبر لقوله كتاب موسى
ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب
موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب
في مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار
بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دال على انه وحي
وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه
لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول
ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين
عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين
التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى
العمل وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد
فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب
والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها
جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين
حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام
اي جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرا الكوفيون احسانا
وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره
او حملا ذا كره وهو المشقة وقرا الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما
لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله
ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله
او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر عنه كما يعبر بالامد
عن المدة قال كل حي مستكمل عدة العمر ومود اذا انتهى امده
ثلاثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة
في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا
حط عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة
بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع

لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده
اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله قال رب اوزعني الهمني واصله
اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت
في ابي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين
والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا
من الجنس يستجلب رضاء الله تعالى واصلح لي في ذريتي واجعل
لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك واني من المسلمين
المخلصين لك اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعاتهم
فان المباح حسن ولا يثاب عليه ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرا
حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في
عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه
فان يتقبل ويتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي
قال لوالديه اف لكما مبتدا خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح
نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب
لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات ذكرت في سورة بني اسرائيل
اتعدانني ان اخرج ابعث وقرا هشام اتعداني بنون واحدة
وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع واحد منهم وهما يستغيثان الله يقولان
الغياث بالله منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك
امن اي يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور بالحث على ما يخاف
على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم
التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد
النزول في امم في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها كذلك
وقد جب عنه ان كان لاسلامه قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب
الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل
للحكم على الاستئناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب
من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة
في المثوبة وهاهنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرا
نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالنون وهم لا يظلمون بنقص
ثواب او زيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون

بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة
على الحوض أذهبتم أي يقال لهم أذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير أن ابن كثير يقرأ بهمزة
ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم واستمتعتم
بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان
وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون
بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون
بالكسر واذكر أخا عاد يعني هودا إذ أنذر قومه بالأحقاف جمع حقف
وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج وكانوا
يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت
النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال
أو اعتراض ألا تعبدوا إلا الله أي لا تعبدوا أو بأن لا تعبدوا فإن النهي
عن الشيء إنذار عن مضرته إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل
بسبب شرككم قالوا أجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها
فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك إن كنت من الصادقين
في وعدك قال إنما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي
فيه فأستعجل به وإنما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له وأبلغكم
ما أرسلت به وما على الرسول إلا البلاغ ولكني أراكم قوما تجهلون
لا تعلمون أن الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين
فلما رأوه عارضا سحابا عرض في أفق السماء مستقبل أوديتهم متوجه
أوديتهم والإضافة فيه لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض
ممطرنا أي يأتينا بالمطر بل هو أي قال هود ما استعجلتم به من
العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز أن يكون بدل ما
فيها عذاب أليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم
وأموالهم بأمر ربها إذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون إلا بمشيئته
وفي ذكر الأمر والرب وإضافته إلى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا
وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك فيكون العائد محذوفا أو
الهاء في ربها ويحتمل أن يكون استئنافا للدلالة على أن لكل ممكن فناء
مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر وتكون الهاء لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء
فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا
بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى إلا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة لا يرى

إلا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين
روي أن هودا لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت
الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية
أيام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما إن
مكناكم فيه إن نافية وهي أحسن من ما هنا لأنها توجب التكرير لفظا
ولذلك قلبت ألفها هاء في مهما أو شرطية محذوفة الجواب والتقدير
ولقد مكناهم في الذي أو في شيء إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر أو صلة
كما في قوله يرجي المرء ما إن لا يراه ويعرض دون أدناه الخطوب
والأول أظهر وأوفق لقوله هم أحسن أثاثا كانوا أكثر منهم وأشد قوة
وآثارا وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ليعرفوا تلك النعم و
يستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم
ولا أفئدتهم من شيء من الإغناء وهو القليل إذ كانوا يجحدون بآيات الله
صلة لما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من أن الحكم مرتب على ما
أضيف إليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب
ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط
وصرفنا الآيات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم
الذين يتقربون بهم إلى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وأول مفعولي اتخذوا الراجع إلى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة
بدل أو عطف بيان أو آلهة وقربانا حال أو مفعول له على أنه بمعنى التقرب
وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع أن
يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك إفكهم وذلك اتخاذ
الذي هذا أثره صرفهم عن الحق أفكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم
آفكين وأفكهم أي قولهم الإفك أي ذو الإفك وما كانوا يفترون
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن أملناهم إليك والنفر دون العشرة
وجمعه أنفار يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه
أي القرآن أو الرسول قالوا أنصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه
فلما قضي أتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول
ولوا إلى قومهم منذرين أي منذرين إياهم بما سمعوا روي أنهم وافوا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بوادي النخلة عند منصرفه من
الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد

موسى مصدقا لما بين يديه قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عليه السلام يهدي الى الحق من العقايد والى طريق مستقيم من الشرايع يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني ادم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الاباد بقادر على ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتاكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبداء اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرايع اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى عليهم السلام وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ

اي كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل مبتداء خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد عليه السلام	بسم الله الرحمن الرحيم	مدنية وهي ثمان وثلثون

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه وهم المطعمون يوم بدر او شياطين قريش او المصرون من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله تعالى او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار والذين امنوا من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة وحقيقته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سياتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتاييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتداء وخبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق وهو تحقيق لما اشعر به ما قبله ولذلك سمي تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا

الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا
الى المفعول ضما الى التاكيد والاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه
ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة
حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه بهم من الثخين وهو الغليظ
فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به
فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد
التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفدا وهو ثابت عندنا
فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء
والاسترقاق منسوخ عند ابي حنيفة رضي الله عنه او مخصوص بحرب بدر
فانهم قالوا يتعين القتل والاسترقاق وقرئ فدا كعصي حتى تضع الحرب
اوزارها آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي
تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل اثامها والمعنى حتى تضع
اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او للمن والفداء
او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين
بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم
ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم باستيصال ولكن ليبلو
بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المومنين بالكافرين ان يجاهدوهم
فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمومنين بان يعاجلهم على
ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله
اي جاهدوا وقرا البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل
اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول
سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم
الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما
استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي اليه كانه
كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها
لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله
ان تنصروا الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام
بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا
والخطاطا ونقيضه كما قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لها
وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة
لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله

القران لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم
وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقران للتعس والاضلال فاحبط
اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر به ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استاصل
عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر
موضع المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلاك لان التدمير
يدل عليها او السنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله
مولى الذين امنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع
العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان
المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون
بمتاع الدنيا وياكلون كما تاكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة
والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك
التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه
والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم
يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده
وهو القران او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمومنين كمن زين له سوء عمله
كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا
عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها
العجيبة وقيل مبتدا خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل
اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل الجنة جزاء من هو خالد فعري عن حرف
الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي
بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة والنار
وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو
خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وبينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به
من على بينة في الاخرة تقرير الانكار المساواة فيها انهار من ماء غير اسن
استيناف لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل واسن
من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث
وقرا ابن كثير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا
حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم
وريح ولا غائلة سكر وخمار تانيث لذ وهو مصدر نعت به باضمار او تجوز

وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل
مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم
مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ فيها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها
وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها
من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف
على الصنف المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد
في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط
الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعني
المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة
ماذا قال انفا ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له
اذانهم تهاونا به وانفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار
من الجارحة ومنه استانف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او
حال من الضمير في قال وقرأ ابن كثير انفا اولئك الذين طبع الله على
قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزءوا بها وتهاونوا بكلامه والذين
اهتدوا زادهم هدى اي زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول
واتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها
فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تاتيهم بغتة بدل
اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تاتهم
على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى
ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كمبعث النبي وانشقاق القمر
فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم وح لا يفرغ له ولا ينفع
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي اذا علمت سعادة المؤمنين
وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية
وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي
غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة
ذنوبهم وانها جنس اخر فان الذنب ما له تبعة ما بترك الاولى والله يعلم
متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى
فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ويقول الذين
امنوا لولا نزلت سورة هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت

سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي الامر به رايت
الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك
نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من
الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه
او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استيناف اي امرهم طاعة
او طاعة وقول خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم
الامر اي جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف
وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الايمان
لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم وقرأ نافع
بكسر السين ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم
عن الاسلام ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية
وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة
الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان
يتوقع منهم ذلك من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة
الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم
اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم
في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع
اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم
للارحام فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله
افلا يتدبرون القران يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر لئلا يجترئوا
على المعاصي ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها
امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وتنكير القلوب لان المراد
قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها
كانها مبهمة منكرة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها
مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين
ارتدوا على ادبارهم اي ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى
بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم
اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات
من السول وهو التمني وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما
قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول
على تقدير مضاف اي كيد الشيطان سول لهم واملى لهم ومد لهم في الامال

والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم في العقوبة لقراءة يعقوب وأملي لهم
اي وانا املي لهم فتكون الواو للحال او الاستيناف وقرا ابو عمرو وأُملي
لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين
كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته
للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض
الامر في بعض اموركم او في بعض ما تامرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة
في الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول والله يعلم اسرارهم
ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم وقرا حمزة والكسائي وحفص اسرارهم
على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ
توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تائيه يضربون
وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له
ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر
وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه
من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك
ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله
لرسوله والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم
بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها
واللام لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول
جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة
تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام على الصواب
والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات
ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين على مشاقها ونبلو اخباركم على ما يخبر به عن
اعمالكم فيظهر حسنها وقبحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم
المؤمنين في صدقها وكذبها وقرا ابو بكر الافعال الثلثة بالياء
ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير
ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا
الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون
يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه و
تفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك

او بمكايدهم

٥٠٤

او بمكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم
ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء الكفرة كالكفر
والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل
على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من مات على كفره
وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن
لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم
ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ
ولا تدّعوا من ادعى بمعنى دعى وقرا ابو بكر وحمزة بكسر السين وانتم
الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم
ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب
او حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده
منه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا
يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم جميع اموالكم
بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر والعشر ان يسألكموها فيحفكم فيجهدكم
بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه
اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون
او البخل لانه سبب الاضطغان وقرئ تخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم
ها انتم هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون
لتنفقوا في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى
الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل
على الاية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان
اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن
مستحق والله الغني وانتم الفقراء فيما يامركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم
وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم
يقم مكانكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد في الايمان وهم
الفرس لانه سئل عليه السلام وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال
هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا
سورة محمد عليه السلام كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية	بسم الله الرحمن الرحيم	تسع وعشرون آية

انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما
اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية
وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب
لفتح مكة وفرغ به رسول الله لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل
في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية آية عظيمة وهي انه نزح ماؤها
بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه
او فتح الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة من
قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار
والسعي في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا
ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة
ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب عليه
ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا
مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا
عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة
هو الذي انزل السكينة الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين حتى
ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها او انزل فيها
السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم بالله واليوم
الآخر ولله جنود السموات والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على
بعض كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر
ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض
من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه
ويشكروها فيدخلهم الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من
ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل
اشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اي
الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع
او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات

المشركين

٥٠٥

والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعل بدلا فيكون عطفا
على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر
رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين
لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان
غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى
مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد
لهم جهنم عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا
والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء والعلن سبب للاعداد
والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية
وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا
حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة
والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي والامة او لهم على ان
خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله
وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا
غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء
وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها
وتعززوه وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استئناف
مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث
على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله
وفى في مبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرأ
حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه
بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون
من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم
واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف عن مقاتلة قريش
ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن من يقوم باشغالهم
وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار
قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد
بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف

وقرا حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين يستاصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء وهو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يعلمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمشركين

فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله تعالى عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هولاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرا نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس ابن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلاثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة الكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا ويجوز ان يكون علة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب

لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد أحاط الله بها استولى
فاظفركم بها وهي مغانم هوازن أو فارس وكان الله على كل شيء قديرا
لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا
من أهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا
ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل أي سن غلبة
انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لأغلبن أنا ورسلي
ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف أيديهم عنكم
أيدي كفار مكة وأيديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد أن أظفركم
عليهم أظهركم عليهم وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة
إلى الحديبية فبعث رسول الله خالد ابن الوليد على جند فهزمهم حتى
أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به
على أن مكة فتحت عنوة وهو ضعيف إذ السورة نزلت قبله
وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم أولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا
لتعظيم بيته وقرأ أبو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليهم هم الذين
كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله
يدل على أن ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى إلى مكة وقرئ
الهدي وهو فعيل بمعنى المفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد
مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز أن ينحر في غيره وإلا لما
نحره الرسول عليه السلام حيث أحصر فلا ينتهض حجة للحنفية على أن
مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين أن تطؤوهم
أن توقعوا بهم وتبيدوهم قال وطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد
نابت الهرم وقال عليه السلام إن آخر وطأة وطئها الله بوج وهو
واد بالطائف كان آخر وقعة النبي عليه السلام بها وأصله الدوس
وهو بدل اشتمال من رجال ونساء أو من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم
منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية أو الكفارة بقتلهم
والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والإثم بالتقصير في البحث عنهم
مفعلة من عره إذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بأن تطؤوهم غير
عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا
كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم
فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم ليدخل الله في رحمته

علة لما دل عليه كف الأيدي من أهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين
أي كان ذلك ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير أو الإسلام
من يشاء من مؤمنيهم أو مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم
من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما بالقتل
والسبي إذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر أو ظرف لعذبنا أو صدوكم
في قلوبهم الحمية الأنفة حمية الجاهلية التي تمنع إذعان الحق فأنزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين أنزل عليهم الثبات والوقار وذلك
ما روي أنه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب
ابن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوا أن يرجع من عامه على أن
تخلي له قريش مكة من القابل ثلاثة أيام فأجابهم وكتبوا بينهم كتابا
فقال عليه السلام لعلي رضي الله تعالى عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك
رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح
عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون
فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فأنزل الله سكينته فتوقروا
وتحلموا وألزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله
اختارها لهم أو الثبات والوفاء بالعهد وإضافة الكلمة إلى التقوى لأنها
سببها أو كلمة أهل التقوى وكانوا أحق بها من غيرها وأهلها والمستأهل
لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم أهل كل شيء وييسره له لقد
صدق الله رسوله الرؤيا رأى عليه السلام أنه وأصحابه دخلوا
مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا
أن ذلك في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا
البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه ملتبسا بالحق فإن ما رآه كائن
لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز أن يكون بالحق صفة
مصدر محذوف أي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد إلى التمييز بين الثابت
على الإيمان والمتزلزل فيه وأن يكون قسما إما باسم الله تعالى أو
بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الأولين
جواب قسم محذوف إن شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة تعليما
للعباد أو إشعارا بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما
قال ملك الرؤيا أو النبي لأصحابه آمنين حال من الواو والشرط

معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون
لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك
فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير ذلك فجعل من دون ذلك
من دون دخولكم المسجد الحرام وفتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر
ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان تيسر الموعود هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين
الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله
بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين
على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد
لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او
على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به
ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدا والذين
معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم
واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من
خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلاة
في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا سيماهم
في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود
فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال
من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها
كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم
في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع
تمثيل مستانف او تفسير او مبتدا وكزرع خبره اخرج شطاه فراخه
يقال اشطا الزرع اذا فرخ وقرا ابن كثير وابن عامر برواية ابن
ذكوان شطاه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة
وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا
فآزره فقواه من الموازرة وهي المعاونة او من الازر وهي الاعانة
وقرا ابن عامر فازره كاجر في آجر فاستغلظ فصار من الدقة الى
الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن
ابن كثير سؤقه بالهمز يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن
منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في بدو الاسلام ثم كثروا

واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة
لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم
للبيان عن النبي عليه السلام من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد عليه السلام فتح مكة

سورة الحجرات مدنية | بسم الله الرحمن الرحيم | آياتها ثماني عشرة

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول
ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم راسا
او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب
لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار
بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى
لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله
تعظيما له واشعارا بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله
في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم
يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا كلمتموه
فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة
على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته
كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء
مزيد الاستبصار والمبالغة في الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له
وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي
او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التادية لان في الجهر
والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد
الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه وقر
وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله فتفقده فدعاه فقال
يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف
ان يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير
وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين
يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب
او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك يسرانه حتى

يستفهمها أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى
ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب
المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم
بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار
عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه
من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم
والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء
الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدا
اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دالة
على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وللتعريض
بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها
ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة
على ان المنادي داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف المبدا والمنتهى بالجهة
وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض
المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة
كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي عليه السلام وفيها كناية
عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة
فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند
فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع
ابن حابس وفدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سبعين رجلا
من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند
الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم
لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما
لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت
صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر
دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان
الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه
ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف
الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا
حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا

لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين
للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين
في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم
حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين
تعظيم الرسول يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقا
الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم
مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتدوا ومنعوا
الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم
منادين للصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق
والنبأ للتعميم وفي تعليق الامر بالتبين على فسق المخبر جواز قبول خبر
العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان
خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق
اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي
فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا كراهة ان تصيبوا
قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين
مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائرة
مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد مسد
مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا
لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها
وهي انكم تريدون ان يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم
اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه
بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه
في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم
وهو انهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم للكفر حملهم على ذلك لما سمعوا
قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا
بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون اي اولئك
المتثبتون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يعدى بنفسه
الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه ضمن معنى التبغيض نزل
اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية نعم الله تعالى بالجحود والفسوق

الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله
ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل
فعل الله والرشد وان كان مسببا من فعله مسند الى ضميرهم او مصدر
لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعامه والله عليم
باحوال المومنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق
عليهم وان طائفتان من المومنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى
فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعا الى حكم الله تعالى
فان بغت احديهما تعدت على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله
ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس
والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما
بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا
لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في
كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية
نزلت في قتال بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف
والنعال وهي تدل على ان الباغي مومن وانه اذا قبض عن الحرب
ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه
بعد تقديم النصح والسعي في المصلحة انما المومنون اخوة من حيث انهم
منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو
تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال
فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المامورين
للمبالغة في التقرير والتخصيص وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع
بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين
اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم
ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم
عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن
اي لا يسخر بعض المومنين والمومنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه
خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت
فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال
كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين
كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن
لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها

استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا
ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اي
ولا يعب بعضكم بعضا فان المومنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به
فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان
وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعو بعضكم بعضا
باللقب السوء فان النبز مختص بلقب سوء عرفا بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمومنين ان يذكروا بالفسوق
بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر
والفسق الى المومنين خصوصا اذ روي ان الاية نزلت في صفية
بنت حيي اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ان النساء
يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هارون
وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه
وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون
بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين
امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير
ليحتاط في كل ظن ويتامل حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن
ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن
بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن
السوء بالمومنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن
اثم تعليل مستانف للامر والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليها
والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا
عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب
كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل
للحواس الحواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من
تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب
بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عنه
عليه السلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه
فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه
ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه
مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق
المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان

وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا
وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه
ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ
وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهى عنه
وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة
او يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم
روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي
شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما
راحا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مالي ارى خضرة اللحم
في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل
واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب
ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا
وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع
القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع
الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش
عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب
البطون في العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم
بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم
عند الله اتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص
فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون
اكرم الناس فليتق وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان
مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم بكم
خبير ببواطنكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد
قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون
لرسول الله اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك
بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان
تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول
بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا
فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين وترك

المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا
اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذا النظم احترازا من
النهي عن القول بالايمان والجزم بالاسلام وقد فقد شرط اعتباره
شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من
ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد
وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم
من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص
وقرأ البصريان لا يألتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور
لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه
اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان
عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان
ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال
والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك
هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله
بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات وما في الارض
والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي
انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون
فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة
وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع
لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا
على اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى
الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان
الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم
ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه
ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا
ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما قال يمنون
عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم
للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات
والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف

يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما في الآية من الغيبة
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه

سورة ق مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	وآيها خمس وأربعون

ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر والمجيد
ذو المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أو لأنه من علم معانيه
وامتثل أحكامه مجد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم
مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم أو من أبناء جلدتهم
فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا إشارة إلى اختيار الله
تعالى محمدا للرسالة وإضمار ذكرهم ثم إظهاره للإشعار بتعينهم إلى
هذا المقام ثم التسجيل على كفرهم بذلك أو عطف لتعجبهم من البعث
على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية
تعجبهم مبهما إن كانت الإشارة إلى مبهم يفسره ما بعده أو مجملا إن
كانت الإشارة إلى محذوف دل عليه منذر منهم تفسيره أو تفصيله
لأنه أدخل في الإنكار إذ الأول استبعاد لأن يفضل عليهم مثلهم
والثاني استقصار لقدرة الله تعالى عما هو أهون مما يشاهدون
من صنعه أئذا متنا وكنا ترابا أي أنرجع إذا متنا وصرنا ترابا ويدل
على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد أي بعيد عن الوهم أو العادة
أو الإمكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الأرض
منهم ما تأكل من أجسادهم موتاهم وهو رد لاستبعادهم بإزاحة ما هو
الأصل فيه وقيل إنه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام
وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الأشياء كلها أو محفوظ
عن التغير والمراد إما تمثيل علمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده
كتاب محفوظ يطالعه أو تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ
عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات أو النبي
أو القرآن لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم في أمر مريج مضطرب
من مرج الخاتم في إصبعه إذا خرج وذلك قولهم تارة إنه شاعر وتارة
إنه ساحر وتارة إنه كاهن أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى السماء
فوقهم إلى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها
بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج من فتوق بأن خلقها

ملساء متلاصقة الطباق والأرض مددناها بسطناها وألقينا فيها
رواسي جبالا ثوابت وأنبتنا فيها من كل زوج من كل صنف
بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع إلى ربه متفكر
في بدائع صنعه وهما علتان للأفعال المذكورة معنى وإن انتصبتا
عن الفعل الأخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فأنبتنا
به جنات أشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من
شأنه أن يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا أو حوامل
من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون من أفعل فهو فاعل وإفراده
بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لأجل القاف
لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة
ما فيه من الثمرة رزقا للعباد علة لأنبتنا أو مصدر فإن الإنبات
رزق وأحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا أرضا جدبة لا نماء فيها
كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم
كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون أراد
بفرعون إياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده وإخوان لوط وإخوانه
لأنهم كانوا أصهاره وأصحاب الأيكة وقوم تبع سبق في الحجر
والدخان كل كذب الرسل أي كل واحد أو قوم منهم أو جميعهم
وإفراد الضمير لإفراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدي
وفيه تسلية للرسول وتهديد لهم أفعيينا بالخلق الأول أفعجزنا
عن الإنشاء حتى نعجز عن الإعادة من عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه
عمله والهمزة فيه للإنكار بل هم في لبس من خلق جديد أي هم
لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلط وشبهة في خلق
مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه
والإشعار بأنه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الإنسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال
والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما إن جعلت
موصولة والباء مثلها في صوت بكذا أو للإنسان إن جعلت مصدرية
والباء للتعدية ونحن أقرب إليه من حبل الوريد أي ونحن أعلم
بحاله ممن كان أقرب إليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات
لقرب العلم لأنه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت
أدنى لي من الوريد والحبل العرق وإضافته للبيان والوريدان

ء فان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتينين
يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح يرده اذ يتلقى
المتلقيان مقدر باذكر او متعلق باقرب اي هو اعلم بحاله من كل
قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به فيه ايذان بانه
غني عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما واطلع على ما يخفى عليهما
لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية
وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد
عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد
اي قاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله واني
وقيارٌ بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة
بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه الا لديه رقيب
ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب
او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات
فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب
اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر
وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء
وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم ملاقون ذلك عن قريب
عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي
وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك
جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود
الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان
خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت
على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت
او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه
للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه
تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعني
نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد
وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد ملكان احدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله او ملك جامع
للوصفين وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه واعماله ومحل
معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة

لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار القول والخطاب لكل نفس
اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر فكشفنا عنك
غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات
وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار
وقيل الخطاب للنبي والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا غطاء
الغفلة بالوحي وتعليم القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم
ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب
النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا
ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي
وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة
فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف
القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين
من خزنة النار او للواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره
كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا
والالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده
انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع
للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت
في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعد مريب شاك
في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر مبتدا متضمن معنى الشرط
وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون
فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه
اي الشيطان المقيض له وانما استانف كما استانف الجمل الواقعة
في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته كان
الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى
فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول
اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال
بعيد فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراي
مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي قال اي الله لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب
فانه لا فائدة فيه وهو استيناف مثل الاول وقد قدمت اليكم
بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة

وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء
مزيدة او متعدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد
حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي اي بوقوع الخلف
فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب
ليس من التبديل فان دلايل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا
بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل
امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل
والتصوير والمعنى انها مع اتساعها يطرح فيها الجنة والناس فوجا
فوجا حتى تمتلي لقوله لاملان او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها
وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة
كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد
اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ
فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة
للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا
وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او
لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة
الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع
الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من
خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل
من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به
او مبتدأ خبره ادخلوها على تأويل يقال لهم ادخلوها فان من
بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر
اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب
بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن
للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم يخشون مع
علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه
الى الله تعالى بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما
عليكم من الله تعالى وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود
كقوله ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما
لا يخطر ببالهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا قوة

كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها
او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب
وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه
هل من محيص اي لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا
لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا
حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ
فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير
حتى نقبت اقدامهم واخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة
لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اي قلب واع يتفكر في حقائقه
او القى السمع اي اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم
او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب
وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام من تقديره مرارا وما مسنا
من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى
بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت
واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من
انكارهم البعث فان من قدر على العالم بلا اعياء قدر على خلقه
والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك
ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما
انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن اناء الليل
فسبحه فسبح بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة
جمع دبر وقرأ الحجازيان وحمزة بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت
وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل
الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وادبار السجود
النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما اخبرك
من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادي المنادي
اسرافيل او جبرائيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة
والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء
من مكان قريب بحيث يصل نداه الى الكل على السواء ولعله
في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج

يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق تتشقق وقرا الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا به نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة ق هون عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	وهي ستون اية

والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلايق من الملائكة وغيرهم وقرا ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقري وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرها من اسباب القسمة او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال او الزجر مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة

او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف والنجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقري الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة شاعر وتارة ساحر وتارة انه مجنون او في القران او القيامة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها يوفك عنه من افك يصرف عنه والضمير للرسول او القران او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افكه عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل وشرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقري افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسالون ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقري ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسوال اي يقع يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قري بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما اتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الفرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون

اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار
كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء
بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه
على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس للسائل
والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض
ايات للموقنين اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان
او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء
واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع
وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم اي وفي
انفسكم ايات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته
مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة
والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع
الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء
رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب
وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب
لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة
في السماء وقيل انه مستانف خبره فورب السماء والارض انه لحق
وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الايات
والرزق والوعيد مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك
لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال
من المستكن في لحق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم
وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى
شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق
ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وابي بكر بالرفع هل اتاك حديث
ضيف ابراهيم فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه
والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل
كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وسماهم
ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين عند الله
او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث
او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال سلام
اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون

تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرا حمزة والكسائي قال
سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اي انتم قوم وانما
انكرهم لانه ظن انهم بنو ادم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم
فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم
في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من
ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة ماله
البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم فقال الا تاكلون اي منه
وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة
الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان قال حيث ما راى اعراضهم
فاوجس في نفسه خيفة فاضمر منهم خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه
لظنه انهم جاءوه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب
قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبرائيل العجل بجناحه فقام يدرج
حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحق عليم
يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امراته سارة الى بيتها وكانت في زاوية
تنظر اليهم في صرة اي صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال
او المفعول ان اول فاقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت
باطراف الاصابع جبهتها من الحياء وقالت عجوز عقيم انا عجوز عاقر
فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وانما
نخبرك عنه انه هو العليم الحكيم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم
ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر
عظيم ساله عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط
لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة
مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهي العلامة عند ربك
للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا من كان فيها في
قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين
ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت
من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف
لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك
لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات
واحدة وتركنا فيها اية علامة للذين يخافون العذاب الاليم
فانهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود

متين وفي موسى عطف على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى
وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه
الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه
فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به
من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف
وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق
منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما
فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم
آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه
وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم
وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهو الدبور او الجنوب
او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه مرت عليه الا جعلته كالرميم
كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا
حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم
فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلث
وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها
فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا
في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه
وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح
لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في
عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل اي
من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة
بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون
من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء
او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها
ليستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء من الاجناس
خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص
الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا
الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم
منه نذير اي من عذابه المعد لمن اشرك او عصى مبين بين كونه
منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله

الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين تكرير
للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك
كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم
اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او بمثل
مفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به اي
كان الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول
حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي
جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم
في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم
بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت
بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ وذكر
ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من
قدر الله ايمانه او من آمن فانها تزاده بصيرة وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة
الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في
ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر
قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه
الا لآمرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لي ما اريد منهم
من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان اصرفكم في
تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به والمراد ان
يبين ان شانه مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم
ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه
اجرا ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه
وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة
للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب
مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من
مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون
جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم
الذي يوعدون من يوم القيامة او يوم بدر عن النبي عليه السلام من قرأ
والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	تسع واربعون اية

والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله
والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد
او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر
ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القران او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ
او الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما تكتبه الحفظة
في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب
وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس
والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح
وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المومن
وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور
اي المملو وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله
يجعل يوم القيمة البحار كلها تسجر بها جهنم او المختلط من السجر وهو الخلط
ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور
المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق
اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب
اضطرابا والمور تردد في المجي والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف
وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ
للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون
اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها
بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم
فيدفعون الى النار وقرى يدعون من الدعا فيكون دعا حالا بمعنى
مدعوين ويوم بدل يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار
التي كنتم بها تكذبون اي فيقال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم
تقولون للوحي هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود
بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون
في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت
في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا
او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه

لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون
ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع
كان الصبر وعدمه سيين في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم
اي في اية جنات واي نعيم اي في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين
ناعمين متلذذين بما اتاهم ربهم وقرى فكهين وفاكهون على انه الخبر
والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على واتاهم ان جعل ما
مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال
او من فاعل اتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا
هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون
بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هناكم ما كنتم
تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور
عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او السببية
اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق
والقرن ولذلك عطف والذين امنوا على حور اي قرناهم بازواج
حور ورفقاء مومنين وقيل انه مبتدا خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم
ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرا ابن عامر ويعقوب ذرياتهم
بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد
والكثير وقرا ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم
في الايمان وقيل حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار
بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول
الجنة او الدرجة لما روي انه عليه السلام قال مرفوعا ان الله رفع ذرية
المومن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وقرا نافع
وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم من عملهم
من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء او باعطاء
الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق
بكمال لطفه وقرا ابن كثير بكسر اللام من الت يالت وعنه لتناهم من
لات يليت وآلتناهم من آلت يولت وولتناهم من ولت يلت
ومعنى الكل واحد كل امرء بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله
فان عمل صالحا فكه والا اهلكه وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
اي زدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم يتنازعون
فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم محلها

ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون
بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة
الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير
والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان لهم اي
مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم
لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه
السلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر
ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
يسأل بعضهم بعضا عن اعماله واحواله قالوا انا كنا قبل في اهلنا
مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين
من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم
عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد
انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله
الوقاية انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة انه
الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث لقولهم
فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما
يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس
من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصوا
هلاكي ام تأمرهم احلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض في العقول
فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر
ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام
مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد
وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون
فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله
مثل القرآن ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا
فهو ردٌ للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول
فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا
وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل
لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان
معناه ام هم خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات

والارض وام في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
بل لا يوقنون اذا سألوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض
قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم
خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او خزائن علمه
حتى يختاروا لها من اختاره حكمته ام هم المسيطرون الغالبون
على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا ام لهم سلم مرتقى الى السماء
يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من
علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين
بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه
لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا ان يكون ممن
يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا
على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون
الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ
المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم
في دار الندوة برسول الله فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص
فيكون وضعه الذين كفروا موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة
على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد
او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد
من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه
سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه وان يروا
كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم
سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم
فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه
يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم
يصعقون على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم
كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون
يمنعون من عذاب الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص
عذابا دون ذلك اي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة
في الدنيا كقتل بدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون
فاصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا
في حفظنا بحيث نراك ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة

اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلوة ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الريا ولذلك افرد بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت وخفيت وعنه عليه السلام من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	وآيها احدى وستون

والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض واذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقران عن الهوى ان هو ما القران او الذي ينطق به الا وحي يوحى اي الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك ح يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورايه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استولى على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير لجبريل ثم دنا من النبي فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنى من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله تقريرا لشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدلو والى الثمر المعلق فكان جبريل كقولك هو مني معقد الازار والمسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه

لما اوحى

لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى او الله اليه وقيل الضماير كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس ما كذب الفؤاد ما راى ببصره من صورة جبريل او الله تعالى اي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقيل بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه السلام سئل هل رايت ربك فقال رايته بفؤادي وقرأ هشام ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة فان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ الكوفيون غير عاصم ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخرى عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة المأوى الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله عما رآه وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم

فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى
لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرا هبة الله عن البزي ورويس
عن يعقوب بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق
بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث
اليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة
صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف على فعلة من مناه الى قطعه فانهم
كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرا ابن كثير مناءة وهي مفعلة
من النوء كانهم كانوا يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة
الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التاخر في الرتبة
الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام
استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني
لقوله افرايتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون
منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل
في بيض فان فعلى بالكسر لم يات وصفا وقرا ابن كثير بالهمز من ضازه
اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اي
ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها الهة
وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها
باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة
لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم سميتم
بها واباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به
ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هو عليه حق تقليد
او توهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم
من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى ام
منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد
نفي طمعهم في شفاعة الالهة وقولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ونحوها
فلله الاخرة والاولى فيعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم
عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات وكثير من الملائكة لا تغني
شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان ياذن الله في الشفاعة
لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى
ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون

بالاخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموه
بنتا وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية
ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي
هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية
وانما العبرة في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عمن تولى
عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام
بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا
بحيث كان منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا
على الباطل ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم
لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض
اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما
عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض خلقا
وملكا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب من عملوا من السوء وهو علة
لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم او سواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي
وحفظ احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى
وهو الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون
كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه
وقيل ما اوجب الحد وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس
او الشرك والفواحش ما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما
قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل
الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك
واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما شاء
من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين
لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله
كما هو مذهب المعتزلة
هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في
بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتداء خلقكم من
التراب بخلق ادم وحيثما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا
تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل
هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب ادم
عليه السلام افرايت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى

قليلا واكدى وقطع العطا من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي
الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة
كان يتبع رسول الله فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ
وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه
بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده
علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما في
صحف موسى وابراهيم الذي وفى وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ
في الوفا بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتمال ما لم يحتمله غيره كالصبر
على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال
اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا
فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية
كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من
الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما صحف موسى او الرفع على هو
ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤخذ احد
بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل
نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام
من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك
في الدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى وان
سعيه سوف يرى الا سعيه اي كما لا يؤخذ احد بذنب الغير لا يثاب
بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون
الناوي له كالنائب له ثم يجزاه الجزاء الاوفى اي يجزي العبد سعيه بالجزاء
الاوفر فالنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء
للجزاء المدلول عليه بيجزي والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء
الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك
ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا لا يقدر على الاماتة
والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله
تعالى على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة
اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق وتقدر منها الولد من منى اذا قدر
وان عليه النشاة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقراء
ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشاه وانه هو اغنى
واقنى واعطى القنية وهي ما يتاثل من الاموال وافرادها لانها اشد

الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى
يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد
الرسول وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون
الرسول ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان
وافق ابي كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها وانه اهلك
عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى
قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا الاولى بحذف الهمزة ونقل
ضمها الى لام التعريف وقراء نافع وابو عمرو في رواية وورش عاد
لولى بادغام التنوين في اللام وقالون كذلك مع جعل الواو همزة
وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقراء عاصم وحمزة
بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف
فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا معطوف عليه من قبل من
قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا
يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة
والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى
بعد ان رفعها فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم
فباي الاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول عليه السلام
او لكل واحد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها الاء من قبل
ما في من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين
هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القران انذار من جنس الانذارات
المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت
الازفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة
ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت
الا الله لكنه لا يكشفها او الان بتاخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها
اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية
افمن هذا الحديث يعني القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء
ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون
من سمد البعير في سيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن
استماعه من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا دون
الالهة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا والنجم
اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

وآيها خمس وخمسون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة القمر مكية

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم
القيمة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة
وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان يروا آية يعرضوا
عن تأملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم رأوا
قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم
من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر
الشيء اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم
وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ المضي
للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من
خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى
الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر
والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن
من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار
من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي
للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها
لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر محذوف وقرئ بالنصب حالا من ما
فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغني النذر
نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر
او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار
لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه
كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسر للتخفيف
وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس
لانها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ
نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث سراعا اي يخرجون
من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان
فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت

برجال قائمين غلمانهم لانه ليس صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم
على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج
والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه
او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم
قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال
وقيل معناه كذبوا تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب
تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون
وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي
هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني بأني وقرئ بالكسر
على ارادة القول مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك
بعد يأسه منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا
عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب
السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة
انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب
وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كأنها عيون منفجرة واصله
وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض
وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا
على امر قد قدر على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت او
على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج
او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه
على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار
من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها
من حيث انها شرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا
اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح
لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون
على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين
ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها
واستمر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء
ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد
والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه اي هيأناه
من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا

فيه انواع المواعظ والعبر والتحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ
فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي
لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت في يوم نحس شؤم
مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم
فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء اخر الشهر
تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك
بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر
اصول نخل منقطع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا
بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر
للحمل على اللفظ والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف
كان كان عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم
في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الاخرة كما قال ايضا في قصتهم
لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى
ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذار
والمواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل
له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء
والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من احادهم
دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا
عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر
الجنون ومنه ناقة مسعورة االقي الذكر الكتاب والوحي عليه
من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره
على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب
بهم او يوم القيامة من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار
عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرا ابن عامر وحمزة ورويس
ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم
حذر في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير
انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم
فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء
قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب
محتضر يحضره صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره فتنادوا صاحبهم

قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها
فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف
فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا
كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها
او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح
الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القران للذكر فهل من
مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة
اي ترميهم الا ال لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو اخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا
انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة
ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا
بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم
فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها بسائر الوجه روي انهم لما دخلوا
داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم
ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير
مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى
يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل
من مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتضي
لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستينافا
للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأي الاء ربكما
تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء ال فرعون النذر اكتفى
بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا باياتنا كلها يعني الايات
التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر
قريش خير من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة ومكانة او دينا عند الله
ام لكم براءة في الزبر ام نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو
في امان من العذاب ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع
لا يرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد
على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار وافراده لارادة
الجنس او لان كل احد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة
وعن عمر رضي الله عنه انها لما نزلت قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة
موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة ادهى

اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وأمرّ مذاقا من عذاب الدنيا
ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون
في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا من النار
والمها فان مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار
وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا
على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره
ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا
ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا
مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة اي فعلة واحدة
وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر
في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا
اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه
في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور
في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء
من النهار وقرئ بسكون الهاء وضم النون والهاء وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر
كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر
مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله تعالى يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	وآيها ست وسبعون

الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية
والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدنيوية واجلها وهو انعامه
بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي
واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه و
مصدق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق
البشر وما يميز به عن سائر الحيوانات من البيان وهو التعبير عما في الضمير
وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء
الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج
التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما
ومنازلهما ويتسق بذلك الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات

وتعلم السنون والحساب والنجم والنبات الذي ينجم اي يطلع من الارض
ولا ساق له والشجر والذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد
بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين
ان يقال اجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن
لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال
العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال
الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة
محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع
على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى
كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل
قامت السموات والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال
ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث انها مصدر
القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت
ويعرف المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان
لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا
على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه
فان من حقه ان يستوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة
في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين
وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل
الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام
كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام
اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه
ينتفع به كالمكموم وكالجذع والحب والثمر ذو العصف كالحنطة والشعير
وسائر ما يتغذى والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان
يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله وقرأ ابن
عامر والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او اخص
ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائي
والريحان بالخفض وما عدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت
الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان قلب واوه ياء للتخفيف فبأي آلاء
ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله ايها الثقلان

خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس
الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله
طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله من تراب ونحوه
وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان
من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب
فبأي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما
افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين
مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك
من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث
ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت
الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر المالح والبحر العذب يلتقيان
يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط
لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض
لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان
احدهما او باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح
ان الدر يخرج من المالح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع
المالح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان المخرج
من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ
نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار
السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا
اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع والمصنوعات
وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن
الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل
فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها
وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها
غيره كل من عليها من على الارض من الحيوانات والمركبات ومن
للتغليب او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت
جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد
ذاتها الا وجه الله تعالى اي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والاكرام
ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان اي

مما يبقى وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب
على فناء الكل من الاعادة والحياة الدائم والنعيم المقيم يسأله من
في السموات والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم
وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل
الشيء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شأن كل وقت يحدث
اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شأنه
ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول
اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان
اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا
سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم
القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك
لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه
وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ اليكم والثقلان الانس
والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما
مثقلان بالتكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم
ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من
قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ
الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا
لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون
ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فبأي آلاء ربكما
تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة
او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها
الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار
ونحاس دخان قال يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا
او صفر مذاب يصب على رؤوسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة
ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية
وقرئ نحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأي
آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي
بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت السماء
فكانت وردة اي حمراء كالوردة وقرئ بالرفع على كان التامة فيكون

من باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت
كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع
وقيل هو الاديم الاحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد ذلك
فيومئذ اي فيوم تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون
الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله لنسألنهم ونحوه
فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة
فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما انعم على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف
المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام
مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فبأي آلاء ربكما تكذبان
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم
ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار
اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد
للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب
باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله
ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف
الانسي واخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد
جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي
او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا
ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من
الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب
من فرع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاءوا في الاعالي
والاسافل وقيل احدهما التسنيم والاخرى السلسبيل فبأي آلاء
ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق من ديباج
ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح
للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين
دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ
بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان تدل
على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه
الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات

الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل
على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فبأي آلاء ربكما تكذبان
كأنهن الياقوت والمرجان اي في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائها
فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان
في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون
تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من
اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان
الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين
النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار
والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما
عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به
الاوليين وكذا ما بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان
عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان
فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة رحمه الله على ان من حلف لا يأكل فاكهة
فأكل رطبا او رمانا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اي
خيرات مخفف لان خيرا الذي بمعنى لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان
حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام
قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي
مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن فبأي آلاء ربكما تكذبان
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الاوليين وهم لاصحاب الجنتين
فانهما يدلان عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد
او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة
وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب
الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء
عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى
فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه
من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم
بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام
عليكما ذو الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

وآيها ست وتسعون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة الواقعة مكية

اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق
وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت
ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله
او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي
او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها
ح نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها
من قولهم كذبت فلانا نفسه بالخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له
انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها
فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون ح من حفظ اعداء الله تعالى
ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال
في الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت
تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق
بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتت
حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت
من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم
ازواجا اصنافا ثلثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج
فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فاصحاب
المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم
بالشمائل او واصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم
بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشوم فان السعداء
ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان
الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناه
التعجيب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا
الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا
في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان
الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين
سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم
في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين اي هم

كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم الى محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني امة محمد عليه السلام ولا يخالف ذلك
قوله عليه السلام ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا
سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده
قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين
لا ينافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها
من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة
المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن
وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على
يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان
وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء لا عروة
ولا خرطوم والابريق له ذلك وكاس من معين من خمر لا يصدعون
عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرئ
لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون
اي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على
ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرأ حمزة والكسائي
بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور
او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون
وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون المصون
عما يضربه في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل ذلك
كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تاثيما ولا نسبة
الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم الا قيلا الا قولا سلاما سلاما بدل
من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله
بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام
بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين
في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه
من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز
او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود
نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا
يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب
او مصبوب سائل كانه لما شبه حال السابقين في التنعم باكمل ما يتصور

لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادي
اشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس
لا مقطوعة لا ينقطع في وقت ولا ممنوعة ولا تمنع عن متناولها بوجه
وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش
النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشاناهن
انشاء اي ابتدانا هن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة
وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا
جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن
وجدوهن ابكارا متحببات الى ازواجهن فجعلناهن ابكارا عربا
جمع عروب وسكن رواه حمزة وابو بكر اترابا فان كلهن بنات ثلاث
وثلاثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشانا او جعلنا
او صفة لابكار او خبر لمحذوف مثل هن ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
وهي على الوجوه الاول خبر لمحذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال
في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة
وظل من يحموم من دخان اسود يفعول من الحممة لا بارد كسائر
الظل ولا كريم ولا نافع نفي بذلك ما اوهم الظل من الاستراوح
انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون
على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث
اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها
ويحنث اذا اثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا
في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله اوآباؤنا الاولون للدلالة
على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن
العطف على المستكن في لمبعوثون قل ان الاولين والاخرين
لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به
الدنيا وحد من يوم معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون
المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون
من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون
منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة
العطش وتانيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على الشجر ولفظه
وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون

شرب الهيم الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم
وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي
عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي
لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض
وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد
وقرا نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين هذا نزلهم يوم الدين
يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما
في قوله وبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ
نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق
بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة
افرايتم ما تمنون اي ما تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء
من مني النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا ام نحن
الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت
معين وقرا ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد
فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقه على كذا اذا غلبه
عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى المعنى اللام
وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم
اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم
فيما لا تعلمون في خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة
الاولى فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها
اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة
القياس افرايتم ما تحرثون تبذرون حبه ءانتم تزرعونه تنبتونه
ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون
تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي
فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل
بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون
غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرا ابو بكر اءنا
على الاستفهام بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون
افرايتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه
من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض
وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم

فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرايتم النار التي تورون تقدحون اانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام او تذكيرا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدايع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عددها من النعم فلا اقسم اي فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه انه قرئ فلاقسم او فلا رد للكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القران ومواقعها اوقات نزولها وقرا حمزة والكسائي بموقع وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض فانه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه لقران كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القران الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره او اطهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقران وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب

اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القران انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الامر اي لم يلن جانبه ولا يتصلب تهاونا به وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اي تجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وتكذبون اي بقولكم في القران انه سحر وشعر او في المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب ونحن اعلم اليه الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اي مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين اي ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اي من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مدنية	بسم الله الرحمن الرحيم	وآيها تسع وعشرون

سبح لله ما في السموات والارض ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته دلالة جبلته لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له في نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله

وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدا للتسبيح له
ملك السموات والارض فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيي ويميت
استيناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور في له وهو على كل شي من
الاحياء والاماتة قدير تام القدرة هو الاول السابق على الموجودات
من حيث انه موجدها ومحدثها والاخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر
الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذي يبتدي منه الاسباب
وتنتهي اليه المسببات او الاول خارجا والاخر ذهنا والظاهر والباطن
الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا يكتنهها العقول
او الغالب على كل شي والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع
بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شي عليم يستوي
عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض كالبذور وما يخرج منها
كالزرع وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو
معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير
فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات
والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما
والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو
عليم بذات الصدور بمكنوناتها امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي
في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها
وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين امنوا منكم
وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر
الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر
وما لكم لا تؤمنون بالله اي وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك
قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى
اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والايات
وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك
بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ
ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا
موجب لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم
اي الله او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان

وان الله بكم لرؤف رحيم حيث نبهكم بالرسل والايات ولم يقتصر
على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا واي شي لكم في
ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات
والارض يرث كل شي فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك
فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان لتفاوت
المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات
حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد
وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة
اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلة الحاجة الى المقاتلة والانفاق من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اي
وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر وكل
بالرفع على الابتداء اي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون
خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والاية نزلت في ابي بكر
فانه اول من امن وانفق وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به
على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من الذي ينفق ماله
في سبيل الله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص
فيه وتحري الكريم من المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي يعطيه
اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف
كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف اضعافا وقرأ عاصم
فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب
فيضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله فيضاعف
او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم
وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين
بشراكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم
اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور
والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل
من يوم ترى للذين امنوا انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة
كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم فيستضيئون بنورهم بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان

اتباعهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل
ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية
والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثمه
يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا اخر فانه لا سبيل لكم الى
هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المومنين او الملائكة فضرب بينهم بين
المومنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المومنون
باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله
العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون
موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم
بالمومنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد
العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان
او الدنيا فاليوم لا يوخذ منكم فدية فداء وقرا ابن عامر ويعقوب
بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا او باطنا ماويكم النار هي مولاكم
هي اولى بكم لقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة
خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى
بكم كقولك هو مائنة الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم
عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا
وبئس المصير النار الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله
الم يات وقته يقال انى الامر يانى انيا واناً اذا جاء اناه وقرئ
بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى ولما يان روي
ان المومنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة
ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القران وهو عطف
على الذكر عطف احد الوصفين على الاخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكروا
الله وقرا نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ نُزّل ولا يكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرا رويس بالتاء
والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم
الامد اي فطال عليهم الزمان لطول اعمارهم او امالهم او ما بينهم
وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامدّ وهو الوقت الاطول
وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم
من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل

لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات
ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الايات لعلكم
تعقلون كي يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين
والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد
اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف
على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا
وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص
يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه
لا يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين امنوا
بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي اولئك
عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون في الصدق
فانهم امنوا وصدقوا جميع اخبار الله تعالى ورسله والقائمون
بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل والشهداء عند ربهم
مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل لهم اجرهم ونورهم مثل
اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل
التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص
بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على
الملازمة عرفا اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الاخرة حقر امور الدنيا
وهي ما يتوصل به الى الفوز الاجل بان بين انها امور خيالية قليلة
النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب
الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم
وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر
بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث
اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها
في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى
واعجب به الحراث والكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا
ولان المومن اذا راى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب
بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج

اى ييبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الاخرة بقوله وفى الاخرة
عذاب شديد تنفير عن الانهماك فى الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة
العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا
الا متاع الغرور اى لمن اقبل عليها ولم يطلب الاخرة بها سابقوا
سارعوا مسارعة السابقين فى المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اى عرضها كعرضهما واذا كان العرض
كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض
اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان
الايمان وحده كاف فى استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل
العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من
مصيبة كجدب وعاهة فى الارض ولا فى انفسكم كمرض وافة
الا فى كتاب الا مكتوبة فى اللوح مثبتة فى علم الله من قبل ان نبراها
نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او الانفس ان ذلك ان ثبته
فى الكتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا
تاسوا اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا
ولا تفرحوا بما اتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر
هان عليه الامر وقرا ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم
وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما
حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفى
الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال
ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من ثبت نفسه
حالى الضراء والسراء الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من
كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدا خبره محذوف
مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد لان معناه
ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته
لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد
واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرا نافع وابن عامر ان الله
الغنى لقد ارسلنا رسلنا اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى
الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق
ويميز صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل

كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزلناه انزال اسبابه والامر
باعداده وقيل انزل الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة
ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آلات
الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد التها
وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفار
والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمنه تعليلا او اللام
صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن فى ينصره
ان الله قوى على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة
وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا
نوحا وابرهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم
واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم مهتد فمن الذرية
او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا وكثير منهم فاسقون خارجون
عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم
والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا
بعيسى ابن مريم اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير
لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية
فان الرسل المقفى بهم من الذرية واتيناه الانجيل وقرى بفتح الهمزة وامره
اهون من امر البرطيل لانه اعجمى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة
وقرى رافة على فعالة ورحمة ورهبانية ابتدعوها اى ابتدعوا
رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهى المبالغة
فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان
وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت بالضم
كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها
عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع
اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها
عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع
العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف
قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها
بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم
فما رعوها اى فما رعوا جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول
بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه السلام ونحوها اليها فاتينا

الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله
محمد عليه السلام يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد عليه السلام
وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة
الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به
يريد المذكور في قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس
ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم
ولكي يعلم ولأن يعلم بادغام النون في الياء اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء
من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله
ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون
على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا
ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون
على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على لا يعلم وقرئ ليلا
يعلم ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا
على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي عم من قرا سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله

وآيها اثنان وعشرون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة المجادلة مدنية

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي ان خولة
بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت
الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول والمجادلة
يتوقع ان الله يسمع مجادلتها ويفرج عنها كربها والله يسمع تحاوركما
تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال
والاحوال الذين يظهرون منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل
لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء
محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل
يظهرون يتظهرون وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر
وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم
الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن
كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم

وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا
من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه
الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه
والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم
بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك
عند الشافعي بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه
اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به
وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام
على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون في
الجاهلية وهو قول الثوري او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى
بان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها
او استباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب
اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير
بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل
من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم
اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير
ذلكم اي ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية
والموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية
فمن لم يجد اي الرقبة والذي غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين
من قبل ان يتماسا فان افطر لغير عذر لزمه الاستئناف وان افطر
لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا
خلافا لابي حنيفة ومالك فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض مزمن
او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابي المفطر ان يعدل فاطعام
ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة
يعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر
التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه في خلال الاطعام
كما قال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه ذلك اي ذلك البيان والتعليم
للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض
ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في
جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين

لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن
العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من
المتعاديين في حد غير حد الاخر او يضعون او يختارون حدودا غير
حدودهما كبتوا اخذوا واهلكوا واصل الكبت الكب كما كبت
الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا ايات بينات
تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب
عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا
كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اي على رؤس
الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصاه الله احاط به عددا
لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل شيء شهيد
لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض كليا
وجزئيا ما يكون من نجوى ما يقع من تناجي ثلثة ويجوز ان يقدر
مضاف او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها
من النجوة وهو ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن
لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث
انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة
ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة
فان الاية نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر
والثلاثة اول الاوتار او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان
كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب
على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك
ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر الا هو معهم يعلم ما يجري
بينهم وقرا يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا
ادنى ان جعلت لا لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس
لقرب مكان حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة
تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله بكل شيء عليم لان
نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على السواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى
ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون
فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول

وقرا حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى
واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم
صباحا والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى
ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا
الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها
فبئس المصير جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا
وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول
واتقوا الله الذي اليه تحشرون فيما تاتون وتذرون فانه مجازيكم عليه
انما النجوى اي النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان فانه المزين
لها والحامل عليها ليحزن الذين امنوا بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم
وليس الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا
باذن الله الا بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالون بنجواهم
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح
بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد
بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا
على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من
المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة
او لما امرتم به كصلاة او جهاد او ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرا نافع
وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين امنوا منكم
بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الاخرة والذين
اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا
من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد
رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله
بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر واستكرهه يا ايها الذين امنوا
اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها
مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول وانفاع الفقراء والنهي
عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب
الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله اأشفقتم

وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضي الله تعالى
عنه ان في كتاب الله اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار
فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب
لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي
لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر
اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم
تجدوا فان الله غفور رحيم اي لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة
بلا تصدق ادل على الوجوب أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم
صدقات أخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم
الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي
فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار
بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منهم ما قام مقام توبتهم
واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة
فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام
بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر
الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم
ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب
وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف
بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته
وما لا يعلم وروي انه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل
عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل
المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام له علام تشتمني انت واصحابك فحلف
بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب
متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا
ايمانهم اي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية
دون دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم
عن دين الله بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لهم
وقيل الاول لعذاب القبر وهذا لعذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله
جميعا فيحلفون له اي لله على انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون لكم في الدنيا
انهم لمنكم ويحسبون انهم على شيء لان تمكن الكذب والنفاق في نفوسهم بحيث

يخيل اليهم في الاخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم
في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون
مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى
عليهم من حذت الابل وحذتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل
فانساهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده
واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد
وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في
جملة من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة
وقرا نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب
عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله
اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا اباءهم
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك
اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل
من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح
لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اي بروح من عند الله وهو نور القلب
او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة القلب ويدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه
بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله
هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي عم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية — بسم الله الرحمن الرحيم — وآيها اربع وعشرون

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه عليه السلام
لما قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر
قالوا انه النبي المنعوت في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد
ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا
ابا سفيان فامر رسول الله اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم
بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت
طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى والله على كل شيء قدير هو الذي
اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي في اول
حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او في اول حشرهم

للقتال او الجلاء الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر اليه
او في اول حشر الناس الى الشام واخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام
الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب
والحشر اخراج جمع من مكان الى اخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم
ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ان حصونهم تمنعهم
من باس الله تعالى وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم
للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة
ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله
اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي
فاتاهم نصر الله وقرئ فاتاهم اي العذاب والنصر من حيث لم يحتسبوا
لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي
رعبها اي يملاها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا
لما استحسنوا من الاتها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون
ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث
ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة
حال وتفسير للرعب وقرا ابو عمرو ويخربون بالتشديد وهو ابلغ لما
فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب
الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم ولا تعتمدوا على
غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة
من حال الى حال وحملها عليها في لما بينهما من المشاركة المقتضية له
على ما قررناه في الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء
الخروج من اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني
قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار استيناف معناه انهم ان نجوا
من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله
ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر
مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم
من لينة اي شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون وتجمع على الوان
وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها ليان او تركتموها
الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ على اصلها
اكتفاء بالضمة عن الواو وعلى انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزي
الفاسقين علة لمحذوف اي فعلتم او اذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم

بما غاظهم منه روي انه عليه السلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد
قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت
واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم
وما افاء الله على رسوله اي وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه
فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق
ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم
من بني النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله
من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب من
الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد
في بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها
رجالا غير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا
ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلثة كانت
بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم
والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة
بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك
لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف
سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم
ويصرف الان سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور
على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه
عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما
يشاء والان على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون
للفقراء وقرا هشام بالتاء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله
الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون
الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة يكون بينهم وقرا هشام دولة بالرفع
على كان التامة اي كيلا يقع دولة جاهلية وما اتاكم الرسول اي وما
اعطاكم من الامر او الفيء فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب
الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه منه وعن اتيانه فانتهوا عنه فاتقوا الله
في مخالفة الرسول ان الله شديد العقاب لمن خالفه للفقراء
المهاجرين بدل من ذي القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى
فقيرا ومن اعطى غنيا ذوي القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء

بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم
واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم
بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم
اولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين
تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار
فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة
ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول
وعوض عنه اللام او تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا
وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم
من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار
من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون
في صدورهم في انفسهم حاجة ما يحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة
والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي المهاجرون من الفيء وغيره
ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من
كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم
خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه
حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك
هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الاجل والذين
جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين قوي الاسلام والتابعون
باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل
ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اي لاخواننا في الدين ولا تجعل
في قلوبنا غلا للذين امنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم فحقيق
بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين
كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر والصداقة
والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم
او خذلانكم احدا ابدا اي من رسول الله والمسلمين وان قوتلتم
لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون
ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
وكان ذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم
اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القران ولئن نصروهم

على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد
بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم او ضمير الفعلين يحتمل
ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد
مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون
مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان
رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون
لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلموا انه الحقيق بان
يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين الا في
قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر وقرأ ابن كثير
وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو وفتحه الدال باسهم بينهم شديد اي ليس
ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله
الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله
ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة
لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون
ما فيه صلاحهم فان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين
من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم
اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان
قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم
سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة كمثل
الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الامر للمأمور فلما كفر
قال اني بريء منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه
ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما
في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الانسان
الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من
الناس واني جار لكم الاية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد
وقرئ عاقبتهما على انهما الخبر لكان وخالدان على انه الخبر لان وفي النار
لغو يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم
القيامة وسماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والاخرة غده وتنكيره
للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن
للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير

للتأكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في
ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد
على المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم
انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا
ما يخلصها او اراهم يوم القيامة من الهول ما انساهم انفسهم
اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا
الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على
ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم
المقيم لو انزلنا هذا القران على جبل تمثيل وتخييل كما مر في قوله
انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله لرأيته خاشعا متصدعا من
خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان
الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه
عند تلاوة القران لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق
وقرئ مصدعا على الادغام هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب
والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية
واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه
في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود والسر والعلانية
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما
يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة
من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن
وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ
لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي
جبر خلقه على ما اراد او جبر حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر
عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا
يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى
حكمته البارئ الموجد لها بريا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها
كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى
له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في السموات والارض
لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال
في القدرة والعلم عن النبي عم من قرأ سورة الحشر غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية	بسم الله الرحمن الرحيم	وآيها ثلث عشرة

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب
ابن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يغزو
اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة
مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا
روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها
وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم فجحدت فسل علي السيف
فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ
نصحتك ولكني كنت امرا ملصقا في قريش وليس فيهم من يحمي اهلي
فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا
فصدقه رسول الله وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة
بالمكاتبة والباء زائدة او اخبار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت
على غير من هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم
دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين
يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استئناف
لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب
والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم
خرجتم من اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج
وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون
اليهم بالمودة بدل من تلقون او استئناف معناه اي طائل لكم
في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما
اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية
ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطأه
ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة
اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم
وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار

بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادهم حاصلة وان لم يثقفوكم
لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين
لاجلهم يوم القيامة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عداكم من الهول فيفر
بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا
وقرا حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وابن عامر
يفصل على البناء للمفعول وهو بينكم وعاصم يفصل والله بما تعملون
بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة لما يوتسى في ابراهيم
والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة
لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم
جمع بريء كظرائف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم
او بكم وبه فلا نعتد بشانكم والهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى
تومنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر
ليس مما ينبغي ان ياتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك
لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من المجموع جميع اجزائه
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء
او امر من الله للمومنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق
بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا
فيفتنونا بعذاب لا نتحمله واغفر لنا ربنا ما فرط انك انت العزيز الحكيم
ومن كان كذلك حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم
اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التاسي بابراهيم ولذلك صدر بالقسم
وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الاخر من لكم فانه يدل على انه
لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي بهم وان تركه موذن بسوء العقيدة ولذلك
عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا
عادى المومنون اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم بذلك وانجز اذا
اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور رحيم
لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبهم من ميل الرحم لا ينهاكم الله
عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم الله
عن مبرة هولاء لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم
تفضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين العادلين روي

ان قتيلة

ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر
بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة
فان بعضهم سعوا في اخراج المومنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم
بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات
مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن
لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن
فان علمتموهن مومنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب
بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل
فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن التكرير للمطابقة والمبالغة او الاول لحصول الفرقة
والثانية للمنع عن الاستيناف واتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور
وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر
عليه رد من لو رد والنهي لزمه رد مهورهن اذ روي انه عليه السلام كان بعد
بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر
المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله فحلفت فاعطى زوجها
ما انفق وتزوجها عمر ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن
وبين ازواجهن الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط ابتاء المهر في
نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم
الكوافر بما يعتصم به الكافرات من عقد ونسب جمع عصمة والمراد نهي المومنين
عن نكاح المشركات وقرا البصريان ولا تمسكوا بالتشديد واسالوا ما انفقتم
من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسالوا ما انفقوا من مهور ازواجهم
المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الاية يحكم بينكم استيناف او حال
من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم
يشرع ما تقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم
احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم
او شيء من مهورهن فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر
شبه الحكم باداء هولاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء
هولاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في المركوب وغيره فاتوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوج الكافر

روي انه لما نزلت الاية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فاتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تامرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لا يامر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد بالايات كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر ايئسهم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

اياتها اربع عشرة	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة الصف مدنية

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كانهم بنيان مرصوص في تراصهم

من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق والجنة واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية في حال تصديقي لما تقدمني من التورية وتبشيري برسول ياتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم النبيين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على الاشارة لعيسى عليه السلام ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيقته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله تعالى بتكذيب رسوله وتسميته اياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها في لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم يعني دينه او كتابه او حجته بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقران او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على الاديان كلها ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك

يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرأ
ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله
باموالكم وانفسكم استيناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد
المؤدي الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا
بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد
ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله
يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام
دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم
يغفر لكم ويبعد جعله جواب هل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن
ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة
واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة
وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وقيل اخرى
منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على
الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما
عطف عليه بالنصب على البدل او للاختصاص او المصدر وفتح
قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين
امنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا
ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما اجلا وعاجلا
يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين
واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين
من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق
قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد
المتشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل
الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او
كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله
والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به من الحور وهو البياض وكانوا اثني عشر
رجلا فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة اي بعيسى فايدنا
الذين امنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام
فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها احدى عشرة

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز
الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث
في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن رسولا
منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم اياته مع كونه اميا لم يعهد منه
قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القران والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو
لم يكن له سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم
وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام
تدل عليها واخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم
وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم
الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في
تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك
فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء
تفضيلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا
ونعيم الاخرة مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا العمل بها
ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا
من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل
او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا
بايات الله اي مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بايات الله الدالة
على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان يكون صفة للقوم والمخصوص
بالذم محذوفا والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين
هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا
يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله
ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين
في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر
والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت
الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم

فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمين
الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكأن فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد
قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه
يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة اي اذن لها من يوم الجمعة
بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت
العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه
اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه لما قدم
المدينة نزل قبا واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في
دار بني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين
قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعي
اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم
اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ان كنتم
تعلمون الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة
اديت وفرغ عنها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق
لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث
وابتغوا من فضل الله ليس لطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة
وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا
ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا رأوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها روي انه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل
الطعام فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت وافراد التجارة
برد الكناية لانها المقصودة فان المراد باللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون
به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل
ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها
والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى
بذلك وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا
لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله
من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد
بخلاف ما تتوهمون به والله خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا
الرزق منه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقون مدنية | بسم الله الرحمن الرحيم | آياتها احدى عشرة

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار
عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به
وكذبهم بالشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله ان المنافقين لكاذبون
لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب وشهادتهم هذه فانها تجري
مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا
عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم
ذلك اشارة الى ما تقدم من الكلام اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او
الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا
بسبب انهم آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او آمنوا اذا رأوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا
من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه
فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم
لضباحتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم
وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع
مثله فيعجب بهيكلهم ويصغي الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من
الضمير المجرور في قولهم اي تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة
مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب
جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر
وقرأ ابو عمرو والكسائي وقيل عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف
او على انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم
لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلة والمفعول
هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله
فاحذرهم عليه يدل ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو
طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك
انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
رسول الله لووا رؤوسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك وقرأ
نافع بتخفيف الواو ورأيتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الاستصلاح

لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض
بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا
في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي راسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله وقرئ لنخرجن بالنون وليخرجن
على البناء للمفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءة مصدر
او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون
من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكورة
للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل
ذلك اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم
الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للاخرة من قبل
ان ياتي احدكم الموت اي يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل
قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك
وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا
على اصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا
ولن يمهلها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء
ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مدنية	بسم الله الرحمن الرحيم	وآياتها احدى عشرة

يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه
له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث
الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل
على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره
موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه
والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض
بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق

فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم
بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير
فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات
والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا
يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه
الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات
على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص
ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفار نبأ الذين كفروا من قبل كقوم
نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله
الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل المطر الثقيل
القطار ولهم عذاب اليم في الاخرة ذلك اي المذكور من الوبال
والعذاب بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسول بشرا
والبشر يطلق على الواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر
في البينات واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني
عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا
ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام
مقامهما ان بما في حيزه قل بلى اي بلى تبعثون وربي لتبعثن قسم
اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله
يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فامنوا بالله ورسوله
محمد عليه السلام والنور الذي انزلنا يعني القران فانه باعجازه ظاهر
بنفسه مظهر لغيره بما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه
يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر ليوم الجمع لاجل ما فيه من
الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن
يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء
وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن
الحقيقي هو التغابن في امور الاخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله
ويعمل صالحا عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر بالنون
فيهما ذلك اشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم
لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا

وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس
المصير كانها والاية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب
من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله
يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع
على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ
بالهمزة اي يسكن والله بكل شئ عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا الله
واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان
توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل
المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله ويخاصمونكم في امر الدين او الدنيا
فاحذروهم ولا تامنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا
بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله
غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم
والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم
فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه
واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي افعلوا ما
هو خير لكم وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف
اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امره قرضا حسنا
مقرونا بالاخلاص وطيب القلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة
واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق
والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم
الغيب والشهادة لا يخفى عليه شئ العزيز الحكيم تام القدرة والعلم
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

آياتها اثنا عشرة	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة الطلاق مدنية

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه
امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم
تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن
اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتاقيت

ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره
يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون
في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهي
عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف
وقد صح ان ابن عمر لما طلق امرأته حائضا امره عليه السلام بالرجعة وهو
سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء
واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن
من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن
باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي
الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها مسكن
الفراق وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول
والمعنى الا ان تبذوا على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او
الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة
على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري
اي النفس او انت ايها النبي المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا
وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن
آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق
مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان
راجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة
والفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا
اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها
الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة
او على جميع ما في الاية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فانه
المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء
عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة
واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع
جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من
المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد
لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث

لا يحتسبون او كلام جي به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام
اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها
ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو
فشكا ابوه الى رسول الله فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة
الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من
الابل غفل عنها العدو فاستاقها وفي رواية رجع ومعه غنيمات و
متاع ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ
ما يريده ولا يفوته مراد وقرا حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ
وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او مقدارا
او اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم
من تاقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي
من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم
شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن ثلاثة اشهر روي انه لما نزل
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللاي لم
يحضن فنزلت واللاي لم يحضن اي واللاي لم يحضن بعد
كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن
وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى
من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم
اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا
بخلاف ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة
زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله فقال قد حللت فتزوجي ولانه
متاخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الاخر بناء للعام على الخاص والاول
راجح للوفاق عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يجعل
له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر
من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها
يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا
بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم
من وجدكم من وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث
سكنتم ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن
الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن
فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص النفقة بالحامل من المعتدات

والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فاتوهن
اجورهن على الارضاع وائتمروا بينكم بمعروف وليامر بعضكم بعضا
بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى
امراة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله اي فلينفق كل من الموسر والمعسر
ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا
الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده باليسر فقال سيجعل الله
من بعد عسر يسرا اي عاجلا او اجلا وكاين من قرية اهل قرية عتت
عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند
فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا
منكرا والمراد حساب الاخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت
وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه
اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى
المامور به في قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد
بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب
ما اصيبوا به عاجلا الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر
جبريل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القران او لانه مذكور في السموات
او ذا ذكر اي شرف او محمدا صلى الله عليه وسلم لمواظبته على تلاوة القران
او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الذكر
اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القران ورسولا منصوب بمقدر
مثل ارسل او ذكرا والرسول مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم
ايات الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين في قوله
تعالى ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين امنوا بعد انزاله
اي ليحصل لهم ما هم عليه من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه
يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله
ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجيب
وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدا وخبر
ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد ومن الارض قرئ بالرفع
على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن
وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما

علمه للخلق او تنزل او مضمر نعتهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله عم

سورة التحريم مدنية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها اثنتا عشرة

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عليه السلام خلا بمارية
في يوم عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم
مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطات عائشة سودة وصفية
فقلن له انا نشم فيك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات
ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف ببيان الداعي اليه
والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احل الله رحيم رحمك
حيث لم يواخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم
تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء
فيها بالمشية حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به
من راى التحريم مطلقا او تحريم المراة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب
كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين
كما قيل والله مولاكم متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن
في افعاله واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا
تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر فلما نبات به اي فلما
اخبرت حفصة عائشة بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبي عليه السلام
على الحديث اي على افشائه عرف بعضه عرف الرسول عليه السلام حفصة
بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على
بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف
فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب
والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نباها به قالت من انباك
هذا قال نباني العليم الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله
خطاب لحفصة وعائشة رضي الله عنهما على الالتفات للمبالغة في المعاتبة
فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن
الواجب من مخالصة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا
عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرا الكوفيون بالتخفيف فان الله
مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة

وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الملائكة والكروبيين قرينه
ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون
وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وقوله
بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن
ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه
ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق
الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرا نافع
وابو عمرو يبدله بالتخفيف مسلمات مومنات مقرات مخلصات
او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة
تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول
سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات
ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة
اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتاديب وقرئ واهلوكم
عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين
نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب
عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد
الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون
الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما ياتي او لا يمتنعون
عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند
دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم
يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة
التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي
مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب وقرا
ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة
كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا
لانفسكم وسئل علي عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من
الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم
وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها
في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري

من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا
بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف
ورجاء يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه
عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتداء خبره
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا طفي
نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير
وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسئلون اتمامه تفضلا يا ايها النبي
جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل
الخشونة فيما تجاهدهم به اذ بلغ الرفق مداه ومأويهم جهنم وبئس المصير
جهنم او مأواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط
مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي
والمومنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
يريد تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا
فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء وقيل ادخلا النار اي لهما عند
موتهما او يوم القيامة مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين
لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون
شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا يضرهم بحال اسية ومنزلتها عند الله
من انها كانت تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف لمثل المحذوف
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلاء درجات
المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني
من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة
عمران عطف على امراة فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها
من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقري فيها اي في مريم والحبلة
من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها
بصحفه المنزلة او بما اوحي الى انبيائه وكتابه وما كتب في اللوح او
جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقري
بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من
عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها
لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم
فتكون من ابتدائية وعن النبي عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل
من النساء الا اربع اسية بنت مزاحم امراة فرعون وابنة عمران وخديجة بنت

خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد
على سائر الطعام وعنه عليه السلام من قرا سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا

ايها ثلثون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة الملك مكية

تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها
وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحيوة
قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدرها وقدم الموت لقوله وكنتم
امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر
بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا
احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعته جملة واقعة موقع المفعول
ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل
بها وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين
وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه اساء العمل الغفور لمن تاب منهم
الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت
النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات
طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت وقرا حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد
والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين
فات عنه بعض ما في الاخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن
موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة
رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها
للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به
على معنى التسبيب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متاملا
فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها
ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر
كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير
والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب
اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه بالصغار
وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء
الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل

اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات
فوقها او التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما
للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض
الشهب المسبب عنها وقيل معناها وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين
الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به
واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا
وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير
وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب
السعير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي
تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق
غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية
كلما القي فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم يأتكم نذير
يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل
وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا
في نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر
بمضاف اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له
ولامثاله على التغليب واقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على
ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم
وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة
القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون
فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث
وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر
في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم
ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة
والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر والمراد الكفر فسحقا لاصحاب
السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز
والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون
ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد وغائبين
عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة
لذنوبهم واجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم

او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا
الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته
وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او لا يعلم الله
من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم
مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء
فيخبر الله به رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله
على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها
فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فاذا
جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا
من رزقه والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر
ما انعم عليكم ءامنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم
او الله تعالى على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب
فانهم زعموا انه تعالى في السماء وعن ابن كثير برواية قنبل وامنتم بقلب
الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وامنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة
نافع برواية ورش ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما
فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب
والمراد التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل حاصبا
ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم
المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير
انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه اولم يروا
الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن
اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة
الفعل وللتفرقة بين الاصيل في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن
في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن
على اشكال وخصائص هيأهن للجري في الهواء انه بكل شيء بصير
يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذي هو جند لكم
ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى الم ينظروا
في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال
حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو
كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن

عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم وهو مبتداء
وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه
ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم ام من
يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر
وساير الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو
عناد ونفور شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه امن يمشي مكبا على وجهه
اهدى يقال كببته فاكب وهو من الغرايب كقشع الله السحاب فاقشع
والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا
مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه
يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك
قابله بقوله امن يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط مستقيم
مستوي الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين
بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكتب من الدلالة على حال المسلك
للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف
في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف
فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه
الى النار ومن يمشي سويا هو الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي
انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا صنايعه
والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما
خلقت لاجلها قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون
ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب
ان كنتم صادقين يعنون النبي والمؤمنين قل انما العلم اي علم وقته
عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار يكفي له العلم
بل الظن بوقوع المحذر منه فلما راوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود
زلفة ذا زلفة اي قارب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان
عليها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون
تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء وتدعون ان لا بعث
فهو من الدعوى قل ارايتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المؤمنين
او رحمنا بتاخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا
ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به
ريب المنون قل هو الرحمن الذي ادعوكم اليه مولى النعم كلها

امنا به

آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات
لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار فستعلمون من هو
في ضلال مبين منا ومنكم وقرا الكسائي بالياء قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا
في الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر
سهل الماخذ عن النبي عليه السلام من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة ن مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | اياتها اثنان وخمسون

ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت
وهو الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء
اشد سوادا من النقش يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف
والقلم هو الذي خط اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى
ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل
فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روي
ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون
وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى الثاني على
ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولي العلم لاقامته
مقامهم او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك
بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة
وحصافة الراي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء
لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك
لاجرا على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون غير مقطوع او ممنون به
عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق
عظيم اذ تتحمل من قومك ما لا يتحمله امثالك وسئلت عائشة عن خلقه
فقالت كان خلقه القرآن الست تقرا القرآن قد افلح المؤمنون
فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذي فتن بالجنون والباء
مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود
او باي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين
اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين
بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم

وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ تلاينهم بأن تدع نهيهم عن الشرك أو توافقهم فيه
أحيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف
أي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم أخروا ادهانهم حتى تدهن أو للسببية
أي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون
طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني ولا تطع
كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الرأي من المهانة
وهي الحقارة هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية
مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الإيمان والإنفاق والعمل الصالح
معتد متجاوز في الظلم أثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله
إذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعدما عد من مثالبه زنيم دعي
مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من أذنها وحلقها قيل هو الوليد
ابن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشر من مولده وقيل الأخنس بن شريق
أصله في ثقيف وعداده في زهرة أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى
عليه آياتنا قال أساطير الأولين أي قال ذلك حينئذ لأن كان متمولا
مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه
لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز أن يكون علة للا تطع أي
لا تطع من هذه مثالبه لأن كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب
وأبو بكر أأن كان على الاستفهام غير أن ابن عامر برواية هشام جعل
الهمزة بين بين أي ألأن كان ذا مال كذب أو أتطيعه لأن كان ذا مال
وقرئ إن كان بالكسر على أن شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل
بالفقر في النهي عن قتل الأولاد أو أن شرطه للمخاطب أي لا تطع
شارطا يساره لأنه إذا أطاع للغنى فكأنه شرطه في الطاعة سنسمه
بالكي على الخرطوم على الأنف وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم
بدر فبقي أثره وقيل هو عبارة عن أن يذله غاية الإذلال كقولهم
جدع أنفه إنا بلوناهم بلونا أهل مكة بالقحط كما بلونا أصحاب الجنة
ورغم أنفه لأن السمة على الوجه سيما على الأنف شين ظاهر أو نسود وجهه يوم القيمة صح
يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان
ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل أو ألقته
الريح أو بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير
فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا فحلفوا
ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال إذ أقسموا ليصر
منها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا

ولا يقولون إن شاء الله وإنما سماه استثناء لما فيه من الإخراج غير
أن المخرج به غير المذكور والمخرج بالاستثناء عينه أو لأن معنى لأخرجن إن شاء الله
ولا أخرج إلا أن شاء الله واحد أو لا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج
أبوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدأ
منه وهم نائمون فأصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره
بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول أو كالليل باحتراقها واسودادها
أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لأن كلا منهما
ينصرم عن صاحبه أو كالرمال فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم
أي اخرجوا أو بأن اخرجوا إليه غدوة وتعدية الفعل بعلى إما لتضمنه معنى
الإقبال أو التشبيه للغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء
إن كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون
فيما بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش
أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين أن مفسرة وقرئ بطرحها على إضمار
القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من
الدخول كقوله لا أرينك ههنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين
على نكد لا غير من حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر وحاردت الإبل
إذا منعت درها والمعنى أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم
بحيث لا يقدرون فيها إلا على النكد أو غدوا حاصلين على النكد والحرمان
مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به
أي لم يقدروا إلا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل
القصد والسرعة قال أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة
المغلة أي غدوا إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل
علم للجنة فلما رأوها أول ما رأوها قالوا إنا لضالون طريق جنتنا
وما هي بها بل نحن أي بعد ما تأملوا وعرفوا أنها هي محرومون
حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا قال أوسطهم رأيا أو سنا ألم أقل لكم
لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون إليه من خبث نيتكم وقد قاله
حين ما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا إنا
كنا ظالمين أو لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في
التعظيم أو لأنه تنزيه عن أن يجري في ملكه ما لا يريده فأقبل بعضهم على
بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فإن منهم من أشار بذلك ومنهم
من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من أنكره قالوا يا ويلنا

انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها
ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ
يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير
والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك
الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة
اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب
ان للمتقين عند ربهم اي في الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم
جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار
لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه
لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف
تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه
صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي ام لكم كتاب من السماء
فيه تدرسون تقرءون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه
وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيء باللام كسرت
ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختاره اخذ
خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية
في التوكيد وقرئ بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين
الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة
لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان
تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم
ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم
قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد
نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل
او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها
على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يريد
بمعنى الاصنام يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كانه لما نفى ان يكون
التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما يشركون الله به يوم يكشف
عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل
في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من
ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل وقرئ تكشف بالتاء
على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى
السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون
الى الصلوة لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته
او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذل وقد كانوا
يدعون الى السجود في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون
منه مزاحو العلل فيه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله الي
فاني اكفيكه سنستدرجهم سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال
وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو
الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم
ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما سمي انعامه استدراجا بالكيد
لانه في صورته ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة
مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات
فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك
وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس
اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى
ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها
وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على
حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء
بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة
وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه
بان رد الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة
فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل
ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله
ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو
على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي
المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا
بحيث يكادون يزلون قدمك او يرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد
يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك
بالعين اذ روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم على ان

يعين رسول الله فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر
والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرا نافع ليزلقونك
من زلقه فزلق كحزنه فحزن وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا
الذكر اي القران اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه
لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القران
بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا
عن النبي عليه السلام من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها اثنتان وخمسون

الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي يحق فيها الامور
اي تعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد
المجازي وهي مبتدا خبرها ما الحاقة واصله ما هي اي اي شيء هي على
التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها
وما ادراك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها
اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتدا وادراك خبره كذبت ثمود
وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار
والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي
الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي
شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف
كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا
ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة
جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت
لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات
جمع حاسم من حسمت اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير
واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا
منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم
حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة الاربعاء
الى غروب الاخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا
من عاد توارت في سرب فانتزعها الريح في الثامن فاهلكتها فترى

القوم ان كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي والايام
صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية
متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية
او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرا البصريان والكسائي
ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه
والموتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطا او بالفعلة
او الافعال ذات الخطا فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها
فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى
الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد
من قبله حملناكم اي اباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح
لنجعلها لكم لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة
عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته وتعيها
وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ
الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من
شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه
والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء
الجم الغفير وادامة نسلهم وقرا نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مال المكذبين بها تفخيما
لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل
الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل
الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم
وحملت الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة
او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت
الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا
بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب
التسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء
للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيامة
وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية ضعيفة
مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها
جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء
اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعله هلاك الملائكة

اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجا
او فوق الثمانية لانها في نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روي
مرفوعا انهم اليوم اربعة واذا كان يوم القيامة ايدهم الله تعالى باربعة
اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا
تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضا
العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان
العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان
اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب
وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى
منكم خافية سريرة على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد
منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر
وقرا حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل
للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات
اجودها هاءَ يا رجل وهاءِ يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان وهاؤم
يا رجال وهاؤنّ يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه
اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره
حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت
في الوقف وتسقط في الوصل واستحب في الوقف لثباتها في الامام
ولذلك قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي
علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس
في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا
فهو في عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها
مجازا لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية
مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها
جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية
يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا
اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة
في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله
فيقول لما راى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه
ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية
القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة

التي قضيت علي كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت
حياة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال
والتبع وما للنفي والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى
هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج
بها في الدنيا وقرا حمزة عني مالي وعني سلطاني بحذف الهاء في الوصل
والباقون باثباتها في الحالين خذوه يقوله الله لخزنة النار فغلوه
ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم
على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه
فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة
وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع
ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم
تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق
للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا
يحث على بذل طعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض
للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل
على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد
الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا
حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم
فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل
اذا تعمد الذنب من الخطا المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة
ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق
بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف
بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول
الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القران لقول رسول يبلغه
عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى وهو
محمد وجبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة
قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط
عنادكم ولا بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون
اي تتذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع
نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القران
للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف

على تذكر احوال الرسول ومعاني القران المنافية لطريقة الكهنة
ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو
تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا
بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة
اقاويل تحقيرا بها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا
منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب
عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه
وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين
بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين
وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القران
لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين
فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين
وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم
فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه شكرا على ما اوحى
اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	وآياتها اربع واربعون

سال سائل بعذاب واقع اي دعا داع به استدعاه ولذلك عدي
الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم او ابو جهل فانه
قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول عليه السلام
استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة
قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت
ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل
مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال الوادي بعذاب ومضي الفعل
لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الاخرة وهو عذاب النار
للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال
كان عمن يقع عليه العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال
بمعنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به
ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب

والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم
او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة
والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استئناف لبيان
ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث
لو قدر قطعها في زمان لقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا
وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض
لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة
لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل خمسمائة عام
وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك
وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد زمان عروجهم من الارض
الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او سال اذا جعل
من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار
او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك
والروح جبريل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا
جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان
السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك يضجره او عن تضجر واستبطاء
للنصر او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت
الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيامة بعيدا
من الامكان ونراه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل
ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن
في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي
الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان
الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو شبهت العهن المنفوش
اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما ولا يسال قريب قريبا عن حاله
وعن ابن كثير ولا يسال على بناء المفعول اي ولا يطلب من حميم حميم
او لا يسال منه حاله يبصرونهم استئناف او حال يدل على المانع عن
السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض
الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي
من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او
استئناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي

يا قرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرأ
نافع والكسائي بفتح ميم يومئذ وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ
لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التي تؤويه
تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين
او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم
للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء
لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل وللقصة
ولظى مبتدأ خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار
منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص نزاعة بالنصب على الاختصاص
او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف
او جمع شواة وهي جلدة الرأس تدعوا تجذب وتحضر لقول ذي الرمة
تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل
وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه
من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال
فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد
الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر الضر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه
الخير السعة منوعا يبالغ في الامساك والاوصاف الثلثة
احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا
الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء
للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال
المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة
على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء
والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل
وتلك ناشئة عن الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليه
الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين
هم في اموالهم حق معلوم كالزكاة والصدقات الموظفة
للسائل للذي يسأل والمحروم والذي لا يسأل فيحسب
غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم
وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية
ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون
خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض

يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن عذاب الله وان بالغ في
طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين سبق في سورة المؤمنين فمن ابتغى
وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون وقرأ ابن كثير
لامانتهم يعني لا يخونون ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله
وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع
والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون
فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين
للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات
مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله فمال الذين
كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال
عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كأن كل فرقة
تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول
رسول الله عليه السلام حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ
منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله
لنكون فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع
انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة
لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم
يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل
ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يبوأ
في منازل الكاملين او الاستدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة
الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد
ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل
خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلهم وهم الانصار
وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ان نهلكهم فذرهم يخوضوا ويلعبوا
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر في آخر الطور يوم يخرجون
من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب
منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نصب
بالضم على انه تخفيف نصب وجمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة مر
تغشيهم ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي عليه السلام

من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام | بسم الله الرحمن الرحيم | مكية وهي تسع وعشرون آية

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر بأن أنذر أي بالإنذار أو بأن
قلنا له أنذر ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن الإرسال معنى القول وقرئ
بغيرها على إرادة القول قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم عذاب
الآخرة أو الطوفان قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله
واتقوه وأطيعون مر في الشعراء نظيره وفي أن يحتمل الوجهان
يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فإن الإسلام يجبه
فلا يؤاخذكم به في الآخرة ويؤخركم إلى أجل مسمى هو أقصى ما قدر
لكم بشرط الإيمان والطاعة إن أجل الله أي الأجل الذي قدره
إذا جاء على الوجه المقدر به أجلا وقيل إذا جاء الأجل الأطول لا يؤخر
فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من أهل العلم
والنظر لعلمتم ذلك وفيه أنهم لانهماكهم في حب الحياة كأنهم شاكون في
الموت قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا أي دائما فلم يزدهم
دعائي إلا فرارا عن الإيمان والطاعة وإسناد الزيادة إلى الدعاء
على السببية كقوله فزادتهم إيمانا وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان
لتغفر لهم بسببه جعلوا أصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم عن
استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني
كراهة النظر إلي من فرط كراهة دعوتي أو لئلا أعرفهم فأدعوهم
والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة وأصروا وأكبوا على الكفر
والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة جماعة الحمير إذا صر أذنيه
وأقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما ثم إني
دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا أي
دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى على أي وجه أمكنني وثم
لتفاوت الوجوه فإن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بينهما
أغلظ من الإفراد أو لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب
على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء
جهارا أي مجاهرا به أو الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا
ربكم بالتوبة عن الكفر إنه كان غفارا للتائبين وكأنهم لما

أمرهم بالعبادة قالوا إن كنا على حق فلا نتركه وإن كنا على باطل
فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فأمرهم بما يجب معاصيهم
ويجلب إليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو أوقع في قلوبهم
وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى إصرارهم حبس الله القطر أربعين
سنة وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما
كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ولذلك شرع الاستغفار
في الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور
يستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين
ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا أي تعظيما لمن عبده وأطاعه
فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه إياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر
لكان صلة للوقار أو لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وإنما
عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لأدنى الظن مبالغة وقد خلقكم
أطوارا حال مقدرة للإنكار من حيث إنها موجبة للرجاء فإنه خلقهم
أطوارا أي تارات إذ خلقهم أولا عناصر ثم مركبات تغذي الإنسان
ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأهم
خلقا آخر فإنه يدل على أنه يمكن أن يعيدهم تارة أخرى فيعظمهم بالثواب
وعلى أنه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم أتبع ذلك ما يؤيده من
آيات الآفاق فقال ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
وجعل القمر فيهن نورا أي في السموات وهو في السماء الدنيا
وإنما نسب إليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا
مثلها به لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج
عما حوله والله أنبتكم من الأرض نباتا أنشأكم منها فاستعير
الإنبات للإنشاء لأنه أدل على الحدوث والتكون من الأرض
وأصله أنبتكم إنباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية
ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم إخراجا بالحشر وأكده بالمصدر
كما أكد به الأول دلالة على أن الإعادة محققة كالبداءة وأنها تكون
لا محالة والله جعل لكم الأرض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا
منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ
قال نوح رب إنهم عصوني فيما أمرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله
وولده إلا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترين بأولادهم

بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما
اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد ادت بهم الى الخسار
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون
على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على من لم يزده
والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار
وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح
وقالوا لا تذرن آلهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء
رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا فلما طال
الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع
لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم
وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا
كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين
الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال
في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امور دينهم او الضياع
والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل
خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا
بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة
والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب
كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير
النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله
انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم
وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو
مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار
ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك
ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم
واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم
رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين
ولمن دخل بيتي مؤمنا منزلي او مسجدي او سفينتي وللمؤمنين
والمؤمنات الى يوم القيامة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي عليه
السلام من قرأ سورة نوح كان من المدركين دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	وآياتها ثمان وعشرون

قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو
همزة لضمها ووحي على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن
والنفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم
النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس
بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام ما رآهم ولم
يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر
الله به رسوله فقالوا انا سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام
الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة
يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن ولن نشرك
بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى
جد ربنا قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه جملة المحكي بعد القول
وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها
من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر في قوله انه لما قام على انه استئناف
او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم
فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا
انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه
او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالتعالي
عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة
ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته
كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك
واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة
الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او
هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد وانا ظننا
ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم
للسفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب
على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا
فيه ومن قرأ ان لن تقوّل كيعقوب جعله مصدرا لان التقول
لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن

فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي
من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا
كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا
بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا
كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والايتان من كلام الجن بعضهم
لبعض او استيناف كلام من الله تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما
من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا
لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس
للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه
فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم
الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتولد
من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع خالية عن الحرس
والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة
لمقاعد فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له
ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه
اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري
اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا
وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اي قوم
دون ذلك فحذف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق
اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا
طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا
علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها
ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض
ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى
اي القران امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف
وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به
بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء بخس لانه
لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقران ان يجتنب
ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق
الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا
توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون

فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا
اي ان الشان لو استقام الجن والانس او كلاهما على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق
وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة
ولعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه
وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا
باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم
في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته
او موعظته او وحيه يسلكه يدخله وقرا غير الكوفيين بالنون عذابا صعدا شاقا
يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله
احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء
وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي مسجدا وقيل المسجد الحرام
لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله واراب السبعة
والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي وانما ذكر لفظ العبد
للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه
يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا
مما راوا من عبادته وسمعوا من قرانه او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين
لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر
برواية هشام لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجد جمع لابد ولبدا
كصبر جمع لبود قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا
منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبي
ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا
عبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني
لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا
الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع
وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا
وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته
عن كقوله بلغوا عني ولو اية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه
فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا
راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا
بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم فسيعلمون

من اضعف ناصرا واقل عددا اهو ام هم قل ان ادري اقريب
ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون
حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة
ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع
على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم
بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال
الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط
وكرامات الاولياء بالاطلاع على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة
كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه
من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه
من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي
الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان ابلغ
الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير
واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي
عليه السلام من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وآياتها عشرون

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم
التاء في الزاي وقد قرئ به والمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي
زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي عليه السلام تهجينا لما كان عليه لانه
لما كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له
اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل او
تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل
او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل
اي قم الى الصلاة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع
او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء
من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين
قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه
بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف
كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف

او النصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين
من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام
الليل والناقص عنه والزائد عليه ورتل القران ترتيلا اقراه على
تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم
ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني
القران فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على
الرسول اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل
التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس
او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره
الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار
او ثقيل تلقيه لقول عائشة رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد
فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر
والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس ما به
يعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشا من مضجعها الى
العبادة من نشا من مكانه اذا نهض قال نشانا الى خوص بدي
بنتها السري والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان
الناشئة له او العبادة التي تنشا بالليل اي تحدث او ساعات الليل
لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشات اذا ابتدات
هي اشد وطا اي كلفة او ثبات قدم وقرا ابو عمرو وابن عامر وطاء
اي مواطاة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع
والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب
وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهامك
واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ
سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو
نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا
وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة
وقراءة قران ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة
وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع
تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدا خبره لا اله الا هو
وقرا ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك
وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب

عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور واصبر
على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم
ولا تكافئهم الى الله كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي
امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم يريد
صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا قليلا ان لدينا انكالا
وجحيما تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وطعاما ذا غصة طعاما ينشب
في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب مولما لا يعرف
كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح
فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها
عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران
معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله
تعالى يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف في لدينا انكالا
من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول
من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا
اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة
والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى ولم يعينه لان المقصود
لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا
ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرى لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم
فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم
يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله
ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم
بالطول السماء منفطر به منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شيء
لشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للالة كان
وعده مفعولا الضمير لله او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه
الايات الموعدة تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي
تقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل
ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه
وقرا هشام ثلثي الليل وقرا ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا
على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك
والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتها كما هي الا الله تعالى فان
تقديم اسمه مبتدا مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده علم ان لن تحصوه

ان لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب
عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤوا ما تيسر
من القران فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة
كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم
القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤوا القران بعينه
كيف ما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة
اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال
واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله والضرب في الارض
ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم واخرون يقاتلون في سبيل الله
فاقرؤوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة
واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات في سبيل الخير
او باداء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه لوعد العوض كما صرح به في قوله
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي
تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو
تاكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو
خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط
ان الله غفور رحيم عن النبي عليه السلام من قرا سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها ست وخمسون

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار روي انه عليه السلام قال
كنت بحرا فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي
فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت
ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك
قيل هي اول سورة نزلت وقيل تاذى من قريش فتغطى بثوبه متفكرا
او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات
النفسانية او المختفي فانه كان بحرا كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة
وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم
قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر
عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء والعظمة عقدا

وقيل روي انه لما نزل كبر رسول الله وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان
لا يامر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن
فكبر ربك او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه
عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب
بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من
النجاسات فان التطهير واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك
بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول
ما امر به من رفض العادات المذمومة والافعال الذميمة فيكون امرا
باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه
او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر
واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح
وقرا يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر
ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في
عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب
من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك
مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا
اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من من
بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا او بالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها
وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي واحضر
الوغى بالرفع ولربك فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق
التكاليف واذى المشركين فاذا نقر في الناقور في الصور
فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت
والفاء للسببية كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم زمان صعب
تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه
قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على
الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدا خبره يوم عسير
ويومئذ بدله او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقت وقوع
يوم عسير غير يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون
وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزل في
الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني
اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي ولم يشركني في خلقه احدا

ومن العائد المحذوف اي من خلقته فريدا لا مال له ولا ولدا او ذم فانه
كان ملقبا به فسماه الله به تهكما او ارادة انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه
لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان
له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم
لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم
في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل
كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام
ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب
ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة ثم يطمع ان ازيد
على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب
ما هو عليه من كفران النعمة ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان
لاياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف
بمعاندة ايات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال
بعد نزول الاية في نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه
عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه السلام الصعود
جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر
وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القران
وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره استهزاء
به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه
اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده روي انه
مر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقرا في حم السجدة فاتى قومه
وقال لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن وان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه
ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا
اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون
ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه
يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقالوا
فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر فقال اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله
وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر
تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد
على اصلها ثم نظر اي في امر القران مرة بعد اخرى ثم عبس قطب

وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول وقطب في
وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق والرسول واستكبر
عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة
على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر
ان هذا الا قول البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها
ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما سقر تفخيم
لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها
معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة
للبشر مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص
عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص
لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب
القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع ست منها
لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل
انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه
وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه
ملك او صنف او ان الساعات اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة
في الصلوات فتبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب
يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات
فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة
كل عشير جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا
اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا
اليهم ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله روي ان ابا جهل
لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطش برجل
منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم
الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها
على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم
ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول
ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا
اليقين بنبوة محمد عليه السلام وصدق القرآن لما راوا ذلك موافقا
لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل
الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اي في ذلك

وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه
شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا
بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون والجازمون في التكذيب
ماذا اراد الله بهذا مثلا اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب
المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب كذلك يضل الله من
يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل
الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم
عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها
وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار
ونسبة وما هي وما سقر وعدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا
تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها والقمر والليل
اذ دبر اذ ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرا نافع وحمزة ويعقوب وحفص
اذ ادبر على المضي والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى
البلايا الكبر اي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على
كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة
فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض
للتاكيد نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر وقيل نذيرا حال عما دلت
عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين
من السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في
معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة
مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت
صفة لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من
اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال في جنات لا يكتنه وصفها وهي
حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين اي
يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اي
دعوناه وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين
اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلاة الواجبة ولم نك نطعم
المسكين ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا
نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة

حتى أتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو
شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين أي معرضين عن التذكير
يعني القرآن أو ما يعمه ومعرضين حال كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة
شبههم في إعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من
قسورة أي أسد فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم
أن يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا للنبي
لن نتبعك حتى تأتي كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله إلى فلان أن
اتبع محمدا كلا ردع عن إعراضهم إنه تذكرة وأي تذكرة فمن شاء ذكره
فمن شاء أن يذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله ذكرهم أو مشيئتهم كقوله وما
تشاؤن إلا أن يشاء الله وهو تصريح بأن فعل العبد بمشيئة الله وقرأ نافع تذكرون
بالتاء وقرئ يذكرون مشددا هو أهل التقوى حقيق بأن يتقى عقابه
وأهل المغفرة حقيق بأن يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية — بسم الله الرحمن الرحيم — آيها أربعون

لا أقسم بيوم القيمة إدخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع
في كلامهم قال امرؤ القيس لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني
أفر وقد مر الكلام في قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل بغير ألف
بعد اللام وكذا روي عن البزي ولا أقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية
التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيامة على تقصيرهم أو التي
تلوم نفسها أبدا وإن اجتهدت في الطاعة أو النفس المطمئنة اللائمة
للنفس الأمارة أو بالجنس لما روي أنه عليه السلام قال ليس من نفس برة
ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيرا قالت كيف لم
أزدد وإن عملت شرا قالت ليتني ما قصرت أو نفس آدم فإنها لم تزل
تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها إلى القيامة لأن المقصود من إقامتها
مجازاتها أيحسب الإنسان يعني الجنس وإسناد الفعل إليه لأن فيهم
من يحسب أو الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سأل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عن أمر القيامة فأخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم
لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام أن لن نجمع عظامه بعد تفرقها
وقرئ أن لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على أن نسوي

بنانه نجمع سلامياته وضم بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها
فكيف بكبار العظام أو على أن نسوي بنانه الذي هو أطرافه فكيف بغيرها
وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع أي نحن قادرون
بل يريد الإنسان عطف على أيحسب فيجوز أن يكون استفهاما وأن
يكون إيجابا لجواز أن يكون الإضراب عن المستفهم وعن الاستفهام
ليفجر أمامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسأل أيان
يوم القيمة متى يكون استبعادا واستهزاء فإذا برق البصر تحير فزعا
من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو
لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب
إذا انفتح وخسف القمر وذهب ضوؤه وقرئ على بناء المفعول وجمع
الشمس والقمر في ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف
فإنه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف
بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب
أو بوصوله إلى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس
وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الإنسان يومئذ أين المفر
أين الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان
كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه
من الوزر وهو الثقل إلى ربك يومئذ المستقر إليه وحده استقرار العباد
أو إلى حكمه استقرار أمرهم أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة
ومن شاء النار ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بما قدم من عمل عمله
وبما أخر منه لم يعمله أو بما قدم من عمل عمله وبما أخر من سنة عمل بها بعده
أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر فخلفه أو بأول عمله وآخره بل الإنسان
على نفسه بصيرة حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بها وصفها بالبصارة
على المجاز أو عين بصيرة بها فلا يحتاج إلى الإنباء ولو ألقى معاذيره ولو جاء
بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر أو جمع معذرة على غير قياس
كالمناكير في المنكر فإن قياسه معاذر وذلك أولى وفيه نظر لا تحرك
يا محمد به بالقرآن لسانك قبل أن يتم وحيه لتعجل به لتأخذه على
عجلة مخافة أن يتفلت منك إن علينا جمعه في صدرك وقرآنه
وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فإذا قرأناه بلسان جبريل
عليك فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم إن علينا
بيانه بيان ما أشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان

عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما هو تأكيد التوبيخ على حب العجلة
لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف
بما في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الايات وقيل الخطاب
مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قرائته
خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد
جمع ما فيه من اعمالك وقرائته فاذا قرأناه فاتبع قرآنه بالاقرار والتامل
فيه ثم ان علينا بيانه بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول عن عادة العجلة
او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة
تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان
الخطاب للانسان فالمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير
وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة
الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالع جماله بحيث تغفل عما سواه
ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره
وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره
بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر
اذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال
فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس
والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه
تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا
ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس
اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق
وقال حاضروا صاحبها من يرقيه او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه
ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن
المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق
بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها او شدة فراق
الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه
فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا زكاه ولا صلى
ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن
كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك
من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه
يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه

واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل
بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار
ثم اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان
ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر
والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح
والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة
الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله
وقرأ حفص يمنى بالياء فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو
استدلال آخر بالابداء على الاعادة على ما قرره مرارا ولذلك رتب عليه قوله
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام من
قرأ سورة القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة انه كان مومنا

آيها احدى وثلثون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة الانسان مدنية

هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد
واصله أهل كقوله أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر
طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا
بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة
حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان
الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم بين اولا خلقه
ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء
اذا خلطته وجمع النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل
منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء
منه مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان
ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان
النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موقع الحال اي
مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين من حال الى حال
فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل
واستماع الآيات وهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء
على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اي بنصب

الدلائل وانزال الايات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما
للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما لبعضهم
شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه
بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا
ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو
عن كفران غالبا وانما الماخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين
سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون
وتقديمهم وعيدهم وقد تاخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام
وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرا نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة
ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من كاس من خمر
وهي في الاصل لقدح تكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا
لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في
رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به
عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل من كاس على تقدير
مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره
ما بعدها يشرب بها عباد الله اي ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء زائدة
او بمعنى من لان الشرب مبتدا منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها
حيث شاءوا اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف ببيان ما رزقوه
لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على
اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما
كان شره شدائده مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من
استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم
واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام
او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه كان
عليه السلام يوتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه
او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك
اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول
بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة
للاجر وعن عائشة انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال
المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة
لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف

من ربنا فلذلك نحسن اليكم ولا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب
يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته
قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة
اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة
فوقيهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم واعطاهم
نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم
على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا
ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس ان الحسن والحسين رضي الله
تعالى عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ناس
فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما
وفضة جارية لهما صوم ثلثة ايام ان برئا فشفيا وما معهم شي فاستقرض
علي من شمعون الخيبري ثلثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا
واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين
فاثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا
الطعام فوقف عليهم يتيم فاثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير
ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل عليه السلام بهذه السورة وقال خذها
يا محمد هناك الله في اهل بيتك متكئين فيها على الارائك حال من هم
في جزاهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون
حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار
محمي ولا بارد موذي وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها
قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواها مضي بذاته لا يحتاج
الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على ما
قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين
كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها
والجملة حال او صفة وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله
او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول على قطافها
كيف شاءوا ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب واباريق بلا عرى
كانت قواريرا قوارير من فضة اي تكونت جامعتين صفاء الزجاجة
وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا من نون سلاسلا
وابن كثير الاولى لانها راس الاية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير
قدروها تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها

كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل قدر
الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم
وقرئ قُدِّروها اي جعلوا قادرين لها كما شاءوا من قُدِّر منقولا من
قدرت الشئ ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل
في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها
تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال
شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به
ان ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا
فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا
بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رايتهم
حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس
شعاع بعضهم الى بعض واذا رايت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر
لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رايت نعيما وملكا كبيرا واسعا
في الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر من ملكه مسيرة الف عام يرى
اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكثر من ذلك وهو ان ينتقش نفسه
بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت
عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر
ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عاليهم او حسبتهم او
ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك عظيم عاليهم وقرا نافع وحمزة
بالرفع على انه خبر ثياب وقرا ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس
بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرا
ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقراهما نافع وحفص بالرفع وحمزة
والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه
استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور
من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب
لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف اختلاف
اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت
تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا
يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا
يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه
الى الله تعالى ووصفه بالطهور فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية

والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله متلذذا بلقائه باقيا
ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار
ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم
وكان سعيكم مشكورا مجازا عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك
القران تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد
الاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتاخير نصرك على كفار
مكة وغيرهم ولا تطع منهم اثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم
الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما
سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار
ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك
يستدعي ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس
باثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره
او دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما
ومن الليل وبعض الليل فاسجد له فصل له ولعل المراد به المغرب
والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص
وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة من الليل طويلة ان هؤلاء
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا
شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى
عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب
واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا
امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشاة الثانية ولذلك
جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة
الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة او الايات القريبة
فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما تشاءون
الا ان يشاء الله وما تشاءون ذلك الا وقت ان يشاء الله
مشيئتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاءون بالياء
ان الله كان عليما بما يستاهل كل احد حكيما لا يشاء الا ما تقتضيه
حكمته يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة
والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل
اوعد وكافا ليطابق الجمل المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي عليه
السلام من قرا سورة هل كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة والمرسلات مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | اياتها خمسون

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله تعالى
باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرائع
في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين
الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين
او بايات القران المنزلة لكل عرف الى محمد عليه السلام فعصفن ساير
الكتب والاديان بالنسخ ونشرن اثار الهدى والحكم في المشرق والمغرب
وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس
الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ماسوى الحق ونشرن
اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه
فيرون كل شي هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لايكون في القلوب
والالسنة الا ذكر الله تعالى او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة
نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل
اذا شاهد هبوبها واثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما
نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى
المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا او نذرا مصدران
لعذر اذا محى الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة
ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية
اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد
الوحي او مايعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحال
وقراء ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع
جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لامحالة
فاذا النجوم طمست محقت او اذهب نورها واذا السماء فرجت
صدعت واذا الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل
اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله
فانه لايتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقراء
ابو عمرو وقتت على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم
اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز

ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم الفصل بيان
ليوم التاجيل وما ادريك ما يوم الفصل من اين تعلم كنهه ولم تر مثله
ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب
باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه
ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود
وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الاخرين اي ثم نحن نتبعهم
نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الاخرين
المتاخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام
كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ
للمكذبين بايات الله وانبيائه وليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب
او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا
للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن في كلام العرب
الم نخلقكم من ماء مهين نطفة قذرة ذليلة فجعلناه في قرار مكين
وهو الرحم الى قدر معلوم اي مقدار معلوم من الوقت قدره الله
للولادة فقدرنا على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي
بالتشديد فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على
ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت
اي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به
او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض
باعتبار اقطارها احياء وامواتا منتصبان بكفاتا على المفعولية وتنكيرها
للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات
او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بجعل على المفعولية
وكفاتا حال او الحال فيكون المعنى بالاحياء ماينبت وبالاموات مالاينبت
وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم
واشعارا بان فيها ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار
والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا اي
يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا
وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل
يعني ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلاث شعب
يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث
اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان

المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية
التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة تقف
فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم
ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من
حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر في
عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة
وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة
وحوج والهاء للشعب كانه جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل صفر
فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل
يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة
والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة
وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقرئ بها وهي الحبل الغليظ
من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين
هذا يوم لا ينطقون اي بما يستحق الجواب فان النطق بما لا ينفع كلا نطق
او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب
اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ويل يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي
الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم
لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا
يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان
للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين
في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة في التخلص
من العذاب ان المتقين من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال
وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون في انواع الترفه كلوا واشربوا
هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين
في العقيدة ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم
الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين
اي ويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا
وبما جنوا على انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا قيل لهم
اركعوا اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا في الصلاة اذ روي انه
نزل حين امر رسول الله عليه السلام ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة

وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون
لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار
مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده بعد القرآن
يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني
الشريفة قال عليه السلام من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

اياتها احدى واربعون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة النبأ مكية

عم يتساءلون اصله عما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام
تفخيم شان ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسال عنه والضمير
لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول والمؤمنين
عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس
عن النبأ العظيم بيان للشان المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر
مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي
والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل
ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد
الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة او الاول للبعث
والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب
صنعه الدال على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر
تقريره مرارا وقرئ مهدا اي انها لهم كالمهد مصدر سمي به ما يمهد له
فينوم عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا
عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا
لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا وجعلنا
الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا
وقت معاش يتقلبون فيه لتحصيل ما يعيشون به او حياة تنبعثون فيه
عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات
لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلالئا وقادا من
وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر
والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب اذا اعصرت اي
شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له

ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح التي
حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت
مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات
ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج
والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وثجاج المطر صبابه
لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش
وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف قال جنة لف وعيش مغدق
او لفيف كشريف او لف جمع لفا كحمر واحمار وخضر واخضار او ملتفة
بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان في علم الله او في حكمه ميقاتا
حدا يوقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه
يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتأتون افواجا جماعات
من القبور الى المحشر روي انه عليه السلام سئل عنه فقال يحشر عشرة
اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير
وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم
وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من
افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم
مصلوبون على جذوع من النار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم
يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات
واهل السحت واكلة الربا والجائرين في الحكومة والمعجبين باعمالهم
والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم والساعين
بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين
الخيلاء وفتحت السماء وشقت وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت
ابوابا فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت
ذات ابواب وسيرت الجبال اي في الهواء كالهباء فكانت
سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم يبق على حقيقتها
لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد
يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المومنين ليحرسوهم من
فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي يضمر فيه الخيل
او مجدة في ترصد الكفرة كيلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان
بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى
لابثين فيها وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة

وليس فيه

وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة
او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز
ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان
فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو
جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من
المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا
فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من
العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطاه
الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين
فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس
عنهم حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم
وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤس الاي
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك
جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا
فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء
وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع
في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب لقوله فصدقتها
وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على
انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين
عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة
المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين
ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة
فيكون صفة للمصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه
وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان الاحصاء
والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى
مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا
فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم
بالايات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث
هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا
فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع
الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض

وكواعب اترابا فلكت ثديهن اترابا لدات وكأسا دهاقا ملأن واصله من دهق الحوض ملاه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من احسبه اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن صفة له وكذا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب ووافقهم حمزة والكسائي في جر رب ورفعا الرحمن على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او ليتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه الى ثوابه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الاخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمت من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبي عليه السلام من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	آياتها خمس واربعون

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات الملائكة للموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان تهيئها لادراك ما اعد لهم من الالام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع في الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد ويسبحون في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها كانها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاول نزعا والثاني نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها

حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال والمرادفة
التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة
وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موقع
الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي
صفة للقلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة
من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع
فلان الى حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه
على النسبة كقوله تعالى عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ
في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة
ائذا كنا وقرا نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما
نخرة بالية وقرا الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة
وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها
والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء
منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها
فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم
احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة
الارض البيضاء سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم
عين ساهرة للتي تجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها لا يسهر
خوفا وقيل جهنم هل اتيك حديث موسى اليس قد اتاك حديثه
فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب
من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه
في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ
ان اذهب لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى
هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرا الحجازيان
ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته
فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون
بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا فاراه الاية
الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا
حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها
كالاية الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور

الاية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال امره
او ادبر بعد ما راى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة
او جنوده فنادى في الجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى اي
اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اخذا منكلا
لمن راه او سمعه في الاخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته
الاخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهو قوله تعالى ما علمت لكم من اله غيري
او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله
ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد
خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها
ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض
او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا فسويها فعدلها او فجعلها مستوية
او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى
فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل
اذا اظلم وانما اضاف اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز
ضوء شمسها لقوله والشمس وضحيها والارض بعد ذلك دحيها بسطها
ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها ورعيها وهو
في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد
او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع
بالابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم
تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي
الكبرى التي هي اكبر الطامات وهي القيامة او النفخة الثانية او الساعة التي تساق
فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه
مدونا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة وطول المدة وهو بدل من اذا
جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء
بحيث لا يخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم
كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول اي لمن تراه من الكفار
وجواب فاذا جاءت محذوف دال عليه يوم يتذكر وما بعده من التفصيل
فاما من طغى حتى كفر واثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة بالعبادة
وتهذيب النفس فان الجحيم هي الماوى هي ماواه واللام فيه سادّ مسدّ الاضافة
للعلم بان صاحب الماوى هو الطاغي وهو فصل او مبتدأ واما من خاف مقام ربه
مقامه بين يديه لعلمه بالمبدإ والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد

فان الجنة هي المأوى ليس له سواها مأوى يسألونك عن الساعة
ايان مرسيها متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من
مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها
في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتبيين وقتها في شيء فاذكرها
لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم
وانت من ذكريها مستأنف معناه انت ذكر من ذكريها اي علامة
من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه
متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهيها اي منتهى علمها انما انت
منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين
الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذر بالتنوين
والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا
او في القبور الا عشية او ضحيها اي عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة
من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد عن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان
ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

اياتها اثنان واربعون	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة عبس مكية

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله
عليه السلام وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله
مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله عليه السلام
قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت وكان رسول الله يكرمه ويقول اذا جاء
مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد
للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ ءان
بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره
في الاقدام على قطع كلام رسول الله بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة ولزيادة
الانكار كأنه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى
اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان
اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل
الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة
ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب

جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله
تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اي تعرض وتدعى
الى التصدي وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام
حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ
واما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار او
كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه
والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام
قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه
او عن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه واتعظ به والضميران
للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره في صحف مثبتة
فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة القدر
مطهرة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء
ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله ورسوله او الامة
جمع سافر من السفر والسفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا
كشفت وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون
لهم بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب
من افراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي شيء
خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك
اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له من الاعضاء
والاشكال فقدره اطوارا الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن
امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان تنتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب
بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار
بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصود غيرها
ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في
النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة والامر
تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين
في نفسه وانما هو موكول الى مشيئته كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض
ما امره لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو
احد من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالخارجية
انا صببنا الماء صبا استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون
بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات

او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا
كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه
لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصفت
الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار
من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع
او من اب لكذا اذا تهيا له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء
متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها
علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس
يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله
بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير
الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من
صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ
يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفار الصبح ضاحكة
مستبشرة بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة
ترهقها قترة تغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين
جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال النبي
عليه السلام من قرا سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها تسع وعشرون

اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت
لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوءها فذهب انبساطه في الافاق
وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب
للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية
تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال البصر خربان فضاء
فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار
النوق اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة
او السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت
جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت
من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار
سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا

من سجر التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقرا ابن كثير وابو عمرو وروح
بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها
او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين
واذا الموءودة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق
او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت باي ذنب قتلت تبكيتا
لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه السلام انت قلت
للناس اتخذوني وقرئ سالت اي خاصمت عن نفسها وانما قيل
قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف
نشرت يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب
وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي
بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير واذا السماء
كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت
واعتقاب القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا
شديدا وقرا نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة
ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما
صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام
الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل
لها وللمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة
خير من جرادة فلا اقسم بالخنس اي لا اقسم بالخنس اي بالكواكب الرواجع
من خنس اذا تاخر وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك
وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات التي تختفي تحت ضوء
الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان
الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد
يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اضاء
عبر به عنه اذ عند اقباله روح ونسيم انه ان القران لقول رسول كريم
يعني جبريل فانه قاله عن الله تعالى ذي قوة كقوله شديد القوى عند
ذي العرش عند الله مكين ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين
على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وبما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة
وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما بهته الكفرة
واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما السلام حيث عد فضائل جبريل
واقتصر على نفي الجنون عن النبي عليه السلام وهو ضعيف اذ المقصود منه

نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما
والموازنة بينهما ولقد راه ولقد راى رسول الله جبريل بالافق المبين
بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على الغيب على ما يخبره من الوحي
اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرا نافع
وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالتبليغ
والتعليم والضاد من حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين
اللسان او يساره والظاء من طرفي اللسان واصول الثنايا العليا
وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه
لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول
والقران كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين
تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين
لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها الا ان يشاء الله
الا وقت ان يشاء مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال
النبي عليه السلام من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها تسع عشرة

اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت
متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا
واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث
وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت
من عمل او صدقة واخرت من سنة او تركة ويجوز ان يراد بالتاخير
التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء
خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار
فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع
والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به
يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك الكريم لا يعذب
احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في
طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسواك فعدلك
صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك
اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها

والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعدها
من القوى وقرا الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك
ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت
خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي
صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة
عدلك وانما لم تعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا
ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وقوله بل تكذبون بالدين اضراب
الى بيان ما هو السبب الاصلي في الاغترار والمراد بالدين الجزاء او الاسلام
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به
ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عنده
لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون
لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين
لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في
القبور وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشان
اليوم اي كنه امره بحيث لا تدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان
يوم على البدل من يوم الدين او الخبر المحذوف قال عليه السلام من قرا سورة
انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة التطفيف مدنية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها ست وثلثون

ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف
اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه
وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم
وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهر فيهم الفاحشة الا فشا فيهم
الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة
الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا
اكتالوا من الناس حقوقهم ياخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة
على اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم
او وزنوهم يخسرون اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف
الجار واوصل الفعل اليه كقوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا المعنى جنيت

لك أو كالوا لهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ولا يحسن
جعل المنفصل تأكيد المتصل فإنه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله إذ المقصود
بيان اختلاف حالهم في الأخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي
إثبات الألف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره ألا يظن أولئك
أنهم مبعوثون فإن من ظن ذلك لم يتجاسر على أمثال هذه القبائح
فكيف بمن تيقنه وفيه إنكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم
ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون أو بدل من الجار والمجرور
ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الإنكار والتعجيب
وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه
برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم إثمه كلا ردع
عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب إن كتاب الفجار ما يكتب
من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لفي سجين كتاب جامع لأعمال الفجرة من
الثقلين كما قال وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم أي مسطور بين
الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به
لأنه سبب الحبس أو لأنه مطروح كما قيل تحت الأرضين في مكان
وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين أو محل كتاب
مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق أو بذلك
الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة أو موضحة أو ذامة وما يكذب به
إلا كل معتد متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله
وعلمه فاستحال منه الإعادة أثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث
أشغلته عما وراءها وحملته على الإنكار لما عداها إذا تتلى عليه آياتنا
قال أساطير الأولين من فرط جهله وإعراضه عن الحق فلا تنفعه
شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما أدى بهم إلى هذا القول
بأن غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ
على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فإن كثرة الأفعال سبب
لحصول الملكات كما قال عليه السلام إن العبد إذا أذنب ذنبا حصل
في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران
بإظهار اللام مع سكتة بينهما كلا ردع عن الكسب الرائن إنهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن أنكر الرؤية جعله
تمثيلا لإهانتهم بإهانة من يمنع عن الدخول على الملوك أو قدر مضافا

مثل رحمة ربهم أو قرب ربهم ثم إنهم لصالوا الجحيم ليدخلون ويصلون
بها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون يقوله لهم الزبانية كلا تكرير
للأول ليعقب بوعد الأبرار كما عقب بوعيد الفجار إشعارا بأن التطفيف
فجور والإيفاء بر أو ردع عن التكذيب إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك
ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون
يحضرونه فيحفظونه أو يشهدون على ما فيه يوم القيمة إن الأبرار لفي نعيم
على الأرائك على الأسرة في الحجال ينظرون إلى ما يسرهم من النعم
والتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ
يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق
شراب خالص مختوم ختامه مسك أي مختوم أوانيه من الأكواب
والأباريق بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته أو الذي له
ختام أي مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء
أي ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق أو النعيم فليتنافس
المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها
سميت تسنيما لارتفاع مكانها أو رفعة شرابها عينا يشرب بها
المقربون فإنهم يشربونها صرفا لأنهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر
أهل الجنة وانتصاب عينا على المدح أو الحال من تسنيم والكلام في الباء
كما في يشرب بها عباد الله إن الذين أجرموا يعني رؤساء قريش
كانوا من الذين آمنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين
وإذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم وإذا انقلبوا
إلى أهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين
وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وإذا رأوا المؤمنين
نسبوهم إلى الضلال وما أرسلوا عليهم على المؤمنين حافظين
يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم أذلاء مغلولين في النار
وقيل يفتح لهم باب إلى الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها فإذا وصلوا
أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الأرائك ينظرون
حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل أثيبوا ما كانوا يفعلون
وقرأ حمزة والكسائي بإدغام اللام في الثاء قال عليه
السلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى
من الرحيق المختوم يوم القيامة صدق رسول الله

سورة الانشقاق مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | آياتها خمس وعشرون

اذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام
وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له
اي انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن
للآمر ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا
فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها واكامها
والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت في الخلو
اقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها واذنت لربها في الالقاء والتخلية
وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه
محذوف للتهويل بالابهام والاكتفاء بما مر في سورة التكوير والانفطار او
لدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره
لاقى الانسان كدحه اي جهد ايؤثر فيه من كدحه اذا خدشه فملاقيه ويا ايها
الانسان اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله
مسرورا الى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور واما من
اوتي كتابه وراء ظهره اي اوتي كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى
عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه
وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلّى كقوله
او تصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه جهنم انه كان في اهله في الدنيا
مسرورا بطرا بالجاه والمال فارغا عن الآخرة انه ظن ان لن يحور ان لن يرجع
الى الله بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله
بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب
وعن ابي حنيفة انه البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة والليل وما وسق
وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق
قال مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر
اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة
لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة لاختها في الشدة
او مراتب بعد مراتب هي الموت ومواطن القيامة واهوالها او هي وما قبلها من
الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح
على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول على معنى لتركبن حالا
شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد
طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن
طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له
فما لهم لا يؤمنون بيوم القيامة واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون
لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عليه السلام قرأ
واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق
رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن
لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت
الا بعد ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسجد فيها بل الذين
كفروا يكذبون اي بالقرآن والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم
من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم
لهم اجر غير ممنون غير مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه من وراء ظهره

سورة البروج مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | آياتها اثنان وعشرون

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور
لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام
الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج
منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيامة
وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه
من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود
لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته
من شاهد ومشهود او النبي وامته او امته وسائر الامم او كل نبي
وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه
وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر
او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم
واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير
لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم

ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة
وردت لتثبيت المومنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من
قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوها بناء ومعنى
الخق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر
ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه
فراى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا
وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها
فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من
الادواء وعمي جليس الملك فابراه فساله الملك عمن ابراه فقال
ربي فغضب فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل
الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بهم فهلكوا
ونجى واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفات السفينة بمن معه
فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني
وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني
فرماه فوقع في صدغه ومات فامن الناس فامر باخاديد
واوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت
امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك
على الحق فاقتحمت وعن علي ان بعض ملوك المجوس خطب
بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر
باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران
غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من
لم يرتد النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات
الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في
الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون
وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود يشهد بعضهم لبعض
عند الملك بانه لم يقصر فيما امره او يشهدون على ما يفعلون
يوم القيامة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا
وما انكروا منهم الا ان يومنوا بالله العزيز الحميد استثناء
على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه
حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له ملك السموات

والارض وهو على كل شيء شهيد للاشعار بما يستحق ان
يومن به ويعبد ان الذين فتنوا المومنين والمومنات بلوهم
بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب
الحريق العذاب الزائد في الاحراق لفتنتهم وقيل المراد
بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي
ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير
اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف
عنفه فان البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ
الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده
وهو الغفور لمن تاب الودود المحب من اطاع
ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ
ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته
وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره
حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه
وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله
وافعال غيره هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود
بدل لهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى
قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر
على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم بل الذين
كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب
ان حالهم اعجب من حال هولاء فانهم لما سمعوا
قصتهم وراوا اثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم
والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط
المحيط بل هو قران مجيد بل هذا الذي كذبوا به
كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قران
مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد في لوح محفوظ
من التحريف وقرا نافع محفوظ بالرفع صفة للقران وقرئ
في لوح وهو الهوا يعني ما فوق السماء السابعة التي فيها
اللوح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة البروج
اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | آياتها سبع عشرة

والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه ان كل نفس لما عليها حافظ رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما زائدة وقرأ ابن عامر وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب للقسم فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الانسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من المائين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان تتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب انه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر يتعرف ويتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث وهو ظرف لرجعه فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تحركت عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي اوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون انه ان القرآن لقول فصل فاصل بين الحق

والباطل وما هو بالهزل فانه جد كله انهم يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره واكيد كيدا واقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | آياتها تسع عشرة

سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر اي قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها وقرأ الكسائي بالتخفيف فهدى فوجهه الى افعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات والذي اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبريل او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ مع انك امي ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله السبيلا الا ما شاء الله نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روي انه عليه السلام اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب أبي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفي النسيان رأسا لان القلة تستعمل للنفي انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحك من ابقاء وانساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال

يتسرك لا ييسر لك عطفا على سنقرئك وانه يعلم اعتراض فذكر بعد ما استتب
لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير
وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما انت
عليهم بجبار الاية او لذم المذكورين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار
بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى
سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله بان يتفكر فيها
فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى
الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى النار
الكبرى نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم
او ما في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه
قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلاة
او ادى الزكاة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى كقوله اقم الصلوة لذكري
ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبر
يوم العيد فصلى صلاته بل تؤثرون الحياة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم
في الاخرة والخطاب للاشقين او للكل فان السعي في الدنيا اكثر في الجملة على
الالتفات او على اضمار قل او قرأ ابو عمرو بالياء والاخرة خير وابقى فان نعيمها
ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفي الصحف الاولى
الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة
صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله
عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها ست وعشرون

هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها
يعني يوم القيمة او النار من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ
خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها
في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها
او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها
وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى
بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين انية
بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبس الشبرق

وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع
ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم
ما تتحاماه الابل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني
من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات
بهجة او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية
عليه القدر او المحل لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول
بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة
ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية
يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك
او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم
ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض
وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون
نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن
تدبيره بجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة
بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل
نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز
مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات المنبثة
في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب
ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة
والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهي راسخة
لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ
الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى
افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا
كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به
امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا
عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم
بمصيطر بمتسلط وعن هشام بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام
الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني
عذاب الاخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم
بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الاخرة وقيل هو استثناء من قوله
فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض

ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه
فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان
ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة
في الوعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها ثلثون

والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلاته وليال
عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان
الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر
الايام والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله
ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك
والبروج والسيارات او شفع الصلوة ووترها او بيومي النحر وعرفة وقد روي
مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة
على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر
وقرأ غير حمزة والكسائي والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر
والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والتقييد بذلك
لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى
فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد
خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير
ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك
القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد
ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية
وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف هو ليعذبن
يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص
ابن ارم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم
باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اي سبط ارم او
اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم عاد الاولى باسم
جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء الرفيع
او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد
وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة

ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى
عدن جنة وسماها ارم فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة
يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن
قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد
صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او اسم البلدة
وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون
من الجبال بيوتا بالواد وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة
جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد
الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم
منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم
ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما
سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها
ببعض وقيل شبه بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس
الى ما اعد لهم في الاخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف
ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده
كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما
الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد
من الاخرة فلا يريد الا السعي فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها
اذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه ونعمه بالجاه والمال
فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدأ الذي هو
الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير
التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمن وقت ابتلائه بالانعام
وكذا قوله واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان
اذا ما ابتلاه اي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن
لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين وان
التوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك
ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه
ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه ولان التوسعة تفضل
والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن
بغير ياء في الوصل والوقف وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في
الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون

علی طعام المسکین ای بل فعلهم اسوء من قولهم وادل علی تهالکهم
بالمال وهو انهم لا یکرمون الیتیم بالنفقة والمبرة ولا یحثون اهلهم علی طعام
المسکین فضلا عن غیرهم وقرأ الکوفیون ولا تحاضون وتأکلون التراث
المیراث اکلا لما ذا لم ای جمع بین الحلال والحرام فانهم کانوا لا یورثون
النساء والصبیان ویأکلون انصباءهم او یأکلون ما جمعه المورث من حلال
وحرام عالمین بذلک وتحبون المال حبا جما کثیرا مع حرص وشره کلا
ردع لهم عن ذلک وانکار وما بعده وعید علیه اذا دکت الارض دکا دکا
دکا بعد دک حتی صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربک
ای ظهرت ایات قدرته واثار قهره مثل ذلک بما یظهر عند حضور السلطان
من اثار هیبته وسیاسته والملک صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم
وجیء یومئذ بجهنم کقوله وبرزت الجحیم وفی الحدیث یؤتی بجهنم یومئذ لها
سبعون الف زمام مع کل زمام سبعون الف ملک یجرونها یومئذ
بدل من اذا دکت والعامل فیهما یتذکر الانسان ای یتذکر معاصیه او یتعظ
لانه یعلم قبحها فیندم علیها وانی له الذکری ای منفعة الذکری لئلا
یناقض ما قبله واستدل به علی عدم وجوب قبول التوبة فان هذا
توبة غیر مقبولة یقول یا لیتنی قدمت لحیاتی ای لحیاتی هذه او وقت
حیاتی فی الدنیا اعمالا صالحة ولیس فی هذا التمنی دلالة علی استقلال العبد
بفعله فان المحجور عن الشیء قد یتمنی ان کان ممکنا منه فیومئذ لا یعذب
عذابه احد ولا یوثق وثاقه احد الهاء لله تعالی ای لا یتولی عذاب الله
ووثاقه یوم القیامة سواه اذ الامر کله له او للانسان ای لا یعذب احد
من الزبانیة مثل ما یعذبونه وقرأهما الکسائی ویعقوب علی بناء المفعول
یا ایتها النفس المطمئنة علی ارادة القول وهی التی اطمأنت بذکر الله تعالی
فان النفس تترقی فی سلسلة الاسباب والمسببات الی الواجب لذاته فتستقر دون معرفته
وتستغنی به عن غیره او الی الحق بحیث لا یریبها شک او الامنة التی لا یستفزها خوف
ولا حزن وقد قرئ بها ارجعی الی ربک الی امره او موعده بالموت ویشعر ذلک
بقول من قال کانت النفوس قبل الابدان موجودة فی عالم القدس او بالبعث
راضیة بما اوتیت مرضیة عند الله فادخلی فی عبادی فی جملة عبادی الصالحین
وادخلی جنتی معهم او فی زمرة المقربین فتستضیء بنورهم فان الجواهر القدسیة
کالمرآة المتقابلة او ادخلی فی اجساد عبادی التی فارقت عنها او ادخلی
دار ثوابی التی اعددت لک عن النبی علیه السلام من قرأ سورة الفجر فی اللیالی
العشر غفر له ومن قرأ فی سائر الایام کان له نورا یوم القیامة

سورة البلد مکیة	بسم الله الرحمن الرحیم	ایاتها عشرون

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه وتعالی بالبلد
الحرام وقیده بحلول الرسول فیه اظهارا لمزید فضله واشعارا بان شرف
المکان بشرف اهله وقیل حل مستحل تعرضک فیه کما یستحل تعرض الصید
فی غیره او حلال لک ان تفعل فیه ما ترید ساعة من النهار فهو وعد بما
احل له عام الفتح ووالد عطف علی هذا البلد والوالد ادم او ابراهیم
وما ولد ذریته او محمد علیه السلام والتنکیر للتعظیم وایثار ما علی من لمعنی
التعجب کما فی قوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان فی کبد
تعب ومشقة من کبد الرجل کبدا اذا وجعت کبده ومنه المکابدة والانسان
لا یزال فی شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضیقه ومنتهاها الموت وما بعده
وهو تسلیة للرسول علیه السلام بما کان یکابد من قریش والضمیر فی ایحسب
لبعضهم الذی کان یکابد منه اکثر او یغتر بقوته کابی الاشدین بن کلدة
فانه کان یبسط تحت قدمه ادیم عکاظی ویجذبه عشرة فینقطع ولا تزل
قدماه او لکل واحد منهم او الانسان ان لن یقدر علیه احد فینتقم منه
یقول ای فی ذلک الوقت اهلکت مالا لبدا کثیرا من تلبد الشیء اذا
اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول ایحسب
ان لم یره احد حین کان ینفق او بعد ذلک فیسأله عنه یعنی ان الله
یراه فیجازیه او یجده فیحاسبه علیه ثم قرر ذلک بقوله الم نجعل له عینین
یبصر بهما ولسانا یترجم به عن ضمائره وشفتین یستر بهما فاه ویستعین
بهما علی النطق والاکل والشرب وغیرهما وهدیناه النجدین طریقی
الخیر والشر او الثدیین واصله المکان المرتفع فلا اقتحم العقبة ای فلم
یشکر تلک النعم والایادی باقتحام العقبة وهو الدخول فی امر شدید
والعقبة الطریق فی الجبل واستعارها لما فسرها به من الفک والاطعام
فی قوله وما ادریک ما العقبة فک رقبة او اطعام فی یوم ذی مسغبة
یتیما ذا مقربة او مسکینا ذا متربة لما فیهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد
بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تکاد تقع الا مکررة اذ المعنی فلا فک
رقبة ولا اطعم یتیما او مسکینا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات
من سغب اذا جاع وقرب فی النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن کثیر
وابو عمرو والکسائی فک رقبة او اطعم علی الابدال من اقتحم وقوله وما ادریک

بالعقبة اعتراض معناه انك لم تدرك كنه صعوبتها وثوابها ثم كان
من الذين آمنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق
والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا
بالصبر واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة
بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله تعالى اولئك اصحاب الميمنة
اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على حق من كتاب وحجة او بالقرآن
هم اصحاب المشأمة الشمال او الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار
بالضمير شان لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته
واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمز من آصدته عن النبي عليه السلام
من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

سورة والشمس مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	آياتها خمس عشرة

والشمس وضحاها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار
والضحى فوق ذلك والضحى بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف
والقمر اذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة البدر
او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها جلى الشمس فانها تتجلى
اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها
والليل اذا يغشاها يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات
العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث
استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظرف بالمجرور والظرف
المقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل
والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها
وانما اوثرت على من لارادة الوصفية كانه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل
على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله
والارض وما طحاها ونفس وما سواها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن
الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقواها بقوله وما سواها الا ان
يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس
او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما
والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكاها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف
اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم

عليه بما يدل لهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي
هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق
في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال
النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما
دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة
والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغواها بسبب
طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله
طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث
حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقاها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو
ومن عاونه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل
شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها
وسقياها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا
فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة
اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسواها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم
فلا يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود بالهلاك ولا يخاف عقباها
اي عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر
فلا على العطف عن النبي عم من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	آياتها احدى وعشرون

والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار
اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى
والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحوى
وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى اي ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع
شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت
المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى
وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة
التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب
بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا
عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى
للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او

استفهام انكار اذا تردّى هلك تفعّل من الردى او تردّى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يلزمها مقاسيا شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لا يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصليها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد باتيانه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات في ابي بكر حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل ان المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبي عليه السلام من قرا سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	آياتها احدى عشرة

والضحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تاخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار

كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعد له ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او ولنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه الله من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين لما ادخره مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما انعم عليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج به ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك الى جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلب على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي عليه السلام من قرا سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الشرح مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	آياتها ثمان

الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكمة وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل اتى رسول الله في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك عبأك الثقيل الذي انقض ظهرك حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز من ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان

ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واى رفع مثل ان قرن اسمه باسمه
فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه فى ملائكته وامر المؤمنين
بالصلوة وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح
فيفيد المبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر
وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة
فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما فى ان
مع من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين
ان مع العسر يسرا تكرير للتأكيد او استئناف وعدة بان العسر مشفوع
بيسر اخر كثواب الاخرة كقوله ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة اى ان
للصائم فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام
لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او للجنس واليسر منكر
فيحتمل ان يراد بالثانى فرد يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ
فانصب فاتعب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا
بالنعمة الاتية وقيل اذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة او فاذا فرغت
من الصلاة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه
القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اى رغب الناس الى طلب ثوابه عن
النبى عليه السلام من قرأ الم نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

سورة والتين مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها ثمان

والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضلة
له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم
ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن
وفى الحديث يقطع البواسير وينفع النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء
وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال
وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجد دمشق وبيت المقدس
او البلدان وطور سينين يعنى الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين
وسيناء اسمان للموضع الذى فيه وهذا البلد الامين اى الامن من امن
الرجل امانة فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة
لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس فى احسن تقويم تعديل بان خص
بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر

سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار
او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات منقطعا اليه فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به
عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك اى
فاى شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل
بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك على
هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذى فعل ذلك
من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على
الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبى عليه السلام من قرأ سورة التين اعطاه الله
العافية واليقين ما كان حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها تسع عشرة

اقرأ باسم ربك اى اقرأ القران مفتتحا باسمه او مستعينا به الذى خلق
اى الذى له الخلق او الذى خلق كل شئ ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا
وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان
او الذى خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته
من علق جمعه لان الانسان فى معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله
تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير
للمبالغة او الاول مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلوة ولعله لما قيل له
اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ وربك الاكرم الزائد
فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم
وحده على الحقيقة الذى علم بالقلم اى الخط بالقلم وقد قرئ به لتقييد به
العلوم او يعلم به البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب
الدلائل وانزال الايات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه
مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب
الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته
عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه
وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى
اى راى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون
فاعله ومفعوله ضميرين لواحد وقرأ قنبل بقصر الهمزة ان الى ربك الرجعى

الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان
والرجعى مصدر كالبشرى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي
جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه
فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت
ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية
المنهي أرأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى أرأيت تكرير للاول
وكذا الذي في قوله أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى
والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط
الثاني الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله
عن صلاته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او امر بالتقوى
فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق
والتولي عن الصواب كما يقول ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله
من هداه وضلاله وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي
على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل
الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان
يخاطب هذا مرة والاخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلاته
هدى ودعا الى الله تعالى امرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى في
التعجيب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلاة والامر
فاختصر على ذكر الصلوة لانها دعوة بالفعل او لان نهي العبد اذا صلى
يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة
وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا
بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض
على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبته
في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة
للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية
وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم
ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة
فليدع نادية اي اهل نادية ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم
روي ان ابا جهل مر برسول الله وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له
رسول الله فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية
ليجروه الى النار وهو في الاصل واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع

او زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا
ردع ايضا للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد
ودم على سجودك واقترب وتقرب وفي الحديث اقرب ما يكون العبد من الرب
اذا سجد عن النبي عليه السلام من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر مدنية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها خمس

انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقران فخمه باضماره من غير ذكر شهادة
له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت
الذي انزل فيه بقوله وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر
وانزاله فيها بان ابتداء بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا
على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله عليه السلام نجوما في ثلث وعشرين سنة
وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة
منها والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة وتسميتها بذلك
لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي
انه عليه السلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون
وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة
والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت على الف وتنزلهم الى الارض
او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك
السنة وقرئ من كل امرئ اي من كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة
اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام
لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه
وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي
عليه السلام من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة مدنية	بسم الله الرحمن الرحيم	آياتها تسع

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد
في صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه
من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة الرسول
او القران فانه مبين للحق او معجز الرسول باخلاقه والقران بافحامه من تحدى

رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدا يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي وقيل المراد جبريل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان امن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك اشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرا نافع البريئة بالهمزة على الاصل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد رضي الله عنهم استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي عليه السلام من قرا سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا وصباحا

سورة الزلزال مدنية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها ثمان

اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن والاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها

يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر يؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي عليه السلام من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القران كله

سورة والعاديات	بسم الله الرحمن الرحيم	مكية واياتها احدى عشرة

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي توري النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات تغير باهلها على العدو صبحا اي في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اي ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روي انه عليه السلام بعث خيلا فمضى شهر لم ياته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعاديات اذا ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه

الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيامة لخبير عالم بما اعلنوه
وما اسروا فمجازيهم وانما قال بهم لاختلاف شأنهم في الحالين وقرئ ان ربهم يومئذ خبير
بلا لام عن النبي عليه السلام من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | آياتها احدى عشرة

القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب
اليوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن المنفوش كالصوف
ذي الالوان المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه
بان ترجحت مقاديرها انواع حسناته فهو في عيشة راضية ذات
رضا اي مرضية واما من خفت موازينه بان لم تكن له حسنة يعبأ بها
او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فمأواه النار والهاوية من
اسمائها ولذلك قال وما ادريك ما هيه نار حامية ذات حمى عن النبي
عليه السلام من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

سورة التكاثر مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | آياتها ثمان

الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل
التكاثر التباهي بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء
صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة
المقابر روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم
بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات
فكثرتهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة
وقيل معناه الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم
في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة
عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه
ومعظم سعيه الدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون
خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا ويتنبهوا من غفلتهم
ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من
الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون

علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم بما
تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب
للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب
قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقرأ
ابن عامر والكسائي بضم التاء ثم لترونها تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم
من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية
الابصار عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى
مراتب اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الذي الهيكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه
عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله
كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي
انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف اية صدق الله ورسوله

سورة والعصر مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | آياتها ثلث

والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب
والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الناس لفي خسران في مساعيهم
وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق
بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد وعمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الحق وعلى ما
يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصودا
على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان
ما عدا ما عد يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن النبي
عليه السلام من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | آياتها تسع

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر
من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة
ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة
الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق

فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اوغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد يعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للاخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادراك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفئه التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصه بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تالما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشا الاعمال القبيحة انها عليهم موصدة مطبقة من اطبقت الباب اذا اصدته قال نحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعا موصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين عن النبي عليه السلام من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه

ايٰتها خمس	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة الفيل مكية

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد اثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزته وحرمة بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عليه السلام وقصتها ان ابرهة ابن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها بالقليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيا للدخول وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدس واصغر من الحمصة ترميها فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج

من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنككل وقيل من السجل وهو الدلو الكبيرة او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف ماكول كورق وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ

ايٰتها اربع	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة قريش مكية

لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار شبهوا بها لانها تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وامنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة لايلاف قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | اياتها سبع

ارايت معناه التعجب وقرئ اريت بلا همز الحاقا بالمضارع ولعل
تصديره بحرف الاستفهام سهل امرها وارايتك بزيادة الكاف الذي
يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني
قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا
ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا
فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ
يدع اي يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده
بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراءون يرون
الناس اعمالهم ليروه الثنا عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور
في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف
الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين
والرياء الذي هو شعبة من النفاق ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام
احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع
المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة ارايت غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | اياتها ثلث

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثير من العلم والعمل
وشرف الدارين وروي عنه عليه السلام انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه
خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد
حافتاه الزبرجد واوانيه من الفضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض
فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القران فصل لربك فدم
على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه
فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال
العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون
فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسر الصلاة بصلوة العيد والنحر

بالتهجية

بالتهجية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر
الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك
وحسن صيتك واثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الاخرة ما لا يدخل
تحت الوصف عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من
كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد يوم النحر

سورة الكافرون | بسم الله الرحمن الرحيم | مكية اياتها ست

قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم
لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد الهتنا سنة ونعبد
الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا تدخل
الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم
عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في القران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم
اي في الحال او في ما سلف ولا انتم عابدون ما اعبد وما عبدتم في وقت ما
ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت
ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام
وهو لم يكن حينئذ موسوما بالعبادة لله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة
كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل انها مصدرية
وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم
لا تتركون ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع
عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقدير
كل من الفريقين الاخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء
والعبادة وقرأ نافع وحفص وهشام بفتح الياء عن النبي عليه السلام من قرأ
سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية | بسم الله الرحمن الرحيم | اياتها ثلث

اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل
المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول
بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة
لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا

لورود مستعد الشكر ه ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
جماعات كثيفة كل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبايل العرب
ويدخلون حال على ان رايت بمعنى البصرت او مفعول ثان على انه بمعنى
علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببال احد حامدا له
عليه او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما دخل مكة بدا بالمسجد فدخل
الكعبة وصلى ثماني ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له
على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات
الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا
لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه السلام اني لاستغفر الله
في اليوم والليل مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم
الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل
ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله انه كان توابا لمن استغفر مذ خلق
المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لما قراها بكى العباس فقال عليه السلام
ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك
لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اكملت لكم دينكم
او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع
وعنه عليه السلام من قرا سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها خمس

تبت هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب
نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم وقيل انما خصتا لانه عليه السلام لما نزل عليه
وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك
الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخراه
وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره
ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت التكنية اوفق بحاله او لتجانس قوله
ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وتب اخبار
بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه
جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ فقد تب
او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه ما اغنى عنه ماله نفي

لاغنى المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب
وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتايج والارباح والوجاهة والاتباع
او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام
وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة
وترك ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار
عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد
نار جهنم وليس فيه ما دل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق
وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامراته عطف على المستكن في
سيصلى او مبتدا وهي ام جميل اخت ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب
جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة
فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تنثرها بالليل
في طريق الرسول وقرا عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد اي مما مسد
اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة
التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تخسيسا لحالها او بيانا لحالها في نار جهنم
حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم في جيدها سلسلة من النار
والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي عليه السلام
من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها اربع

قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء
وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي
سالتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي
تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال
كما دل الله على جميع صفات الاكرام اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات
عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة
في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية
للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها
الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة
الرسول او موادعة لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما
هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد

المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اي ولم يكن احد يكافيه او يماثله من صاحبة او غيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه لغو لكن لما كان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرا حمزة ويعقوب كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القران فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبي عليه السلام انه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	واياتها خمس

قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويخص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله

الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلات دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه اكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي عليه السلام في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه السلام ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا فجاء به فقراهما عليه وكان كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لان العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي عليه السلام لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	اياتها ست

قل اعوذ قرا ورش في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم خصصها بالناس ههنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها

واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم
الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل
وذوات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به
على انه المستحق للعبادة لا غيره وتدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة
تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة
المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار
بشرف الانسان من شر الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة
واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمي بفعله مبالغة
الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي
يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية
فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت
توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم
من الجنة والناس بيان للوسواس او الذي او متعلق بيوسوس
اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس
على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناس
كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين عن النبي
عليه السلام من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى

وقد اتفق اتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فوائد فرائد ذوي الالباب
المشتمل على خلاصة اقوال اكابر الائمة وصفوة آراء اعلام الامة في تفسير القرآن
وتحقيق معانيه والكشف عن عويصات الفاظه ومعجزات مبانيه مع الايجاز الخالي
عن الاخلال والتلخيص العاري عن الاملال الموسوم بانوار التنزيل واسرار التأويل
واسأل الله تعالى ان يعم نفعه للطلاب ولا يخلي سعي من تعب فيه
من الاجر والثواب ويختم كل خاتمة اذ يوم تخميضي عن الامام
ويبلغني اعلى منازل دار السلام في جوار العليين من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا وهو سبحانه حقيق بان يحقق
رجاء الراجين
تحقيقا

قد وقع الفراغ من تنظيم درر تفسير القاضي البيضاوي ببنان القلم بتوفيق الله الباري
باسلاك السطور ليلة القدر العالي لعام خمس وثلثين ومائة والف بعد هجرة من
له العز والشرف على يد اقل عبيد الله الاحد محمد الباقي بن بايرام محمد عاملهما بلطفه
الودود بجاه النير الاعظم في فلك الوجود والجود مسلما اليه زمام القضاء
باقدس البلاد واحسن الامصار بعد بلد الله الحرام وبلد نبيه المختار
الذي يشد اليه الرحال من الفجاج ومهبط الوحي ومحل الاسراء والمعراج
اللهم يسر اقصى مناي بجاه النبي المفخم
صلى الله تعالى عليه
وسلم
م